



حائط الصواريخ في أكتوبر ١٩٧٣ م

حرب رمضان ١٣٩٣ هـ

اللواء أ.ح./ محمد سعيد على

انتهت حرب رمضان 1393 هـ - أكتوبر 1973 م بانتصار مصر على إسرائيل انتصارًا فاق كل التوقعات والتقديرات، انتصارًا لم تتمكن إسرائيل من إخفاء بريقه، كما لم يؤدّ العبور اليائس للقوات الإسرائيلية غرب قناة السويس إلى طمس حقيقته أو التقليل من قدره وقيمته، إن الآداء الرائع الذى أداه حائط الصواريخ خلال حرب رمضان والذى قلب كثيرًا من موازين الفكر العسكرى وأساليب استخدام القوات الجوية فى الحرب الحديثة لم يكن سوى حصيلة فكر واع ، وجهد رائع، وعرق مستمر قام به هؤلاء الرجال الذين قاتلت بهم فكانوا خير الرجال وأعظم الأبطال.

تصميم: احمد اغا



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٥ جنيه

حائط الصواريخ

علي، محمد سعيد.

حائط الصواريخ فى حرب رمضان ١٣٩٣ هـ

اكتوبر ١٩٧٣م/ تأليف: محمد سعيد علي. -

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.

٤٨٠ص؛ ٢٤ سم.

تدمك ٦ ٧٦٠ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - مصر - تاريخ - أنور السادات (١٩٧١م - ١٩٨١م)

٢ - الصواريخ.

أ - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٨٣٤/ ٢٠١٤

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 760 - 6

ديوى ٩٦٢،٠٧١

حائط الصواريخ

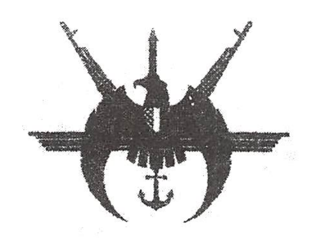
في
حرب رمضان ١٣٩٣هـ
أكتوبر ١٩٧٣م

تأليف

اللواء أ.ح./ محمد سعيد على



٢٠١٤



الجيش المصرى

الجيش المصرى

سلسلة تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

الإشراف الفنى

مادلين أيوب

تصميم الغلاف

أحمد أغا

رئيس التحرير

جمال الغيطانى

سكرتير التحرير

رشا الفقى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس

www.gebo.eg

e-mail@gebo.gov.eg

الإهداء

إلى كل الرجال الذين قاتلوا في معركة الكرامة والحرية، إلى هؤلاء الذين قدموا دماءهم الطاهرة بسخاء، إلى شهداء مصر الأبرار.

محتويات الكتاب

تقديم

انتهـت حرب رمضـان ١٣٩٣ ـ أكتوبر ١٩٧٣ بانتصار لمصر عـلى إسرائيل انتصارًا فـاق كل التوقعات والتقديرات، انتصارًا لم تتمكـن إسرائيل من إخفاء بريقه، كما لم يؤدِّ العبور اليائس للقوات الإسرائيلية غرب قناة السويس إلى طمس حقيقته أو التقليل من قـدره وقيمته، فكان أول انتصار تسـجله القوات المسـلحة المصريـة بعد حروب ثلاث مريرة لم يكتب فيها النجاح والتوفيق.

لقـد وجدت من الواجب ـ وقد شـاركت في هذه الحرب كقائـد للفرقة الثامنة دفاع جوي ـ أن أكتب هذا الكتاب وأقدمه للقراء كي يكون سجلًا ناصعًا أمام الجميع، سجلًا ينطـق بالحـق ويبتعد عن الهوى، سـجلًا يوضح بجـلاء أحداث هذه الحـرب ووقائعها متوخيًا الصدق والأمانة، واضعًا كل الأمور في نصابها. وإن كنت قد سلطت الكثير من الأضـواء على الأحـداث والمواقف التي عاصرتها قبل هذه الحـرب أو خلالها بما لها وما عليها فإنني أمام الكثير من الاعتبارات وجدت نفسي مضطرًا إلى إبعاد هذه الأضواء أو تسـليطها من بعد على كثير من الأحداث أو بعضها، وقد جاهدت نفسي في ذلك جهادًا استلزم الكثير من الوقت والعناء. ومما لا شـك فيه أنه سـيأتي يوم قريب تصبح فيه هذه الأحـداث واضحة مضيئة، فتاريـخ الأمم وحروبها وانتصاراتها لا يمكن أن يحتل زوايا النسيان، أن يطغى عليه التأويل والتحريف بل يجب أن يكون حقًّا كما أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون.

لقـد كانت الفرقـة الثامنة دفاع جوي أو مـا تعارف عليه الجميـع بحائط الصواريخ المـصري معروفًـا للعـدو والصديـق قبـل الحـرب وأثناءها. فقبـل الحـرب كان حائط الصواريخ علمًا بارزًا، وسـمة مميزة أسـلوبًا وتسـليحًا لكبر حجمه وتنوع صواريخه، أما

خلال الحرب وما بعدها فقدأصبح حائط الصواريخ حدثًا فريدًا بل لا يزال هذا الحائط بأدائـه الرائـع وقدرته الفذة وأسـلوبه الفريد في قتـال القوات الجويـة الإسرائيلية مثارًا للدراسـة والتحليل بواسـطة كثير من الدوائر العسـكرية الغربية والشرقية، علاوة على الدراسـة التـي تقوم بها شركات الأسـلحة المتخصصة، وما كل ذلك إلا لاسـتخلاص الـدروس واسـتنباط النتائج بغرض تطوير العقائد العسـكرية للقتـال، أو لتلافي أوجه النقـص في صناعـة الطائـرات أو الصواريخ الموجهـة أرض - جو، أو وسـائل الحرب الإلكترونية والوسائل المضادة لها.

إن الأداء الرائـع الذي أداه حائط الصواريخ خـلال حرب رمضان ١٣٩٣ ـ أكتوبر ١٩٧٣ والـذي قلب كثيرًا من موازين الفكر العسـكري وأسـاليب اسـتخدام القوا ت الجوية في الحرب الحديثة لم يكن سوى حصيلة فكر واعٍ، وجهد رائع وعرق مستمر قام به هؤلاء الرجال الذين قاتلت بهم فكانوا خير الرجال وأعظم الشجعان.

لقـد أثبـت هؤلاء الرجال أنهم لم يكونوا ندًّا للقوات الجوية الإسرائيلية فحسـب بل كانوا أكثر قوة وأصلد عزمًا وأكثر تضحية من أعدائهم ـ فكان أن دانت لهم سماء المعركة منذ الساعات الأولى، وتمكنوا من إنزال هزيمة ساحقة بالقوات الجوية الإسرائيلية، تعتبر أول هزيمـة تمـر بها أي قوات جويـة في التاريخ المعاصر، وأكبر نـصر يمكن للصواريخ الموجهة أرض ـ جو أن تحققه حتى الآن.

لقد كان لي شرف الخدمة بالفرقة الثامنة دفاع جوي كرئيس للأركان في ٢/ ٤/ ١٩٧٠ ذلك الوقت الذي كان يجري فيه الاستعداد لإعداد التشكيل ماديًا ومعنويًا وقتاليًا لدفعه لجبهة القتال لردع القوات الجوية الإسرائيلية، وإيقاف عملية الإدماء اليومي، وفعلًا تم دفع التشـكيل لذلك الغرض وتمكن من قتاله خلال شـهر يوليو ١٩٧٠ ومن التصدي للقـوات الجوية الإسرائيليـة مما أدى في النهاية إلى قبول مبـادرة روجرز وإيقاف إطلاق النار في ٧/ ٨/ ١٩٧٠ وفي يونيو ١٩٧١ توليت قيادة هذا التشكيل، وكان عليّ أن أعمل عـلى إعداده للحـرب المنتظرة متخطيًـا كل العقبات والصعاب، وقـد كان لي في معاونَي من الرؤساء والقادة الذين عملوا تحت قيادتي خير عون على تحقيق ما كنت أهدف إليه. وكانت حرب رمضان/ أكتوبر أوضح دليل على ذلك.

إن معركة حائط الصواريخ مع القوات الجوية الإسرائيلية لم تبدأ في حرب رمضان/ أكتوبر، بل سبقت هذه الحرب بكثير، بدأت منذ وجد حائط الصواريخ واتخذ أوضاعه القتالية غرب القناة؛ ولذا كان عليّ أن أسجل هذه الفترة، وفي ضوء ذلك اشتمل الكتاب على أبواب سبعة تؤلف فيما بينها نسيجًا مترابطًا يشع من ثناياه قصة من أعظم قصص البطولة، وملحمة من أعظم ملاحم التاريخ العسكري في العصر الحديث.

لقد تناولت في الباب الأول الأثر السياسي والعسكري لهزيمة يونيو ١٩٦٧ بطريقة مجملة، أما الباب الثاني فقد خصصته لحرب الاستنزاف ومعركة إدخال الصواريخ إلى جبهة القتال، حتى وقف إطلاق النار في أغسطس ١٩٧٠، وما ترتب على ذلك من بناء حائط الصواريخ. أما الباب الثالث فقد أفردته للقوات الجوية الإسرائيلية حجمًا وتدريبًا وأسلوبًا ووسائل، في حين احتوى الباب الرابع على إعداد حائط الصواريخ لحرب رمضان/ أكتوبر. أما الباب الخامس فقد اشتمل على إجراءات التحضير للحرب واشتمل الباب السادس على أعمال قتال حائط الصواريخ منذ بدء القتال يوم ١٠ رمضان ١٣٩٣ - ٦ أكتوبر ١٩٧٣ إلى انتهاء القتال مع القوات الجوية الإسرائيلية يوم ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٣ وكان من الضروري أن يشتمل الكتاب على تعليق على الحرب مع إبراز بعض الدروس المستفادة فكان الباب السابع، وبذا أكون قد وفيت تاريخ حائط الصواريخ حقه تاركًا ما لم تسمح الاعتبارات بنشره إلى وقت آخر.

والله ولي التوفيق،

الباب الأول

الموقف السياسى والعسكرى

الفصل الأول
الموقف السـياسى

الأثر السياسى لحرب الأيام الستة

انتهـت حـرب الأيـام السـتة بكارثـة عسـكرية تعتـبر فى شـكلها الأولى فى التاريـخ العسـكرى الحديـث، فقـد تمكنـت القـوات الجويـة الإسرائيليـة بضربـة جويـة مفاجئـة مـن تدمـير القـوات الجويـة المصريـة وهـى فى قواعدهـا، ومـن ثـم أحـرزت إسرائيـل السـيادة الجويـة بثمـن بخـس، ومـا إن تأكـدت مـن نجاحهـا فى ضربتهـا الجويـة حتـى بـدأت فى عملياتهـا الهجوميـة ضـد القـوات المصريـة المحتشـدة فى فى سـيناء، مما أفقد القيادات المسئولة عن إدارة الحرب توازنها. يستوى فى ذلك القيادة السياسـية والقيادة العسـكرية، فكان قرار الانسـحاب التاريخى الذى تم اتخاذه بمعرفة القيادة السياسـية والعسـكرية دون ترو، وتبصر وتفهم للموقف، مما أدى فى النهاية إلى الكارثة.

إن هزيمـة يونيـو ١٩٦٧ سـتظل نقطة سـوداء فى حياة الشـعب المـصرى وفى تاريخ العسـكرية المصريـة، لقـد أدى عدم وضـوح الرؤية للموقف السياسـى مـع التردد بين الهدف السياسـى والهدف العسـكرى إلى حشـد ما يقرب من مائة ألف جندى فى شـبه جزيرة سـيناء، دون أن تكون لهم أى مهام محـددة، وكانت النتيجة الطبيعية الهزيمة التى تمت.

وإن كانـت هـذه الهزيمـة سـتظل محل دهشـة وتسـاؤل من الأجيـال المقبلـة لمعرفة الدواعى والملابسـات التـى أدت إليها فإنها يجب أن تكون دائما محل دراسـة من الناحية

الاستراتيجية، ولا أقصد هنا الاستراتيجية العسكرية فقط، وإنما يجب أن تتعدى الدراسة هـذه الناحيـة إلى مضمـون الاسـتراتيجية الشـاملة فى العـصر الحديث، الاسـتراتيجية بمضمونهـا السياسـى والاقتصادى والاجتماعى والعسـكرى والمعنـوى، للوصول إلى الأسـباب الحقيقية لهذه الهزيمة فى ضوء الأسـباب التى أدت إليهـا والوقائع والحوادث التى حدثت منذ ١٥ مايو ١٩٦٧ حتى ١٠ يونيو ١٩٦٧.

انتهـت حرب يونيـو ١٩٦٧ بقرار وقف إطـلاق النار الذى أصـدره مجلس الأمن، وأصرَّ الشـعب المـصرى عـلى اسـتمرار القتـال لتحريـر الأرض مهـما كان الثمن الذى سـيدفعه، ولم يكـن هذا القـرار نابعًا من عواطف شـعبية تم التأثير عليهـا، وإنما كان رد فعـل طبيعيًا متماشـيًا مع القوانـين الطبيعية للحيـاة، نابعًا من أصالة شـعب عريق، تمتد حضارتـه في جذور التاريخ، شـعب لم يقبل الهزيمة يومًا مـا برغم كثرة ما تعرض له من موجات غازية، شـعب وهبه الله قدرات وصفات، شـوهتها إلى حـد ما بعض العادات الدخيلة غير أن معدنه لا يزال ـ كما هو ـ سلميًا إلى حد كبير، وإن كنا في تاريخنا الحديث لم نحاول أن نبحث عن أنفسـنا ونحدد ملامح شـخصيتنا وقدراتنا لتسخيرها فيما يعود على هذا الشعب بكل خير.

اعتبر ت الدول العربية الهزيمة التي حاقت بكل من مصر والأردن وسـوريا هزيمة للأمة العربية جمعاء، وبات الخطر على الدول العربية الأخرى يزداد في ضوء انهيار القوة العسـكرية المصرية والسـورية، تلك القوة التي تعتبر الخط الأول الذي يواجه إسرائيل، والـدرع الواقـي الذي يحتل النطـاق الوقائي الذي يمنع تقـدم إسرائيل نحو عمق الأمة العربية نحو العراق شرقًا والجزيرة العربية جنوبًا والمغرب العربي غربًا.

ولـو وضعنا في اعتبارنا أهداف الصهيونية العالمية في بناء دولة إسرائيل الكبري التي تمتد من الفرات شرقًا إلى المدينة المنورة جنوبًا إلى النيل غربًا لاتضح لنا مدى الخطر الذي بات جاثمًا على قلب الأمة العربية من وراء نكسـة يونيو ١٩٦٧؛ لذا كان لابد لها من أن تجمـع أمرها لتقف لأول مـرة يدًا واحدة في مواجهة التوسـع الصهيوني، وعلى ذلك تم اجتماع ممثلي الدول العربية في أوائل أغسـطس بالقاهرة لدراسـة الموقف العربي وتحديد الخطوات الواجب اتخاذها حيال الموقف، وانجلى هذا الاجتماع على عقد أول مؤتمر قمة عربي في الخرطوم، وقد انجلى هذا المؤتمر على القرارات المهمة التالية:

أ - لا مفاوضة ولا صلح مع إسرائيل

ب - عدم الاعتراف بإسرائيل

ج - دعم دول المواجهة عما فقدته حتى يمكنها مواصلة إعداد قواتها في القتال - وفي ذلك الصدد تقرر دعم مصر ماديًا بما يعادل الدخل الذي كان يعود عليها من قناة السويس.

في الوقت نفسه كانت الجهود الدولية وخاصة تلك الجهود التي كانت تقوم بها دول أوروبا الغربية، ودول المعسكر الاشتراكي ودول عدم الانحياز آخذة في التصاعد والتناسق، والتكتل منذ صدور قرار وقف إطلاق النار، وذلك لإصدار قرار من الأمم المتحدة بانسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو١٩٦٧ ، وإزاء الجهود المكثفة تمكنت هذه القوي من إصدار قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢/ ١٩٦٧ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذي نص على ما يلي:

أ - انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في يونيو.١٩٦٧

ب - إنهاء حالة الحرب في المنطقة والاعتراف بسيادة كل دولة ووحدة أراضيها وحقها في العيش في سلام داخل حدود آمنة معترف بها خالية من التهديد أو أعمال القوة.

جـ - وقد أكد القرار الصادر الحاجة إلى تحقيق ما يلي:

(١) ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة.

(٢) التوصل إلى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

(٣) ضمان عدم انتهاك أراضي كل دول المنطقة واستقلالها السياسي، عن طريق اتخاذ إجراءات تتضمن إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

بدأت إسرائيل في التسويف وعدم الالتزام بقرار مجلس الأمن متذرعة بأن هذا القرار يهدد أمنها مباشرة؛ لأنه ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ - وتبعًا لذلك قامت الأمم المتحدة في ديسمبر ١٩٦٧ بتعيين مندوب لها في المنطقة للتقريب بين وجهات النظر لكلا الطرفين (العرب وإسرائيل)

واختارت لذلك الدكتور يارنج سفير السويد في الاتحاد السوفيتي على أساس أنه ينتمي إلى بلد محايد هو السويد، ونظرًا لسابق خبرته في العمل الدبلوماسي كسفير لبلاده في واشنطون ثم موسكو بعد ذلك فقد توفرت لديه الحنكة اللازمة لتفهم كل من الدبلوماسية الأمريكية والروسية بما يمكن من التوفيق بين أهدافها المتعارضة في المنطقة وبرغم تأييد الحكومتين الأمريكية والروسية لمجهودات يارنج فإنه فشل في التوصل إلى أي حل، ومع أن الدول العربية قد رحبت بوجود يارنج فإن إسرائيل رفضت كل ما عرضه عليها مبعوث الأمم المتحدة وطالبت بالمفاوضات المباشرة بينها وبين العرب كأساس للانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ مع احتفاظها بحق تعديل حدودها ــ وفقًا لمقتضيات أمنها ــ كما سيتم عليه الاتفاق في المفاوضات المباشرة.

لاقى هذا الاتجاه الإسرائيلي رفضًا تامًا من جانب مصر والدول العربية المعنية، وبات واضحًا أن إسرائيل كالمعتاد لن تنصاع لقرار مجلس الأمن، وأن التسويف والتمسك بنظرية الأمن سيكون السلاح الذي ستستخدمه إسرائيل في وجه الأمم المتحدة. وبعد شهور طويلة من المفاوضات لم يحرز يارنج أي نجاح واضطر يارنج في النهاية أن يتخلى عن مهمته كي تنام في سبات عميق.

وأمام هذا العناد والإصرار الناتج عن فرط الثقة من انتصار ١٩٦٧ بدأت جمهورية مصر العربية حرب الاستنزاف في مارس ١٩٦٩. على التوازي مع تصاعد أعمال المقاومة الفلسطينية في الداخل، وذلك بغرض تحقيق عدة أهداف، أولها هو الهدف السياسي، فلقد كانت جمهورية مصر العربية تبغي إشعار دول العالم كلها بأنها لن تتخلى عن تحرير أرضها بالقوة، وأن الصدمة التي حلت بها عام ١٩٦٧ تم امتصاصها تمامًا، وذلك في محاولة لكسب الرأي العام في جانبها، وإكساب قضيتها في المجتمع الدولي صفة التوتر الذي قد يؤدي بالعالم إلى صراع مسلح، أما ثاني هذه الأهداف فقد كان عسكريًا، وكان يهدف إلى تدمير الاستحكامات التي أقامها العدو على قناة السويس ومنعه من إقامة استحكامات جديدة، وإلحاق أكبر ما يمكن من الخسائر بأفراده ومعداته حتى يترك العناد جانبًا وينصاع لقرارات الأمم المتحدة. وأخيرًا كان هناك الهدف المعنوي، وكان يهدف إلى العمل إلى إحياء الأمل لدى الشعب المصري خاصة،

والشعوب العربية عامة في قدرة جمهورية مصر العربية على استعادة أراضيها بالقوة، ردًا على ما كانت تردده أبواق الدعاية الإسرائيلية ومن يسير في كنفها من انتهاء القدرة المصرية إلى سنين طويلة، وأن الطريق الوحيد لحل الموقف هو الاستسلام دون قيد أو شرط لما تمليه إسرائيل. غير أن إسرائيل - لم تنصع لتلك الحرب الجديدة أو لتلك الخسائر التي حاقت بها من. جرائها، وذلك راجع إلى أن نظرية الأمن والحدود الآمنة هي دائمًا المشكلة المسيطرة على الإسرائيليين وعلى تفكيرهم تمامًا، وليس أدل على ذلك من تصريح جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل في يونيو ١٩٦٩ أثناء وجودها في لندن عندما أكدت ذلك بقولها «إنها لا تتصور أن إسرائيل ستوافق على أي تسوية ستؤدي إلى اعتماد إسرائيل في أمنها على الغير» إننا أذكياء أكثر من ذلك، لقد وصلنا إلى نتيجة مهمة بعد خبرة عشرين عامًا أن الناس الذين يمكن أن نعتمد عليهم في تحقيق أمن إسرائيل هم شعب إسرائيل نفسه».

أدى تصعيد الموقف فى جبهة قناة السويس فى مارس ٦٩ إلى أن تدفع إسرائيل بسلاحها الجوى فى المعركة وله السيادة الجوية ضد سيادة المدفعية المصرية مما أدى إلى زيادة حدة التوتر فى المنطقة، ومن ثم بدأت القوتان العظميان فى التشاور لإيجاد حل سلمى للمشكلة، فكان إعلان الاتحاد السوفيتى لأول مرة عن رغبته فى إيجاد حل عادل يضمن للمنطقة استقرارها وأمنها مما كان له أثره فى التقارب بين القوتين العظميين. كان من أثر هذا التقارب أن قام الاتحاد السوفيتى معلنًا عن حسن نواياه بإبداء رأيه فى أسلوب تنفيذ القرار ٢٤٢ وذلك عن طريق جدول زمنى يحقق عملية الانسحاب على أن تعلن الأطراف المعنية رغبتها فى تنفيذ القرار وعن رغبتها فى إيجاد تسوية سلمية وتحديد ميعاد محدد لانسحاب إسرائيل من الأراضى العربية، وبعد أن يتهيأ الوقت يتم الاتصال بين الأطراف المعنية على المسائل الأخرى مثل الحدود، الملاحة فى خليج العقبة وقناة السويس، حقوق اللاجئين، نظام للأمن يتم ضمانه بمعرفة مجلس الأمن، إزاء المبادرة التى أعلنها الاتحاد السوفيتى أقتنعت الولايات المتحدة الأمريكية أنهما يقفان على أرضية مشتركة تتحدد فى أن النزاع فى المنطقة لايخدم أى طرف منها[1]. وأنهما ليسا على استعداد للدخول فى حرب بينهما من أجل هذا النزاع؛ ولذا فالحل السلمي للمشكلة

(١) خطاب وزير خارجية أمريكا في مؤتمر جلاكس ٩/ ١٢/ ٦٩.

هو الطريق الأمثل، ومن ثم سكلت القوتان العظميان إزاء المشكلة عدم تصعيد الموقف والعمل على تجميده.

أدى هذا الموقف إلى أن تنفذ إسرائيل المبادأة السياسية مع القوى الخارجية فى الوقت الذى كان الضغط المصرى يزداد فى قناة السويس، ومن هنا تشجعت القوتان العظميان وقامتا بعمل مسودتين لمعاهدتين بين مصر وإسرائيل[1] والأردن وإسرائيل، ونظرا لأن التطورات السياسية والعسكرية وقتئذ لم تكن فى صالح إسرائيل مما يفقدها القدرة على المسالة من موقف القوة بدأت إسرائيل فى تصعيد الموقف العسكرى بتكثيف غاراتها الجوية على جبهة قناة السويس ولم يأت أكتوبر ٦٩ إلا وتمكن السلاح الجوى الإسرائيلى من كسب السيادة الجوية على جبهة قناة السويس مما حدا بالاتحاد السوفيتى إلى سحب مسودة المعاهدة التى قدمها لعدم ممارسة الولايات المتحدة الأمريكية الضغط على إسرائيل لإيقاف هجماتها الجوية. ومن ثم قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مسودة معاهدتها فى ٢٨/ ١٠/ ٦٩ لكل من جمهورية مصر العربية ـــ الأردن ـــ إسرائيل ولم توافق جمهورية مصر العربية على هذه المسودة كما لم توافق عليها إسرائيل وأعلنت مستر مائير بأن إسرائيل لها الحق فى أن ترفض سياسة الولايات المتحدة الامريكية إذا كانت تتعارض مع الأمانى القومية للشعب الإسرائيلي[2].

بنهاية ديسمبر ٦٩ كان السلاح الجوى الإسرائيلى قد تمكن من القضاء على أى مقاومة حيوية غرب القناة فقد زادت الخسائر المصرية كثيرًا وبدأت المعنويات فى التأثر رغم جلاء ما يقرب من مليون مواطن من منطقة قناة السويس وعادت المبادأة فى ضوء ذلك إلى إسرائيل، وأصبحت المشكلة التى تواجه القادة الإسرائيليين هى كيفية تحويل هذا التفوق العسكرى لصالحهم سياسيًا، وكان أمامهم أحد الاحتمالات الآتية:

(أ) الاتجاه إلى المساومة السياسية نظرًا لعدم تأثر الرئيس عبد الناصر بهذا الضغط.

---

(١) مجلة نيويورك تايمز، ديسمبر ٦٩.

(٢) هذه المعاهد تنص على وجود قوة مصرية محدودة شرق قناة السويس بمسافة ١٠ كم وتعرف هذه المعاهدة باسم مبادرة روجرز الأولى.

(ب) استمرار الضغط العسكرى على أساس أن الفرصة السياسية التى سنحت مع العالم العربى هى نوع من كسب الوقت قد تؤدى بالرئيس عبد الناصر للتخلى عن موقفه بجانب ما يؤديه إلى استعادة إسرائيل للتأييد الدولى الذى كانت تتمتع به.

اختارت إسرائيل الحل الثانى، وبدأت فى تصعيد عملياتها الجوية بالقيام بغارات استراتيجية ضد العمق المصرى والأغراض الاقتصادية المتعددة من قناطر ومصانع[1] مما جعل جمهورية مصر العربية تلجأ إلى الاتحاد السوفيتى لإمدادها بأسلحة جديدة للدفاع الجوى لإيقاف هجمات السلاح الجوى الإسرائيلى، فى ٢٢/ ١/ ١٩٧٠ طلب الرئيس عبد الناصر أسلحة متطورة وطائرات ميج ٢٥ للوقوف ضد الطائرات الفانتوم الأمريكية أو أى سلاح آخر للردع كالصواريخ أرض ــ أرض بجانب المزيد من كتائب الصواريخ أرض ــ جو وخاصة التى يمكنها التعامل مع الطائرات المنخفضة جدًا.

كان الخيار أمام الاتحاد السوفيتى صعبًا فإما أن يلجأ إلى الولايات المتحدة الأمريكية لاجبار إسرائيل على إيقاف هجماتها أو تزويد ج. م.ع. بالأسلحة المطلوبة، وهى أسلحة فى نظره معقدة ويحتاج التدريب عليها وقتًا طويلًا، فأما عن الخيار الأول فيعنى إعطاء الولايات المتحدة الأمريكية فرصة أكبر للانحياز لإسرائيل، أما الخيار الثانى فعدم الموافقة عليه يعنى وضع القوات المسلحة المصرية فى موقف لا تحسد عليه سيؤدى فى النهاية إلى ضيق الشعب المصرى بالاتحاد السوفيتى[2] وفى حالة الموافقة عليه فإن الأمر يحتاج إلى وقت طويل لتدريب هذه القوات بجانب ما سيؤديه من تسرب قدر من المعلومات التكنولوچية التى يعتبرها الاتحاد السوفيتى سرًا حتى بالنسبة لدول شرق أوروبا، ومن خلال المقارنة بين هذين الخيارين قرر الاتحاد السوفيتى إمداد مصر بعدد من كتائب الصواريخ سام٢ ، ٣ وطائرات الميراج ٢١ للدفاع عن الأغراض الحيوية والاقتصادية الموجودة في العمق المصرى على أن يعمل فى كتائب سام ٣ أطقم روسي لحين إتمام تدريب العناصر المصرية هذا بجانب تواجد وحدة روسية سام ٦ بعد للدفاع عن السد العالى.

---

(١) أعلن موشى ديان فى ٢٥/ ١/ ٧٠ أن الدفاع الجوى المصرى قد انتهى وأن ج. م.ع أصبحت كلها مسرح قتال.

(٢) قارن بين هذا الخيار وما كان يعلنه الرئيس السادات خلال عامى ٧١ ، ٧٢ ، حتى كان قرار إخراج القوات السوفيتية والخبراء من مصر..

بـدأت إسرائيـل فى تصعيد عملياتها الجوية ففى الفترة من يناير ٧٠ إلى إبريل ١٩٧٠ قام السـلاح الجـوى الإسرائيلي بما يقرب مـن ٣٣٠٠ طلعة طائرة وأسـقط ٨٠٠٠ طن قنابـل كل ذلك خلال أربعة أشـهر وباقـتراب منتصف أبريل توقفـت الهجمات الجوية الإسرائيلية ضد الأغراض الموجودة في العمق واستمرت حدتها على جبهة قناة السويس.

وأدى فشـل مبـادرة روجرز الأولى فى ديســمبر ٦٩ إلى توقف المحادثات السياسـية بين القوتين العظميين إلا أن إمداد ج.م.ع بمعدات عسـكرية للدفاع عن نفسها بجانب التواجد المؤقت لبعض القوات الروسية جعل الولايات المتحدة الأمريكية تبدي رغبتها في منافسـة التوازن القوي بين ج.م.ع وإسرائيل أو إيقاف تسـليح القوات المصرية عند هـذا الحـد، وفي حالة عـدم الموافقة على ذلك فـإن الولايات المتحدة سـتقوم من جانبها بإمـداد إسرائيل بالسـلاح فـورًا وفعلا تم ذلـك. أدى الموقف العسـكري المتصاعد من أكتوبـر ٦٩ إلى مايو ٧٠ وبروز السـيطرة الجوية الإسرائيليـة وخطورتها على الأغراض المصريـة ومدى ما لاقته القيادة السياسـية والعسـكرية في الحصول على أسـلحة جديدة أو دعـم إضافي للوقوف في وجه السـلاح الجوي الإسرائيـلي أدى كل ذلك إلى أن يعلن الرئيس عبد الناصر في عيد العمال في مايو ١٩٧٠ بأن الموقف قد آن لأن تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على إيجاد حل سـلمي للمشـكلة مما جعل رئيسة وزراء إسرائيل تعلن قبـول إسرائيل للقـرار ٢٤٢ والمفاوضات غير المباشرة في مراحلهـا الأولى. لقد عرفت الولايـات المتحـدة الأمريكية من خـلال المبـادرة الأولى عدم رغبة إسرائيـل في إدخال الاتحاد السـوفيتي كشريـك في المفاوضات، كما أن أمريكا كان يزعجها في الوقت نفسـه تواجد قوات عسكرية روسية في ج.م.ع.

مبادرة روجرز الثانية

نتيجة للمسـاعي الدوليـة التي تجري في الخفاء وتتم بين الـدول الكبرى ودول عدم الانحيـاز أعلـن وزير خارجية أمريـكا مبادرته الجديدة المعروفة باسـم مبـادرة روجرز الثانيـة في ١٩ مايـو. ١٩٧٠ ، وكانت هذه المبادرة تنص على إيقاف إطلاق النار من كلا الطرفين لمدة ثلاثة شـهور، وذلك لخلق جو أفضل للبدء في مفاوضات السـلام على أن يبدأ تاريخ مهمته من جديد في تنفيذ القرار ٢٤٢ ، وقد أحيط الاتحاد السوفيتي علمًا بها ولكنه اشترط وجود جدول زمني للانسحاب.

كانت ج.م.ع تعلم أن هناك مبادرة أمريكية على وشك أن تعلن، ومن ثم رأت أن يتم قبولها للمبادرة من موقف القوة ولن يأتى فى ذلك إلا بإيقاف سيطرة السلاح الجوي الإسرائيلي على جبهة القناة فكان القرار بدفع تشكيل الفرقة الثانية دفاع جوي إلى جبهة القناة يوم ١٥ مايو ٧٠ إلا أن بعض الظروف أدت إلى تأجيل ذلك إلى يوم ٢٩ يونيو ١٩٧٠ حيث قاتل وتمكن من إنزال خسائر محدودة بالسلاح الجوي الإسرائيلي أزعجت الإسرائيليين إلى حد كبير

قبلت جمهورية مصر العربية وإسرائيل تلك المبادرة، وتم إيقاف إطلاق النار ليلة ٧/ ٨ أغسطس ١٩٧٠. وفى ضوء ذلك بدأ يارنج مهمته مرة أخرى، وبدأ الاتصال بكلا الطرفين لتمهيد الطريق للوصول إلى حل سلمى للمشكلة، وتنفيذ قرار مجلس الأمن.

بدأ يارنج مهمته فى ٢٥ أغسطس ١٩٧٠ إلا أن مهمته لم تلبث أن توقفت فى ٨ سبتمبر ١٩٧٠، فقد رفضت إسرائيل الاشتراك فى المباحثات بحجة أن جمهورية مصر العربية لم تلتزم بشروط وقف إطلاق النار. كما جاءت فى مبادرة روجرز إذ أن جمهورية مصر العربية قامت بتحريك بطاريات الصواريخ فى جبهة القتال إلى الأمام والواقع أن هذا العامل لا يعتبر كافيًا لرفض مبادرة روجرز، وانسحاب إسرائيل من المباحثات، فلقد كانت هناك ضغوط داخلية شديدة على الحكومة الإسرائيلية، مما جعلها تنسحب من المفاوضات حفاظًا على مركزها.

ولقد بدأت هذه الضغوط من الأحزاب المعارضة للحكومة، ثم ما لبثت أن ظهرت داخل حزب العمل الحاكم، وكانت كلها ترتكز إلى ضرورة تواجد حدود آمنة لإسرائيل، وذهبت الآراء فى هذه الناحية مذاهب شتى، فالكل يساوم بنفس الأسلوب التجارى الذى برع فيه الإسرائيليون منذ القدم، يساوم فى مقدار الأرض التى يرى ضمها إلى إسرائيل حتى تصبح لها حدود آمنة.

تجدد مد فترة إيقاف إطلاق النار المرة تلو المرة حتى جاء عام ١٩٧١، ولم ترضخ إسرائيل بل لم تستجب لمجهودات المبعوث الدولى يارنج، الذى استمرت مهمته زهاء

ثلاث سنوات دون أي تقدم يذكر. وفى ٨ فبراير ١٩٧١ قبل انتهاء فترة امتداد إطلاق النار الذى بدأ فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ تقدم يارنج بمطالب موضحة لكلا الطرفين.

ففى مطالبه من جمهورية مصر العربية طلب الدخول فى مفاوضات صلح على الأسس التالية :

أ. انتهاء جميع الدعاوى أو حالات الحرب.

ب. احترام السيادة الإسرائيلية على أرضها واستقلالها السياسى.

ج. الاعتراف بحق إسرائيل فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة معترف بها.

د. أن تبذل جمهورية مصر العربية كل ما فى طاقتها لمنع أى عدوان ضد الأهالى أو الممتلكات الإسرائيلية لا ينظم أو يتم من الأراضى المصرية.

ه. عدم التدخل فى شئون إسرائيل الداخلية.

و. حرية الملاحة فى الممرات المائية بما فى ذلك قناة السويس.

أما من إسرائيل فقد طالب المبعوث الدولى بالانسحاب من سيناء إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧.

وافقت جمهورية مصر العربية على مطالب يارنج لتوضح حسن نواياها لإنهاء مشكلة النزاع فى الشرق الأوسط، بل أعلنت أنها ستوافق على مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة وقناة السويس، كما وافقت على وجود منطقة منزوعة السلاح على كلا طرفى الحدود، وعلى أن يتواجد بها قوات الأمم المتحدة، ولا مانع من أن تشترك القوتان العظميان فى هذه القوات.

أما إسرائيل فلم توافق على مطالب يارنج، وكان ردها عليه فيما يختص بالانسحاب إنها توافق على الانسحاب إلى حدود آمنة معترف بها، يتم الاتفاق عليها فى معاهدة سلام، كما تضمن الرد أيضًا أن إسرائيل لن تنسحب إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ وعللت إسرائيل فيما بعد أسباب هذا الرد على المبعوث الدولى بأن الحكومة تجد

مقاومة كبيرة داخل الكنيست الإسرائيلى، مما يجعلها لا توافق على مطالب المبعوث الدولى. وقد كان ذلك الرفض للتسوية السلمية هو المقدمة الحقيقية لحرب أكتوبر ١٩٧٣، والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة لم تحاول الضغط على إسرائيل لقبول المبادرة التى قدمتها، بل كانت فى الواقع تؤيدها فى موقفها، وقد كان ذلك راجعًا إلى النقد الذى واجهه الكونجرس والشعب لحكومة نيكسون بسبب إحجامها عن اتخاذ نهج أكثر مناصرة لإسرائيل، والدليل على ذلك أن رئيسة حكومة إسرائيل فى عام ١٩٧١ حصلت على تعهد بتزويد إسرائيل، بطائرات القتال والمساعدات الفنية لتطوير صناعة الأسلحة الإسرائيلية، وهى الصناعة التى تعتبر أكثر الصناعات تعقيدًا للوصول فيها إلى كفاية ذاتية، وقد يكون الداعى لذلك هو تحريك الصواريخ أرض جو إلى منطقة التسكين الذى اشترطت مبادرة روجرز عدم التحرك إليها أو قد يكون الرغبة فى التخلص من الوجود الروسى فى المنطقة – كما أعلن هنرى كسنجر ذلك فى صيف ١٩٧٠.

تحول فى الاستراتيجية المصرية

وفى ٧ مارس ١٩٧١ رفضت جمهورية مصر العربية مد فترة وقف إطلاق النار، وأصبح من الضرورى وضع استراتيجية جديدة تصبح منطلقًا لتحرير الأرض التى احتلت عقب هزيمة ١٩٦٧، ولكن ما الاستراتيجية الواجب اتباعها ؟ حتى يمكن عن طريقها تحقيق ذلك الغرض الذى تبلور منذ حرب يونيو ١٩٦٧ فى غرضين هما :

أ. تحرير الأراضى العربية التى احتلتها إسرائيل عقب حرب يونيو ١٩٦٧.

ب. إيجاد حل عادل للمشكلة الفلسطينية والمحافظة على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين.

ولكن ما لسبيل إلى تحقيق هذه الاستراتيجية؟ كان هناك العديد من الاتجاهات التى يجب السير فيها وزيادة فاعليتها لخدمة الاستراتيجية المصرية. هذه الاتجاهات المتعددة يمكن تلخيصها فيما يلى:

١ - وحدة الصف العربى

وهى المشكلة الأساسية، وهذه المشكلة أولًا وقبل كل شيء تهم الدول العربية جميعًا، لقد لعب الاستعمار الغربى أثناء تواجده بالمنطقة دورًا فريدًا فى تفريق - أو إن شئت قلت تفتيت كلمة العرب، وكان سلاحه فى ذلك المبدأ المألوف لديه ألا وهو اتباع سياسة فرق تسد، لقد استخدم الاستعمار لتحقيق شعاره هذا، الدسائس والمؤامرات بين الحكام العرب والحرب النفسية الموجهة، مما خلق جوًّا من عدم الثقة بين الحكام العرب، بالإضافة إلى إذكاء النعرات الطائفية وتغذية الأقليات الوطنية.

٢ - اكتساب الرأي العام العالمى

هذا الاتجاه ولو أنه مبدأ من مبادئ الحرب إلا أن هذا المبدأ حيوى فى الصراع المسلح الحديث، ذلك الصراع الذى أصبح لا يؤثر على الدول المتحاربة فقط بل تعداه إلى الدول الأخرى، وذلك بعد أن تشابكت المصالح السياسية والاقتصادية بين الدول، وليس أدل على أهميته من أننا فى حرب يونيو ١٩٦٧، ونحن المعتدى علينا وقف العالم كله يؤيد إسرائيل فى قتالها ضد جيرانها العرب، وخرجت الصحافة العالمية يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ تؤيد إسرائيل وتحث شعوبها على معاونتها فى قتالها ضد العرب، ومن واقع الأمر اتضح من تحليلنا لذلك الموقف أن إسرائيل بذلت جهدًا سياسيًا وإعلاميًا ممتازًا، مما أوجد تعاطفًا كبيرًا وتأييدًا أكبر لطلباتها، وخاصة فى ضرورة أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها. لقد كان هذا المبدأ فى استراتيجيتنا القديمة غير معتنى به، كان يعتمد على دعم وتأييد دول عدم الانحياز والمعسكر الاشتراكى لمشكلة الشرق الأوسط، إلا أن ذلك اتضح أنه غير كاف، فالمبدأ مطلق وليس محدودًا، وكلما زاد عدد الدول المؤيدة لقضية ما كان دعمها السياسى والمعنوى ثم المادى إن أمكن ذا أثر كبير على طبيعة الصراع المسلح الدائر، وهذا ما حدث بالنسبة لاستراتيجيتنا الحديثة التى بدأت تتطلع إلى دول أوروبا الغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، على أساس أن الصراع الدائر فى المنطقة يؤثر على مصالحها فيها. فبدأت جمهورية مصر العربية الأخذ بسياسة التقارب مع فرنسا الديجولية التى أثمرت وأدت إلى تعاطف كبير من جانب فرنسا نحو مشكلة الشرق الأوسط، ثم تابعت هذه السياسة بذكاء مكنها فى النهاية من اكتساب

أوروبا الغربية فى جانبها، بل نجحت هذه السياسة فى إيجاد تعاطف للسياسة الأمريكية تجاه مشكلة الشرق الأوسط مما جعل أمريكا تبدأ تشعر بها يفرضه عليها دورها كدولة كبرى فى العالم حيال هذه المشكلة.

٣ـ الاعتماد على القوة الذاتية

أدى فشل الاتجاه السلمى لحل مشكلة الشرق الأوسط عن طريق المبادرة الأمريكية المعروفة باسم مبادرة روجرز نتيجة للتسويف الذى التزمه الجانب الإسرائيلى والذى كان نابعًا فى الواقع من الغرور والصلف الذى سيطر على القيادات السياسية والعسكرية فى إسرائيل عقب انتصار يونيو ١٩٧٦ - أدى هذا إلى تحديد أكثر للاستراتيجية المصرية، وهو أن الصراع المسلح فى منطقة الشرق الأوسط فى ضوء كل مبادرات السلام التى تمت لا يمكن حله أو حسمه إلا عن طريق العمل العسكرى، وبات من الواضح أن بناء القوة الذاتية المصرية فى ضوء المهام التى ستكلف بها أمر ضرورى، وتبعًا لذلك بدأت الاتصالات بالاتحاد السوفيتى سواء بزيارات المسئولين أو بزيارة الوفود التخصصية للحصول على نوعيات محددة من الأسلحة اللازمة لدعم القوة الذاتية لجمهورية مصر العربية إلا أن الاتحاد السوفيتى وإن كان قد أبدى استعدادًا طيبًا فى تزويد جمهورية مصر العربية بها تحتاج إليه من أسلحة هجومية وخاصة الطائرات القاذفة المقاتلة إلا أنه سرعان - مع مرور الأيام - ما تراجع تراجعًا تدريجيًا عما وعد به، وذلك بأسلوبه المعروف، وهذا التغيير فى سياسة الاتحاد السوفيتى وإن لم يكن تغييرًا فى الخط الاستراتيجي الذى ينتجه منذ بدء علاقاته مع جمهورية مصر العربية فإنه كان تغييرًا فى الأسلوب التكتيكى الذى يتبعه لتنفيذ هذه الاستراتيجية - ذلك التغيير الذى يحتاج إلى دراسة تحليلية ليس محلها هنا - لقد بدأ إمداده بالمعدات يندر، ويتحدد فى النوع كذا إمداده بقطع الغيار بأخذ نفس الاتجاه. لقد كان الاتحاد السوفيتى هو المصدر الوحيد الذى يمد مصر بالسلاح منذ عام ١٩٥٨، وبالخبراء اللازمين للتدريب على هذا السلاح إلا أن ما كان يمد به من سلاح كان دون المستوى من الناحية التكنولوجية، ولا يتناسب حجمه مع مطالب القوات المسلحة المصرية، وستتعرض لذلك بإسهاب فى سرد الموقف العسكرى فى الفصل الثانى. وإجمالا يمكن القول إن جميع الأسلحة التى كانت موجودة فى ذلك الوقت تعتبر إلى حد ما غير مسايرة للمعركة الحديثة.

لقد بدأت القيادة السياسية فى جمهورية مصر العربية تعمل على دعم القوة الذاتية لمصر تحقيقًا للاستراتيجية التى ارتضتها لنفسها. فعملت على الاتصال بالاتحاد السوفيتى على أساس أنه الدولة الصديقة التى تساند كفاح الشعوب، وهو المصدر الوحيد لتوريد السلاح،بغية الحصول على أسلحة معينة، وخاصة الأسلحة الهجومية وعلى رأسها الطائرات القاذفة المقاتلة، وفى كل محاولة تمت اقتصر الأمر على الوعود. ولا شك أن التطور السياسى فى جمهورية مصر العربية والذى عرف باسم ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١. وقضائه على مراكز القوى كان له أثر فى عدم تنفيذ الاتحاد السوفيتى بما وعد به إذ إن هذه المراكز كانت هى الدعامات التى يعتمد عليها الاتحاد السوفيتى لنشر أيديولوجيته الاجتماعية داخل البلاد، ومن المتتبع للأحداث يجد أن الموقف السياسى تجاه الاتحاد السوفيتى بدأ يأخذ شكلا جديدًا فى أعقاب ثورة التصحيح اعتبره الاتحاد السوفيتى لغير صالحه برغم محاولات جمهورية مصر العربية العديدة فى توضيح الغرض من ثورة التصحيح والخطوط الواضحة لسياستها، واعتبارها الاتحاد السوفيتى الصديق الأول لها. غير أنه برغم ذلك باتت سياسة الاتحاد السوفيتى فى دعم القوة الذاتية المصرية أكثر تشددًا.

لقد باءت جميع المحاولات الخاصة بالحصول على أسلحة هجومية بل دفاعية من الاتحاد السوفيتى كلها بالفشل، مما جعل الرئيس السادات يصرح بأن أزمة الشرق الأوسط عند الروس ليست المشكلة رقم (١) فى استراتيجيتهم كما هى بالنسبة لنا وبرغم اقتناعه بذلك فإنه فى الفترة من ٢٧- ٢٩ أبريل ١٩٧٢ أثناء تواجده فى موسكو حاول ملحًا الحصول على ما يريد من سلاح ولكن دون جدوى، فقد كانت روسيا لا ترغب فى مجابهة بين الدولتين العظميين وخاصة أن مؤتمر القمة بينهما على الأبواب ولم تف بشيء بل نصحت وألمحت إلى أن الحل السلمى هو الأسلوب الأمثل لذلك.

لقد أكدت الأيام صدق التقدير المصرى للاستراتيجية السوفيتية إزاء مشكلة الشرق الأوسط. ففى مايو ١٩٧٢ لم يشر البيان الختامى لمؤتمر القمة الروسى الأمريكى إلى أزمة الشرق الأوسط إلا فى فقرتين ضئيلتين أي الإشارة للمشكلة بشكل عابر، ومن هنا أدركت جمهورية مصر العربية أن موسكو لن تساعدها على استعادة الأرض التى فقدتها بالقوة.

وأمام المحاولات المتعددة التى بذلت إما رأسا أو بواسطة دول صديقة للعمل على تغيير سياسته تشدد الاتحاد السوفيتى إزاء تزويد جمهورية مصر العربية بالأسلحة وبدأ يتضح للقيادة السياسية فى ضوء الموقف الدولى وبوادر التقارب الذى بدأت تظهر ملامحه من بعد بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا. إن كلتا الدولتين العظميين قد ارتضى واقتنع وأقنع الآخر ببقاء الموقف فى الشرق الأوسط على ما هو عليه مجمدًا، وهو ما اصطلح عليه بحالة اللاسلم وحالة اللاحرب.

وكان من الضرورى للوصول بالقوة الذاتية المصرية إلى قدرتها الكاملة على تحرير الأرض من أن يدعمها اقتصاد وطنى قوى قادر على سد احتياجاتها، ولا شك أن مطالب الجيوش الحديثة والنفقات اليومية التى تستهلكها تصل إلى أرقام كبيرة تنوء باقتصاديات كثير من الدول؛ لذا أضحى من المستلزم تطويع الاقتصاد المصرى لخدمة المعركة وسد متطلباتها، لدعم القوة الذاتية فى أمد قصير.

مشكلة الشرق الأوسط بين الاستراتيجية الشاملة والاستراتيجية المحدودة

سيظل عام ١٩٧٢ عام التحول فى الاستراتيجية العالمية، وبالتالى فى نظرة كل من القوتين العظميين للمشكلات العالمية. فلقد أدت زيارة الرئيس الأمريكى نيكسون على الصين والاتحاد السوفيتى إلى إطفاء جذوة الحرب الباردة القائمة بينهما منذ أواخر الخمسينيات. لقد كان الدافع على ذلك عظيمًا فكلتا القوتين لا ترغب فى مواجهة نووية وكلتاهما تستنزف من دخلهما القومى الكثير مما أصبح يهدد اقتصادياتها وينشر شبح البطالة بين أفرادها.

لقد أدى التقارب الأمريكى الصينى فى فبراير ١٩٧٢ إلى ظهور الصين على المسرح العالمى - كدولة كبرى لها وزن كبير فى القارة الأسيوية، وقوة بشرية واقتصادية هائلة، علاوة على امتلاكها للأسلحة الذرية والهيدروجينية والصواريخ العابرة للقارات، كل ذلك جعل أمريكا تسعى إلى التقارب نحوها وإذابة ثلوج الحرب الباردة كى يؤدى ذلك إلى خلل فى ميزان القوة العالمية لصالح أمريكا نظرًا للعداء الموجود بين الصين والاتحاد السوفيتى سواء كان سببه اختلاف النظرة الأيديولوجية أو كان سببه مشكلات الحدود

بين الدولتين. أما التقارب مع الاتحاد السوفيتى وتوقيع معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية فى مايو ١٩٧٢ فقد كان نابعًا بالإضافة إلى العوامل السابقة - إلى أن سباق التسلح بين الدولتين خلال السنتين السابقتين أوضح بما لا يدع مجالا للشك بأن السيادة الحربية لأيهما أمر مشكوك فيه، وأن التوازن الاستراتيجي بينهما أصبح أمرًا واقعًا، وأن الأهمية السياسية لكليهما فى تسيير الشئون الدولية أمر يستلزمه المجتمع الدولى، وهنا تخلت أمريكا عن دورها - لأول مرة _ بعد الحرب العالمية الثانية عن دور رجل الشرطة العالمى كما كانت تسمى، وتبعًا لذلك التقارب تم عقد العديد من المعاهدات، وبدأ التبادل التجارى على نطاق واسع بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يأخذ مظهرًا جديدًا يوضح مدى نمو العلاقات بين الدولتين.

لقد أدى هذا التقارب إلى تخفيف حدة التوتر فى أوروبا، وإلى التفكير الجدى فى خفض قوات كلا الطرفين فى أوروبا - قد كان هذا التقارب سببًا فى إضعاف رغبة القوتين العظميين فى التدخل لإنهاء النزاع فى منطقة الشرق الأوسط.

ولا شك أن هذا الموقف يخدم مصالح كلتا القوتين العظميين، فمن ناحية الولايات المتحدة الأمريكية يؤدى تجميد الموقف إلى تمييعه وتضييع كثير من الحقوق المشروعة، ويؤدى إلى تنازلات فى المستقبل تخدم مصالح إسرائيل، وترضى أطماعها الإقليمية فى المنطقة، وذلك كنتيجة للحالة السيكولوجية التى يعيشها الشعب المصرى نتيجة لهذا التمييع والتى ستؤدى به فى النهاية إلى قبول المزيد من التنازلات لإنهاء الجمود والشلل الذى أصاب الحياة فى بلاده بعد هزيمة ١٩٦٧، أما من ناحية الاتحاد السوفيتى فإن استمرار هذا الوضع سيؤدى على إرهاق اقتصادى تام لموارد جمهورية مصر العربية يجعلها تعيد النظر فى سياستها، وتحاول من جديد فتح صفحة جديدة فى علاقتها مع الاتحاد السوفيتى.

هذا بالإضافة إلى أن خلق حالة اقتصادية متدهورة في البلاد ستساعد على زيادة المناخ القائم لأولئك الناقمين على النظام الاجتماعي المصري، الراغبين في التحرك تجاه الاتجاه اليساري كاملا ٠

ولاشك أن هولاء الناقمين كانوا فى نظر مخططي الاستراتيجية السوفيتية عددًا هائلا، إلا إنه أتضح فيما بعد أن تقديرهم في ذلك خانهم إلى حد كبير • غير أن مثار العجب كيف تتفق القوتان العظميان على مشكلة مثل هذه المشكلة برغم كبر المتناقضات الموجودة بينهما والتي أعلن سياستهما عدة مرات أنه لا يمكن لكلا النظامين أن يتعايشا معًا تحت سقف واحد أو على سطح الكرة الأرضية، فلابد لأحدهما أن يقضي على الآخر، لقد بذل كل طرف قصاري جهده في التقدم العلمي والأبحاث التكنولوجية الخاصة بالسيطرة على الفضاء الخارجي وفي إنتاج الأسلحة الذرية والهيدروجينية والبكتريولوجية مما أدى إلى إنفاق أموال طائلة أدت بكلتا القوتين إلى إرهاق اقتصادي جعلنا نشهد تدهورًا واضحًا فى أسواق النقد، وأزمات اقتصادية متعددة جعل كلتا القوتين تعمل على تغيير واسع في استراتيجيته ويميل بها نحو سياسة الوفاق أو التعايش في ظل الأنظمة الاجتماعية المختلفة، وبذا ارتضى العسكريون والسياسيون في أوائل السبعينيات بما رفضوه طول الخمسينيات والستينيات من هذا القرن •

وقف إزاء الإستراتيجية السوفيتية

دأبت الاستراتيجية السوفيتية منذ بدء الستينيات على مساندة مصر سياسيًا وعسكريًا وأدى اتجاه مصر الاشتراكي الذي بدا واضحًا بعد ذلك إلى التقارب مع الاتحاد السوفيتي • الذي بدأ يقدم العون الاقتصادي اللازم لدعم القدرة الاقتصادية في مصر، وكان المفروض أن يزداد الدعم الاقتصادي عامًا بعد عام، و أن يهدف إلى نشر الرخاء في المجتمع المصري، وأن يصاحب هذا الدعم الاقتصادي دعم عسكري يهدف بالدرجة الأولى إلى إنشاء قاعدة صناعية عسكرية ولو محدودة، تنمو مع الأيام لتقف أمام إسرائيل على قدم المساواة غير أن ما حدث كان عكس ذلك تمامًا برغم أن جمهورية مصر العربية كدولة اشتراكية كانت تمثل مركزًا مرموقًا بين دول العالم الثالث ولها وزنها الدولى وحضارتها التى تمتد إلى أعماق التاريخ.

هل كان مخططو الاستراتيجية السوفيت يخططون بالأسلوب العلمى وهم الذين درسوا نظريات الجيوبولتكس تمامًا تلك النظريات التى ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر على يدها وزهوفر الألمانى، وانتعشت على يد ماكيندر الإنجليزى أو كانوا يخططون

بأسلوب الواقع، واقع وجود النفوذ الأمريكي فى منطقة البحر الأبيض المتوسط، وواقع وجود الأحلاف التى تحيط بالاتحاد السوفيتى كنطاق صحى خارج أرضه وأرض دول المعسكر الاشتراكى فى شرق أوروبا؟

أولا هذا ولا ذلك وإنها عودة إلى الاستراتيجية القيصرية القديمة التى وضع أسسها بطرس الأكبر، وهى ضرورة الوصول إلى البحار الدافئة، وطالما تحقق ذلك بالوصول إلى البحر الأبيض ومنه إلى باقى البحار يمكن القول إن الاستراتيجية الروسية تحققت.

الحقيقة لقد شهدت أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات تضاربًا كبيرًا فى الاستراتيجية السوفيتية كمبادئ، إلا أننا لو أمعنا النظر لوجدنا أن هذا التضارب كان ينبع من طبيعة النظام الاجتماعى السوفيتى - والمشكلات التى يعانيها، وحاجة الاتحاد السوفيتى إلى توفير الإمكانيات اللازمة لرفع مستوى معيشة الشعب، خوفًا من أن تحدث انهيارات داخلية فتذهب بكل ما تم خلال ٥٠ عامًا من قيام الثورة البلشفية، ويثبت للعالم فشل الأيديولوجية الماركسية وهو أخشى ما يخشاه الشيوعيون فى روسيا.

إن ما أذيع من أن سبب الجفاء هو الغضب الذى انتاب السوفيت نتيجة لعدم استخدام المصريين للأسلحة التى فى أيديهم فى يونيو ١٩٦٧، إنما هو تبرير غير منطقى لطبيعة الموقف والذى بتحليلنا له يجعلنا نخرج بأن الاستراتيجية السوفيتية اتجهت لتدعيم النظام الماركسى فى موطنه خوفًا عليه من الانهيار وفى سبيل ذلك بدأت سياسة التقارب مع المعسكر الغربى.

فطنت جمهورية مصر العربية للتطور الذى صاحب الاستراتيجية السوفيتية ولم تصبح الجفوة القائمة بينهما هى ميل جمهورية مصر العربية الظاهرى للبعد عن الخط الاشتراكي، كما أذاع السوفيت فى ذلك الوقت بل كان سببها تمسك الاتحاد السوفيتى بالمبادئ التالية فى سبيل تحقيق الاستراتيجية السوفيتية :

أ. الإبقاء على حالة اللاسلم واللاحرب فى المنطقة.

ب. الاحتفاظ بتوازن القوى فى المنطقة لتحقيق المبدأ الأول.

ج. اعتبار الحل السلمى لحل النزاع فى الشرق الأوسط هو الوسيلة المثلى لحل المشكلة، والترويج له داخليًا وخارجيًا على أساس أنه المنفذ الوحيد لحل المشكلة القائمة.

د. التلويح لمصر بأن الحرب صعبة للغاية، وأن الخسائر المنتظرة مريرة وذلك لتحقيق المبدأ الثالث والتركيز على ذلك فى المحيط العسكرى، وخاصة بين القادة المسئولين عن المعركة المصرية.

ه. إذكاء العداء الطبقى فى الوسط العالمى والطلابى لإثارة الشعب لفتح جبهة أخرى أمام القيادة السياسية لخدمة المبدأ الثالث والرابع، وللتأثير على معنويات القوات المسلحة بإظهار التفتت الواضح فى الجبهة الداخلية، وعدم سلامتها لمقابلة الحرب مما يخدم المبدأ الأول.

وفى يوليو ١٩٧٢ لم تجد مصر بدًا من الاستغناء عن الخبراء السوفييت الموجودين بها الذين كانوا بحكم تبعيتهم يعملون على نشر وتحقيق المبادئ التى تؤدى فى النهاية إلى تحقيق الاستراتيجية التى ارتضاها الاتحاد السوفيتى لنفسه إزاء مشكلة الشرق الأوسط، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تم الاستغناء عن القوة العسكرية السوفيتية التى كانت تعمل على بعض معدات الصواريخ أرض جو منذ مارس ١٩٧٠، ولا شك أن هذا الاستغناء قد وفر قدرًا كبيرًا من الأموال بالإضافة إلى أنه حل مشكلة التناقضات التى كانت موجودة داخل القوات المسلحة المصرية.

لقد نشأت التناقضات نتيجة لرغبة المستشارين السوفييت فى السيطرة على مقدرات القوات المسلحة المصرية، وتحويل القادة على جميع المستويات إلى مجرد ببغاوات تتكلم باللغة العربية، وتنفذ كل المخططات التى يضعها المستشارون السوفييت. تلك المخططات التى توضع على مستوى القيادة السوفيتية ويشرف عليها وينفذها كبير الخبراء الذى يتمتع بسلطات سياسية وعسكرية، ويمثل مكانًا مرموقًا فى الحزب الشيوعى السوفيتى.

لقد نجح السوفييت فى السيطرة على كثير من المراكز المرموقة فى القوات المسلحة سواء فى القيادة العامة أو فى قيادات الأفرع الرئيسية أو قيادات التشكيلات المقاتلة.

واعتقد كثير من القادة أن مجاملة هؤلاء هو الوسيلة للاستحواذ على ثقتهم، وقد أدى ذلك فى النهاية إلى أن أصبح كثير من المراكز القيادية فى يد قادة على قدر محدود

من القـدرات العسـكرية. وبهذا تقوضت أسـس البناء العسـكرى السليم وضاعت أهدافه.

ولا شـك أن هذا الجو خلق مزيدًا من القلق النفسـى لدى كثـير من القادة المصريين الأصلاء والقلق على مسـتقبلهم كبشر وقلق على مسـتقبل بلادهم وهى تسـير فى وسط هذا التيه الذى لا آخر له، ولا حدود تحده، كما أن المنظر والأسلوب الذى كان يعمل به المستشـارون فى سـبيل تحقيق المبادئ التى حددتها الاستراتيجية السوفيتية للمشكلة أثار الكثير من الضباط، وذلك لعدم قيام هؤلاء المستشـارين بأى عمل، بالإضافة إلى جهل عدد كبير منهم بأساليب القتال الحديثة.

لقـد أعلنت مصر أن عام ١٩٧٢ سـيكون عام الحسـم إلا أن عـام ١٩٧٢ انتهى ولم يتم فيه أى عمل عسكرى فى ميدان الشرق الأوسط، وإنما تم فى ميدان الشرق الأقصى. ففـى الـشرق الأقصى وقـع حادثان عـلى جانب كبير مـن الأهمية أولهما هـو حرب الهند وباكسـتان الهند ويؤيد ويدعمها الاتحاد السـوفيتى، وباكسـتان وهـى عضو فى الحلف المركـزى، وقامـت الحرب وانتهـت ولم تتدخل الولايات المتحـدة لمعاونة دولة من دول الحلـف المركزى الـذى تتزعمه، والواقـع أن أمريـكا التزمت بعدم المواجهـة فى الأزمة برغـم إتمام بعض التحركات العسـكرية وتحليل هذه الحرب من الوجهة الاسـتراتيجية يبـين بوضوح كيـف أن القوتين العظميـين اتفقتا لأول مرة، فباكسـتان برغم أنها عضو فى الحلـف المركـزى فإنها على علاقـات وثيقة بالصـين بحكم الجوار كـما أن الهند برغم علاقتها الوثيقة بالاتحاد السوفيتى فإنها على عداء مستحكم مع الصين بسبب النزاع على مناطق الحدود، والصين هى القوة العظمى الجديدة فى شرق آسيا، والتى تنافس أمريكا فى المحيـط الهادى، وفى الوقت نفسـه هـى على خلاف أو فى عداء مسـتحكم مع الاتحاد السـوفيتى، نظرًا للاختلاف الأيديولوچى بينهما فى تنفيذ النظرية الماركسـية، وعلى ذلك اتفقت مصلحة أمريكا والاتحاد السـوفيتى ضد الصين التى تساند الباكستان لإظهارها بمظهـر الدولة غـير القادرة على مسـاندة أصدقائهـا وإن ذلك راجع لعجزها، فسـاعد الاتحاد السـوفيتى الهند، بل أعدها تمامًا للحرب ولم تقم أمريكا بمسـاعدة باكسـتان ولا بنجدتها أثناء الحرب.

أما الحادث الثانى فهو حادث الهجوم الجوى الاستراتيجى على فيتنام، والذى وقع فى ديسمبر ١٩٧٢، ذلك الهجوم الذى وضع حدًا للحرب الفيتنامية وأنهاها بصلح باريس. والمحلل لهذه الحرب يجد أنها خططت لإجبار الفيتناميين على قبول شروط الصلح المعروضة فى مؤتمر باريس، ولم يمد الاتحاد السوفيتى وهو الصديق الوفى لفيتنام، لم يمدها بالأسلحة الكافية لإيقاف هذا الهجوم، وهو على علم مسبق به إذ إن الغرض من هذا الهجوم كان واضحًا، وهو إيقاف الحرب والاتجاه نحو حل المشكلة بالحلول السلمية.

من هذين الحربين يتضح لنا كيف أن استراتيجية الاتحاد السوفيتى أخذت تميل تجاه حل المشكلات الدولية سلميًا ونبذ سياسة الحرب أو التهديد بالحرب، وقد لاقت هذه السياسة ترحيبًا من الولايات المتحدة الأمريكية، فكان أن عملت على جنى ثمارها باللقاءات التى تمت مع القادة على مختلف المستويات فى الصين والاتحاد السوفيتى فيما بعد.

من كان ذلك كان على مصر أن تدعم استراتيجيتها التى حددتها فى مارس ١٩٧١، ١٩٧٢. وأن تتلافى أوجه القصور فيها نتيجة للتجربة التى عاشتها خلال عامى ١٩٧١، ١٩٧٢.

وأن تعمل من منطلق واحد وهو القتال بالقدرة الذاتية المصرية بما هو متيسر لديها من أسلحة ومعدات دون الاعتماد على أى شىء من الخارج.

الفصل الثانى
الموقف العسكرى

على هامش الكارثة

انتهت كارثة يونيو ١٩٦٧ بخسائر جسيمة في المعدات إذا فقدت جميع الوحدات والتشكيلات التي كانت في سيناء كل معداتها تقريبًا إما نتيجة للقتال المباشر مع العدو أو نتيجة لتدميرها لمنع وقوعها في يد العدو لعدم القدرة على نقلها ولعدم توفير الوقت اللازم؛ لذلك أصبح لا يتوفر لدى القوات المسلحة المصرية أي معدات ثقيلة كالمدفعية والدبابات تجابه بها العدو • لقد فقدت القوات المسلحة المصرية ما يقرب من ٩٠٪ من معداتها، ووقفت قناة السويس كمانع مائي في وجه أي تقدم إسرائيلي تجاه الغرب.

إن ما حدث في يونيو ١٩٦٧ من انهيار عسكري للقوات المسلحة المصرية، كان مفاجأة تامة للقيادة الإسرائيلية، إذا لم تضع في حسبانها ما حدث، وبالتالى لم تخطط له على أساس أنه حدث منتظر الوقوع، ولذلك فوقوع الكارثة أذهل القيادة الإسرائيلية وجعلها في حيرة من أمر هذا الانهيار والإجراءات الواجب اتباعها حياله لدرجة أن بعض قادتها صرح بأن ما حدث فاق كل الأحلام وعلى ذلك يمكن القول إن عمليات التقدم في سيناء غرب المضايق كانت عمليات غير مخططة، وتمت بأسلوب عشوائي وساعد على نجاحها قرار الانسحاب الطائش الذي أصدرته القيادة المصرية.

لقد تأكدت إسرائيل في اليوم الثالث للقتال من أنها دمرت القوات المسلحة المصرية، وأن القوات المصرية التي انسحبت إلى غرب القناة، في هيئة فلول، لم تحمل معها من أسلحتها إلا بعض الأسلحة الخفيفة، وفى ضوء ذلك قدرت القيادة العسكرية

الإسرائيليـة أن مصر أمامها لتسـتعيد موقفها العسـكري ردح طويل من الزمن، لا يقل عن عشر سـنين، وهنا يبرز لأول وهلة السـبب الذي جعل القوات الإسرائيلية لا تتابع تقدمها غرب القناة، لإجبار مصر على قبول طلباتها وإنهاء حالة الحرب القائمة منذ عام ١٩٤٨، والحقيقـة أن إسرائيـل لم يكن في مقدورها متابعة التقـدم غرب القناة حتى ولو توفـرت لها معدات العبور للمانع المائي الضخم وهى لم تكن متوفرة وقتئذ وذلك راجع للآتي:

أ- محاولـة التقدم غرب القنـاة تحتاج إلى قوات أكبر من طاقة إسرائيل البشرية، فالأرض غـرب القنـاة مفتوحة وصالحة للعمليـات في جميع أجزائهـا، بعكس الأرض شرق القنـاة فالعمليات فيها محددة بمحاور التقـدم الثلاثة والأرض الصالحة للتحركات حولها.

ب- محاولة التقدم غرب القناة سـتقود القوات الإسرائيلية للقتال في أرض زراعية آهلة بالمكان بها العديد من الموانع المائية، وهذه هى أخطر حرب يقابلها أي جيش منظم.

ج- محاولـة التقدم غرب القناة معناه حرب طويلة الأمد، وهذا ضد العقيدة العسـكرية الإسرائيلية المبنية على أسلوب الحرب الخاطفة.

لقد فقد الدفاع الجوى ـ أو ما يسـمى بالمدفعية المضادة للطائرات وقتئذ ـ الكثير من معداته فقد تقريبًا معظم وحدات المدفعية المضادة للطائرات وأجهزة الرادار التي كانت في سيناء، إذ عاد الكثير من الوحدات بدون معدات في حين عاد البعض ببعض قطع من المدفعيـة المضادة للطائرات، أما أجهزة الرادار وهى العصب الرئيسي لوحدات المدفعية المضـادة للطائـرات فكانـت الأهـداف الأولى لهجـمات العـدو الجوية، وما نجـا منها لم تتمكن الوحدات من سحبه للخلف لثقل هذه الأجهزة وحاجتها إلى وقت طويل نسبيًا لتجهيزها للتحرك، ولم تيسر ظروف الانسحاب ذلك الوقت للوحدات، هذا بالإضافة إلى ما فقده من وحدات الصواريخ الموجهة م/ ط أرض – جو، لعدم القدرة على سحبها للخلـف من سـيناء أو ما فقد كنتيجة مباشرة لهجمات القـوات الجوية الإسرائيلية عليها خلال أيام القتال.

ومنذ بدء إعداد القوات المسلحة المصرية من جديد بدء في إعداد قوات الدفاع الجوى، وقبل أن نتكلم عن إعداد وتجهيز قوات الدفاع الجوى والمعارك التي خاضتها منذ بدء تكوينها في يونيو ١٩٦٨ حتى معركة ٦ أكتوبر التاريخية و الخالدة في تاريخ الدفاع الجوى يجب أن نقف وقفة قصيرة عند هزيمة ١٩٦٧ ونحللها من وجهة نظر الدفاع الجوى؛ حيث إن النجاح كان حليف القوات الجوية الإسرائيلية - التي وجهت ضربة جوية شاملة إلى القوات الجوية وعناصر الدفاع الجوى (سعت ٠٩٣٠) يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وتمكنت بها من إحراز السيادة الجوية مما كان له أكبر الأثر في سير العمليات الحربية في سيناء بعد ذلك. وعلى ذلك فما الذي حدث- وكيف حدث - وما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك. هل كان الدفاع الجوى - أو ما كان يسمى بالمدفعية المضادة للطائرات وقتئذ غير كاف من الناحية العددية، أو غير مساير للتطور العلمي والتكنولوجي من الناحية النوعية أو أن أساليب القتال التي اتبعت لاتتفق مع الأساليب التي اتبعها العدو في حرب يونيو ١٩٦٧ أو أن هذه المسببات كلها كانت موجودة، أو أن هناك أسبابًا أخرى لذلك القصور الذي أودى بالقوات الجوية في ضربة واحدة خسرت مصر فيها نحو ١٥٠-١٦٠ طائرة وهى رابضة على الممرات داخل المطارات.

كان الدفاع الجوى أو ما كان يسمى بالمدفعية المضادة للطائرات وقتئذ يتكون من عدة وحدات من المدفعية المضادة للطائرات وعدة وحدات صواريخ أرض-جو من نوع سام ٢معدل، وكانت أنواع المدفعية المضادة للطائرات الموجودة عبارة عن عدة أعيرة مختلفة تتدرج من الرشاشات ٧, ١٢ مم إلى المدفعية المضادة للطائرات المتوسطة عيار ١٠٠ مم وكانت المدفعية المضادة للطائرات موجودة مع جميع الوحدات من مستوى الكتيبة المشاة فأعلى. وكان جزء كبير منها مخصصا للدفاع عن الأغراض الحيوية كالمناطق الصناعية - المدن الكبرى- الموانئ المهمة والكباري - القناطر - الخزانات والسدود-بالإضافة إلى الدفاع عن القواعد البحرية للقوات البحرية في الإسكندرية،وبور سعيد، والغردقة، والقواعد الجوية،والمطارات التي تستخدمها القوات الجوية. أما الدفاع بالصواريخ فقد كان يتمثل في ٣٠ كتيبة صواريخ أرض-جو من نوع سام ٢ معدل تقوم بالدفاع عن الإسكندرية وشمال الدلتا ومنطقة القناة، والقاهرة، وأسوان.

وكانت خطة الدفاع الجوى الموضوعة للدفاع عن جمهورية مصر العربية وفقًا للإمكانيات المتيسرة جاهزة ومنفذة، وجميع الوحدات متخذة لمواقعها القتالية، وكانت خطة المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ أرض -جو موضوعة ومنسقة وتتم بالتعاون مع المقاتلات، وكانت القيادة على جميع عناصر الدفاع الجوى في ذلك الوقت إلى قائد القوات الجوية والدفاع الجوى،وكان بحكم وضعه هذا يقود المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ أرض-جو عن طريق قيادة شكلت لذلك الغرض وسميت باسم قيادة مدفعية الدفاع الجوى. أما المقاتلات فبحكم أن قائد الدفاع الجوى هو قائد القوات الجوية؛ لذا فقد كانت له السيطرة الفعلية على عملياتها من جميع الوجوه، وكان يتولى هذا المنصب منذ عام ١٩٥٤ .

وقبل أن نعدد أوجه القصور التي حدثت في حرب ١٩٦٧ فيما يختص بالدور الذي أدته المدفعية المضادة للطائرات يجب العودة إلى الوراء للتعرف على دورها في الحروب السابقة لقد أدت المدفعية المضادة للطائرات التي كانت موجودة في حرب ١٩٥٦ دورًا ممتازًا وتمكنت برغم قلتها من التصدي لطائرات الدول الثلاثة :إنجلترا،وفرنسا، وإسرائيل. ففى رفح،والعريش «وأبو عجيلة» أدت وحدات المدفعية المضادة للطائرات التي كانت تدافع عن القوات البرية دورها بنجاح أدى إلى صلابة القوات البرية في القتال، وانسحابها إلى غرب القناة بسلام أيضًا ٠ كما أدت الوحدات التي كانت تدافع عن المعابر المقامة على القناة نفس الدور، ولم تمكن القوات الجوية المعادية من تدمير المعابر مما يسر الانسحاب بنجاح إلى غرب القناة ٠ كما أدت الوحدات التي كانت تتولى الدفاع عن قاعدة الإسكندرية البحرية وميناثها نفس الدور، ولم تمكن العدو من النيل منها، وكان معنى ذلك انتصارًا رائعًا للمدفعية المضادة للطائرات وهى متخلفة وقتئذ عن الطائرات التي تعاملت معها،وكانت من أنواع : كامبيرا،ومستير،وسوبر مستير، وسى فينرم. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أدى هذا النجاح إلى منع القوات البريطانية الفرنسية التي نزلت في بورسعيد من التقدم تجاه الإسماعيلية بل ولم يصب أي غرض من الأغراض الحيوية السياسية والاقتصادية والعسكرية التي كانت تقوم بالدفاع عنها، وهنا يبرز إلى الأذهان ما أسباب ذلك النجاح. إن المتتبع لأحداث الحرب العالمية الثانية

على مصر يمكنه أن يلمس أسباب ذلك لقد كان ذلك النجاح راجعًا إلى هؤلاء الرجال الذين كانوا يعملون على المدفعية المضادة للطائرات، خلال الحرب العالمية الثانية، وأثناء قيامها، بالتصدي لهجمات دول المحور الفترة من ١٩٤١-١٩٤٥ هؤلاء الرجال الذين عاصروا هذه الحرب قادة أصاغر وتمرسوا فيها وتعلموا منها ٠

وكانت هذه الهجمات الجوية بالنسبة لهم بمثابة البوتقة التي انصهر فيها التكتيت والتكنيك، وبذلك يمكن القول إنهم وصلوا في نهاية هذه الحرب إلى أسس وقواعد متينة في استخدام المدفعية المضادة للطائرات بل أسس تطويرها ٠

لقد ظلت هذه الوحدات على ما علية من رجال وعتاد فلم تزد شيئا يذكر خلال السنوات ما بين ١٩٤٥-١٩٥٦، وكانت حرب السويس ١٩٥٦ وتمكنت من تحقيق النجاح الذي أوضحناه من قبل بفضل الأساس السليم الذي بنيت عليه هذه الوحدات، وبفضل إيمان قادتها وقدراتهم الفنية، وبفضل قدرة أفرادها- وهنا يظهر أول تساؤل طالما أننا كنا نمتلك في حرب السويس قدرًا محدودًا من المدفعية المضادة للطائرات، وتمكنا بها من الحد من قدرة دول التحالف الثلاثي، وتمكنا من وقاية مدننا، وموانينا، وقواتنا المسلحة التي تمكنت من الانسحاب من سيناء بخسائر محدودة، إذا فكيف كان العكس تمامًا في حرب ١٩٦٧ ٠

لقد استفادت إسرائيل من حرب السويس أيما فائدة،فقد كانت لها بمثابة البوتقة التي صهرت فيها ما تبنته من عقيدة عسكرية منذ نشأة دولتها عام ١٩٤٨، لقد اتضح لها فى نهاية حرب السويس أن أسس بنائها لجيش الدفاع الإسرائيلى هى أسس سليمة، وأن المطلوب منها هو السير بسرعة لخلق حالة من التفوق النوعي على القوات المسلحة للدول العربية٠ والعقيدة العسكرية التي تبنتها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لم تكن نوعًا جديدًا من العقائد العسكرية بل هى وليدة لما تمخضت عنه حرب الصحراء فى الحرب العالمية الثانية بالإضافة إلى ما أملته طبيعة موقع إسرائيل الجغرافي بين الدول العربية ومدى ما يتوفر لها من عمق٠ لقد أثبتت معارك الصحراء الغربية أن الدبابة والطائرة هما السلاحان السائدان في حرب الصحراء، ولا تزال معارك سيدي برانى - الغزالة - ببر حكيم - العلمين ٠٠ إلخ خير شاهد على ذلك، وإذا كانت إسرائيل اعتنقت مبادئ حرب الصحراء فلأن مسرح قتالها مع الدول العربية غالبيته مسرح

صحراوي، وخاصة مع جمهورية مصر العربية، وهى بحكم موقعها الاستراتيجي وإمكاناتها البشرية والاقتصادية والعلمية تعتبر أقوى خصم عربي يواجه إسرائيل ويقف أمام أطماعها التوسعية في المنطقة ٠

إن الدراسات التي تمت على معارك الحرب الثانية، والتي نشرها كبار القادة أمثال مونتجمرى وروميل وجودريان، أو كبار الكتاب العسكريين أمثال فوللر، أو كبار المفكرين العسكريين أمثال ليدل هارت، تؤكد الحقيقة التي اعتنقتها إسرائيل ٠٠٠ كعقيدة عسكرية في تنظيم قواتها المسلحة ٠

أما كون إننا هنا فى جمهورية مصر العربية لم نعتنق هذا الرأي فهذا هو مالايزال إلى يومنا هذا محل التساؤل ومثار الدهشة ٠

ظهر التنفيذ الحقيقي للعقيدة العسكرية الإسرائيلية عام ١٩٥٨ عقب صفقة الميراج ٣ سى، التي تعاقدت عليها إسرائيل مع فرنسا وعددها ٥٠ طائرة ٠ وكانت نذيرا لنا هنا في جمهورية مصر العربية،فبدأنا في تطوير قواتنا الجوية وتزويدها بالطائرات ميج ١٧ - ثم ١٩، ثم ٢١ فيما بعد ' أما من ناحية المدفعية المضادة للطائرات فتم تزويدها بالمدفعية م ط ٥٧ مم، ١٠٠ مم٠ وفى أوائل الستينيات عندما بدأ التطور الصناعي يحتل المكانة الأولى في جمهوريةمصر العربية وإزاء التطور الذي يلاحق القوات الجوية الإسرائيلية وعند بدئها في التعاقد على شبكة صواريخ موجهة من طراز هوك لتقف ضد الطائرات الميجا ٢١ - بدأت جمهورية مصر العربية في التعاقد مع الاتحاد السوفيتي - وهو المورد الوحيد للسلاح وقتئذ - على إمدادها بعدد من وحدات الصواريخ أرض - جو، ووافق على ذلك، وبدأ إدخال الصواريخ الموجهة م/ ط في جمهورية مصر العربية منذ عام ١٩٦٣، واحتلت مواقعها كما سبق أن ذكرت للدفاع عن المدن المهمة كالإسكندرية والقاهرة ٠

لقد تم الدفاع عن القاهرة بواسطة ثلاثة أفواج مدفعية متوسطة تعادل في جملتها ٧٢ مدفعًا من أعيرة مختلفة ٣,٧ - ١٠٠ مم - ٨٥مم وكانت جميع المطارات حولها (أنشاص - الماظة - حلوان - غرب القاهرة) مدافعا عنها بمعدل فوج مدفعية م ٠ ط ٢٤ مدفعا إما وسط أو خفيف لكل مطار أما الدفاع بالصواريخ أرض - جو فقد كان يتم بلواءي صواريخ بقوة ١١ كتيبة صواريخ أرض جو سام ٢ معدل. أما منطقة القناة

فقد كان الدفاع يتم عنها بواسطة ٩ كتائب صواريخ أرض - جو أما المطارات الموجودة بها فقد كان الدفاع يتم عنها بمعدل فوج م- ط خفيف لكل مطار ٠

أمـا الإسـكندرية فقد كان الدفـاع يتم عنها بواسـطة ٣ أفواج مدفعية م. ط وسـط. وخفيف، و٤ كتائب صواريخ أرض جو أما شمال الدلتا وهى حلقة الوصل بين دفاعات الإسكندرية ومنطقة القناة - فقد تم ربط هذه الدفاعات بثلاث كتائب صواريخ أرض - جـو وتـم الدفاع عن المطارات الموجودة بها بمعدل كتيبـة مدفعية م٠ط خفيفة لكل منها٠

إما منطقة أسـوان فقد كان الدفاع يتم عنها بواسـطة ثلاث كتائب صواريخ أرض- جـو بالإضافـة إلى فـوج مدفعيـة م٠ط خفيف هذا علاوة عـلى أن جميع المطـارات التي تستخدمها القوات الجوية تقع خارج تلك المناطق، سواء في سيناء أو في الداخل، وكان الدفاع يتم عنها بواسطة فوج مدفعية م٠ط خفيف ٠

تقد بلغ إجمالى الوحدات القائمة بالدفاع الجوى عن الدولة وقتئذ ٧ أفواج وسط أي ما يعادل ١٦٨ مدفعًا، ١٥ فوجًا خفيفًا م-ط أي ما يعادل ٣٦٠ مدفعًا، ٦ كتائب خفيفة م٠ط أى ما يعادل ١٠٨ مدافع، هذا بالإضافة إلى عدة مئات من الرشاشـات م٠ط من الأعيرة المختلفة ٠ بجانب ٣٠ كتيبة صواريخ سام ٢ معدل موزعة كما سبق توضيحه ٠

ومن العرض السابق يتضح أننا كنا في عام ١٩٦٧ نمتلك مدفعية مضادة للطائرات وصواريـخ أرض - جـو بقـدر ليس كبيرًا وليس محدودًا، قياسًـا لما تمتلكـه إسرائيل من قوات جوية ٠

لقد كانت القوات الجوية الإسرائيلية مكونة من الطائرات الآتية:

٥٥ طائرة ميراج ٣س

٨٠ طائرة فوجا ماجستر- تدريب

٢٥ طائرة فوتور

٥٥ طائرة مستير

٥٠ طائرة سوبر مستير

بالإضافة إلى بعض الطائرات القديمة من أنواع الأورجان، وبعض طائرات النقل والمواصلات، وجميع هذة الأنواع عدا الطائرات الميراج ـ لا تتعدى سرعاتها سرعة الصوت، وقدرتها على المناورة محدودة،كما أن قدرتها على حمل أسلحة الدمار محدودة أيضًا، ورغم كبر القوات الجوية الإسرائيلية والتى تبلغ نحو ٢٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة فإن قدرتها محدودة –وكانت جمهورية مصر العربية تمتلك عددًا مماثلا تقريبًا لهذة القوة من طائرات الميج ١٥، ١٧، ١٩، ٢١ وسوخوى ٧،وكلها تقف على قدم المساواة إن لم تكن أفضل كما هو متيسر لدى إسرائيل وقتئذ إذا استثنينا الطائرة الميراج ٣س.

مما سبق يتضح أن وسائل الدفاع الجوى لدى جمهورية مصر العربية عام ١٩٦٧ كانت ندا للتصدى للقوات الجوية الإسرائيلية عددا و نوعًا ان لم تكن متفوقة عليها،وهذا ما جعل قادة إسرائيل بعد تحقيق نجاحهم بتدمير القوات الجوية المصرية فى المطارات لا يصدقون ما حدث،مما حدا بالقيادة العليا الإسرائيلية إلى ارسال قائد القوات الجوية الإسرائيلية الجنرال مردخاي هود وقتئذ ليطير فوق المطارات المصرية للتأكد من أن الطائرات التي كانت بها أصبحت حطاما يشتعل، تأكيده لما حدث يعني إعطاء الإشارة لبدء العمليات البرية ضد القوات المسلحة المصرية في سيناء.

إن الضربة الجوية الشاملة التي وجهتها إسرائيل صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ لم تكن حدثًا جديدًا من ناحية الفكر العسكري، بل كانت أمرًا متوقعًا منذ أوائل الستينيات، منذ بدأت إسرائيل تعمل وتجد على تقوية قواتها الجوية، وتعمل بسرعة على بناء صناعة للطائرات لديها معتمدة على خبرة تكنولوجية محدودة، مع مراقبتها المستمرة للتطور في وسائل الدفاع الجوي المصري.

لم تكن الضربة الجوية الشاملة من الناحية العسكرية فنًا عسكريًا مستحدثًا في العلم العسكري المعاصر وقتئذ، إذ أنها كانت نتاج السباق الرهيب بين القوتين العظميين خلال الخمسينيات لامتلاك ـ أسلحة الدمار الشامل من قنابل ذرية وهيدروجينية

إلى أسلحة كميائية وبكتريولوجية. وفي ضوء ذلك السباق الرهيب ظهرت نظرية الحرب الشاملة، والتي كانت تتلخص وقتئذ في أن القوة الجوية بما لديها من قدرة على حمل وسائل الدمار والخراب يمكنها بتوجيه ضربة جوية شاملة للمناطق السياسية والاقتصادية والعسكرية والصناعية ومراكز القيادة إلحاق خسائر بالغة بهذة المناطق، وشل عجلة الإنتاج التي تخدم المجهود الحربي، بالإضافة إلى ماتحدثه هذة الأسلحة من خسائر بشرية مما يجبر الخصم على الاستسلام وقبول مطالب الطرف الآخر.

حقيقة لم يكن لدى إسرائيل من أسلحة الدمار وقتئذ أي نوع منها. وكل ماكان لديها هو الأسلحة التقليدية من قنابل وصواريخ، فكيف إذن تطبق إسرائيل هذه الاستراتيجية الحديثة؟ لقد تعلمت إسرائيل من دروس حرب الصحراء عام ١٩٤٠ _ ١٩٤٥ إن أي قوات عسكرية مهما كانت لديها من الأسلحة، ومهما كان مستواها التدريبي لا يمكنها أن تعمل دون غطاء جوي ييسر لها الوقاية من القوات الجوية المعادية فخططت على هذا الأساس. خططت على أساس الحصول على السيادة الجوية، وذلك بالقيام بضربة جوية شاملة على قواعد ومطارات القوات الجوية لجمهورية مصر العربية، بحيث تتم هذهالضربة في وقت واحد على كل المطارات والقواعد لإرباك القيادة العليا المصرية عامة والقيادات الجوية خاصة، وتدمير كل المطارات في ضربة واحدة، وعندما يتحقق لها النجاح تصبح قوتها البرية قادرة على أن تعمل بحرية كاملة تحت ستار المعاونة الجوية، التي يمكن أن تقدمها لهذه القوات ضد قوات لا يتيسر لها أي غطاء جوي ضد هجمات العدو الجوية أو أى نوع من المعاونة الجوية في عملياتها، سواء أكانت دفاعية أم هجومية. وكما سبق أن ذكرت بدأت القوات البرية الإسرائيلية عملياتها بعد أن تأكدت إسرائيل من تدمير القوات الجويةالمصرية وهي رابضة على ممرات المطارات.إن تدمير القوات الجوية المصرية بهذا الأسلوب يعتبر سذاجة عسكرية فى عصر انتهت فيه السذاجات فى عصر العلم و التكنولوجيا عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية،عصر الحروب المحلية المحدودة من كوريا إلى فيتنام، ذلك العصر الذى لم نعترف به إلا مؤخرًا جدًا بعد أن وقعت الكارثة، رغم أن الدول المتقدمة دخلتة منذ أوائل الخمسينيات، لقد قفلنا على أنفسنا باب العلم و المعرفة، لدرجة أننا أقنعنا أنفسنا بأننا أقوى دولة، وأعلم دولة بل

أكثـر الدول تقدمًا فى معدلات التنميـة الاقتصادية، وللحقيقة و التاريخ لقد كانت هذه الضربة متوقعة منذ يوم ٧ يونيو ١٩٦٧، و قد تم إعطاء ما يلزم من تعليمات لتلقى هذه الضربـة الجوية. وأيًـا كان القرار سـلبيًا أو خاطئًا هـو قرار سياسـى ولا يغير من جوهر الحقيقة شيئًا فى إلقاء التبعات على هذا او ذلك. والواقع أن الإجراءات الواجب اتخاذها لتلافى مثل هذه الضربة لم تتم، لقد تمت الضربة بوسـائل الدفاع الجوى كلها المقاتلات، و الرادار، و الصواريخ، و المدفعية م.ط فى وضع اسـتعداد لا يتفق مع خطورة الموقف. لقـد كانت الوحدات قبل بدء الهجوم الجوى الإسرائيلى فى حالة اسـتعداد عال ييسر لها التعامل مع العدو بنجاح أن هذة الحالة لم تدم لأسـباب غير معروفة، رغم أن هناك من التعليـمات الصادرة يـوم ٢ يونيو ١٩٦٧ ما يؤكد أن العدو سـيقوم بالهجوم على الجبهة المصرية خلال ٤٨-٧٢ ساعة على الأكثر بل على التحديد يوم ٤ او ٥ يونيو، و أنه سيبدأ عملياتـه بتوجيـه ضربة جوية شـاملة، وأن المطلوب من القوات المسـلحة هو صد هذه الضربة الجوية ثم الانتقال بعد ذلك للهجوم.

والسـؤال المطـروح الآن هـو هـل اسـتعداد قـوات الدفاع الجـوى كان كافيًـا لردع المعتدى؟

الحقيقة أننا لو سلمنا بذلك نكون قد جانبنا الواقع. فالاستعداد يمنع المفاجأة. وعدم تحقيـق المفاجـأة كان كافيًـا لتحقيق قدر من الوقايـة للمطارات، و القواعـد الجوية التى هاجمهـا العـدو، فمجرد فتح النـيران على العدو فى الوقت المناسـب يخلـق لدى طيارى العـدو حالـة من الذعر و الفزع تجعلهـم يعملون على تنفيذ مهامهـم بسرعة غير عابئين بدقة التنشين اللازمة لإصابة أهدافهم.

إن القصـور الـذي حـدث في يونيـو ١٩٦٧ بالنسـبة للدفـاع الجـوى لم يكـن مرده، إلى عـدم الاسـتعداد فقـط وإنما مـرده إلى سـنين طويلة قبل ذلـك من الدعـة والتواكل واللامبـالاة وهى من السـمات الواضحة خلال هذه السـنين، ولم تكـن المدفعية المضادة للطائـرات وقتئـذ بمنـأى عن ذلـك، لقد أفقدت هـذه الأمـراض الاجتماعيـة الثقة فى القادة، وفى الأسلوب القيادي، وبالتالى تأثرت كفاءة الوحدات القتالية، بل اضمحلت حتى وصلت إلى مسـتوى لايدانيه مسـتوى في الانخفاض،وما كان كل ذلك إلا نتيجة

مباشرة لأعمال القادة، الذين كانوا على قمة المسئولية القيادية في ذلك الوقت. كل ذلك بالإضافة إلى الغرور المبنى على التقدير الخاطئ لقوة العدو وإمكانياته وقدراته القتالية • ذلك الغرور الذي لا يمكن أن نمر عليه دون أن نوفيه حقه من الإيضاح، لقد كان هذا الغرور ناجمًا عن الأسباب الآتية:

أ. اعتبار حرب ١٩٥٦ انتصارًا لايدانيه أي انتصار برغم ما تم في هذه الحرب من أخطاء عسكرية قاتلة كانت سببًا في عدم كتابة تاريخ هذه الحرب حتى يومنا هذا •

ب. التوجيه الدعائي الخاطئ الذي حول هذه الحرب إلى انتصار باهر، واستمرار هذا التوجيه بوسائل الإعلام المختلفة، مما أدى إلى خلق مزيد من الثقة لدى القوات المسلحة أدت في النهاية إلى التواكل.

ج. بناء القوات المسلحة المصرية عام ١٩٥٨ من منطلق خاطئ لا يستند إلى علم عسكري ولا إلى خبرة قتالية ضاربين عرض الحائط بالدروس المستفادة التي تمخضت عنها معارك الصحراء الغربية • ومرد ذلك الغرور إلى ما أصاب الهيئات التي قامت بوضع خطط بناء القوات المسلحة من ثقة زائدة، كذا الغرور الذي أصاب القيادة العليا كما جعلها تعتقد في سلامة التخطيط الذي وضع وليس أدل على ذلك الاعتقاد بأن العربة ذات العجل يمكنها أن تجارى العربة ذات الجنزير في مسرح قتال صحراوي، بل يتميز بصعوبة التحرك في كثير من أجزائه.

د. الاعتقاد الخاطئ فى قدرات العدو وإمكاناته، ووضعه دائمًا في الموضع الأقل، متجاهلين دائمًا أسس العلم العسكري، والتي تنص على ضرورة وضع العدو بما يتناسب مع قدراته وإمكاناته وأسلوب قتاله، ويعنى ذلك ألا نقلل من شأنه، ونمسخ أسلوب قتاله مما يولد لدينا شعورًا بالثقة يؤدى على مرور الأيام إلى غرور تام •

ه. الأحاديث التي يذيعها المسئولون فى قيادات القوات المسلحة من تكبير لقدراتها، والإدلاء ببيانات غير حقيقية عن كفاءتها القتالية مثل : أقوى جيش فى الشرق الأوسط، وأكبر قوة جوية أو بحرية في الشرق الأوسط، وما شاكل ذلك من الشعارات التي كانت لا تخدم أي هدف سوى المصالح الشخصية لقائليها. مثل

هـذه الأحاديـث خلقت لدى الشـعب المـصري شـعورًا بالاطمئنـان المتزايد، كما خلقت لدى المقاتل المصري ـ عدا القليل جدا ـ نفس هذا الشعور •

و. تجسـيم قتال القـوات المسـلحة في اليمن وتحويلـه إلى قصص بطوليـة وانتصارات رغـم أن كثـيرًا من المعارك لم تكن انتصارًا بأي حال من الأحوال، ولا قتالا بالمعنى المفهـوم• لقـد كان من المتوقـع في ضوء خبرة القتـال الدائر في فيتنـام أن الهجمات الجويـة في أي حـرب مقبلة لابد أن تتم على ارتفاعـات منخفضة جدا ما بين ٥٠- ٥٠٠ متر وذلك لتحقيق الآتي :

أ ـ الحد من مسـافة كشف الأهداف المهاجمة ما ييسر زمنًا محدودًا لوضع وحدات الدفاع الجوى – مدافع – صواريخ – مقاتلات –في درجة الاستعداد المناسبة، وذلك راجع لطبيعة أجهزة الرادار عند التعامل مع هذا النوع من الأهداف •

ب ـ احتـمال اختفـاء الطائـرات المهاجمـة مـن أجهزة الـرادار عند اسـتغلالها لخصائص الأرض واتباعها للمنخفضات للطيران فوقها ما يحقق للعدو المفاجأة •

ج ـ الاستفادة من القصور الموجود في الأسلحة الدفاعية ضد هذا النوع من الأساليب، فقـدرات المدفعيـة و الصواريخ والمقاتلات عـلى هذه الارتفاعـات المنخفضة تعتبر محدودة، وبالتالى فاحتمال تدميرها للطائرات على هذه الارتفاعات يعتبر ضئيلًا.

د ـ هـذا النـوع مـن الطيران يحقـق المفاجأة الكاملـة للمهاجم على المدافـع – إذا لم يتخذ المدافع من الوسائل والإجراءات ما يحد من هذه المفاجأة.

وفى ضـوء حرب فيتنام والقصور الذي ظهـر في دفاعها الجوى إزاء الهجمات الجوية الأمريكية تم مناقشـة هذه المشـكلة في أوائل عام ١٩٦٦، وذلك بمدرسة المدفعية م•ط التـي كنت قائدا لها وقتئذ، وانتهت بضرورة تصعيد هذا الأسـلوب إلى القيادة المختصة لاتخاذ ما يلزم من أساليب للتغلب عليه، والعمل على استكمال ما يلزم من تسليح ييسر التعامل مع الطائرات المنخفضة جدًا•

إن هـذا التصعيـد وما تلاه من تحذيرات ذهب كله هباء ولم يعمل له أي حسـاب، لا من ناحية اسـتيراد أسـلحة جديدة وهي كثيرة ـ أو تطوير أسـلوب اسـتخدام الأسلحة

الموجـودة للحصـول على الفائـدة المرجوة منها بفاعليـة أكثر، مما يزيد من نسـبة احتمال تدميرها للطائرات؛ لذا ٠ فعندما قام السـلاح الجـوى الإسرائيلى بهجومه صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ مسـتخدمًا هذا الأسـلوب لم يجد وحدات الدفاع الجوى مستعدة للتعامل معه أو قادرة على التعامل معه، على أسـاس اسـتخدامه لهذه التكتيكات الجديدة فكانت بداية للنهاية ووقعت الكارثة، وبدأ التسـاؤل يدور بين الجميع عن الأسـباب التي أدت إليهـا لا مـن البحث عـن الأسـباب الحقيقية بدأ الجـدل والنقاش يتجه نحو الأسـباب الثانوية لاتخاذها مسندًا نعلق عليه الأخطاء القاتلة والمميتة التي أدت إلى هزيمة ١٩٦٧.

لقد كان من نتائج هزيمة ١٩٦٧ أن فقد الدفاع الجوى ما يقرب من ٧٠ط من المدفعية م ط، كما خسر كتائب الصواريخ التي كانت تدافع عن منطقة القناة في المنطقة الممتدة من بور سـعيد شـمالًا إلى السـويس جنوبا وعددها ٩ كتائب، أمكن فيما بعد إصلاح بعضها وإدخال الخدمة ثانيا بواسطة المهندسين المصريين ٠

الباب الثانى

من الهزيمة إلى حائط الصواريخ

(الفصل الثالث)

عودة الصواريخ للجبهة

الحصول على السلاح

في ضـوء مرحلة البناء التي بـدأت لإعادة بناء القوات المسـلحة من جديد، وصلت كميـات كبـيرة مـن المدفعية م٠ط غالبيتهـا من الاتحاد السـوڤيتي، وبعضهـا من الدول الاشتراكية الصديقة، كما قامت اللجان المختصة بشراء أي أسلحة م٠ط معروضة للبيع في السوق العالمية وما أندر المعروض منها، كما أن غالبية المعروض منها لا يساير التطور الموجـود في الطائـرات الحديثة من سرعـة عالية وقدرة كبيرة على المنـارة، ونظرًا لما اتبعه العـدو خلال عمليات ١٩٦٧ من الهجوم على ارتفاعات منخفضة جدا انحصر نشـاط هذه اللجان على شراء الأسلحة م٠ط عيار ١/ ٢ بوصة إلى ٢٠ مم، وهذه الأسلحة هى ما يصطلح عليها بالرشاشات م/ ط وقد تم شراء كميات كبيرة منها ٠

لم تصـل الأسـلحة المتعاقد عليها مرة واحدة وإنما كانت تصـل تباعًا٠ وبوصولها تم تسـليح الوحـدات القائمة وبدئ في تشـكيل وحدات جديدة حسـب موقف السـلاح المتيسر، وبمجـرد انتهـاء هـذه الوحـدات مـن تدريبها كانت ترسـل للعمـل على خط المواجهة مع العدو على قناة السـويس، أو ترسل للدفاع عن القواعد الجوية والمطارات، وفى الوقت نفسـه كان الدفاع بالصواريخ بواسـطة الوحدات التي لم يهاجمها العدو قائما حـول الإسـكندرية والقاهرة وأسـوان، وبمجـرد أن تم إصلاح الكتائـب التي أصاب العدو بعض معداتها بالتلف اتخذت أوضاعها في شمال الدلتا لتعزيز الدفاع عن القاهرة من اتجاه الشـمال، دون تغيير في أسلوب استخدام هذه الوحدات رغم ما أظهرته حرب

يونيو ١٩٦٧، من أن هذا الأسلوب الذي كان مستخدمًا في توزيع الوحدات كان العامل الأساسي في أن تمكن العدو من التعامل معها وتدميرها بسهولة دون خسائر تذكر •

استمر تشكيل الوحدات الجديدة تبعًا لما يرد من الأسلحة وهى في عددها ونوعيتها هزيلة • ولقد سبق بعد الكارثة مباشرة أن حضرت إلى مصر عدة لجان متخصصة من الاتحاد السوفيتي وعلى مستوى عال من القدرات العسكرية، وقررت في ضوء الدراسة التي أجريت على معارك ١٩٦٧ دعم جمهورية مصر العربية بكميات كبيرة من الأسلحة م•ط المتطورة، وذلك لزيادة القدرات الدفاعية ضد الطائرات للوحدات والتشكيلات الميدانية والأغراض الحيوية بالدولة إلا أنه بمجرد استقرار الموقف في منطقة الشرق الأوسط وصدور القرار رقم ٢٤٢ لم يصل إلا القليل مما وعد به الاتحاد السوفيتي وهو دون المستوى وبات واضحا أن فترة الإعداد للمعركة ستطول، والذي يدقق في موقف الاتحاد السوفيتي بعد صدور هذا القرار يجد أنه بدأ ينهج نهجًا جديدًا ويبنى سياسة جديدة تهدف في النهاية إلى حل القضية حلا سلميًا برغم بعض التصريحات التي كان يذيعها بين وقت وآخر من تأييد للحق العربي وضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة وحق العرب في استرداد أرضهم بالقوة •

تدريب الوحدات

بدأ تدريب الوحدات سواء الجديدة منها أو القديمة بعزم وإصرار لرفع مستوى كفاءتها القتالية استعدادًا لخوض المعركة في أي وقت، فالسلاح الجوى الإسرائيلى الذي كسب حرب ١٩٦٧ بأقل ثمن أصبح هو سلاح الرعب الذي يسيطر على كل تفكير عسكري عند تقدير الاحتمالات المنتظر أن يقوم بها العدو، وفى ضوء ذلك الوهم الذي لازمنا طويلا إلى أن انتهت خرافة هذا السلاح في أكتوبر ١٩٧٣ كانت خططنا الموضوعة لهزيمة العدو تتأرجح دائمًا بين الإقدام والإحجام، بين إمكان التنفيذ المحدود واستحالة التنفيذ، خوفًا من هذا السلاح الرهيب، وعدم إمكان القوات البرية تنفيذ أي مهمة قتالية تحت ضغط طيران العدو •

أدت نكسة ١٩٦٧ إلى حدوث تغييرات كبيرة في القيادات، وكان على هذه القيادات الجديدة أن يبدأ في العمل الجاد لخلق وحدات قادرة على القتال في ضوء خبرة قتال ١٩٦٧ • ومن ذلك الوقت بدأت الوحدات تجد في تدريبها وتعمل على تلافى أوجه القصور في كفاءتها القتالية، وبدأ الجد في العمل يحل محل التراخى الذي كان سائدا قبل ذلك، كما بدأ الشعور بالمسئولية يحل محل اللامبالاة وظهر لأول مرة منذ سنين عديدة العقاب والثواب كجزاء على ما يبذل من جهد في التدريب •

لم تعرف السنوات التي سبقت نكسة ١٩٦٧ أي أسلوب من أساليب الجدية لتجهيز الوحدات للقتال، لقد كان إعداد القوات للقتال هو آخر متطلبات النواحي العسكرية في تلك الأيام، وكان كل ما يجرى بشأن التدريب من إعداد واختبارات إنما هو تمثيلية.

لقد تم قبل النكسة بسنين اختبار لوحدات المدفعية م•ط وكان المستوى الذي تحصلت علية أغلب الوحدات غير مقبول، بما لا ييسر لها إمكان القتال بكفاءة، إلا أن أسلوب الضغط والتخويف والإرهاب الذى كان سائدًا في القوات المسلحة وقتئذ من مراكز القوى الموجودة بها – وما أكثرها – وتحكمها في مستقبل الضباط كان له أكبر الأثر على تغيير نتائج التدريب إلى الأفضل لظهور قادة ذلك الوقت بمظهر القادة الأكفاء القادرين، ولقد كان أسلوب التقييم أسلوبًا خاطئًا يحيد عن الطريق السليم الواجب اتباعه في تقييم الكفاءة القتالية للوحدات والتشكيلات ••• أسلوبا ساد لفترة طويلة قبل هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ كانت له آثاره الضارة على القوات المسلحة ••لقد أخذ كثير من القادة منذ ظهرت مراكز القوى داخل القوات المسلحة في التقرب إليها بشتى الطرق طمعًا في رضائها والاستفادة من حولها، واستنادًا إلى ذلك أهدر العمل العسكري وضاعت التقاليد العسكرية، وفى ظل ذلك ضاعت الوحدات وضعف التدريب وانعدمت الكفاءة القتالية، وكانت النتيجة الحتمية لذلك كارثة ١٩٦٧ •

فى أوائل عام ١٩٦٨ قامت الفرقة الثامنة د/ جو (أو ما سمى بحائط الصواريخ فيما بعد) باحتلال منطقة القناة بعدد ٧ كتائب صواريخ سام ٢ معدل وذلك من بور سعيد شمالا إلى السويس جنوبًا على مواجهة نحو ١٩٠ كم وكان احتلالها بهذا الشكل يعتبر احتلالا مبعثرًا لوحداتها، ييسر للعدو إمكان مهاجمتها وتدميرها بسهولة •

وفى ضوء قرار وقف إطلاق النار لم تقم هذه الوحدات بأي اشتباك مع الطائرات الإسرائيلية التي كان نشاطها فوق سيناء محدودًا • إذا إن إسرائيل قنعت بما حصلت عليه من مكاسب خلال عام ١٩٦٧، وأصبحت مواقعها ترتكز على مانع مائي كبير يصعب اقتحامه واعتقد أن ذلك هو نهاية المطاف مع مصر، وأن احتلالها لسيناء سيستمر إلى عشرات السنين، لأنه حسب تقديرها لن يتمكن المصريون من القيام بأي عمل عسكري قبل سنوات، وفى ضوء ذلك التقدير بدأت إسرائيل تطور قواتها الجوية على أسس حديثة فبدأت في الاعتماد في تسليحها على الطائرات الأمريكية، بدأ تزويد السلاح الجوى الإسرائيلي بأحدث أنواع الطائرات الأمريكية من طراز فانتوم وسكاى هوك، وقد استغلت إسرائيل تسليحها هذا فى الحرب النفسية ضد الدول العربية، فبدأت عن طريق وسائلها الدعائية المختلفة والمنبثة في أنحاء العالم تذيع الكثير عن قدرات الطائرة الفانتوم وسكاى هوك، ومن ناحية قدرتها على تدمير الأغراض أو العمل ضد أنواع الأسلحة م•ط المختلفة، أو قدرتها على الوصول إلى أي هدف في أعماق الدول العربية، وذلك للضغط على الرأي العربي وجعله يشعر بأنه دون المستوى في التعامل مع القوات الجوية الإسرائيلية، وأن الأفضل لديه هو عدم القيام بأي عمل عسكري، خوفا على أغراضه الحيوية المتعددة الموجودة في أعماق الدول العربية من التدمير بهذه الطائرات في حالة استئناف القتال •

حرب الاستنزاف

بدأت حرب الاستنزاف في مارس ١٩٦٩ وبدأ العدو يستخدم طائرات الهليوكوبتر للعمل كنقط ملاحظة لتصحيح نيران مدفعيته، وهنا قامت وحدات الصواريخ بتدميرها مما جعل العدو يبدأ في إقحام قواته الجوية في حرب الاستنزاف مما جعله يفقد عددا محدودا من طائراته واستمرار الموقف على ذلك المنوال حتى كان يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٩ عندما بدأ العدو في مهاجمة كتائب الصواريخ مبتدئًا بكتيبة صواريخ بور سعيد وتمكن من تدميرها في دقائق، وفى يوم ٢٤ يوليو ١٩٦٩ تمكن العدو من تدمير عدد كبير من كتائب الصواريخ الباقية • وبذا لم يأت آخر يوليو ١٩٦٩ حتى كانت الجبهة خالية تمامًا من كتائب الصواريخ، ومنذ ذلك الوقت وحتى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ باءت

جميع المحاولات التي تمت لاحتلال وحدات الصواريخ لمواقعها مرة أخرى بالجبهة مهما كان الثمن بالفشل • لماذا وكيف تم ذلك؟ وهل نجح العدو في تحقيق غرضه ؟ وإلى أي مدى تمكن من النجاح ؟

لقد كان نجاح العدو في تدمير وحدات صواريخ الفرقة الثامنة في يوليو ١٩٦٩ سببًا في حدوث خسائر تعتبر كبيرة نسبيًا - بين رجال الصواريخ أدت إلى تثبيط الهمم وخفض الروح المعنوية وإلقاء مزيد من الحيرة بين رجال الدفاع الجوى، وأصبح السؤال الدائر على كل لسان يدور حول صعوبة التعامل مع الطائرة سكاى هوك وحول نوعية الصواريخ الموجودة، وعدم قدرتها على التعامل مع هذه الطائرة •

لقد أدى نجاح العدو في تدمير كتائب الصواريخ في يوليو ١٩٦٩ إلى فرض سيطرته الجوية على جبهة القناة، ومن ثم بدأ يوجه هجماته الجوية إلى وحدات مدفعية الميدان القائمة بضرب مواقعه في خط بارليف بغرض إسكاتها، ولم تسلم وحدات الدفاع الجوى - وكلها من وحدات المدفعية م•ط الأعيرة المتوسطة إلى الرشاشات من تلك الهجمات، إذ إنها كانت الوسيلة الوحيدة المتيسرة للتعامل مع طائرات العدو المهاجمة ويرى أن كثيرا من قطع المدفعية م•ط طالما من أسلحة الحرب العالمية الثانية، فإنها قاتلت ببسالة وشجاعة نادرة، وأدت دورًا كبيرًا فى وقاية القوات، مما جعل الخسائر التي يهدف العدو إلى إلحاقها بقوات الجبهة وخاصة قطع مدفعية الميدان أقل بكثير مما كان يقدره العدو • لقد كان من الضروري أن تتواجد وحدات الصواريخ م•ط في الجبهة ولو بعدد محدود من الوحدات بغرض تحقيق الآتي :

أ. الحد من نشاط العدو الجوى على جبهة القتال ذلك النشاط الذي انفرد به بعد تدمير كتائب الصواريخ في يوليو ١٩٦٩ •

ب. رفع الروح المعنوية للقوات •

ج. تكبيد العدو خسائر في الطائرات لإكساب الثقة لوحدات الصواريخ وزعزعة ثقة العدو في قدراته.

ونظرًا للخسائر التي لحقت بوحدات الصواريخ خلال يوليو ١٩٦٩ بدأ التفكير في وضع الصواريخ في مواقع محصنة من طراز معين، وفى ضوء القرار الذي اتخذ استقر

الـرأي على بنـاء ٤ مواقع صواريخ تعطـى وقاية كاملة للمعـدات وأطقم الكتائب ضد القنابـل زنة ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ رطل، وتم تكليـف شركات المقاولات المصرية بذلك ' على أن يتـم الانتهاء منها خلال ثلاثة أشـهر على الأكثر، ولقـد كان هذا الوقت غير كاف في ضوء كمية الأعمال المطلوبة ' إذ إن الموقع الواحد يحتاج إلى الأعمال الهندسية التالية :-

٤٥٠٠ متر مكعب حفر

٣٠٠٠ متر مكعب ردم

٦٥٣٢ مترًا مكعبًا خرسانة عادية

١٩٨٥ مترًا مكعبًا خرسانة مسلحة

وفعـلا بدأت الـشركات أعمالها ولم يفطـن العدو إلى ما يجرى إعـداده؛ لذا لم يتدخل في بنائهـا ' ولم يحل شـهر ديسـمبر ١٩٦٩ إلا وكانـت المواقع الأربعـة جاهزة، ودخلت وحـدات الصواريخ إلى الجبهة بقوة محدودة لا تتعدى كتيبتي صواريخ، وذلك في قطاع الجيش الثالث الميداني ' وتمكنت من قتال العدو بنجاح وإسقاط بعض طائرات العدو ' ولكن العدو تمكن في النهاية من التغلب عليها وإسكاتها ٠

لقد كان النجاح المحدود الذي لاقته وحدات الصواريخ في ٥ديسـمبر ١٩٦٩ داعيا إلى تطويـر العمليـات لقتـال العدو بالصواريخ ٠ ولكن على نطـاق أكبر، وعلى ذلك تم إدخـال ٦ كتائـب صواريخ إلى الجبهة يوم ٢٥ ديسـمبر ١٩٦٩، احتلـت المواقع الأربعة المحصنـة في «أبو صويرة أبو سـلطان، جنيفة، العجرود» - واحتلـت الكتيبان الباقيتان خطا ثانيا خلفهما في مواقع ميدانية، وتم حشـد أكبر قدر من المدفعية م٠ط والرشاشات مـن الأعـيرة المختلفة لتوفـير الدفاع المبـاشر عن هذه الوحـدات، بالإضافـة إلى بعض عناصر محدودة من الصواريخ المحمولة على الكتف سام ٧.

بـدأ العـدو في صبـاح يـوم ٢٥ ديسـمبر بعد أن شـعر بواسـطة أجهزة الاسـتطلاع الإلكترونيـة المتوفـرة لديـه بوجود وحـدات الصواريخ في القيام بنشـاط اسـتطلاعي، بغـرض تحديد محلات كتائـب الصواريخ، وما إن أمكنه تحديدها حتـى بدأ في مهاجمتها بعنف وتمكن بعد سـاعات من إسـكات هذه الوحدات، بعد أن تمكنت من تدمير نحو

٥ طائـرات للعـدو، وقد أثبت الدفاع الخطى بالصواريخ فشـله للمرة الثالثة ' كما أثبتت المواقـع المحصنة قدرتها التامة على وقاية الأفراد والمعـدات ' عدا محطة الرادار الخارجية التـي بحكـم خصائصها لا بـد أن تعمل في العـراء، مما جعل الفكر العسـكري المصري يتجـه إلى إقامة مواقع الصواريخ بالجبهة من المواقع المحصنة، وبدأ فعلا في إعداد الخطة اللازمـة لإتمام إقامـة ١٦ موقعًا للصواريخ من النوع المحصـن من نوعية أخرى بحيث تغطى جبهة القتال من القنطرة شمالا حتى السويس جنوبًا، ولنا أن نتصور ضخامة هذا العمل الهندسي، فالموقع المحصن الواحد يحتاج إلى حجم في الأعمال الآتية:

٣٠٢٦ مترًا مكعبًا حفرًا

١٥٠٠٠ متر مكعب ردم

٢٢٧٢ مترًا مكعبًا خرسانة عادية

١٢٢٧ مترً مكعبًا خرسانة مسلحة

ونظـرا للسرعـة المطلوبة لإتمام هـذا العمل فقد جند لذلـك الغرض كبرى شركات المقاولات المصرية إن لم يكن معظمها، وتخص لكل شركة موقع أو أكثر حسـب قدرتها وكفاءتها، وبدأت الشركات مع الأشهر الأولى عام ١٩٧٠ في العمل ٠

لقد أظهرت معارك ١٩٦٩ بين وحدات الدفاع الجوى والقوات الجوية الإسرائيلية حقائق مهمة ودروسًا قيمة بالدراسة للوصول إلى الأسلوب الأمثل للتعامل مع العدو، ولقد أوضحت هذه المعارك ما يلي:

أ. فشـل نظـام الدفاعي الخطى - ذلـك النوع من الدفـاع الذي تتواجـد فيه وحدات الصواريـخ عـلى خط واحـد تقريبًا بفواصل كبـيرة، فقد كان هـذا النظام غير قادر على التعامل مع الهجمات الجوية الحديثة التي تتميز بكثافة كبيرة من الطائرات التي تطـير عـلى ارتفاعات منخفضـة، وذلك راجع طبعًـا إلى كبر الفواصـل بين كتائب الصواريـخ، بالإضافة إلى أن قدرة الصواريخ على العمل ضد الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة محدودة في المدى (المسافة) وسنوضح هذا فيما بعد ٠

ب. أهمية تدريب وحدات الصواريخ الموجهة م٠ط على التعامل مع الطائرات على جميع الارتفاعات، ومع الهجمات الجوية المكثفة والمحدودة ٠

ج. الروح المعنوية في المعركة كانت ولا تزال وستستمر هى الصخرة التي تنكسر عليها إرادة المتحاربين ٠

د. ضرورة توفير الوقاية للأفراد والمعدات باستخدام أسلوب تجهيز هندسي محصن يلائم وحدات الصواريخ الموجهة م٠ط ٠

ه. إن الطائرات الحديثة التي زودت بها إسرائيل من أمريكا لها قدرات فنية وتكتيكية تيسر لها تقليل كفاءة وحدات الصواريخ الموجهة م٠ط وإمكان الابتعاد عنها بالمناورة الحادة، بالإضافة إلى قدرتها العالية على تدمير الأغراض التي تهاجمها ٠ وسنوضح ذلك بإيجاز عند التكلم عن العدو ٠

و. إن عصر المدفعية إلى انقراض' طالما أن العلم والتكنولوجيا الحديثة لم يقدم لها فى مجال التطوير أي جديد يذكر ٠

ز. إن الخندق العميق أو الحفرة البرميلية (نسبة إلى شكلها) توفر الوقاية ضد القنابل من أي وزن.

ح. إن سماء أي دولة تعتبر مفتوحة أمام الطيران الحديث فلا يمكن أن يتواجد دفاع جوى قادر على سد أجواء أي دولة من جميع الاتجاهات دون أن يكون ذلك على مستوى رفاهية الشعب وتقدمه ٠

العدو يفرض السيطرة الجوية

بانتهاء يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ انتهى تواجد وحدات الصواريخ الموجهة م٠ط بالجبهة للمرة الثانية بعد هزيمة ١٩٦٧، وبهذه النهاية بدأت الحرب الجوية التي بدأها العدو في يوليو ١٩٦٩ تأخذ طابعًا فريدًا في شكله، جديدًا في نوعه، لم تألفه مسارح القتال من قبل ٠ وقد يدعونا ذلك الشكل والنوع إلى التساؤل عن الأسباب التي أدت بإسرائيل إلى اعتناق هذا النوع من الحرب الجوية، الواقع أن هناك عدة أسباب نجملها فيما يلي :

أ- أدى نجاح إسرائيل خلال عام ١٩٦٩ في تدمير كتائب الصواريخ الموجهة م٠ط بالجبهة مرتين، وإخراجها من المعركة في دقائق محدودة أو أكثر - إلى إعطائها ثقة كبيرة في قدرة طياريها وطائراتها،وخاصة طائرات الفانتوم وسكاى هوك، التى بدأت إسرائيل تتزود بها بأعداد كبيرة من الولايات المتحدة الأمريكية والتي ينتظر وصول المزيد إليها تباعًا خلال عام ١٩٧٠ وعلى ذلك يمكن إسرائيل في ضوء وصول أعداد جديدة إليها تطوير عملياتها الجوية على جبهة القناة بكثافة كبيرة ٠

ب- استدعت معركة كتائب الصواريخ الموجهة م٠ط في الجبهة في المرة الثانية مجهودا جويًا أكبر من المرة الأولى وحمولات مضاعفة إذا قورنت بالمرة الأولى، ويكفي أن نضرب لذلك مثلا بما ألقاه العدو على إحدى كتائب الصواريخ الموجهة م٠ط إذ تم قصفها بنحو ٢٠٠ قنبلة تتراوح أعيرتها بين ٥٠٠-١٠٠٠ رطل وقد كانت خسائر الطّيران الإسرائيلي في هذه المعركة مخيبة لآمال الإسرائيليين، فلقد تضاعفت خسائرهم عن المرة الأولى إذ بلغ عدد الطائرات المدمرة ضعف ما تم تدميره في المرة الأولى، وكان ذلك راجعًا في المقام الأول إلى ما أضفته المواقع المحصنة على المعدات من وقاية يسرت لها بقاء أطول في القتال مع العدو دون أن تدمر، كما أشعرت المقاتلين بمدى الوقاية المتوفرة لديهم ضد جميع أنواع القنابل التي يستخدمها العدو، مما جعلهم يؤدون أعمالهم في أمن وطمأنينة الأمر الذي جعل القيادة الإسرائيلية تقرر عدم السماح لجمهورية مصر العربية ببناء أي مواقع صواريخ جديدة في الجبهة، وكان سلاحها في ذلك هو قواتها الجوية ٠

ج - وقوف إسرائيل على نوايا جمهورية مصر العربية فيما يختص بدعم دفاعها الجوى وذلك بشرائها أسلحة جديدة من نوع آخر أكثر تقدمًا من النواحي الفنية، والقدرة على التعامل مع الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة، مما يهدد تفوقها الجوى في المستقبل، وكان من الضروري إظهار قدرتها الجوية بما يخيب الآمال المعقودة في أي سلاح تحصل عليه جمهورية مصر العربية مستقبلا ٠ لكل ما سبق استخلص الفكر العسكري الإسرائيلي من معركة الدفاع الجوى الثانية معركة ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ أن السماح بوجود وحدات الصواريخ في الجبهة في مواقع محصنة سيستلزم

مـن الطـيران الإسرائيلي مجهودًا جويًـا أكبر وحمولات أكبر مـن القنابل مع مزيد من الخسـائر، وأن هذا المجهود سـيزداد وتزداد معه الخسـائر بوصول الأسلحة الجديدة التـي قررت مصر دعم دفاعها الجوى بها؛ لذا اتخذت إسرائيل منذ بداية عام ١٩٧٠ اسـتراتيجية جديدة، وهى فرض السـيادة الجوية على الجبهة من بورسـعيد شمالا إلى السـويس جنوبًـا، وعلى طول سـاحل خليج السـويس حتـى القصير جنوبًـا، وتبعًا لذلك بدأت أول حرب جوية من نوعها فى التاريخ الحديث •

الفصل الرابع

الحرب الجوية بين حرب الاستنزاف و معركة بناء مواقع الصواريخ

بدأت هذه الحرب الجديدة في نوعها و شكلها مع بداية عام ١٩٧٠، وكانت الأغراض الاستراتيجية التي تسعى القيادة الإسرائيلية إلى تحقيقها تتلخص فيما يلي:

١-تدمير الروح المعنوية للقوات المسلحة المصرية.

٢-إيقاف حرب الاستنزاف و إشعار مصر بعدم جدواها، نظرًا لما تسببه للكيان الإسرائيلي من إدماء بطيء.

٣-الحيلولة دون دخول أي وحدات للصواريخ م/ ط جبهة القتال.

٤-إنزال أكبر ما يمكن من الخسائر بالأفراد و المعدات.

٥-إقناع القيادة السياسية في مصر بعدم جدوى الحرب و قبول الأمر الواقع أو الاتجاه إلى حل المشكلة بالمفاوضات المباشرة، و تحقيق الاستراتيجية الإسرائيلية ألا و هى استراتيجية الاستسلام بما فيها من تنازلات عن الأرض التي تحتاج إليها إسرائيل لدواعي أمنها المزعوم.

٦-التأثير المعنوي على الجبهة الداخلية لزعزعة ثقتها في القيادة السياسية، والانطلاق من ذلك إلى مطالبتها بإنهاء الحرب و إيجاد وسيلة لإنهائها مستغلة في ذلك سوء الحالة الاقتصادية، و التيارات الاجتماعية المتضاربة في المجتمع المصري في مرحلة نموه و تطوره.

فى ضـوء تلـك الأغراض بـدأ التخطيط و التنفيـذ لأول حرب جوية مـن نوعها، و حددت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية أهدافها لتكون بالأسبقية التالية:

١ - استنزاف القوات الجوية المصرية

لقـد كانت إسرائيـل تعلم أن مصر قائمـة بإعداد قواتها الجوية مـن جديد، وأن هذا الإعداد يستلزم إعداد الطيارين الجدد، وتدريب القدامى، و شراء الطيارات، ورأت أن أفضل وسيلة لذلك هى سحب القوات الجوية المصرية إلى معارك عبارة عن كمائن جوية في مناطـق يتم اختيارها لذلك الغرض، و إجبار القوات الجوية المصرية على الدخول في معارك غير متكافئة لتدميرها بغرض تحقيق الآتى :-

(أ) إفقاد القوات المسـلحة و الشـعب الثقة في قواته الجوية و إظهارها بمظهر العاجز و عدم الجدوى في إعادة بنائها بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧.

(ب) إفقـاد الطيارين الثقة في قدرة طائراتهم على مقابلـة الطائرات الإسرائيلية و بالتالى بث الخوف في نفوسـهم عند دخولهم المعارك الجوية مما يجعلهم يفقدونها قبل بدئها أو بمجرد بدئها.

لقـد نجحت إسرائيل في هذه الحرب نجاحًا كبيرًا، و لقد سـاعد القيادة الإسرائيلية عـلى ذلـك عاملان أساسـيان أولهـما، معرفتهـا التامة بنفسـية القيـادة المصريـة و مدى إصرارهـا على عدم قبول أي اختراق جـوى لأجوائها مهما كان الثمن، أما العامل الثاني فهـو معرفتها التامة بخصائص الطائـرات المصرية و مدى قصر عملها و قلة زمن بقائها في المعركة الجوية، بعكس ما تتميز به الطائرات الإسرائيلية من مدى عمل طويل و زمن بقاء أطول في المعركة الجوية.

اختـارت إسرائيـل لذلـك المنطقة الجبلية الممتدة على خليج السـويس من السـويس جنوبًـا حتـى الزعفرانـة على خليج السـويس، و قد تحقـق لها فى هذه الحـرب الكثير إلا أنهـا لم تتمكـن من أن تنال من معنويات طيارينا برغـم الدعاية الإسرائيلية المكثفة، التى كانت تلازم هذه المعارك الجوية و التى كانت فى حقيقتها حربًا نفسـية موجهة للنيل من معنويات الشـعب المصري و القوات المسـلحة بصفة عامة، و معنويات الطيارين بصفة خاصة.

لقد كانت إسرائيل تعلم أن بناء قوة جوية مصرية من جديد إنما هو ضربة استراتيجية توجه إليها فى الصميم، توجه إلى الذراع الطويلة التي تفاخر بها العالم كله - تلك الذراع التـي مكنتهـا من النـصر السريع عـام ١٩٦٧ ؛ لـذا كان من الضروري عـدم وجود أي سلاح يعمل ضدها سواء المقاتلات أو الصواريخ الموجهة م/ ط.

لقـد كانت إسرائيل تعلم تمامًا أن مصر تعد قواتها المسـلحة لخوض معركة التحرير، و أنها قد تلقت كثيرًا من الأسـلحة من الاتحاد السـوفيتي خلال عامي ١٩٦٨، ١٩٦٩، وأنهـا ركـزت جهدهـا عـلى تدريـب قواتهـا لهـذه الحـرب، و فى ضـوء تقدير المؤسسـة العسكرية الإسرائيلية كان عام ١٩٧٠ هو العام المنتظر أن تستكمل فيه مصر قدرًا كبيرًا مـن اسـتعداداتها، مما يشـجعها على القيام بعمليـات هجومية، و ذلـك في ضوء كميات الأسـلحة التي تدفقت على كل من مصر وسـوريا، والإعداد الجارى للقوات فى الحجم و النوعية.

وفى ضوء نجاح حرب الاسـتنزاف التي تمت خلال عام ١٩٦٩ و التي تكبدت فيها إسرائيل خسـائر مادية كبيرة وضعت الخطـط لإحباط أي هجوم تقوم به الدول العربية مجتمعة أو مصر منفردة معتمدة أساسًا على القوات الإسرائيلية.

وكانـت الخطـة الإسرائيليـة العامـة لذلك الغـرض و التي أخذت الاسـم الكودى «بليد» نسبة إلى نائب قائد السلاح الجوى الإسرائيلى و قتئذ و قائده خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ تتلخص فيمايلى:

(أ) مهاجمـة مطـارات الدول العربية فى وقت واحد بأسراب الفانتوم و سـكاى هوك، وذلـك فى حالـة قيام الحرب بـين الـدول العربية وإسرائيـل، أو مهاجمـة مطارات جمهورية مصر العربية فقط فى حالة قيامها منفردة بالهجوم.

(ب) فى مراحـل الحـرب الأولى ولتحقيق أكبر حشـد من القوات الجويـة الإسرائيلية لتدمـير مطارات الـدول العربية أو مصر فقط لن تخـص أى معاونة للقوات البرية فى عملياتها، وإذا حدث ذلك فسيكون ذلك من مهمة الطائرات الفوجا ماجستر، وهذا النوع من الطائرات مخصص لتدريب الطيارين.

(ج) تخصص الطائرات الفانتوم وسكاى هوك و الفوتور فى الموجات الأولى للهجوم لقصف المطارات فى حين تتفرغ الطائرات الميراج للدفاع الجوى.

(د) تخصص الطائرات الفانتوم أساسًا فى الآتى:

١- تدمير مطارات رأس بناس و أسوان في مصر، و H3 على حدود الأردن والعراق، ومطارات سوريا البعيدة، و نظرًا لوجود دشم محصنة في جميع هذه المطارات لذا تستخدم القنابل الزمنية لتعطيل الإصلاح مع ضرب الممرات فى الثلث الأول والأخير.

٢- يتم تدمير طائراتTu16 قبل الدشم فى مطار أسوان و ذلك في حالة تواجد الطائرات فى العراء.

٣- يتم تدمير دشم الطائرات بالقنابل الزمنية مع إسقاطها على مداخل الدشم حتى تتدحرج داخل الدشم فتدمر ما بداخلها من أفراد وطائرات ومعدات، مع العمل علي تدمير مداخل الدشم مما يؤدى إلى عدم صلاحياتها.

٤- يجب على الطائرات عدم الدخول في معارك جوية أثناء الاقتراب لأغراضها المحددة لها وخاصة في العمق الاستراتيجي حيث يتعذر تقديم أى معاونة جوية لها.

٥- تخص قوة الطائرات الميراج للدفاع الجوى عن إسرائيل ثم يتم تدعيمها بعد ذلك بالطائرات الفانتوم.

كانت هذه الخطة موضوعة و موزعة على أسراب القوات الجوية الإسرائيلية، و كانت الأسراب منذرة لتنفيذها بعد ٢٤ ساعة من إصدار الأوامر لها كما أن تطويرها و إجراء التعديل عليها كان يتم من وقت إلى لآخر وفقًا لأوضاع القوات العربية أولا،و وفقًا للنمو المضطرد في القوات الجوية الإسرائيلية ثانيًا، ولقد تحفظت الخطة على توقيت بدء القتال فحددت أنه في حالة نشوب الحرب ليلًا تؤجل ضربة الإحباط الجوية إلى أول ضوء اليوم التالى فى حين تنفذ بعض الطلعات الجوية لأهدافها ليلًا على ألا تتخذ جبهة القتال طريقًا لاقترابها.

ب- منع بناء قواعد الصواريخ الموجهة أرض جو

لقد كانت إسرائيل تعلم كما سبق أن ذكرت مدى ما توفر هذه المواقع من وقاية للأفراد و المعدات،و لم تكن إسرائيل في تخطيطها لمنع إقامة هذه المواقع تبغى تعريض المعدات لهجمات قواتها الجوية وبالتالى سهولة تدميرها بقدر ما كانت تهدف إلى تعريض الأفراد الذين يعملون على المعدات لهذه الهجمات حتى يمكن إنزال أكبر خسائر بهم، و هى تعلم مقدمًا مدى أهمية أفراد وحدات الصواريخ نتيجة للجهد و والوقت الذى يتطلبه إعداد مثل هؤلاء الرجال كما يجعل أمر استعواضهم صعبًا للغاية بعكس المعدات التي يمكن استعواضها بسهولة.

لقد أخذ السلاح الجوى الإسرائيلي على عاتقه هذه المهمة، فكان يعمل دوريًا على استطلاع الجبهة لتحديد مواقع الصواريخ الجاري إنشاؤها و بمجرد تأكده من بدء العمل فى إنشاء المواقع فإنه يبدأ على الفور في صب جام غضبه عليها.

لقد استخدم العدو أكثر من أسلوب لضرب المواقع الجاري إنشاؤها لقد بدأ أولًا فى ضربها عند بدء الإنشاء أي بمجرد إتمام أعمال الحفر و تكديس مواد البناء، ولما وجد أن هذا الأسلوب لا يوقف العمل و إنما يعوقه فقط لجأ إلى أسلوب أكثر دهاءً وخبثًا إذ كان يترك الموقع حتى يتم بدء تجهيزها لصب القواعد الخرسانية ثم يبدأ العدو فى مهاجمتها واتبع فى ذلك أسلوب قصفها بالنابالم أولا و بالقنابل ثانيًا ليلًا ونهارًا، و لا شك أن هذا الأسلوب كان كافيًا لتدمير المواقع، لما يسببه من إشعال للدعائم الخشبية المقامة.

لقد كان هذا الأسلوب كافيًا لإيقاف العمل فى مواقع الصواريخ خلال الأشهر الأولى من سنة ١٩٧٠، بل صرف النظر عن إقامتها نهائيًا وذلك للأسباب التالية:-

(١) كثرة الخسائر المادية فى مواد و معدات البناء و البلاد في أمس الحاجة إليها.

(٢) كثرة الخسائر في العمال القائمين بعملية الإنشاء مما أدى إلى بث الرعب و الخوف في أوساطهم، و جعل عددًا كبيرًا منهم يترك العمل، و لقد لاحت بوادر نجاح العدو في هذا الاتجاه إلا أن الوطنية المصرية و الإيمان بحق مصر فى تحرير أراضيها جعل الجميع لا يبالون بالخسائر، بل أدى ذلك إلى استمرار العمل ليلًا و نهارًا تحت ضغط العدو الجوى لإتمام المواقع المطلوبة، إلا أن العدو زاد من ضغطه الجوى بأسلوب لم

يسبق له مثيل مما جعل العمل يتوقف نهائيًا في إنشاء المواقع. وسنعود إلى ذلك فيما بعد.

ج-الإرهاق المعنوي والمادى للقوات :

لقد قاسى العدو من معارك الاستنزاف خلال عام ١٩٦٩ الكثير، فلقد تكبدَّ العدو خسائر كبيرة فى معداته وأفراده، كما أن عمليات العبور المختلفة التي تمت بوحدات فرعية أدت إلى زعزعة الروح المعنوية للعدو، وبث الثقة في قواتنا على مقاتلة العدو، ورفع روحها المعنوية، بل رفع الروح المعنوية للجبهة الداخلية التي كانت تعتبر عمليات العبور الناجحة بمثابة بشائر على الطريق لتحرير سيناء و طرد العدو، و لقد عرف العدو تأثير عمليات العبور الناجحة والمحدودة على قواته وقواتنا بوجه خاص و على الجبهة الداخلية بوجه عام، فأراد أن يضع حدًا لتلك العمليات، فشن حربًا جوية تعتبر الأولى من نوعها فى تاريخ الحروب الجوية منذ ظهرت الطائرات لأول مرة، حربًا لم يشهدها مسرح قتال حتى الآن سوى مسرح قتالنا في قناة السويس، غارات كثيفة من الطائرات يومياً تراوحت قوتها ما بين ٧٠-١٠٠ طلعة طائرة فى اليوم خلال أشهر يناير و فبراير و مارس ١٩٧٠. ثم قفزت إلى مابين ١٥٠ - ٣٠٠ طلعة طائرة في اليوم خلال أشهر أبريل و مايو ويونيو من نفس العام، هجمات تبدأ من الساعة ٦,٣٠ و تنتهى قبل الغروب أو تستمر إلى منتصف الليل أو تستمر إلى صباح اليوم الثانى، حربًا من نوع جديد أقل ما توصف به أنها حرب عربدة وتشنج عضلات.

لقد وجه العدو هجماته إلى أغراض متعددة بجبهة القتال إلى القوات لإلحاق خسائر بها و هدم معنوياتها، و إلى وحدات مدفعية الميدان لإنزال خسائر بها و إيقافها عن عمليات القصف الذي تقوم به على مواقعه إلى مواقع الصواريخ الجاري إنشاؤها لإيقاف العمل فيها هذا إلى جانب عمليات الثأر التي كان يشنها ضد القطاعات التي يتم فيها عمليات العبور، و لم تكن الهجمات الجوية التي يقوم بها العدو على الأغراض السالفة تتم بطريقة عشوائية، و إنما كانت تتم بأسلوب علمي مخطط له تمامًا، أسلوب يهدف فى النهاية إلى النيل من عزيمة و ثقة و معنويات المقاتل المصري، أسلوب جديد من الحرب النفسية، هو الحرب النفسية الساخنة التي تعمل بجوار الحرب النفسية الموجهة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

فـإزاء مواقـع الصواريخ و منع أي تقدم في إنشـائها كانت هجمات العدو تتم عليها مجزأة من الصباح حتى غروب الشـمس، بل ليلًا على أضواء المشـاعل، واتباع مثل هذا الأسـلوب كان كافيًـا لأن يضمـن للعـدو عدم تنفيـذ أي أعمال في مواقـع الصواريخ، فجميعهـا عرضـة للقصف في أى وقت بالإضافة إلى ذلك كان العدو حريصًا على عدم استنفاد مـا لديه من قنابل، و ذلـك فى حالة تكرار قصفه لبعـض المواقع دون داع؛ لذا اتبـع أسـلوبًا أمثل في ذلـك، إذ كان يحدد عـددًا معينًا من المواقع لهجـمات الصباح على مستوى الجبهة كلها، على أن يستكمل باقي المواقع أو معظمها فى هجمات بعد الظهر، و بهذا الأسلوب يضمن العدو مراقبته لعمليات الإنشاء بصفة دائمة، ويثير الخوف لدى القائمين بالإنشـاء من محاولة العمل، هذا بجانب اسـتخدامه القنابل الزمنية التي كان يلقيها بكميات كبيرة لمنع اسـتمرار العمل بالمواقع، و إلحاق أكبر ما يمكن من الخسـائر بالأفـراد القائمـين بالعمـل فيهـا، تلك القنابـل التي كانـت تنفجر على فـترات مختلفة تتراوح بين نصف سـاعة وسـبعة أيام حسـب الربـط الزمني الموجـود عليها، مما يجعل دخـول المواقع أمرًا مسـتبعدًا خوفًا من الخسـائر التي تنجم من انفجـار القنابل الزمنية بين فترة و أخرى.

لقد كان العدو يعلـم مقدمًا عن طريق مخابراته مدى الأهمية و الجهد الذي تبذله الدولة على جميع المستويات لإنجاز هذه المواقع، كما كان يعلـم مدى المعونة التي تقدمها القوات المسـلحة ممثلة في الجيشـين الميدانين في تقديـم أنواع المعونة للشركات القائمة بالإنشـاء لقـد كان العدو يهدف إلي إشـعارنا بعـدم جدوى محاولاتنا القائمة والجادة لإنشـاء هذه المواقع، لقد كان يريد أن يجعلنا نعتقد باسـتحالة التنفيذ في ضوء تلك العربدة الجوية، و فعلا بدأ يدب الإحساس في الأوساط العسكرية بصعوبة تنفيذ عملية إقامة هذه المواقع تحـت وطـأة هذا القصف الجوى. و بدأت الخسـائر في العاملين بالمواقـع تزداد يومًا بعد يـوم إلى أن وصل الإحسـاس لدرجـة اليقين. غير أن عزيمة الإنسـان المصري و قدراته لم تستسـلم لذلك، و فكرت في وجود أسـلوب آخر يمكن اسـتخدامه، وفعلًا توصلت لأكثر من أسـلوب تم اسـتخدامها خلال مرحلة إدخال الصواريخ إلى الجبهة، و خلال معركة التحرير في رمضان ١٣٩٣ / أكتوبر ١٩٧٣.

أما أسلوب الثأر الذي اتبعه العدو ضد القوات التي كانت تقوم بعمليات العبور المحدودة على مواقع العدو في خط بارليف إما بقصد الحصول على معلومات عن قوة العدو وتجهيزه الهندسي أو بقصد الحصول على أسرى منه، فكان يصب عليها جام غضبه في اليوم التالى و لأجل أن تعرف معنى عربدته الجوية يكفى أن نقول إن المنطقة التي تحتاج إلى عدد ما من القنابل زنة ٥٠٠ رطل مثلا كان يقذفها العدو بأربعة أضعاف هذا العدد من نفس الوزن على الأقل، و على فترات زمنية طويلة، حتى يضع أفراد الموقع تحت الإرهاق العصبي و النفسي أطول مدة ممكنة ليجعلهم لا يفكرون في القيام بأي عمليات عبور مستقبلا و إلا سيكون جزاؤهم من نفس ما رأوه أو أكثر. تحية لهؤلاء الأبطال الذين لم تلن لهم قناة و لم تهزم معنوياتهم برغم ما وجهه العدو لهم من هجمات متتالية كانت تظل مستمرة لعدة أيام.

كانت النتيجة الطبيعية للحرب الجوية كما سبق أن وصفتها ما يلي :-

أ- إنزال خسائر كبيرة بالقوات الجوية، وذلك راجع إلى ذكاء العدو في تحديده منطقة القتال الجوى، وأسلوب القتال الذي تدرب عليه و حذقه، وقد أدى فرط الثقة لدى القيادة المصرية إلى الاستمرار في قتال العدو بهذا الأسلوب برغم الخسائر اليومية.

ب- التوقف في بناء مواقع الصواريخ نهائيًا نهارًا وليلا و ذلك في عدد ١٦ موقعًا محصنًا كان مقررًا إقامتها و لم يتيسر سوى إقامة ٣ مواقع حتى ١/ ٤/ ١٩٧٠ بجانب إصلاح ٣ مواقع سبق إقامتها من التدمير الذي أصابها في ديسمبر ١٩٦٩، أما باقي المواقع فكانت نسبة العمل فيها تتراوح بين ١٥٪ و ٦٠٪.

ج- إنزال خسائر مادية و بشرية بالقوات الموجودة في جبهة القتال.

د- إرغام القوات على البقاء داخل الخنادق أطول مدة ممكنة مما أدى إلى إرهاقها و إصابتها بما يسمى مرض الخنادق، و بالتالى جعل اليأس يتطرق إلى النفوس.

كانت نتائج الحرب الجوية خلال الفترة من أول يناير ١٩٧٠ إلى نهاية مارس ١٩٧٠ سببًا في التفكير جديًا في ضرورة تواجد أسلوب لوقاية القوات من هجمات العدو الجوية إذ أن تزايد الخسائر في الأفراد يومًا بعد يوم أصبح أمرًا لا يمكن السكوت عليه، نظرًا

لما فيه من آثار سيئة على إعداد القوات معنويًا بالإضافة إلى استحالة إتمام المهام التدريبية للقـوات حتى يكتمل إعدادها للمعركة الفاصلة لتحرير الأرض مما سيؤدى في النهاية إلى تأخير هذه المعركة إلى أمد بعيد.

و فى ضـوء هـذه الاعتبـارات و في ضوء ما كان لـدى القوات من وحـدات مدفعية مضـادة للطائرات وعدم قدراتها على توفير الوقايـة المطلوبة للقوات إما لصغر حجمها أو لعـدم ملاءمتهـا للقتـال مع الطائـرات الحديثة، وبرغـم توقف العمـل فى بناء مواقع الصواريـخ تمامًـا. أخذت التقاريـر طريقها للوصول إلى الحل المناسـب، و لم يكن هناك حل أمثل سـوى إدخال عدد محدود من الصواريخ إلى جبهة القتال، على أن يتم ذلك فى أقرب وقت بعدما يتم إعداد هذه الوحدات للقتال إعدادًا جيدًا فى الخلف. فلو أضفنا إلى ذلك ما لاح في الأفق و ما تردد في المحافل الدولية من احتمال قيام أمريكا بتقديم مبادرة جديدة للسلام في منطقة الشرق الأوسط تنهى حالة الحرب و تعيد الأرض إلى أصحابها تلك المبادرة التي عرفت فيها بعد باسم (مبادرة روجرز) نسبة إلى مقدمها وزير خارجية الولايـات المتحـدة وقتئذ، و الواضح لنـا بجلاء مدى اهتمام القيادة السياسـية وقتئذ، و بالتالى القيادات العسـكرية على مختلف مستوياتها بضرورة إدخال كتائب الصواريخ إلى جبهة القتال مع اسـتمرار العمل في تجهيز المواقع المحصنة، التي تقرر إقامتها و لو جزئيًا وفقًا لظروف الموقف الجوى السائد. لكن ما العلاقة بين مبادرة روجرز والاستمرار في تجهيز مواقع الصواريخ المحصنة.

لقـد أيقنت القيادة السياسـية في مصر في ضوء التحرك السـياسي لأمريكا أن الدافع وراء الحـرب الجويـة الإسرائيليـة التي ألقـت فيها إسرائيـل بمئـات آلاف الأطنان من المـواد المتفجـرة هو الوصـول في النهاية بعد تحقيـق الأغراض التي سـبق توضيحها إلى جعـل إسرائيـل في موقـف القـوة في أى مفاوضـات أو محادثات للسـلام، ممـا يحقق لها فرص التسوية التي ترغبها على الدول العربية المجاورة، و نظرًا لأن الوسائل العسكرية و الوسـائل السياسـية أداتان تعملان معًا بتنسـيق تـام في الصراع المسـلح، رأت القيادة السياسية في مصر أن تضيع على إسرائيل ما تبغيه؛ ولذا أمرت بالاستمرار في بناء قواعد الصواريخ حتى يمكن دخول هذه الوحدات لمقاتلة العدو الذى لن يسمح بوجودها.

ونظـرًا لقرب تقديم المبـادرة الأمريكية و في ضوء الغرض الذى تهدف إليه إسرائيل تقرر دخول وحدات الصواريخ - الفرقة الثامنة د / جو - في منتصف شهر مايو ١٩٧٠ و تقـرر تبعًـا لذلك الإسراع في بناء قواعد الصواريخ، و اسـتمرار العمل فيها ليل نهار، مـع ضرورة توفير الوقاية للعاملين فيها ضد هجمات الطائرات الإسرائيلية حتى يمكن إنجاز العمل المطلوب قبل الموعد المحدد لدخول الصواريخ للجبهة.

لقد وصلت وحدات الصواريخ الروسـية في مارس ١٩٧٠، و بدأ احتلالها لبعض المواقع في العمق لتوفير الوقاية للأغراض الموجودة فى العمق الاستراتيجي، وإلى إمكان الاستغناء عن وحدات المدفعية م/ ط الموجودة فى العمق، و إرسالها للجبهة، و فعلًا تم خـلال النصـف الثاني من أبريل حشـد أكبر قدر من المدفعيـة م / ط من مختلف الأعيرة ١٠٠ مـم، ٨٥ مـم، ٥٧ مـم، ٣٧ مـم و الحقيقة أنه تم حشـد كل ما هو تيـسر لدينا من المدفعيـة م / ط فى جبهـة القتال عدا القليل الذى اسـتمر فى مهمة الدفاع عن الأغراض الحيويـة ذات الأهميـة الكبرى كالسـدود و القناطر، ولقد تم حشـد مـا يقرب من ألف مدفـع مـن مختلف الأعيرة وهـذا العدد تواجد عـلى المواجهة الممتدة من القنطرة شـمالًا حتى السويس جنوبًا.

لقـد اكتمـل هذا الحشـد الهائل مـن المدفعيات قبـل ٥ أبريل ١٩٧٠، وبـدأ معاركه اليوميـة مع العدو، و لكم كانت الدهشـة بادية على وجـه رجال المدفعية م/ ط وخاصة قادتهم من قلة أو ندرة الخسائر التى يحدثونها بالعدو و تساءلوا هل ذلك راجع إلى نقص فى الكفاءة الفنية للمعدات أو إلى نقص التدريب أو هو مزيج بين الاثنين أو أن طائرات العدو لديها من الإمكانات ما يفوق قدرات هذه الأسلحة ؟.

الواقـع كما سـبق أن أوضحـت أن المدفعية م/ ط قـادرة على التعامل مـع الطائرات التـى تطـير على سرعة و ارتفـاع و اتجاه ثابت، أمـا الطائرات التى تقـوم بالمناورة الحادة للإفـلات مـن النـيران أو الغطـس الحاد على الأغـراض المطلـوب مهاجمتهـا كالفانتوم وسـكاى هوك فالمدفعيـة م/ ط تقف أمامها عاجـزة، و لقد كان من المتعـارف عليه من خبرة الحرب العالمية الثانية أن ٤٠٠ طلقة من المدفعية م/ ط المتوسطة، و ٧٠٠طلقة من

المدفعية م/ ط الخفيفة كفيلة بإسقاط طائرة، لقد كان هذا القول أو الافتراض صحيحًا مع الطائرات التى استخدمت فى الحرب العالمية الثانية، أما فى معركتنا هذه فلقد كان الأمر على العكس بل كان مثيرًا للغاية، فلقد قامت إحدى الوحدات بضرب ٢٠٠٠ طلقة مدفعية من المدفعية المتوسطة، ولم تتمكن من إسقاط طائرة واحدة من نحو ٣٢ طائرة قامت بالهجوم عليها.

لقد قمنا بتحليل هذا العمل، واستعرضنا جميع العوامل المؤثرة، ووجدنا أن أوجه القصور كثيرة، و لكن برغم وجودها فإن عدد ما أطلق من قذائف كان كفيلًا بأن يهديه ولو طائرة واحدة تكون عوضًا له عما أطلق من ذخيرة.

إن قدرات طائرات العدو وخبرة طياريه ليست هى السبب فى إنجاح عمليات العدو الجوى ضد المدفعية م / ط ولكن الأثر النفسي الذي تركته حرب ١٩٦٧ فى نفسية المقاتلين كانت هى الأخرى عاملًا آخر، بل عاملًا مهمًا مما أدى إلى عدم نجاح المدفعية م / ط فى مواجهة الطيران الإسرائيلي.

لقد تحقق لى من خلال المعارك التى دارت بين وحدات المدفعية م / ط والطيران الإسرائيلى وقتئذ أن عصر المدفعية م / ط قد انتهى، وولًى إلى غير رجعة وليس فى ذلك غرابة، فالتطوير العلمى و التكنولوجيا لم يقدما فى هذا الميدان جديدًا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. لقد اتجه التفكير جديا تجاه الصواريخ الموجهة م / ط فظلت المدفعية م/ ط على ما هى عليه كما كانت فى حين قفز التطور العلمى بصناعة الطائرات قفزات واسعة أوصلتنا إلى ما نحن فيه و ندركه يومًا بعد يوم من تطور فى السرعات، وصل إلى ثلاثة أمثال سرعة الصوت، وإلى قدرات عالية على المناورة.

أدى فشل المدفعية م / ط بأعدادها الهائلة فى إيقاف هجمات العدو الجوية أو منعه من قصف مواقع الصواريخ م / ط الجارى تجهيزها إلى توقف العمل فى بناء مواقع الصواريخ أو إتمامه ببطء ملحوظ، ولم تفلح الجهود التى بذلت مثل تقديم المعاونة المادية بالأفراد أو المعدات إلى الشركات القائمة بالبناء فى دفع عجلة العمل إلى الأمام، ولاح فى الأفق الفشل تمامًا فى بناء المواقع المحصنة. وانهارت تبعا لذلك الآمال التى كانت معقودة على

إنهائهـا، إلا أنه نظرًا لأهمية دخول وحدات الصواريـخ م/ ط فى ضوء الاعتبارات التى ذكرتهـا ـــ وخاصة المبـادرة الأمريكية ــ استلزم الموقف ضرورة التفكير فى استخدام أسـلوب آخـر لإدخال الصواريـخ إلى الجبهة. وكان الحل الذى أمكـن التوصل إليه هو إنشـاء عدة مواقع ميدانية، ونظرًا للوقت القصير المتيسر فقد شاركت جميع التشكيلات الميدانية بجهود خارقة فى سـبيل إنشـاء هذه المواقع، غـير أن مواقع وحدات الصواريخ مـن ذلـك النوع الذى لا يمكـن إخفاؤه، فمعـدات الإطلاق للصواريخ ــ أى وسـيلة إطـلاق الصاروخ ــ لها شـكل خاص، وتحتاج إلى تجهيز هندسـى خـاص، مما يجعل من الصعـب إخفاء الموقع، ولما كان طيران العدو يمتلك السـيادة الجوية على السـماء غرب القناة فقد تمكن بوسائل استطلاعه من تحديد هذه المواقع، وبدأ فى قصفها هى الأخرى، إلا أنـه نظرًا لأنها مواقع ميدانية فكانت خسـائرها محدودة أولًا ومن السـهل إصلاحها ثانيًا.

و فى ضوء قرار القيادة السياسـية الذى سـبق ذكره تحددت ليـالى١٣، ١٤، ١٥ مايو ١٩٧٠ لدخـول وحـدات الفرقة الثامنة دفاع جوى إلى جبهـة القنال، و بدأ الإعداد يتم عـلى كل المسـتويات لذلـك و فى سرية تامـة، إلا أن هـذا التاريخ لاشـك في أنه تسرب إلى العـدو، والدليـل على ذلـك التغيير المفاجئ فى قتـال العدو الجوى حجـمًا و أغراضًا خـلال هذيـن اليومين فقـط، ومن واقع مذكراتي المدونة كان نشـاط العـدو الجوى على جبهـة القتال محـدودًا يتراوح بين ٦٠ ـ١٠٠ طلعة/ طائـرة في اليوم و ذلك فى الفترة من ٨ مايو إلى ١١ مايو ١٩٧٠ ثم قل خلال يوم ١٢ مايو فوصل إلى ٦٠ طلعة طائرة إلا أنه فى هذا اليوم قام بطلعة استطلاع بعمق ٢٠ كم غرب القناة على ارتفاع ١٤ كم، وكانت هـذه الطلعة تيسر للعد و تحديد الأغـراض بوضوح وإلى عمق كبير من الجبهة المصرية، وكان الغرض معرفة ما يدور فى عمق الجبهة المصرية،وخاصة مواقع الصواريخ الجارى تجهيزها فى الخلف.

وفى ضـوء المعلومـات التـى تسربت للعـدو عن دخـول الصواريخ للجبهـة- فلقد شـهدت الجبهة أيـام ١٣، ١٤، ١٥ مايـو ١٩٧٠ هجمات جوية مركزة استمرت يومى ١٤، ١٥ مايو لمدة ٢٤ ساعة إذ قام العدو خلال يوم ١٣ مايو بعدة هجمات مركزة بلغت

خلال اليوم ١٥٠ طلعة / طائرة، وركز العدو خلال هذا اليوم هجومه أساسا على وحدات المدفعية م / ط، مركزًا مجهوده الجوى على وحدات المدفعية م / ط فى الجيش الثانى الميدانى. وفى اليوم الثانى يوم ١٤ مايو وجه العدو هجمات مركزة بلغت فى قوتها ٢٠٠ طلعة / طائرة، ووجهها أساسًا ضد مواقع الصواريخ المحصنة والميدانية، وإلى وحدات المدفعية م / ط القائمة بحماية العمل الجارى فى هذه المواقع، وركز مجهوده الجوى خلال هذا اليوم على قطاع الجيش الثالث الميداني. وفى اليوم التالى يوم ١٥ مايو وجه العدو هجمات مركزة بلغت فى قوتها ١٦٠ طلعة / طائرة لنفس الأغراض التى سبق ذكرها.

غير أن ما يلفت النظر هو أن العدو خلال الليل اتخذ من نشاطه وسيلة لضرب العربات المتحركة على الطرق، وذلك بغرض منع التحركات، وهو عمل لم يسبق له مثيل من قبل فى جبهة القتال منذ بدأ نشاطه الجوى، لقد خص العدو جزءًا من مجهوده الجوى للعمل فى هيئة دوريات قنص لاقتناص أى عربات متحركة ليلا، وذلك بقصفها بالصواريخ جو أرض متخذًا من أنوار العربات المتحركة هدفا للتنشين عليها، وقد نجح العدو فى ذلك نجاحًا كبيرًا، فلقد أدى نشاطه الليلي هذا ونجاحه فى تدمير العربات المتحركة ليلا إلى إجبار العربات المتحركة على التحرك بدون أنوار، مما أدى إلى توقف التحركات فى جبهة القتال.

لقد كان العدو يسعى من وراء ضرباته المركزة خلال أيام ١٣، ١٤، ١٥ مايو ١٩٧٠ إلى ما يلى :

أ - إيقاف العمل فى جميع أنواع الإنشاءات فى مواقع الصواريخ، سواء المحصنة منها أو الميدانية الجارى تجهيزها.

ب - إنزال خسائر كبيرة بوحدات المدفعية م \ ط القائمة بوقاية مواقع الصواريخ الجارى إنشاؤها أو تلك القائمة بوقاية القوات فى الجيوش الميدانية حتى يحرم وحدات الصواريخ عند دخولها إلى جبهة القتال من معاونتها فى توفير الدفاع المباشر عنها.

لقد استخدم العدو فى هجومه على وحدات المدفعية م \ ط أساليب لم تكن جديدة علينا، ولكنها رغم كبر حجمها فإن النتائج التى حققتها من تدمير لطائرات العدو لم تكن مرضية، ولم يكن النقص راجعًا إلى الرجال الذين يعملون عليها بقد ما هو راجع فى المقام الأول إلى تخلف نوعياتها عن ملاحقة التطور كما سبق توضيحه من قبل.

لقد قاومت وحدات المدفعية م \ ط برجالها الأشداء غارات العدو بكل ما أوتيت من عزم ورباطة جأش، وتكبدت خسائر كبيرة نسبيًا فى المعدات والأفراد، واستمرت تؤدى واجبها برغم تلك الظروف غير عابئة بما ألحقه بها العدو من خسائر، ظن هو من ناحيته أنها ستؤدى إلى تثبيط عزيمتهم حتى يدين له جو جبهة القتال.

لقد ظهر بوضوح للقيادة السياسية أن الدخولَ بتجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى والذى تحدد بعدد ١٣ كتيبة صواريخ موجهة م / ط سام ٢ معدل، سام ٣ فى ضوء ما قام بع العدو فى منتصف شهر مايو ١٩٧٠ من نشاط مكثف لن يكتب له البقاء طويلا فى ضوء قوة العدو الجوية، وإمكانيات طياريه للأسباب التالية :

أ - المواقع المحصنة التى توفر الوقاية للمعدات والأفراد لم ينته إنشاؤها بالإضافة إلى قيام العدو بقصفها بالقنابل والنابالم يوميا إما لتدميرها أو لمنع العمل فيها.

ب - تواجد وحدات الصواريخ فى مواقع ميدانية فى الأمام سيؤدى إلى كثرة الخسائر فى المعدات والأفراد، وكلاهما فى ذلك الوقت لا يوجد منه ما ييسر استعواض هذه الخسائر؛ لذا تقرر تواجد تجميع الصواريخ فى مواقع ميدانية تحت ستر تجميع صواريخ القاهرة وبإمكاناته، ودرجة صموده يتحرك للأمام فى مواجهة العدو، ولم يتحدد بعد تاريخ لتنفيذ ذلك.

استمرت وحدات الصواريخ المقرر دخولها إلى الجبهة فى القاهرة تزيد وتصقل من تدريبها، و تعمل على رفع كفاءة معداتها بجد و نشاط، واستمر العدو فى حربه الجوية بشدة تزداد أحياناً لدرجة العربدة و تقل أحيانًا عندما يحل الإرهاق بالطيارين، وتتراوح طلعاته اليومية ما بين ١٥٠ طلعة / طائرة إلى ٣٠٠ طلعة / طائرة، ومنذ ذلك التاريخ بدأ العدو يركز قصفه الجوى على مدينة بورسعيد و المنطقة شمال القنطرة و المعروفة باسم

جسر الحرش، كما استمر نشاطه الليلي لمراقبة التحركات على الطرق وضرب العربات المتحركة. إلى أن جاء الموعد الذى تقرر فيه دخول تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى إلى الجبهة، وكان مكونًا من ١٣ كتيبة صواريخ من طراز سام ٢ معدل، و ٣ كتيبة صواريخ سام ٣ مشكلة فى لواءين فقط لا غير.

كان دخول هذا التجمع بداية إلى نهاية الحرب الجوية التى توقفت يوم ٧ أغسطس ١٩٧٠ بقبول وقف إطلاق النار و قبول كل من جمهورية مصر العربية و إسرائيل للمبادرة الأمريكية و بداية إلى بداية أخرى بالنسبة لميزان القوى فى جبهة القتال، و بداية جديدة لإقامة حائط الصواريخ الذى تمكن فى أكتوبر ١٩٧٣ من تدمير القوة الجوية الإسرائيلية.

معارك المدفعية المضادة للطائرات خلال حرب الاستنزاف:

قد يكون من غير المناسب أن أترك المدفعية المضادة للطائرات دون أن أبرز دورها الكبيرة الذى أدته فى معارك الاستنزاف كنوع من الوفاء لهؤلاء الرجال الذين عملوا عليها، وضحوا بالكثير من الدماء أثناء قتالهم مع السلاح الجوى الإسرائيلي. فكما سبق أن ذكرت لقد خلت جبهة القتال من الصواريخ المواجهة أرض / جو يوم ٢٤ يوليو ١٩٦٩، و بدأت وحدات المدفعية المضادة للطائرات منذ ذلك الوقت تعتبر المسئولة عن توفير الوقاية للقوات و الأغراض فى جبهة القتال من بورسعيد شمالاً إلى السويس جنوبًا. و إزاء انفرادها بمهمة الوقاية كان عليها أن تقاتل يوميًا الطائرات الإسرائيلية، و أن تتصدى لها، وأن تعمل جاهدة على تدميرها.

دخلت المدفعية المضادة للطائرات هذه المعارك اليومية وهى موجودةعلى مستوى الوحدات المقاتلة كلها من الكتيبة المشاة إلى الجيش الميداني، وكما سبق أن ذكرت متعددة الأعيرة من الرشاش ٧ , ١٢ مم إلى المدفع ١٠٠ مم، وكلها نوعيات مختلفة إذا قيست بمدى التقدم الذي وصلت إليه الطائرات الحديثة. وكان عليها رغم ذلك أن تتصدى للعدو وتقاتل.

لقد ظهر لمقاتلي المدفعية المضادة للطائرات منذ بدء قتالهم مع الطائرات الإسرائيلية في معارك الاستنزاف الأولى، والتي استمرت من يوليو ١٩٦٩ إلى ديسمبر ١٩٦٩ أنهم

قادرون على منع العدو من إلحاق أى خسائر بالقوات أو الأغراض التي يدافعون عنها، مع تدمير نسبة ضئيلة من الطائرات، خاصة المستير والسوبر مستير والأورجان، مع عجز واضح في تدمير الطائرات الميراج، نظرًا لما لها من قدرة عالية على المناورة، إلا أن العدو فطن لكثير من النقائص الموجودة في الأسلحة، وأهمها مشكلة سخونة مواسير المدافع، مما يؤدي إلى عدم قدرتها على الاستمرار في الضرب، وبدأ يعمل في هجومه على الخداع بالمناورة لاستهلاك الذخائر من ناحية والوصول بالمدافع إلى مرحلة توقف النيران أو قلتها، ثم يبدأ في مهاجمة أغراضه. لقد حقق له هذا الأسلوب نجاحًا إلى حد ما، إلا أن الخسائر كانت محدودة نظرًا لضعف مستوى طياريه.

أدى وصول الطائرات الأمريكية في أوائل عام ١٩٧٠ من أنواع فانتوم وسكاي هوك إلى تعقد الموقف أمام المدفعية المضادة للطائرات. إذا وقفت جميع الأنواع عاجزة تمامًا، أمام هذه الأنواع الحديثة، وباتت معنويات رجال المدفعية للطائرات تتأثر، من نجاح العدو باستخدام هذه الطائرات الحديثة، وإزاء ذلك النجاح بدأ رجال المدفعية المضادة للطائرات يعملون على تطوير أسلوب الاشتباك مع هذه النوعيات، وأصبحت بعض الأساليب القديمة بما أدخل عليها من تعديلات ملائمة لتدمير العدو. لقد استخدمت الغلالات الخطية بعد تعديلها وفقًا لأسلوب هجوم العدو وزاوية الغطس، وتمكنت الوحدات بهذا الاسلوب من توفير الوقاية لمواقع المدفعية م/ ط، تلك المواقع التي أصبحت هدفًا رئيسيًا لهجوم العدو الجوي. كما تمكن رجال المدفعية بتطوير أساليب إدارة النيران من التغلب على مشكلة سخونة المدافع وإمكان الاستمرار في فتح النيران على العدو، مما أذهل العدو وأدى إلى فشل هجماته الواحدة تلو الأخرى واليوم بعد الآخر.

لقد نجح العدو في الأماكن التي كان الدفاع عنها ضعيفًا أو محدودًا – ففي منطقة جسر الحرش والذي لايزيد عرضه عن ٢٠٠متر ويقع بين القناة وبحيرة المنزلة ويسيطر على طريق الإسماعيلية بورسعيد، كان نجاح العدو ضعيفًا برغم قلة المدفعية م/ ط القائمة بالدفاع والتي كانت عبارة عن بعض الرشاشات والمدفعية الخفيفة المضادة للطائرات، والتي لا تزيد في جملتها عن ١٠ قطع، ورغم هذا الضعف الظاهر ورغم ما صبه عليها

صبه عليها العدو من قنابل من مختلف الأوزان بصفة دائمة يوميًا، فلم تتزحزح النقطة القوية في جسر الحرش شبرًا واحدًا، ولم تهتز عزيمة رجالها - تحية لهؤلاء الأبطال، كذلك في منطقة بورتوفيق كان نجاح العدو محدودًا، ولم يجد أمامه من مفر من ترك الأغراض والمواقع العسكرية ليصب قنابله على مدينة بورتوفيق بعيدًا عن نيران المدفعية المضادة للطائرات التي كانت نيرانها لا تصل إلى منطقة بورتوفيق إلا بالكاد، نظرًا لاستخدام العدو للارتفاعات العالية في قصف المدينة.

لن ينسى التاريخ معارك المدفعية المضادة للطائرات أيام ١٣، ١٤، ١٥ مايو ١٩٧٠، تلك الأيام التي تحددت لدخول تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوي للجبهة ذلك التوقيت الذي نمى إلى العدو، فصب جام غضبه خلال هذه الأيام على وحدات المدفعية المضادة للطائرات التي كانت قد اتخذت أوضاعها لتوفير الوقاية للمواقع الجاري إنشاؤها ولتجميع الصواريخ عند دخوله للجبهة. لاشك أن هذه الأيام لن ينساها رجال المدفعية المضادة للطائرات فبرغم ماكان فيها من ألم ومرارة، فإنها كانت نورًا وأملا على طريق النصر، وطريق النصر ليس بالأمر الهين وإنما هو طريق طويل صعب لا يمكن اجتيازه والوصول إليه إلا بالعرق والدم.

لقد صمدت مدينتا بورسعيد والسويس لهجمات هوجاء قام بها العدو عليهما، ولم يكن غرضه من هذه الهجمات سوى تدمير وحدات المدفعية المضادة للطائرات القائمة بالدفاع عن هذه المدن. لقد قاست كلتا المدينتين الكثير من عربدة العدو الجوية، وبالأخص مدينة السويس، التي كان يلقي العدو عليها قنابله جزافًا دون تمييز بين أغراضه ساعده في ذلك صعوبة تحقيق دفاع متكامل عن السويس، نظرًا لوضعها الجغرافي بالنسبة لخليج السويس وجبل عتاقة. أما بورسعيد فعلى النقيض أمكن توفير دفاع قوي حولها؛ ولذا وجه العدو اهتمامه إلى وحدات الدفاع الجوى القائمة بالدفاع عنها، فهاجمها يوم أول مايو ١٩٧٠ في الفترة من (سعت ١٦٠٠ إلى سعت ١٨١٧) بعدد ٨٢ طائرة في مجموعات كل من ٦-٨ طائرة، ووجه هجومه إلى مواقع المدفعية المتوسطة المضادة للطائرات في بورفؤاد - القابوطي الكارنتينا وتصدت الوحدات للعدو وأسقطت له طائرة وأصيبت أخرى ولم تصب الوحدات إلا بخسائر محدودة

أمكن استعواضها قبل صباح يوم ٢ مايو، وإزاء فشل العدو لم يكرر هجماته عليها بهذا الثقل إلا يوم ٣١/ ٥ حيث قام العدو بالهجوم من (سعت ١٤٠٠) يوم ٣١/ ٥ حتى (سعت ١٩٠٠) من نفس اليوم بقوة ٨٠ طائرة في مجموعات كل من ٢-٤ طائرات مركزًا هجومه على وحدات المدفعية م/ ط والكباري التي تربط المدينة بباقي المدن المجاورة، ورغم عنف الهجوم واستخدام طائرات الفانتوم وسكاي هوك بكثرة فقد كانت خسائر الوحدات في الأفراد والمعدات محدودة، تحية لهؤلاء الرجال الذين وقفوا خلف مدافعهم ولم يبالوا بإلقاء النابالم أو الصواريخ الحارقة عليهم لإثنائهم عن موقفهم الصلب، الذي كانوا يقفونه في القتال ضد العدو، وسلام على أرواح الشهداء من أبناء المدفعية م/ ط الذين استشهدوا في سبيل عزة ومجد أمتهم، وسطروا لنا جميعًا أروع مثل في التضحية والفداء.

الفصل الخامس

الصواريخ تعود ثانيًا إلى الجبهة

تحددت ليالى ٢٨و٢٩و٣٠ يونيو ١٩٧٠ لدخول وحدات الصواريخ فى مواقع ميدانية تحت حماية تجميع صواريخ القاهرة، واتخذت جميع احتياطات الأمن والسرية حتى لا ينكشف تحرك الوحدات فيهاجمها العدو وهى متحركة أو قبل أن يكتمل وجودها فى أرض المعركة، وقد حققت هذه الاحتياطات ماكان مطلوبًا منها، إذ فوجئ العدو صباح يوم ٣٠ يونيو بوجود وحدات الصواريخ فى الجبهة، وكان هذا اليوم فى الوقت نفسه هو أول لقاء بين تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى والقوات الجوية الإسرائيلية.

كان هذا اللقاء هو أول لقاء يتم بأسلوب تكتيكى جديد مستفاد من دروس الماضى، ونحمد الله أنه أسلوب مصرى انبثق من فكر مصرى، لم يكن وليد المصادفة أو العشوائية، إنما كان نتيجة لدراسة مستفيضة لأسباب النكسات والخسائر التى ألمت بوحدات الدفاع الجوى خلال قتالها منذ عام ١٩٦٧ حتى ذلك الوقت، وبرغم ما يتشدق به العدو من قدرة مخابراته العين الساهرة على أمن إسرائيل وما يتغنى به من قدرة قواته الجوية ـ تلك الذراع الطويلة فإن كلتا الوسيلتين فشلتا فى كشف دخول تجميع الصواريخ إلى الجبهة، فلا شك أن فشل مخابراته فى ذلك إنما هو دلالة على نجاح جهازنا المصرى فى كبت العدو ومراقبتهم، وإلى سلامة التخطيط الذى وضع لتحرك وحدات الصواريخ لدخول الجبهة، كما أن قواته الجوية برغم قيامها بالاستطلاع الجوى للجبهة يوم ٢٩ يونيو فلم يكتشف وجود وحدات الصواريخ رغم وجودها، كما أن

أجهزة الاستشعار sensors التى طالما عملنا لها ألف حساب لم تغن العدو شيئًا، فلم تتمكن هذه الأجهزة من التقاط شىء من الانبعاث الإلكترونى لتلك الوحدات.

قام العدوصباح يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ باستطلاع جوى للجبهة بدأه مبكرًا بطلعة استطلاع للتصوير، وذلك قرابة (سعت ٨٠٠) أعقبها بطلعة أخرى (سعت ٩٠٠) ثم تلاها باستطلاع إلكترونى بعدما تأكد له أن هناك وحدات صواريخ فى الجبهة نتيجة للاستطلاع بالتصوير من ناحية، ونتيجة لالتقاط إشعاع وحدات الصواريخ التى كانت جاهزة لقتال العدو منذ صباح ذلك اليوم، وبرغم أن نشاط العدو فى اليوم بلغ ١٢٥ طلعة طائرة، وهو عدد كبير نسبيًا فإن العدو لم يوجهه منذ الصباح إلى تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى حتى تم له تحديد الأوضاع على الأرض نتيجة للاستطلاع الجوى والإلكترونى الذى قام به وإتمام تجهيز خطة مهاجمة تجميع الصواريخ، فالعدو لا يقبل على القيام بأى هجوم إلا إذا كان عارفًا بمواقع الوحدات، ولقد ركز العدو هجماته الجوية منذ الصباح على المنطقة الواقعة بين رأس العش والقنطرة، ولم يكن الغرض هو قصف القوات الموجودة فى هذه المنطقة وإنما كان سببه هو استمرار نشاطه بعيدًا عن تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى الذى أحس بوجوده، وفعلا كان القطاع الشمالى من الجبهة ذلك القطاع الذى ركز العدو عليه هجماته الجوية خارج مناطق التدمير.

(سعت ١٦٠٠) يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ بدأ أول هجوم للعدو على تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى فتحت ستارة كثيفة من التداخل وأهداف المشاغلة، بدأ العدو فى مهاجمة لواء الجنب الأيسر ل ٩٥ صواريخ للفرقة بنحو ١٦ طائرة فانتوم وسكاى هوك، واستمرت الهجمة لمدة ٢٠ دقيقة، ولم ينجح العدو فى إصابة أى كتيبة من كتائب اللواء التى هاجمها سوى إصابه جهاز الإنذار لكتيبة واحدة.

وتمكنت كتائب اللواء فى هذه الهجمة الجوية من تدمير طائرتين مؤكدة (فانتوم-سكاى هوك) وطائرة أخرى غير مؤكدة، وهبط ٣ من طيارى العدو أسرى فى يد قواتنا. لقد كانت خطة العدو للهجوم على اللواء تتلخص فى تركيز الهجوم على مواجهة اللواء مع التركيز على الجنب الأيسر للواء بغرض تدمير كتائب هذا الجنب، وقد خصص

لذلك الغرض مجموعة من أربع طائرات. وانتهت هذه الهجمة ولم تتأثر الكفاءة القتالية للواء.

وفى (سعت ١٦٣٠) بدأت الهجمة الثانية للعدو على لواء الجنب الأيمن للفرقة اللواء ٩٧ صواريخ بنحو ٢٤ طائرة ميراج وسكاى هوك وفانتوم فى مجموعات متتالية، واقتربت الطائرات فوق البحيرات المرة الكبرى فى اتجاه مدينة فايد مستغلة هذا السطح المائى فى الطيران على الارتفاع المنخفض جدًا، وبرغم ذلك فقد أمكن كشفها راداريا بواسطة وحدات الرادار والإنذار، وتم الإبلاغ عنها فى حينه للوحدات، إلا أن طبيعة الأرض المرتفعة التى يتخللها العديد من الأودية العميقة قد ساعدت العدو فى الاقتراب من الكتائب الأمامية للواء ٩٧ صواريخ دون أن تتمكن وحدات اللواء من اكتشافها، ولقد تمكن العدو بتغيير أسلوبه فى مهاجمة الوحدات من النجاح فى هذا القطاع، ولم يكن نجاحه هذه المرة راجعًا إلى أسلوبه الجديد الذى استخدمه فى مهاجمة كتائب الصواريخ فقط أو فى مدى ما قدمته له الأرض من مزايا فى الاقتراب دون أن يتم كشفه راداريًا بواسطة محطات توجيه الصواريخ بقدر التردد وعدم التزام المبادأة بواسطة قادة الوحدات، مما مكن العدو من مهاجمة كتائب النسق الأول للواء وتدمير معظم سرية الرادار فى كتيبتى صواريخ. هذا هو الهجوم الذى نجح العدو فيه فى هذا اليوم، لقد استشهد كل من المقاتل شطا والعجمى، وهما قائدا أطقم القتال فى الكتيبتين سالفتى الذكر وقت الهجوم، واستشهد معهم عدد من مقاتلى أبناء مصر، هؤلاء الرجال الذين وهبوا أنفسهم لمصر، ولم يبالوا ولم يتخاذلوا وهم يقاتلون العدو فى مواقع مكشوفة لا تيسر لهم أى وقاية. وفى (سعت ١٩٠٠) انتهى قتال اليوم الأول مع العدو بانحسار نشاطه عن منطقة الجبهة.

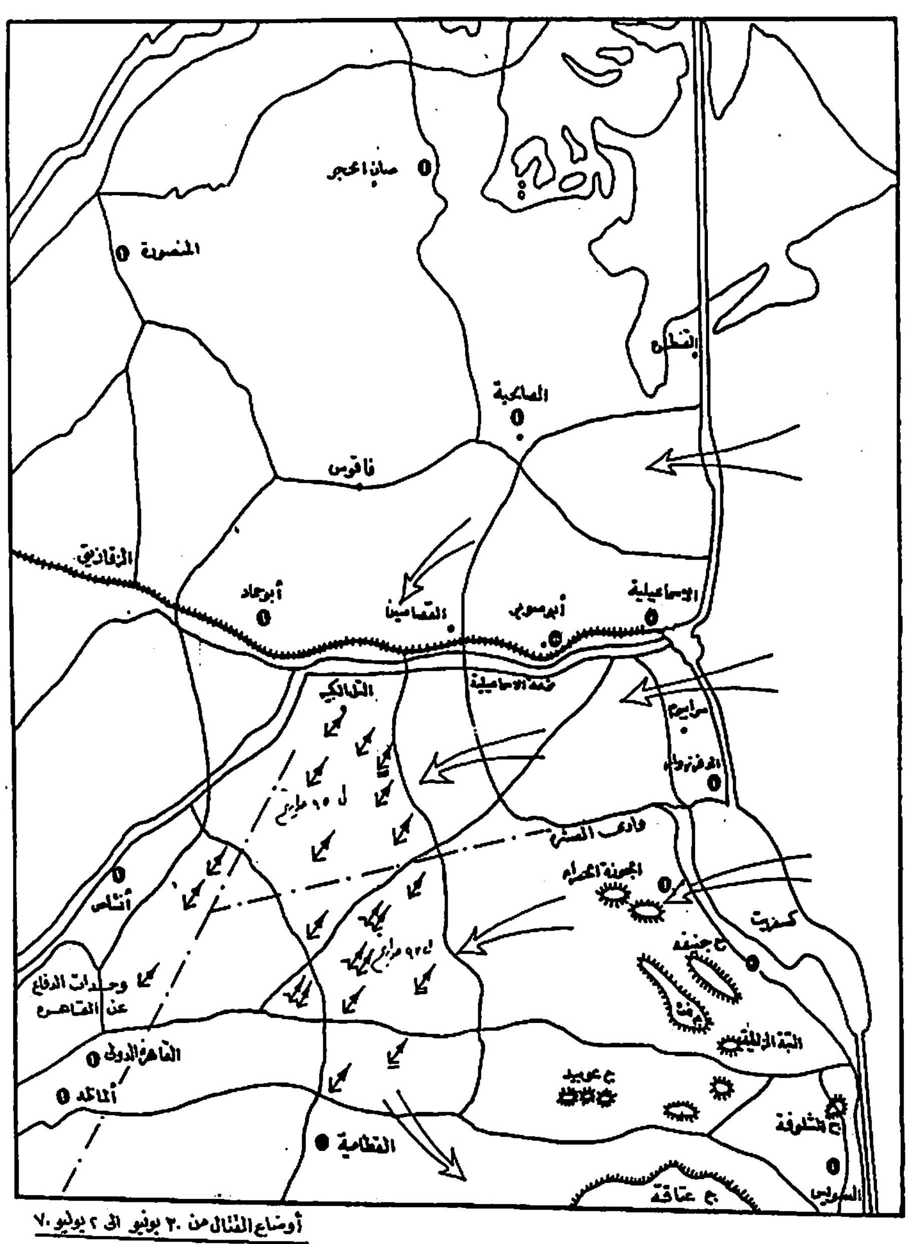
لقد أدى تدمير الطائرات الإسرائيلية على مرأى من قواتنا وهبوط طيارى العدو بالمظلات إلى رفع معنويات قواتنا الموجودة بالجبهة والتى شاهدت أول معركة جوية بين وحدات الصواريخ والطائرات الإسرائيلية.

هالت خسائر يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ فى الأفراد / خاصة فى الضباط وفى المعدات ـ المسئولين، مما جعلهم يفكرون جديًا فى عودة هذه الوحدات ثانيًا ـ خوفًا من أن

تتكرر الخسـائر، وفعلا حضر رئيس شـعبة عمليات الدفاع الجوى وقتئذ وتناقش معى شـخصيًا وأفهمنى أنه مكلف من رئيس أركان حرب القوات المسـلحة بدراسة الموقف عـلى الطبيعـة، وفى ضـوء العوامـل التى عددهـا والتـى كان أبرزها الخسـائر فى الأفراد والمعدات واحتمالات الخسـائر المنتظرة فى ضوء قلة الوحدات المتيسرة يسـتلزم الموقف عودة التجميع للخلف ويعتبر ما حدث ما هو إلا كمين كبير أرسل للجبهة أدى مهمته وعـاد ثانيًا. وهنا بعد تحليل دقيق للموقف من جميع نواحيه التكتيكية والفنية أوضحت له أن ما حدث أمر عادى فى القتال، فلابد أن تكون هناك خسائر، وأن يكون فى الجانب الآخر خسـائر أيضًا، فليسـت هناك حرب بدون خسـائر، وأن إمدادنا بكتيبتين بدل ما تم إصابتهما سـييسر لنـا أن نقوم بقتال ناجح مع العدو فى الأيـام المقبلة، وأن احتمالات الخسـائر بعد ذلك لـن تكون أكثر من كتيبة أو اثنتين أخريـين حتى يثبت التجمع قدرته ويكبح جماح العدو، وفعلًا صح هذا التقدير، فلم يتمكن العدو بعد ذلك إلا من إصابة كتيبتين أخريين، غير أن الخسائر فى الأفراد فى هذه المرة كانت محدودة.

يعتـبر قتال يـوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ من وجهة نظر العدو قتالًا فاشـلًا إذا قيس بمدى نجاحه فى الحرب الجوية التى فرضها قبل دخول الصواريخ إلى الجبهة، وكان أمامه أحد الحلـول الآتية : إمـا الابتعاد عن قتال وحدات الصواريخ نهائيًا تحاشـيًا للخسـائر وهو عليها ضنين ـ أو الاسـتمرار فى قتال وحدات الصواريخ وتقبل خسائر فى قواته الجوية، أو التريث فى مهاجمة وحدات الصواريخ لدراسة أسباب الخسائر، واتباع أساليب أخرى تلحق بوحدات الصواريخ أكبر خسـائر، بحيث يتمكن العدو من القضاء على وحدات الصواريخ بالجبهة، وبذلك يؤجل إلى أجل غير مسمى أى نوايا مصرية هجومية، بل قد يكـون ذلك حافـزًا على بدء مفاوضات مباشرة مع مصر من مركـز القوة، أو على الأقل قبول مبادرة روجرز بإيقاف إطلاق النار من مركز القوة.

لقد اتبع العدو الحل الثالث فبرغم نشـاط سـلاحه الجوى على جبهة القتال، والذى بلغ فى أول يوليو ١٩٧٠-١٤٠ طلعة / طائرة، فلم يدخل العدو مناطق تدمير وحدات الصواريخ حتى يبتعد عن الاشـتباك بها، وقام بقصف قواتنا فى المنطقة بين رأس العش والفـردان والمنطقة الممتدة جنـوب البحيرات، وخاصة مواقع مدفعيـة الميدان فى منطقة الشلوفة.



أوضاع القتال من ٣٠ يونيو الى ٢ يوليو ٧٠

كتائب سام ٢ معدلة.
كتائب سام ٣
تدمير يوم ٣٠/٦/٧٠
تدمير يوم ٢/٧/٧٠

لقد كان العدو يهدف أساسًا باتباعه هذا الحل إلى أن يضرب عصفورين بحجر واحد، فبالإضافة إلى دراسة ما يجب اتباعه مع وحدات الصواريخ كان يهدف بهجماته الجوية يوم ١ يوليو ١٩٧٠ على القوات إلى إثبات أنه برغم وجود وحدات الصواريخ فإنه قادر على إلحاق الخسائر بها، وإرهاقها ماديًا ومعنويًا، وإن وجود الصواريخ الموجهة أرض جو فى جبهة القتال لن يغير من الأمر شيئًا.

عاود العدو هجماته على وحدات الصواريخ يوم ٢ يوليو ١٩٧٠ غير أنه استخدم أسلوبًا جديدًا، فبرغم أن مجهود العدو الجوى خلال ذلك اليوم بلغ ١٣٠ طلعة / طائرة فإن العدو تريث فى مهاجمة وحدات الصواريخ منذ صباح ذلك اليوم، وبدأ فى قصف متقطع للقوات فى المنطقة بين رأس العش حتى الفردان، وفى الوقت نفسه بدأ فى مهاجمة وحدات الفرقة الثامنة دفاع جوى مركزًا هجماته الأولى على مواقع رادار الإنذار بمنطقة السخنة (الموقع الهيكلى) وعتاقة، تلاه بهجوم على بعض مواقع الصواريخ الهيكلية فى المنطقة المجاورة لمطار القطامية، وخلال محاولاته فى مهاجمة القطاع الجنوبى - وهى هجمات خداعية - واستمرار هجماته المتفرقة فى قصف القوات فى منطقة الفردان والقنطرة - قامت مجموعة من ٦ طائرات، ٢ فانتوم، ٤ سكاى هوك.بالاقتراب من اتجاه الفردان، على ارتفاع ١٠٠ متر، واستمرت حتى مدينة التل الكبير، ثم استدارت غربًا فى اتجاه الشرق، وقامت بانقضاض على كتيبتى الجنب الأيسر من اللواء ٩٥ صواريخ ونتيجة للمفاجأة نجح العدو فى قصف إحدى الكتيبتين، وإحداث خسائر بها، مما استدعى إخراجها خارج تشكيل القتال للفرقة، وإخلائها للخلف لاستعادة موقفها، ولم تتمكن الوحدات من تدمير أى طائرات للعدو، ولو حللنا أعمال العدو الجوى خلال هذا اليوم نجد أنه لجأ لأعمال الخداع والتضليل عن نواياه، منذ الصباح بدأ فى هجماته المتفرقة على القوات البرية فى القطاع الشمالى ليجعلنا نعتقد تمامًا أنه لن يهاجم تجميع الصواريخ، ثم بدأ بعد فترة فى القيام بهجمات متفرقة على مواقع الرادار وبعض مواقع الصواريخ الهيكلية فى الجنوب، حتى يلفت النظر إلى أن مجهوده سيركز على القطاع الجنوبى للتشكيل، وأن احتمال مهاجمته للتشكيل ينتظر أن تتم من اتجاه الجنوب الشرقى، وذلك واضح فى مهاجمة موقعى الرادار اللذين يتوليان الإنذار عن

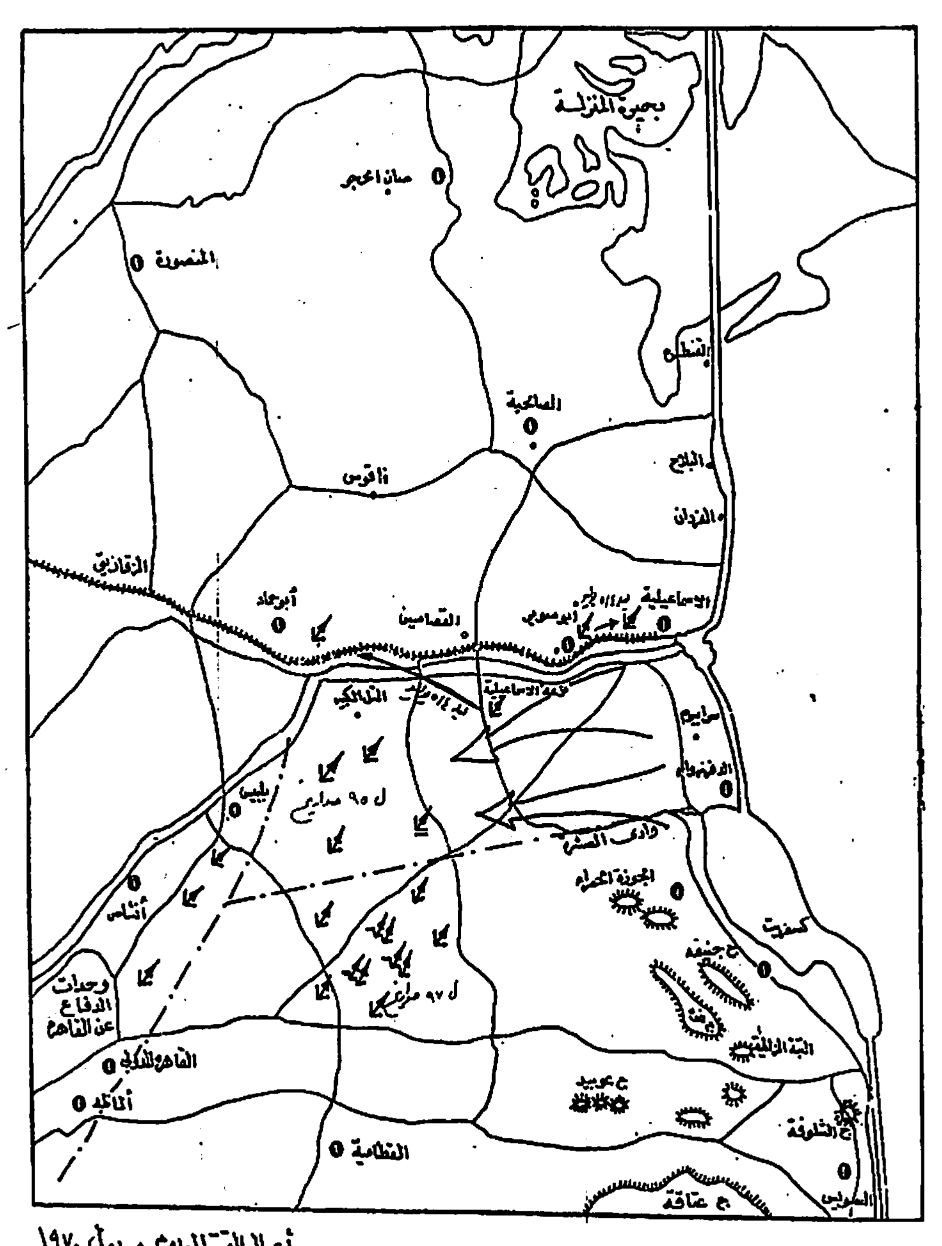
هـذا الاتجاه، بالإضافـة إلى ضربه مواقع الصواريخ المتقدمـة والمحتلة بمعدات هيكلية، خـلال ذلـك الخداع تسـللت ٤ طائـرات للعدو مـن اتجاه الشـمالى الشرقـى، وهاجمت الجانـب الأيسر للـواء (٩٥ صـواريخ) وقصفت إحـدى الكتائب بالقنابـل، مما أدى إلى تدمير بعض معداتها.

جاء يوم ٣ يوليو، وبدأ العدو نشـاطه بالقيام باسـتطلاع إلكترونى لتحديد أى تغيير فى أوضـاع وحدات الصواريخ الموجهة أرض جو والـرادار بالجبهة، ومن ثم بدأ العدو بعـد أن اطمـأن إلى معرفة أوضاع الوحدات إلى مهاجمة القـوات غرب القناة، ولم يحاول العـدو الاقتراب من تجميع الصواريخ ومهاجمته، وبرغم أن نشـاط العدو فى ذلك اليوم بلغ ٩٠ طلعة / طائرة فإنه وجهها كلها إلى القوات البرية لإشـعارها بأنها لا تزال تحت رحمته ـ أسـلوب من الحرب النفسـية الذى برعت فيه إسرائيـل، وفى ذلك اليوم لم يترك العدو وحدات الفرقة دون أن يوجه إليها نصيبًا معينًا، فكثيرًا ما حاول اسـتدراج نيران الوحـدات بالمنـاورة خـارج مناطـق تدميرهـا، وذلك بغرض اسـتهلاك أكـبر عدد من الصواريـخ، ولكنه فشـل فى غرضــه؛ لأننا قدرنا تمامًا ما يريد، ولـما لم يجد فائدة من تلك المشـاغلة قام بقصـف مواقع الرادار فى عتاقـة والزعفرانـة، وكان نصيبها تحطيم بعض الهوائيات التى سرعان ما تم إصلاحها.

جـاء يوم ٥ يوليو وبمجيئه كانـت الفرقة الثامنة (دفاع جوى) قد تم تدعيمها بكتيبة واحـدة، ووفقًـا للموقـف التكتيكى تـم وضعها ضمن تشـكيل اللـواء ٩٧ صـواريخ، وأصبـح اللـواء مكونًا مـن ٥ كتائب سـام ٢ معدل، ٣ سـام فى حين أصبـح اللواء ٩٥ صواريـخ مكونًـا من ٦ كتائـب أى أن تجميع صواريـخ الفرقة الثامنـة (دفاع جوى) فى صباح ذلك اليوم كان عبارة عن ١٤ كتيبة صواريخ أرض جو من أنواع سـام ٢ معدل، ٣ وكانت خسـائره حتـى الآن فى قتال يومين قتـال فعلى ٣ كتائب صواريـخ، وكالمعتاد بدأ العدو نشاطه الاستطلاعى استطلاعًا بالتصوير، تلاه استطلاع إلكترونى من طائرة استطلاع إلكترونى من طراز ستراتكروز، استمرت فى مهمتها لمدة ساعتين تقريبًا وعلى عمـق ٦٠ كيلـو مترًا شرق القناة، وما كل ذلك إلا لنفس السـبب السـابق، وهو معرفة

أوضـاع الوحـدات تمامًـا لإمكان تحديـد الوحدات التـى يهاجمها، وبالتـالى يحدد طريق وارتفـاع الاقـتراب وعدد الطائرات ـ المهاجمـة ونوعياتها وحمولتها. لقـد قام العدو وفى هذا اليوم بعدد ١٧٠ طلعة طائرة، وهذا العدد من الطلعات يعتبر أكبر عدد قام به العدو منذ دخول وحدات الصواريخ للجبهة، خلال ساعات النهار الأولى قام العدو بقصف القـوات فى القنطـرة والبـلاح، بالإضافـة إلى قصفـه لمواقـع العمل ـ مواقـع الصواريخ المحصنة الجارى إتمامها بسرعة، والتى بدأ العمل فيها بنشاط غير عادى وحشد لها كل طاقـات الدولة لإتمامها حتى تكـون جاهزة، ولم يغب على العـدو كالمعتاد الهدف الذى كان مـن ورائـه يجـرى الإسراع فى إنشـاء المواقع المحصنـة، والتى تقع مسـافة ١٨ كيلو مـترًا تقريبًا مـن القناة وفقًا للتخطيـط الذى كان موضوعًا فى ذلك الوقت وفى (سـعت ١٥٠٠) مـن ذلـك اليوم بـدأ العدو مهاجمـة تجميع صواريـخ الفرقـة بمجموعات من الطائرات بلغت نحو ٣٢ طائرة من اتجاه الشرق ومن اتجاه الشـمال الشرقى، مسـتخدمًا نفس أسـاليبه التكتيكية والفنية فى التعامل مع وحدات الصواريخ، وقد استمر هجومه حتى (سـعت ١٦٠٠) وقد تمكن العدو من تدمير إحدى كتائب النيران وتدمر له طائرة فانتوم واستشهد قائد الكتيبة البطل تيمور، الذى أمر جميع ضباطه وأفراده بالابتعاد عن المعدات بعد قصفها بالقنابل، واسـتمر هو وضابـط التوجيه يقودان الصواريخ التى تم إطلاقهـا فى الجو بغرض تدمير طائـرة العدو، إلى أن انفجرت قنبلة مجاورة لهما فأطاحت بهـما فلاقا ربهـما راضيين مرضيين، وقـد كان تيمور درة من الدرر اللامعة فى كل شـىء العلم، الخلق، الإبداع، الوطنية، الشهامة... إلخ لقد كان بمقدوره خلال الهجوم وبعد سـقوط القنابل متناثرة من حوله أن يبتعد عنها إلا أنه كان جارى الاشـتباك مع إحدى طائـرات العـدو، وصواريخه موجودة فى الجـو فى طريقها لطائرة العـدو، وتركها يضيع فرصـة تدميرها، ويجعلها تحقق مهمتها بنجاح، فأمر طاقم القتال الذى انتهى عمله بعد إطـلاق الصواريخ بالابتعاد واستمر هو والبقية الباقية فى استمرار توجيه الصواريخ فى الجو.

إن سـبب نجاح العدو فى تدمير إحدى الكتائب يوم ٢ يوليو وأخرى يوم ٥ يوليو لا يرجـع إلى قـدرات العدو بقدر ما يرجع إلى قصور تشـكيل قتال اللـواء ٩٥ صواريخ فى



أعمال القتال يوم ٥ يولي ١٩٧٠

كتائب سام ٢ معدل

كتائب سام ٣

ـ تدمير

ذلـك الوقـت، لقد أدت خـروج كتيبتين من اللواء للعمل ككمائـن لاصطياد العدو على طريق اقترابه إلى وجود كتيبتين منعزلتين بالنسـبة لتشـكيل اللـواء، مما أدى إلى تدميرهما عـلى التوالى يومى ٢، ٥ يوليو. إن أهـم خاصية لدفاع منطقة بالصواريخ هو العمل على استمرار التماسـك للتجميع دائمًا مما يحافظ على قدرات التجميع فى التعامل مع العدو، أكبر إمكاناته بما يحقق الاشـتباك المسـتمر مع العدو، كذلك فإن هذا التماسـك يؤدى إلى زيادة قدرة التجميع على توفير الوقاية لعناصره ضد هجمات العدو الجوية.

إن هذا الدرس يعتبر درسًا قيمًا وعلى جانب كبير من الأهمية، ولم يغادر خاطرى هذا الخطأ خلال الأعوام التالية حتى انتهت معركة أكتوبر بنصر كامل لحائط الصواريخ.

بلغ نشـاط العـدو خلال يوم ٦ يوليو ١١٢ طلعة طائرة، غـير أنه لم يحاول أن يهاجم تشـكيل قتـال الفرقة ولا مواقـع رادار الإنذار الخاصـة بها وأكتفى بمهاجمـة القوات فى القطاع الشمالى من الجبهة بالإضافة إلى قصف بور توفيق وحتى المواقع الجارى إنشاؤها تحت سـتار تجميـع الصواريخ الموجودة، لكن ما السـبب فى الابتعاد عـن مهاجمة تجميع الصواريخ.لقد شـعر العدو خلال هجومه على تشـكيل قتال الفرقة الثامنة يوم ٥ يوليو بنـيران مفاجئة تطلق عليه من اتجاهات غير متوقعة، حقيقة لم تؤد هذه النيران إلى إصابة أى طائرة للعدو. كذا لم تمنعه من مهاجمة إحدى الكتائب البارزة فى جنب التشـكيل، مما أدى إلى إصابتهـا. غـير أنه رأى إيقاف الهجوم حتى يحدد مكان كتائب الكمائن ليتلافاها أو يتعامل معها على انفراد.

اسـتمر نشـاط العدو الجوى يـوم ٧ يوليو محدودًا كما كان يـوم ٦ يوليو، إذ بلغ ١٠٠ طلعة طائرة، ولم يحاول العدو الاقتراب من تجميع الصواريخ أو مهاجمته، وقام بمهاجمة القوات فى القطاع الشـمالى، وقبل الظهر قام بمهاجمة موقع رادار الإنذار فى منطقة فايد، ولم يتمكـن برغـم كثرة القنابل التى ألقاها من تدمير المعدات أو إصابتها، فقط تم تدمير عربة وإصابة أخرى، استمر موقع الرادار فى تنفيذ مهمته فى الإنذار.

تــم تدعيــم الفرقة الثامنة(دفاع جــوى) بكتيبتين أخريين من الفرقة الخامســة (دفاع جـوى) بالقاهـرة فأصبح تجميع الفرقــة الثامنة (دفاع جوى)يتكون مـن كتيبة صواريخ سام ٢ معدل، ٣ كتائب صواريخ سام ٣.

لقد أدى نشاط الكمين الموجود فى منطقة فايد ونشاط موقع رادار فايد الذى استمر بعد قصفه بالطائرات فى استمرار إشعاعه، وكذا نشاط الكمين الموجود فى منطقة نفيشة، إلى زيادة شكوك العدو عما يجرى غرب القناة، بل على مقربة من القناة، فهو لم يعهد مثل هذا النشاط من قبل فى هذا المناطق، وفى ضوء التقدير الذى وصل إليه العدو عن نوايانا قـام العدو بمهاجمة المطارات الأمامية فى فايد وأبـو صوير وكبريت، موجهًا هجومه إلى مظلات الطائرات تلك الأماكن التى تتواجد بها الطائرات والورش ـ فدمرها تمامًا، لقد وصل العدو فى تحليله إلى أننا نستخدم هذه الأماكن فى إخفاء معدات الصواريخ بها نهارًا على أن تتحرك منها ليلا إلى مواقع أمامية غرب القناة بمسافات تتراوح مابين ٤ و ٥ كيلو مترات ولا شـك أن التغاضى عما يحدث والسماح باسـتمراره سيؤدى إلى احتلال عدة مواقع بكتائب الصواريخ غرب القناة، مما يؤدى إلى نقل معركة الدفاع الجوى إلى شرق قناة السـويس ـ مما يهز ثقة طيارى العدو وقواته شرق القناة من جراء الخسائر المنتظر أن يمنـى بها على أرض سـيناء، ولكن كيف وصل العدو إلى هذا التقدير؟ الواقع أنه سـبق فعلا استـخدام هذه الأماكن لمثل ذلك الغرض، ولكن قبل دخول تجميع الصواريخ إلى جبهة القتال، ثم انتهى ذلك الأمر بمجرد دخوله، فكيف عرف العدو مثل ذلك؟ الواقع أن العـدو تمكن من وضع بعض أنواع وسـائل التصنت الحديثة على المواصلات الخطية التى تستخدمها الوحدات، وفى ضوء ذلك التصنت تجمعت لديه المعلومات التى تؤكد استخدام هذه الأماكن، مما جعله عند مفاجأته بأكثر من كتيبة صواريخ تعمل غرب القناة مبـاشرة يعمـل دون توانٍ فى مهاجمة هذه الأماكن وللدلالة على نجاح العدو فى التصنت عـلى وسـائل المواصـلات الخطية ـ وقتئذ ـ أسـوق هـذا الحادث الذى وقـع قبل دخـول تجميع الصواريخ إلى الجبهة. فلقد صدر قرار باحتلال بعض قيادات تجميع الصواريخ ـ قيادة اللواء ٩٥ صواريخ، وقيادة الكتيبة الثانية رادار إنذار ـ مراكز قيادة جديدة أعدت لها مسبقًا، وفعلا صدرت الأوامر بإتمام الاحتلال، وتحدد لذلك ساعة ويوم الاحتلال،

وكان من المفروض أن يتم ليلا، وتحددت (سعت ٣٠٠) لذلك الغرض. غير أنه فى ضوء بعض المصاعب التى ظهرت عند إجراء الاختبار العملى للمراكز الجديدة وفى مساء نفس ليلة التحرك تقرر عدم تنفيذ الانتقال، أمر عادى، يمكن أن يحدث كل يوم فى أى تشكيل أو جبهة قتال، لكن ما الذى حدث على الجانب الآخر حتى (سعت ٢٤٥) من نفس الليلة التى حددت لانتقال هذه القيادات، لا ندرى ما الذى يحدث فى الجانب الآخر غير أنه فى ذلك الوقت تمكنت رادارات الإنذار من اكتشاف هدف من طائرتين فوق العريش تقريبًا، وكم كانت دهشتى من ظهور طائرات معادية فى مثل هذا الوقت، وكم زادت دهشتى من مشاهدتها وهى تطير بسرعة ٢٠ كم/ دقيقة، وكم بلغت الدهشة حدًّا ينعقد معه اللسان، إن هذه الطائرات تقترب مباشرة فى اتجاه المكان الذى تحتله مراكز القيادة التى ألغى انتقالها فى التوقيت الذى حدد فعلا لبدء تحركها كانت الطائرتان فوق مكانها إحداهما تلقى بالمشاعل المضيئة والثانية تراقب الأفراد والعربات المتحركة، حمدًا لله لعدم إتمام هذا التحرك؛ لأنه لو تم لكنا فقدنا فيه عناصر كثيرة من الرجال الفنيين، عناصر مدربة تمامًا، عناصر من الصعب استعواضها بسهولة بالإضافة إلى العديد من المعدات وغير ذلك.

ازداد نشاط العدو الجوى يوم ٨/ ٧/ ١٩٧٠ فبلغ ١٥٠ طلعة طائرة، وكرر العدو ما فعله فى اليوم السابق، فقام بقصف مطار كبريت صباحًا ومظلات الطائرات بمطار أبى صرير ظهرًا ولم تسلم مواقع العمل خلال هذا اليوم من هجومه، ونظرًا لأن تجميع القتال للفرقة لم تزد عليه أى وحدات ورغبة فى خداع العدو عن عدد كتائب التجميع وشكله تم إمداد الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بأجهزة رادار إنذار من نفس نوعية الأجهزة التى تعمل مع كتائب الصواريخ، وخصصت لها مواقع أمام التشكيل وعلى أجنابه بأسلوب معين، لتعمل منها وتشع فى الهواء لخداع العدو عن شكل وحجم تجميع الصواريخ.

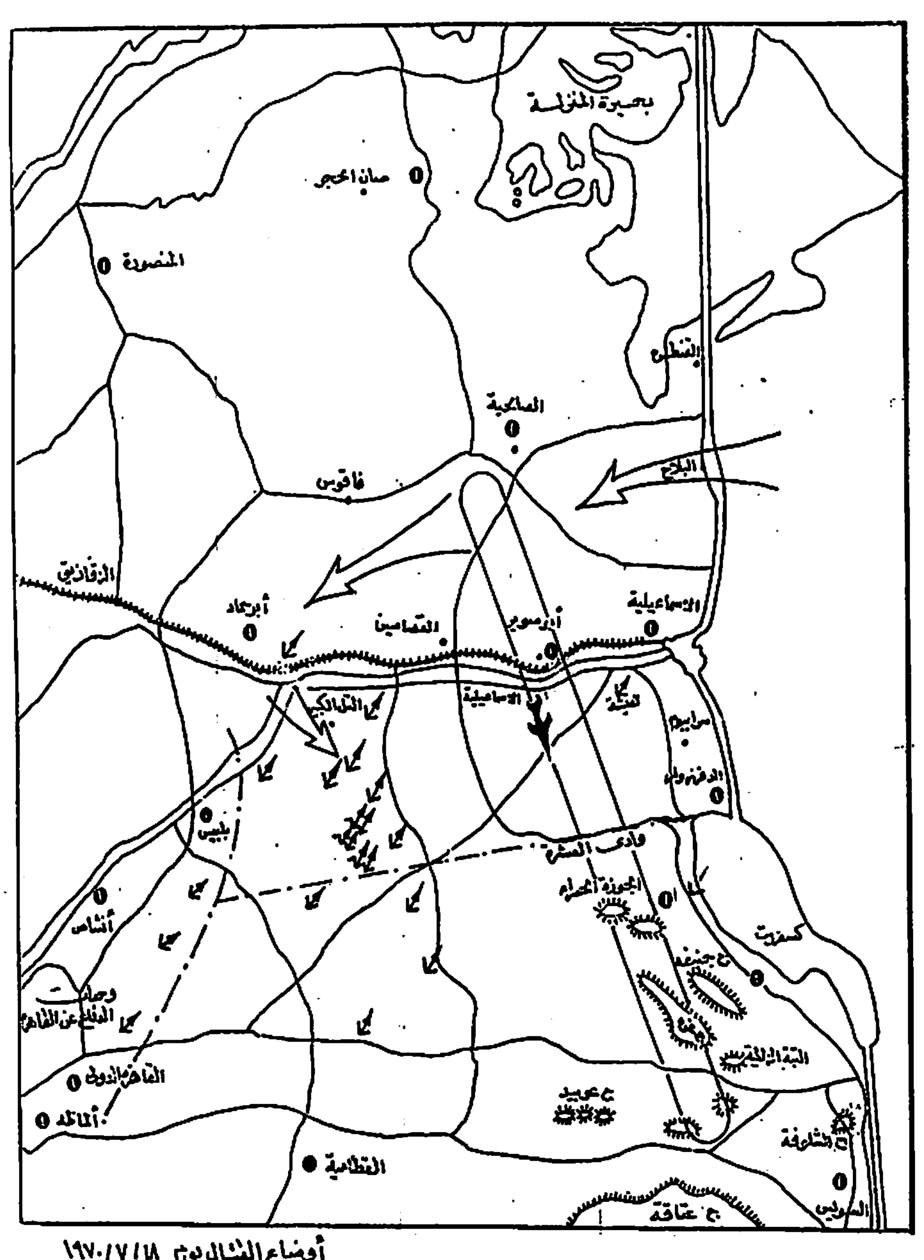
بدأ نشاط العدو اعتبارًا من يوم ١٠ يوليو ١٩٧٠ حتى يوم ١٧ يوليو - يقل، فبلغت طلعاته اليومية ما بين ٦٠ - ٨٠ طلعة طائرة فى اليوم. وركز العدو خلال هذه الأيام هجومه على القوات البرية ومجموعات مدفعية الميدان ومواقع الصواريخ الجارى إنشاؤها بالإضافة إلى قصف مدينة السويس وخلال هجومه هذا لم يدخل العدو فى

مدى وحدات الصواريخ، إلا أن ذلك لم يمنعه من مشاغلتها بأهداف عالية تطير خارج مداها لجذب انتباه الوحدات إليها ثم مهاجمتها بأهداف منخفضة من اتجاهات غير متوقعة، وفعلا حاول العدو تنفيذ ذلك الأسلوب إلا أنه فشل، عندما بدأت الوحدات فى التعامل مع الأهداف المنخفضة التى لاذت بالفرار بمجرد التقاطها بواسطة وحدات الصواريخ وفى تلك الفترة تم دعم الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بكتيبة جديدة فأصبح تجميعها يتكون من ١٦ كتيبة صواريخ منها ثلاث كتائب سام ٣.

جاء يوم ١٨ يوليو ١٩٧٠ وبدأ يتضح منذ الصباح زيادة ملموسة فى نشاط العدو الجوى، وفعلا وصل نشاطه خلال هذا اليوم أكثر من ١٠٠ طلعة طائرة، وحتى الظهر لم يحاول العدو الاقتراب من تجميع الصواريخ، وبعد الظهر بدأ العدو يطبق جزءًا محدودًا من أسلوبه السابق، فبدأت مجموعة من طائرات ـ الفانتوم وعددها ٤ طائرات تقترب من اتجاه السويس ومتجهة تجاه الصالحية وعلى ارتفاع ١٦ كم، مستخدمة جميع أنواع التداخل، وفى لحظة محددة ـ ووفقًا للخطة الموضوعة بدأ هذا الهدف فى الانخفاض (وكان الغرض من هذا الهدف العالى جدًا ـ عددًا واتجاهًا، هو جذب الوحدات إليه). فى حين كان العدو يقترب بعدد ٢٦ طائرة فانتوم وسكاى هوك على ارتفاع ٣٠م حتى يفلت من الكشف الرادارى. وذلك من نفس اتجاهه السابق، من اتجاه جزيرة البلاح متجهًا إلى منطقة التل الكبير، ثم أخذ العدو فى الدوران يسارًا وهاجم اللواء٩٥ صواريخ من الخلف، ذلك التجميع المكون وقتئذ من سبع (٧) كتائب صواريخ، ٤ كتائب تكون تشكيل قتال اللواء فعلا فى مواقع ميدانية، و٣ كتائب تعمل ككمائن فى المنطقة الشجرية المجاورة لتجميع اللواء، وذلك على النحو التالى كتيبة جنوب التل الكبير فى منطقة أبى حليقة، والثانية شمال غرب التل الكبير فى منطقة كفر العزازى، والكتيبة الثالثة فى منطقة الجعفرية. شكرًا لرجال المراقبة بالنظر، هذا الرادار البصرى ـ الذى أبلغ عن اقتراب العدو فى حينه، مما جعلنا نصدر الأمر للواء لتوجيه وحداته لصد الهجمة فى الوقت المناسب، لقد أدت السرعة فى إصدار الأوامر وتنفيذها إلى فشل هذه الهجمة المخططة بإحكام، لقد فاجأت كتائب الصواريخ الطائرات المعادية بإطلاق الصواريخ عليها مما جعل العدو يلقى بحمولاته دون تدقيق على الأغراض المراد قصفها، لقد ألقاها فى المواقع الهيكلية، نتيجة للعشوائية التى كانت فى إلقائها سقطت بعض القنابل على إحدى الكتائب مما أدى إلى تدمير إحدى معدات الكتيبة مع خسائر طفيفة فى الأفراد.

لقد كانت خطة العدو لمهاجمة اللواء ٩٥ صواريخ هذا اليوم مختلفة تمامًا عما سبق له اتباعه، وإن كان طريق الاقتراب متماثلًا، لقد خطط العدو فى هذه الهجمة لمهاجمة تشكيل اللواء كله، وذلك بالالتفاف على جنب اللواء الأيسر، ثم الفتح ومهاجمته من الخلف وذلك فى موجتين مع تخصيص زوج من الطائرات أو أكثر لمهاجمة موقع واحد أو أكثر، حسب نوع وكمية التسليح التى يحملها لقد كان من المقرر من وجهة نظر العدو القضاء على هذا اللواء تمامًا، وذلك بتدمير وحداته الفرعية، وهذا ما أعلنه بعد الهجمة ـ ولكن ما حدث كان مخالفًا لذلك تمامًا، إن لم يكن عكسه، لقد كانت حصيلة هذا اليوم إسقاط طائرة فانتوم وأخرى سكاى هوك وأسر بعض الطيارين وقتل البعض الآخر، كذلك إصابة طائرة فانتوم أخرى لم تتأكد فى حينه غير أنه عند أسر أحد الطيارين فيما بعد اعترف بأن هناك طائرة فانتوم أصيبت فى هذا اليوم، وأن قائدها اتجه بها شرقًا لينجو من السقوط فى الغرب، وعند وصوله إلى مطار البليز أخلى له المطار واتخذت الترتيبات اللازمة فى مثل هذه الحالة، غير أنه عندما بدأت الطائرة تهبط على الممرات انفجرت بما فيها من حمولة ووقود، مما أدى إلى حدوث ذعر فى المطار أدى إلى هرب جميع الأفراد من المطار، والابتعاد لمسافات بعيدة للنجاة بأنفسهم، هذه هى الشجاعة الإسرائيلية التى تروج لها أبواق الدعاية الصهيونية على لسان أحد طياريهم، فلم يحاول أطقم الإنقاذ الهرع لإطفاء الحريق أو إيقاف الحريق عند الامتداد خوفًا من أن يؤدى ذلك إلى كارثة تجعل المطار غير صالح للعمليات لمدة طويلة، وقد صدق قول الله تعالى فيهم «تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون».

كان قتال هذا اليوم تحولا خطيرًا فى قتال تجميع صواريخ الفرقة الثامنة(دفاع جوى) مع العدو، فقد أمكن بعدد ٨ صواريخ ثمنها ٠٠٠ , ١٦٠ جنيه تدمير طائرات ٣ طائرات، ٢ فانتوم،١ سكاى هوك ثمنهم لا يقل عن ١٥ مليون دولار بالإضافة إلى ٣ طيارين وملاحين لا يقدرون بثمن إذا قيس ما بذل فى إعدادهم من وقت وجهد ومال «صيد ثمين بثمن زهيد» الواقع أن الدروس المستفادة من أعمال قتال الأيام الماضية وتطبيقها عمليًا وبمرونة كانت السبب فى الوصول إلى هذه النتيجة، وكان أولها هو السرعة فى التعامل مع العدو، وثانيها هو تحقيق التغطية المتبادلة بنجاح مما أدى إلى عدم تمكين العدو من مهاجمة المواقع بدقة.



أوضاع القتال يوم ١٩٧٠/٧/١٨

كتائب سام ٢

كتائب سام ٣

تدمير

ابتعد العدو بعد هذه الخسائر عن مهاجمة تجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) وانحصر نشاطه فى مهاجمة القوات البرية للجيش الثانى الميدانى على طول جبهة القتال مركزًا هجومه مرة على قطاع دون القطاعات الأخرى، هادفًا من وراء ذلك إلى هدم معنويات القوات وإظهار عجز وحدات الصواريخ أمامها عن إمكان تغطيتها لزعزعة ثقتها بالقيادة المسئولة عن الحرب وعدم جدوى استعدادها لذلك واضعًا فى اعتباره عرقلة عملية إتمام بناء مواقع الصواريخ الأمامية لتنتقل إليها الوحدات متباهيًا بقوته مستعرضًا عضلاته، وليس أدل على ذلك من قيامه برسم نجمة داود على ارتفاع ١٥ كم على المنطقة الأمامية للجبهة بواسطة عادم طائرات الفانتوم، وطبعًا خارج مدى وحدات الصواريخ التى كانت لا تزال فى الخلف وغير قادرة حتى الآن على تغطية القوات الأمامية، فقد كانت كتائبها الأمامية لا تزال حتى الآن على مسافة ٥٠ كم من القناة ومنذ ذلك اليوم حتى آخر يوليو ١٩٧٠ لم يحاول العدو الاقتراب من تجميع الصواريخ أو دخول مناطق تدميره، واكتفى بالعمل ضد القوات والأغراض غرب القناة مباشرة، مركزًا هجومه تارة على القوات وأخرى على الكبارى العديدة المقامة على ترعة الإسماعيلية أو مدينة الإسماعيلية.

لقد تراوح نشاط العدو اليومى خلال الفترة من ١٩ إلى آخر يوليو ١٩٧٠ ما بين ١٠٠ـ ٣٠٠ طلعة طائرة، وبحلول شهر أغسطس ١٩٧٠ بدأ نشاط العدو الجوى يقل فجأه أقل من ١٠٠ طلعة طائرة فى اليوم. وفى ضوء انحسار نشاط العدو الجوى وفى ضوء الموقف السياسى وقتئذ وإعلان مصر قبول مبادرة روجرز وعدم إعلان إسرائيل قبولها تقرر دفع أربعة كمائن للأمام، إحداها فى منطقة نفيشة، والباقى فى منطقة أبى صوير شمال وجنوب ترعة الإسماعيلية وذلك لاصطياد العدو الذى أحجم منذ خمسة عشر يومًا تقريبًا عن مهاجمة تجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى)، ولجأ إلى صب جام غضبه على القوات البرية المتمركزة غرب القناة مباشرة من القنطرة شمالا إلى السويس جنوبًا.

احتلـت وحدات الكمائن أماكنها فى المناطق الشـجرية، وقـد لاقت فى احتلالها عناءً شديدًا ومصاعب، مما أدى إلى استغراق بعضها لساعات الليل كله فى الاحتلال.

تـم تدعيم تجميع الفرقة الثامنة (دفـاع جوى) بعد نجاحه يوم ١٨ يوليو بعدد ثلاث كتائـب (صواريـخ) من الخلف، فأصبح تجميعها مع أوائل أغسـطس خمس عشرة كتيبة سـام ٢ معدل، ٣ كتائب سـام ٣ تقاتل العدو على مواجهة ٤٠ كم بكثافة تسـاوى ٢ , ٢ كند فى كل كيلو متر من المواجهة.

بـدأ نشـاط العدو الجوى مبكـرًا منذ صباح ذلـك اليوم وأصبح واضحًا أن نشـاطه سـيكون أكبر من الأيام السـابقة، كما بات واضحًا من نشاطه وأسلوبه أنه ينوى مهاجمة الكمائـن الأمامية ولكـن فى تردد، ولم يكن هذا التردد راجعًـا إلى قصور فى قوات العدو الجوية بقدر ما كان راجعًا إلى الأسباب الآتية :ـ

أ ـ الحاجـة إلى تحديـد أماكـن الكتائب بدقة تمامًـا لضمان نجاح هجومه عليها ووسـيلته فى ذلـك الاسـتطلاع بالتصوير و الاسـتطلاع الإلكترونى؛ لـذا كان من الضرورى الانتظار حتى يتم إجراء الاستطلاع.

ب ـ العمـل على إرهاق المعدات وذلك بتشـغيلها عدة سـاعات فى صيف قائظ، وذلك بأمل تعطلها أو ظهور أخطاء بها، مما يجعل الاشتباك به غير دقيق.

جـ ـ العمل على إرهاق أطقم القتال التى تعمل عليها حتى ينال منهم الإعياء قدرًا كبيرًا مما يسهل مهمته عند مهاجمة هذه الوحدات.

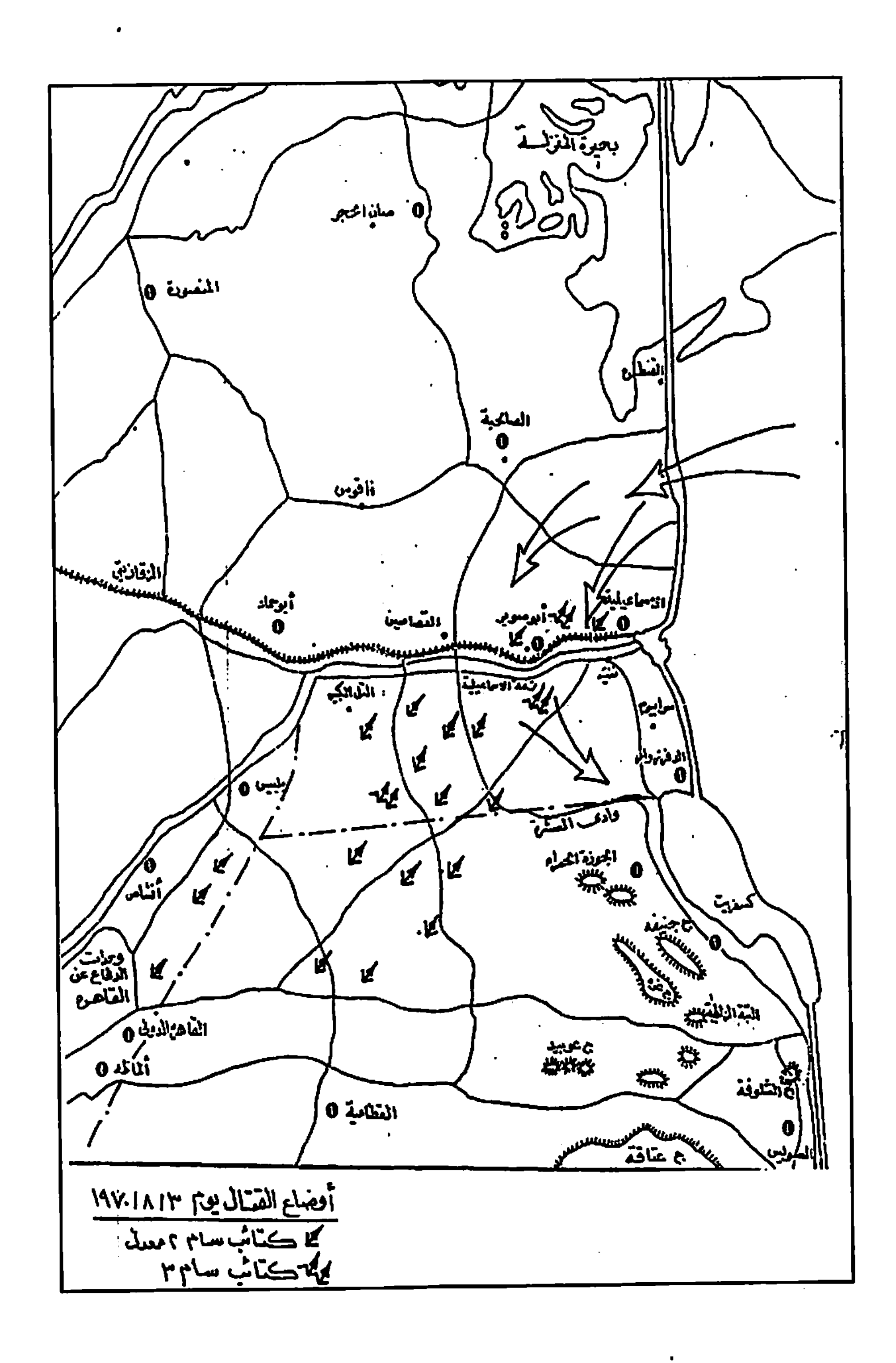
بلغ نشـاط العدو الجوى خلال هذا اليوم ١٢٠ طلعة طائرة، وخلال النصف الأول من نهار يوم ٣ أغسـطس كثف العدو الجوى إستطلاعه الجوى بنوعيه دون الدخول فى مناطـق تدمير الصواريخ، إلى أن تمكن من تجميـع معلومات دقيقة عن أوضاع الكمائن، وقرابة (سـعت ١٦٣٠) بدأ العدو فى مهاجمـة مواقع الكمائن بمجموعتين من الطائرات كل مجموعـة من أربع طائرات فانتوم وميراج مركزًا هجومه على منطقة أبى صوير نظرًا لوجود كتائب فيها، قابلت وحدات الكمائن الهجوم الذى وقع عليها برباطة جأش وثقة عاليـة، وتمكنت من تدمير ثلاث طائرات للعدو مؤكدة وأسر بعض طياريه. صيد ثمين

أيضًا بثمن زهيد. ذلك الصيد الذى كان لـه أكبر الأثر فى قبول إسرائيل لمبادرة روجرز لوقف إطلاق النار، ذلك الوقف الـذى تحدد له منتصف ليلة ٧/ ٨ أغسطس ١٩٧٠ لتنفيذه.

وببدء تنفيذ اتفاقية وقف إطلاق النار انتهت أول معركة تنتصر فيها الصواريخ الموجهة أرض ـ جو وتثبت أقدامها فى أرض المعركة. لقد تغلب العدو على تجميع الصواريخ للفرقة الثامنة (دفاع جوى) فى يونيو ١٩٦٧، كما تغلب عليها فى غضون حرب الاستنزاف إلا أنها تمكنت من تثبيت أقدامها فى نهاية حرب الاستنزاف، وأصبح تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) مكونًا من خمس عشرة كتيبة صواريخ موجهة أرض جو، وكانت نتيجة القتال خلال ٣٧ يومًا أن قام العدو بعدد كبير من الطلعات بلغ ٣٠٩١ طلعة طائرة، بمتوسط ٧٩ طلعة طائرة يوميًا، قام فيها العدو بمهاجمة تجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) ست مرات، وأمكنه أن يدمر معدات خمس كتائب صواريخ تدميرًا جزئيًا، وأمكن التجميع أن يدمر للعدو تسع طائرات مؤكدة وذلك بعدد ٧٧ صاروخًا بمتوسط ٨,٥ (صاروخ / طائرة).

قاتلت الفرقة الثامنة (دفاع جوى) العدو الجوى منذ يونيو ١٩٦٧ حتى الآن، ولم تترك أرض المعركة لحظة واحدة، سوى الفترة من يونيو ١٩٦٧ إلى ديسمبر من نفس السنة، تلك الفترة التى تم فيها إرجاع تجميع صواريخ الفرقة للخلف لإجراء الإصلاحات اللازمة له وضبطه توطئه لإعادته للجبهة، لقد ظلت الفرقة خلال الفترات التى لم تتواجد فيها وحدات الصواريخ تدافع بما لديها من وحدات المدفعية من مختلف الأعيرة تدافع عن بور سعيد، السويس، الجزيرة الخضراء، مطار القطامية، وأدت مدفعيتها، كما سبق إيضاحه، دورًا مجيدًا ضد العدو الجوى، فأنزلت به من الخسائر الكثير، ولاقت من جراء هجومه عليها أيضًا الكثير من الخسائر.

لقد ضحت الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بالكثير من ظباطها وجنودها خلال حرب الاستنزاف، هؤلاء الشهداء الذين سبقونا إلى جنة الخلد أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم ربهم ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من بعدهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون.



بحيرة المنزلة
صان الحجر
المنصورة
القنطرة
الصالحية
فاقوس
الزقازيق
أبو حماد
القصاصين
أبو صوير
الإسماعيلية
التل الكبير
ترعة الإسماعيلية
سرابيوم
الدفرسوار
بلبيس
أنشاص
وحدات الدفاع عن القاهرة
ألماظة
القطامية
ج عويبد
كسفريت
الشلوفة
السويس
ج عتاقة
أوضاع القتال يوم ١٣/٨/١٩٧٠
كتائب سام ٢ معدل
كتائب سام ٣

لقد كان نجاح الفرقة الثامنة (دفاع جوى) فى حسم المعركة مع القوات الجوية الإسرائيلية وانتصارها عليها وإنزال خسائر كبيرة بها خلال شهر يوليو ١٩٧٠ سببًا فى أن تفضل السيد رئيس الجمهورية بمنح علم الفرقة نوط الجمهورية العسكرى تقديرًا لكل ما قدمته مسجلا فى سجل الشرف ما يلى :ـ

«إن شعبنا سيظل مدينًا لهؤلاء الأبطال الذين صمدوا وضحوا فى سبيل عزة الوطن وكرامته. تحيتى لجميع أفراد الفرقة من الضباط والصف والجنود، وباسم الشعب وباسمى تقديرًا وعرفانًا بما أدته هذه الفرقة فى مرحلة الصمود فإننى أهدى الفرقة الثامنة (دفاع جوى) وسام الجمهورية العسكرى لعلم الفرقة الثامنة (دفاع جوى)»

أنور السادات ٣٠/ ١١/ ١٩٧٠

لقد استفدت كثيرًا من قتالنا خلال هذه المدة. لقد أتيحت لى الفرصة لإدارة أعمال القتال، كما شاهدت الاشتباكات الجارية مع العدو بالعين المجردة. وكان علىَّ أن أحلل يوميًا كل ما دار. وأن أناقش كل مسئول، وأن أحاول ان أتعرف على أسباب القصور وكانت كثيرة، وأن أعمل جاهدًا للوصول إلى أسلوب أفضل للعمل مع العدو، وأيقنت من خلال قتال هذه الفترة أن العدو ليس كما تصوره الدعاية الإسرئيلية ولا كما يصوره الوهم الذى سيطر على عقليتنا نتيجة هزيمتنا عام ١٩٦٧ وما تلاها من أيام حالكة السواد.

لقد أيقن العدو بعد قتال يوليو ١٩٧٠ أنه وجد الحل للتعامل مع تجميع الصواريخ كما أعلنت قيادته السياسية والعسكرية بذلك، أما نحن فكان لابد لنا من البحث عن حل أو أكثر يزيد من احتمالات نجاحنا فى قتانا المنتظر مع العدو، فأمامنا معركة قائمة، وأمامنا أرض محتلة وعدو متغطرس وإمدادات تصل إليه بدون حساب، وتطور يلاحق تطورًا فى قواته الجوية فماذا كان لزامًا علينا؟ كان أمامنا طريق طويل وشاق، وكان لابد لنا أن نسلكه مهما كانت الأشواك التى عليه.

استكمال بناء مواقع الصواريخ

كان من المقرر ـ قبل إدخال وحدات الصواريخ إلى جبهة القتال فى يونيو ١٩٧٠، إنشاء عدة مواقع كاملة التحصين من ذلك النوع الذى يحتاج إلى مدة طويلة فى إنشائه.

غـير أن هذا الموقف سرعان مع تغير عقب وقف إطلاق النار، وتقرر إنشـاء العديد من المواقـع التـى بلغت نحو ٨٨ موقعًا بجانب العدد السـابق تقريره، ولما كان عامل الزمن فى هذه العملية يعتبر حاسـمًا؛ لذا اتجه التفكير إلى إقامة نوع من المواقع السـابقة التجهيز والتى لا تحتاج إلى وقت طويل فى إنشـائها. لقد كان هذا العدد مطلوبًا لما كانت السرعة فى إتمامه مطلوبة وذلك بغرض توفير مواقع لوحدات سـام ٣ التى وصلت قبلا وأتمت تدريبهـا بالاتحاد السـوفيتى كما كانـت مطلوبة أيضًا لإتمـام المناورة الطوليـة والعرضية عليها منعًا لمعرفة تشـكيل قتال وحدات الصواريخ للعـدو فلو أضفنا لذلك الحاجة إلى مواقـع أماميـة على مقربة من القنـاة تيسر وقاية القوات البرية التـى تحتل مواقعها غرب القناة ضد هجمات العدو لوضح لنا لماذا تقرر بناء هذا العدد من مواقع الصواريخ، لقد كان مقـررًا إقامـة ٢١ موقعًا كامـل التحصين من تلك المواقع التى يحتـاج إقامة الواحد منهـا إلى سـتة شـهور أو اكثر، والتى يتكلـف الواحد منها مـن ١٠٠,٠٠٠ جنيه وقتئذ ولم يكـن حتـى وقف إطلاق النار قد تم إنهاء سـوى ٣ مواقع منها فقط، والباقى معطل العمـل فيـه نتيجة قصف العدو المسـتمر، وكان من الصعب إتمام هـذا العدد الكبير من المواقع بهذا الأسلوب، فإذا تركنا التكاليف المادية جانبًا لوجدنا أن عامل الوقت المتيسر لا ييـسر إتمـام هذا العدد؛ ولـذا بات من الـضرورى البحث عن حل جديد ـ أسـلوب جديد ولو على حساب درجة الوقاية المطلوبة.

لقد تمكن المهندسـون المصريون من ابتكار أسـلوب جديد لإقامة المواقع يوفر كثيرًا من الوقت والنفقات، وكان أساس إقامته مبنيًا على استخدام الخرسانة المصنعة من قبل، ولذلك أطلق على هذا النوع من المواقع مسـبقة التصنيع، لقد وفر هذا النوع من المواقع كثـيرًا مـن النفقات والوقت فالموقع الواحد لا يزيـد تكاليفه عن ٢٠,٠٠٠ جنيه، ويتم إنشـاؤه فى سـبعة أيام، لقد رأى المهندسـون الذين صمموا هذا النوع أنه لا ييسر الوقاية الكافية ضد أى نوع من القنابل، ولا أدرى ما هى الحسـابات التى بنوا عليها تقديراتهم وحساباتهم هذه. لقد صمد هذا النوع من المواقع لهجمات عنيفة من الطيران الإسرائيلى، ولم تتأثـر بالقنابل ١٠٠٠ رطل التـى ألقيت عليها، بل إن العدو قام بإجراء تجربة عملية عليها، وذلك بقصف أحد المواقع التى كانت تحت سيطرته فى الثغرة بواسطة الطائرات

الفانتـوم دون أى مقاومة أرضية، فلم تتمكن القنابل ١٠٠٠ رطل من تدميرها، وخرج هـذا النوع مـن المواقع فى المعركة ١٩٧٣ وقد أثبت جدارته وقدراته على الوقاية فى وجه الهجمات الجوية بالقنابل.

ولإنهـاء إقامـة المواقـع فى فترة إطلاق النار تم حشـد كل إمكانيـات الدولة، القطاع العام بشركاته كما تم حشد جميع وحدات المهندسين العسكريين، وتم تجهيز الخرسانات المصنعـة فى مصانع مصرية بالقاهرة، وتم نقلها إلى الجبهة، وتولت الشركات ووحدات المهندسـين إقامـة المواقع.. يالها من معركـة ـ معركة مع الزمن، أثبتـت فى النهاية القدرة والأصالـة المصرية، تلك القدرة والأصالة التـى تمتد فى جذور التاريخ، والتى لم نحاول أن نبحث عنها وننقيها من الشوائب التى لحقت بها خلال عهود الدعة والاحتلال. لقد أثبـت الإنسـان المصرى فى وقت الشـدة أنه قادر تمامًا على أن يواجـه جميع الأخطار. كما أثبتت أنه ابن الأرض الطيبة التى يرويها هذا النهر الخالد، وأنه فى سبيلها يسترخص دمه ويقدمه فداءً لهذه الأرض الخضراء.

لم يأت منتصف أكتوبر ١٩٧٠ إلا وجميع المواقع المطلوب إقامتها قد تم إقامتها فعلا عدا قلة محدودة استمر العمل فيها خلال النصف الثانى من شهر أكتوبر، ونظرًا لما ظهر مـن مماطلـة الجانـب الإسرائيلى فى الالتـزام بقرار وقـف إطلاق النار حسـب ما جاء فى مبـادرة روجرز بالإضافة إلى عدم انصياع إسرائيل للاقتراحات المقدمة إليها من أمريكا لحل مشكلة الشرق الوسط ـ بدأ التخطيط لإقامة مواقع متقدمة أكثر قربًا للضفة الغربية للقنـاة على مسـافات تتراوح بين ٦-٨ كم مـن القناة تخدم أى عمليات مقبلة فى سـيناء بحيث تكفل للقوات البرية إمكان تحقيق مهامها بنجاح عندما تحين سـاعة القتال وتبدأ القوات المصرية عملياتها الهجومية لتحرير الأرض المحتلة.

لقد بدأ بناء هذه المواقع فى أواخر ١٩٧٠، وانتهت فى أغسطس ١٩٧١ ـ تحت سمع وبـصر العـدو، ومنذ بدء إنشـاء المواقـع القريبة من القنـاة لم يهدأ العدو، بل زاد نشـاطه الاسـتطلاعى الأرضى والجـوى، ولجـأ العدو فى الاسـتطلاع الأرضى إلى إقامة الأبراج العاليـة لإمـكان التغلب على العوائق الشـجرية التـى تنمو فى الشريـط الزراعى الضيق المجاور للضفة الغربية للقناة، تلك العوائق التى تعوق الرؤية، غير أن أساس استطلاعه ركز على الاستطلاع الجوى بالصور من ارتفاعات تتراوح ما بين ١٥ و ٢٢ كم.

وبانتهاء إقامة هذه المواقع يمكن القول بأن مرحلة بناء مواقع الصواريخ قد انتهت وبلغت في جملتها حتى الآن ٩٦ موقعًا منها ٢٠ موقعًا كامل التحصين ٧٦ موقعًا، من نوع المسبق الصنع، عدد ضخم وعمل أضخم تكلف الملايين من الجنيهات. واستنفذ كثيرًا من طاقات الدولة غير أنه أدى أكبر خدمة ممكنة لحائط الصواريخ، إذ يسرت لي هذه المواقع أكبر قدر من المرونة لقد يسرت هذه المواقع لحائط الصواريخ فيما بعد خداع العدو عن شكل حائط الصواريخ ونوعيته كما يسرت هذه المواقع أيضًا أثناء القتال القدرة العالية على المناورة وإمكانية مواجهة جميع احتمالات العدو، مما حافظ على سلامة وحدات الصواريخ، وأدى في النهاية إلى تدمير القوة الجوية الإسرائيلية تدمير الذراع الطويلة التي طالما تغنت وباهت بها إسرائيل ٠

الفصل السادس

النتائج والدروس المستفادة من حرب الاستنزاف

لقد كانت معارك حرب الاستنزاف،منذ بدايتها إلى نهايتها في أغسطس ١٩٧٠ قتالا يتسم بالعنف والضراوة، قتالا بين عدو تملكه الصلف والغرور عقب انتصار يونيو ١٩٦٧ وبين القوات المسلحة المصرية التي كان لهزيمتها أثر كبير على وجدانها ومعنوياتها، بين عدو أخذ يملأ أسماع العالم بقدرته ومقدرته، بأصالته وموهبته العسكرية التي لا تتوفر لشعب غيره، وبين القوات المسلحة المصرية وهى تحاول إن تستعيد قدرتها، والطريق أمامها طويل، والرؤية نحو المستقبل غير واضحة، وكابوس الهزيمة عالق بمخيلة الجميع لا يفارقه لحظة.

لقد كان للحرب النفسية الشرسة التي شنتها إسرائيل أثر كبير وبعيد، فلقد صدق العالم كله شرقه وغربه ما تدعيه إسرائيل من قدرتها العسكرية بصفة عامة، وقدرة ذراعها الطويلة بصفة خاصة

دخل الدفاع الجوى معارك حرب الاستنزاف، ووحداته تامة التسليح من المدفعية المضادة للطائرات من مختلف العيارات، من الرشاش ٧,١٢ مم إلى المدفع ١٠٠ مم، وذلك على جميع المستويات التكتيكية والتعبوية لقوات الجيشين : الثانى والثالث الميدانيين يعزز ذلك لواءا صواريخ كل من ثلاث كتائب، يحتلان مواقعهما في كل من بورسعيد – أبو صوير – الروضة – أبو سلطان جنيفة – العجرود.

وكانت قوات العدو الجوية على ما هي عليه عام ١٩٦٧ سواء في أعدادها أو نوعياتها.

إذ أن الطائـرات الجديـدة من الأنواع سـكاى هوك وفانتوم لم تكـن قد وصلت بعد إسرائيـل، وتمكـن الدفـاع الجوى مـن التعامل بنجـاح محدود مـع الطائـرات من طراز مستير- أور جان - سـوبر مستير- ولكن وقف عاجزًا أمام الطائرات من نوع الميراج في ذلـك الوقت كما وقفـت الصواريخ الموجهة أرض جو فيما بعـد هى الأخرى عاجزة أمامها.

وزاد الطين بلة إمداد إسرائيل بالطائرات الأمريكية الحديثة من طراز فانتوم وسكاى هوك أوائل عام ١٩٧٠.

لقـد سـبق أن ذكرت في الفصـل الثالث الدروس المسـتفادة من معارك الاسـتنزاف بشـكل عـام، والآن لا بد لنا مـن عودة إليها مـرة أخرى للتعرف على أسـباب القصور العامـة وتلك الخاصـة بالمدفعية المضادة للطائرات، وتلـك الخاصة بالصواريخ الموجهة أرض -جوى الخاصة بالرادار والإنذار ثم نستخلص الدروس المستفادة منها.

أسباب القصور العامة

١ ـ الانضباط العسكري

إن الانضبـاط العسـكري كان هـو الخاصيـة المميـزة لوحـدات المدفعيـة المضـادة للطائرات منذ نشأتها في أوائل الأربعينيات، وإن كانت هذه الخاصية هى السمة اللازمة لأي عنصر عسكرى صغيرًا كان أو كبيرًا إلا أنها فى وحدات الدفاع الجوى تعتبر ألزم ما يكون، فهى عصب إدارة النيران الناجحة، كما إنها الدعامة الأساسية للاستعداد اليقظ.

٢ ـ ضعف مستوى التدريب

أدى ضعـف المسـتوى التدريبي الفني والتخصصي الـذي كانت عليه الوحدات إلى نتائج سـيئة عند اشـتباكها مع الطائرات، فمعدات وأسـلحة الدفاع الجوى كلها معقدة ودقيقـة، وكونهـا معقدة يعنى حاجتهـا إلى تدريب ممتاز لتفهمها، وكونها دقيقة يسـتلزم أداء جيدًا عليها، والأداء الجيد لن يكون إلا بالتدريب المستمر عليها.

وكلا نوعى التدريب يؤدى في النهاية إلى القدرة على ضبط المعدة والتحكم فى أدائها.

٣- عدم الإلمام بقواعد إدارة النيران

أدى عدم الإلمام بقواعد إدارة النيران والمرونة اللازمة في تطبيقها إلى عدم إمكان تحقيق الكفاءة المطلوبة فى الاشتباك مع طائرات العدو، ويرجع ذلك إلى اتخاذ أسلوب الحفظ وسيلة لتفهم قواعد إدارة النيران والبعد عن معرفة الأسس التي بنيت عليها مع انعدام القدرة على التصور، وهى خاصية ألزم ما تكون لضباط إدارة النيران.

إن المنطلق السليم للإلمام بقواعد النيران يجب أن يبدأ بالفهم الصحيح لأساسيات المدفعية المضادة للطائرات وطرق تحديد قيم حركة الهدف في الفراغ وأثر كل منها على الآخر.

٤- عدم تنمية روح الفريق

الوحدة الفنية والتكتيكية في وحدات الدفاع الجوى تتكون من عدة معدات تعمل مع بعضها في تناسق تام بغرض إخراج نيران دقيقة، فسرية المدفعية المضادة للطائرات التي تعمل بدون أجهزة قيادة نيران تتكون من عدة مدافع، و لإنتاج النيران الدقيقة يجب أن تسود روح الفريق طاقم المدفع، فلكل فرد دوره المهم الذي يؤديه في إنتاج النيران الدقيقة، حقيقة هناك بعض الأفراد تزداد أدوارهم أهمية عن غيرهم إلا أن الغرض الذي يهدف إليه الجميع هو خروج الطلقة على المحل المستقبل للهدف، وتزداد أهمية روح الفريق في حالة تواجد أجهزة قيادة نيران من رادار وحواسب، ولو لم يسد روح الفريق عمل الجميع من قائد السرية حتى فرد الذخيرة لما كان لما تنتجه من نيران أى تأثير يذكر ولن تتأتى هذه الروح- إلا بتنمية التـ[illegible] ـ[illegible] الترابط. بين عناصر الوحدة الفرعية وتوضيح أهمية دور كل فرد في إنتاج النيران المؤثرة.

أما في وحدات الصواريخ الموجهة أرض جو فإن روح الفريق تصبح أكثر أهمية، وتزداد الحاجة إليها، وذلك راجع إلى ارتفاع ثمن الصاروخ آلاف الأضعاف إذا قيس بثمن طلقة مدفعية مضادة للطائرات من العيار المتوسط، بالإضافة إلى أن الدفاع بالصواريخ – نظرًا لكبر تكلفته لا يستخدم إلا للدفاع عن الأغراض الحيوية المهمة في

الدولة لتوفير الوقاية لها ضد أي هجوم بالأسلحة الذرية أو الكيميائية، وتتميز معدات الصواريخ أرض جو بأنها أكثر تعقيدًا، وطاقم قتالها أكبر عددًا من معدات المدفعية المضادة للطائرات، كما أنها تتميز بخاصية فريدة وهى أن الصاروخ يتم تعديل مساره في الجو أولا بأول وفقًا لخط سير الهدف الجوى المراد تدميره، بعكس طلقة المدفعية التي لا سلطان عليها بعد إطلاقها، كل ذلك يحتاج من الفريق الذي يعمل إلى أن يكون عمله متكاملا، فكل فرد في الفريق يعتمد على عمل الآخر، أي أن عمل الجميع مترابط أوثق الترابط، وإن لم يسد الجميع روح الفريق تمامًا لظهرت الأخطاء لدى البعض، فمعدات الصواريخ تتركب من عدة أنظمة كل منها يعمل لتحقيق قيمة معينة من قيم الهدف والصاروخ أيضًا، وبين كلتا القيمتين تتم المقارنة والتصحيح، وكل ذلك يتم آليًا ويعنى ذلك ضرورة عمل المعدات بطريقة صحيحة، ولن يكون ذلك إلا بروح الفريق التي تعمل جاهدة كل في نطاقه، وليحقق لنفسه ولغيره أفضل الأداء.

٥- تخلف المدفعية المضادة للطائرات

دخلت القوات المسلحة المصرية معارك الاستنزاف ومدفعيتها متخلفة تمامًا عن التطور الذي صاحب الطيران بوجه عام، فجميع أسلحة المدفعية المضادة للطائرات كانت كلها من تلك التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية، يوم إن كانت الطائرات لا تزيد سرعتها على ١٠٠م/ ث، وكانت قدرتها على المناورة محدودة، لذا فاستخدامها ضد طائرات سرعتها تقترب من سرعة الصوت؛ أي ٣٠٠م/ ث ولديها القدرة العالية على المناورة سواء بالالتفاف والغطس أو الصعود، يعتبر أمرًا غير ذي موضوع.

ولو أمعنا النظر في أجهزة قيادة الميزان لتلك الأنواع المجهزة بها من رادار وحواسب نجد أيضًا أن أجهزة قيادة النيران هى الأخري من نتاج الحرب الثانية، ولذا فلم تتمكن من إتمام أي اشتباك ناجح مع مثل هذه الطائرات، وإزاء ذلك تركتها الوحدات واشتبكت باستخدام متطور أو باستخدام الجهاز الحاسب دون الرادار للمدفعية غير المزودة بأجهزة تنشين مكشوفة.

إن القصور فى المدفعية المضادة للطائرات يمكن تحديده في الآتي :

أ- قصور في المعدات بحيث لا يمكنها تتبع الأهداف السريعة، ويعنى ذلك أن المعدات لا يمكنها إعطاء معدلات تغير عالية في الزاوية والاتجاه.

ب- أجهزة الرادار سنتيمترية ذات شعاع ضيق يسهل التداخل عليها، ولا يمكنها التقاط أيٰ أهداف نظرًا لضيق الشعاع الذي تعمل به.

ج- الأجهزة الحاسبة ولو أنها تعمل بنظرية التقريب المتتالى إلا أنها غير قادرة على تتبع الأهداف السريعة أو الأهداف القائمة بالمناورة لقصور في سرعة دورانها.

د- عدم وجود نظام في الجهاز الحاسب ييسر الاشتباك مع الأهداف المناورة سواء بالغطس أو الصعود.

هـ- سوء صناعة سلاح المدافع، إذ تعتمد المدفعية المضادة للطائرات على ما سورة داخلية Jenner liner فقط مما يستدعى عدم استمرار الضرب بها، نظرًا لما يصيبها من سخونة عالية- وقد أدى مخالفة هذه القاعدة في ضوء كثافة الهجمات الجوية إلى عدم دقة الضرب، وذلك للاختلاف البين في عيار الماسورة نتيجة استخدامها.

و- قصور في إصابة الطائرات، وذلك راجع إلى كبر منطقة تشتت الدانات حول الهدف مع ضعف السرعة النسبية لتطاير الشظايا، وصغر حجمها يقلل من احتمالات الإصابة لأى طائرة إلا بعد ضرب عدة مئات من الطلقات تتناسب عكسيًا مع العيار الجاري الضرب. مثل هذه المشكلة لحسمها يجب تواجد مدفعية مضادة للطائرات ذات سرعة ابتدائية عالية لتقليل زمن المرور مع أجهزة حاسبة أو أجهزة تنشين دقيقة جدًا وذات معدل عالٍ من النيران.

ز- جميع طلقات الرشاشات لا تؤثر في هياكل الطائرات الحديثة، ولذا أصبح مخروط نيرانها غير مؤثر، مما أدى إلى زيادة الثقة في الطيارين أثناء تنفيذهم لمهمتهم.

من كل ما سبق نجد أن المدفعية المضادة للطائرات دخلت معارك - الاستنزاف متخلفة في معداتها، وتبعًا للتطور السريع في الطائرات سرعة ومناورة واستخدام السبائك القوية في صناعة الهياكل، يمكن القول بأن عصر المدفعية المضادة للطائرات قد انتهي تمامًا، وخاصة الأعيرة المتوسطة منها والخفيفة ذات العيار الكبير، وأنها في حاجة إلى عجلة متزايدة لتلحق بما وصلت إليه صناعة الطائرات الحديثة، وقد يبشر المستقبل القريب بمدفعية مضادة للطائرات تفي باحتياجات الدفاع الجوى.

٦- مشكلة الصواريخ الموجهة أرض - جو

قبل أن نحلل أسباب القصور الذي ظهر في الاشتباكات بوحدات الصواريخ الموجهة أرض - جو يجب أن نقرر حقيقة واقعة وهى أن الصاروخ هو الأداة التي توصل إليها التقدم العلمي والتكنولوجي للتغلب على قصور المدفعية المضادة للطائرات، وبالأخص القصور في إصابة الأهداف، لقد كان الرد العلمي على عدم دقة الإصابة هو عدم القدرة على التحكم في مسار دانات المدافع بعد إطلاقها نحو غرضها، فجاء الصاروخ وأمكن التحكم فى مساره طول طيرانه بما يحقق مواءمة مكانه مع مكان الطائرة لحظيًا ومن ثم ازدادت احتمالات الإصابة. وللوصول إلى ذلك كان من الضروري استخدام معدات معقدة ودقيقة للغاية، ولكن هل تمكنت الصواريخ الموجهة أرض - جو من تدمير الطائرات وحققت ما كان معقودًا عليها من آمال.

الواقع أن حرب فيتنام ومعركة يونيو ١٩٦٧ ومعارك حرب الاستنزاف جميعها أوضحت أن هناك قصورًا في هذا السلاح، لأنه بمجرد ظهوره واستخدامه بدأ التطوير في الطائرات يسير نحو الأفضل. تطوير في السرعات، فى القدرة على المناورة، في متانة هياكل الطائرات وعدم تأثرها بالشظايا المتناثرة حولها، وأخيرًا تطوير فى تكتيكات الطائرات واستخدامها الارتفاعات المنخفضة جدًا ٥٠-١٠٠ متر لمهاجمة أغراضها.

إن القصور في الصواريخ الموجهة أرض- جو يمكن تحديده في الآتي :

أ- عدم قدرة المعدات على تدمير الطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة جدًا فالصواريخ المتوسطة مصممة أساسًا للاشتباك على الارتفاعات المتوسطة والعالية،

ولإمكان قيامها بالاشتباك على الارتفاعات المنخفضة جدًا، فقد تم إدخال بعض التعديلات عليها بما يمكنها من تحقيق ذلك، ولكن بنسبة احتمال للتدمير أقل.

ب- أدى استخدام الطائرات للارتفاعات المنخفضة جدًا إلى عدم صلاحية نظام الدفاع الخطى، ذلك الأسلوب الدفاعى الذى اتبع خلال حرب يونيو ١٩٦٧ وخلال معارك الاستنزاف، والذى تبنيناه خلال دخول الصواريخ للجبهة مرة ثانية فى يونيو ١٩٧٠- وكان سببًا فى نجاح هذه المرحلة ضد الطيران الإسرائيلى.

ج- استخدام العدو للتداخل الإيجابى سواء من محطات الإعاقة الأرضية أو من الطائرات المهاجمة وبشدة عالية كان له من المفاجأة ما له خلال حرب يونيو ١٩٦٧، وكان لنقص التدريب عليه عمليًا، كذا عدم التعود على رؤيته وما يتبع وجوده من مشكلات فى ظهور الأهداف على شاشات التوجيه أو اختفائها أثر فى عدم نجاح الاشتباك به.

ولا شك أن استخدام التداخل في أي تجميع خطي يعتبر وسيلة كاملة للتعمية عن تحقيق مهمة الطائرات بنجاح وذلك بعكس مايحدث في دفاع المنطقة •

د- كبر حجم معدات كتيبة الصواريخ - وحدة النيران - مما يجعلها غرضًا واضحًا تمامًا مما يسهل من مهاجمتها بالطائرات .

هـ- التطور السريع في الطائرات كرد فعل لإبطال مفعول الصواريخ بزيادة قدرتها على إتمام المناورة الحادة، وذلك لإمكان الإفلات من الصواريخ•

و- استخدام المستشعرات الجديدة والحواسب التحليلية لكل الانبعاثات الإلكترونية في الفراغ يمكن من معرفة الترددات التي تعمل عليها المعدات، ونظام عملها مما يسهل من تحديد أسلوب تعميتها لأنواع التداخل المختلفة، بالإضافة إلى تحديد اماكنها بدقة عالية •

٧. أسباب القصور في الرادار والإنذار

يرجع القصور في عمل وحدت الرادار والإنذار إلى الأسلوب الجديد الذي كان العدو يتبعه للاقتراب لمهاجمة أغراضه، ألا وهو الاقتراب على ارتفاعات منخفضة

ومنخفضة جدا وذلك بغرض تقليل زمن الإنذار المتيسر لوحدات الدفاع الجوي، ثم يحقق المفاجأة المطلوبة في عملياته الهجومية، وللتغلب على هذا الأسلوب أصبح من الضروري إقامة حقل راداري مستمر قاعه الأسفل ١٠٠ متر • وقد استلزم ذلك الحاجة إلى إنشاء العديد من الوحدات الجديدة وتجهيز مواقع جديدة لتحتلها هذه الوحدات • ونظرًا للسرعة التي تم بها ذلك، فقد ظهرت الوحدات الجديدة بمستوي تدريبي أقل مما يجب، كما أن دخول بعض أنواع جديدة من الأجهزة أدى إلى نفس النتيجة •

لقد استلزم بناء الحقل الراداري العديد من أجهزة الرادار كما استلزم فتح مراكز توجيه جديدة للمقاتلات مزودة بأنواع أخرى من أجهزة الرادار وبكميات كبيرة تتناسب مع كثرة مافتح منها، ولقد زود الاتحاد السوفيتي جمهورية مصر العربية بعدة عشرات من أجهزة الرادار المختلفة ولو أنها من نوعيات قد تكون مختلفة مع ما يجب أن يكون •

تحملت وحدات الرادار نتيجة لسرعة تشكيلها ودفعها إلى مواقع القتال التي حددت لها مع عدم توفير أي وقاية لها الكثير من الخسائر من جراء مهاجمة العدو لها، فلقد شعر العدو بوسائله المتعددة من سرعة سد الثغرات الموجودة في مجالنا الجوي، ومن ثم بدأ خلال معارك الاستنزاف يوجه كثيرًا من هجماته لوحدات الرادار والإنذار بغرض إثبات قدرته وعدم جدوي مايتم، بالإضافة إلى تكبيد الوحدات قدرًا من الخسائر سواء من الأفراد او المعدات •

لقد ظهر من خلال معارك الاستنزاف أوجه القصور التالية:

أ- ضعف مستوي الوحدات في القدرة على التقاط الأهداف المنخفضة جدًا والعالية جدًا، وقد كان ذلك راجعًا إلى ضعف مستوي التدريب، بالإضافة إلى عدم الفهم للخصائص الفنية للمعدات، وكيفية استغلال هذه الخصائص بما يتماشى مع الموقف.

ب- عدم وجود تجهيز هندسي للمعدات أدى إلى سهولة مهاجمتها وإنزال خسائر بها.

ج- ضعف الدفاع المضاد للطائرات عن مواقع الرادار، إذ كان يتم بأسلحة متخلفة ومحدودة.

د- استخدام العدو للتداخل الموجه عند مهاجمته مواقع الرادار، مما يعميها تمامًا ويجعلها غير قادرة على تحديد الهجوم ولا قوته •

ه- حداثة الفهم التكتيكي والتعبوي لعمل حقل الرادار الضخم الذي كان يجري إقامته على معظم المستويات القيادية •

٨. الدروس المستفادة من معارك الاستنزاف

أ ـ المدفعية المضادة للطائرات:

(١) يجب أن تتواءم معدات المدفعية المضادة للطائرات مع العصر الذى تعمل فيه ويعنى ذلك أن تفى باحتياجات الدفاع الجوى فى ضوء العصر الذى تنتج فيه،واحتمالات المستقبل بالنسبة للتطور المنتظر فى صناعة الطائرات، وذلك بالنسبة لقدرتها على التقاط وتتبع الطائرات.

(٢) أن تكون أدوات التنشين المنظورة للأنواع التى تستخدمها لحل مشكلة المحل المستقبل سواء أكانت رشاشات أم مدفعية مضادة للطائرات خفيفة، دقيقة لتحديد المحل المستقبل، وأقرب ما يكون إلى الطائرة ومبسطة ليتيسر العمل عليها بسهولة ودون أخطاء.

(٣) استخدام الأجهزة الحاسبة الإلكترونية فى المدفعية الخفيفة المضادة، على أن تكون نظرياتها قادرة على حل مشكلة المحل المستقبل بدقة أكثر من النوعيات الحالية، مع الإقلال من كميات التصحيحات سواء للأحوال الجوية أو الذخيرة أو للسلاح.

(٤) تطوير ذخائر المدفعية المضادة للطائرات – عمومًا – وذلك باستخدام عبوة قاذفة تعطى سرعة ابتدائية أعلى وذلك للتغلب على كبر زمن مرور الدانات فى الجو، مما يزيد من احتمال إصابة الطائرات.

(٥) يجب أن تكون مواسير المدافع من النوع الذى يتحمل الضرب لمدة طويلة دون إجهاد ودون تآكل يذكر.

(٦) فى ظـل اسـتخدام الصواريـخ أرض - جو بجانـب المدفعية المضـادة للطائرات فى أى نظام للدفاع الجوى لا داعى لوجود مدفعية متوسـطة مضادة للطائرات على الإطلاق، ويعتبر الصاروخ أرض - جو هو خير سلاح يحل محلها ويفضلها.

(٧) انتهـى عـصر المواسـير الفردية، سـواء فى الرشاشـات أو المدفعية الخفيفـة المضادة للطائرات، وأصبحت الحاجة ماسة إلى الأسلحة المزدوجة أو الثلاثية أو الرباعية لتشـكل مخـروط النيران الذى يحوى الهدف فى منتصفـه، ولإنتاج معدل عال من النيران ييسر إمكان إصابة أو تدمير الطائرة فى زمن محدود.

(٨) ظـهـر عـــدم جـــدوى معـظـم أعـيرة المدفعية المضـادة للطائـرات الخفيفـة ـ كذا المتوسـطة ـ فى الاشتباك مع الأهداف الغاطسة، وقد استغل العدو قدرة طائراته الفانتـوم وسـكاى هـوك فى ذلـك وهاجم مواقـع المدفعيـة المضـادة للطائرات، وأنـزل بها خسـائر جسـيمة، وكانت غلالـة النيران بواسـطة المدفعية المتوسـطة المضادة للطائرات هى الحل الأمثل لذلك وباسـتخدامها تمكنت الوحدات التي استخدمتها من إيقاف الخسائر بها وتدمير بعض طائرات العدو •

(٩) اتضـح أن أجهزة قيادة النيران بشـكلها التقليدي ـ أي جهـاز رادار قيادة تكتيكية، وجهـاز رادار قيـادة نـيران، وجهـاز حاسـب في كل سرية مدفعيـة م/ ط ـ يعقد مشـكلة التقاط الطائرات وتتبعها، ويعقد أسـلوب الاشـتباك بها • ولو سـلمنا بأن الأسـلوب كان سـليمًا خـلال نهاية الحـرب العالمية الثانية والفـترة التي تلتها فإنه أصبح غير مناسـب في ضوء التطور في سرعة الطائرات وقدرتها العالية على المناورة •

(١٠) تعتبر المدفعيـة المضادة للطائرات الخفيفة متعددة المواسـير، والتي يتراوح مداها بـين ٢ و ٣ كيلومـترات كافيـة لتوفير الوقايـة المطلوبة للأغـراض أو القوات في ضـوء تكامـل الدفـاع بالصواريـخ أرض ـ جو عنهـا غير أنه فى ضوء اسـتخدام الطائـرات الهليوكوبـتر الحاملة للصواريـخ المضادة للدبابـات أصبحت الحاجة ماسـة الى تواجد مدفع خفيف مضاد للطائرات مداه أكبر من المدي الذي تعمل

عليـه الطائـرات الهليوكوبتر الحاملـة للصواريخ المضادة للدبابـات ، وفي ضوء التطـور الحـالى في الصواريـخ الموجهـة المضادة للدبابـات وما ينتظر لهـا نجد أن المطلوب هو مدفع خفيف مضادة للطائرات مداه لايقل عن ٥ كيلو مترات ،

(١١) سيظل الطيران الليلي على الارتفاعات المنخفضة جدًا والمنخفضة – رغم التطور في الوسـائل الملاحية الحديثة – مشـكلة تقابل الطيارين وفي ضوء تكامل الدفاع الجوي عن القوات يبرز التساؤل الآتي : هل هناك حاجة لتسليح المدفعية الخفيفة المضـادة للطائرات بأجهزة قيادة تكتيكية وقيادة نيران : وتعقد موقفها من ناحية التدريب والمعاونة الفنية أو نتركها تعمل بأجهزة تنشين متطورة فقط ، قد يكون الحل الأمثل لو استعرضنا أسلوب الهجوم الجوي المنتظر ومهمة المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة ومداها المؤثر وتكامل الدفاع الصاروخي عن القوات أن نجد أنـه لاداعي لأجهزة قيادة نيران، ويكتفي بأجهزة تنشـين متطورة مدعمة بجهاز ليزر لتقدير المسافة بدقة ،

(١٢) سـتظل إدارة النيران في المدفعية المضادة للطائرات حجر الزاوية لأي قتال ناجح مـع الطائرات، ويسـتلزم ذلك المزيد مـن التدريب والتصـور والعناية بالمعدات ودقة ضبطها لسلامة أدائها ،

(١٣) الجرأة في قتال العدو، وتستلزم طرد الخوف بسرعة وفتح النيران الدقيقة.

(١٤) يجب أن تعمل المدفعية للطائرات فى مجموعات مدفعية متجاورة تحتل الاتجاهات الرئيسـية لاقـتراب العدو، وتغطـى المجهود الرئيسـى للقوات، ويـتراوح عدد الأفـواج فى المجموعـة الواحـدة مـن ٣– ٥ أفواج حسـب مسـاحة المنطقة التى تغطيها، وأهمية الاتجاه الذى تدافع عنه. وعموما يجب أن يكون تجميع وتشـكيل قتـال المجموعة قـادرًا على تدمير طائرة واحدة من الاتجاهات المحتملة وذلك فى دورة نيران واحدة.

(١٥) إن تفتيت الوحدات لقفل المواجهات الواسـعة أمـام الطائرات المعادية لا يؤدى إلاإلى إضعافهـا وعدم جدواهـا. ولا يزال المبدأ القديم فى الدفاع الجوى سـاريًا

حتى الآن دفاع قوى من عدد من الأغراض أفضل من دفاع ضعيف عن جميع الأغراض.

(١٦) المناورة بالنيران فى الوقت المناسب، وعلى قادة الوحدات تميز تلك اللحظة بعناية، فنقل النيران من أهداف الهجمة المخادعة إلى أهداف الهجمة الحقيقية يفسد على العدو هجومه ويوفر الوقاية للقوات.

(١٧) المناورة اليومية إلى المواقع التبادلية لتحقيق المفاجأة عند فتح النيران ولإفساد هجوم العدو المخطط على الوحدات.

ب ـ الصواريخ الموجهة أرض/ جو

(١) الحاجة إلى التدريب الراقى والمستمر، فمعدات الصواريخ معقدة الدوائر الإلكترونية، ومتعددة النظم، وأى خطأ فى أى من المكونات يؤدى إلى عدم صلاحية المعدات للقتال. والتدريب الراقى يقلل من فرص الأخطاء، بل يؤدى إلى اكتشافها قبل وقوعها، مما ييسر معدة صالحة دائمًا وعلى مستوى جيد من الأداء.

(٢) سرعة التعامل مع الطائرات المعادية تقلل من فرص نجاح العدو فى مهاجمة وحدات الصواريخ.

(٣) إشعاع وحدات الصواريخ الموجهة فى الفراغ يدل على مكانها، وتحديد مواقع الصواريخ يسهل على العدو مهاجمتها، لذا يجب أن توضع أكثر من خطة للخداع لجعل العدو فى شك من أوضاعها.

(٤) إخفاء وحدات الصواريخ وجعل العدو فى شك من أوضاعها يستلزم استخدام الكثير من المواقع الهيكلية.

(٥) المناورة عصب قتال وحدات الصواريخ سواء لإعادة التجميع، أو لسد ثغرات نتجت من هجوم العدو، أو لتوفير الوقاية عن اتجاهات ظهرت أهميتها.

(٦) الحاجة إلى العناية بالصواريخ فى تخزينها فى تجميعها، ويجب أن يعلم الجميع أن الصاروخ كجسم طائر يجب أن يكون كل أجزائه مثبتة تمامًا وأى خلل فى

الدفات أو الأجنحة أو الموازنات يجعل الصاروخ يؤدى الأوامر التى تصدر إليه خلافًا لما يجب أن تكون.

(٧) يجب عند إعادة تجميع الوحدات عدم ترك وحدات فرعية بارزة فى التجميع، لأن مثل ذلك البروز عادة ما يكون جذابًا للطائرات المعادية، وغالبًا ما ينجح العدو فى مهاجمته و إخراجه خارج المعركة.

(٨) عدم الإلمام بمعدلات التغير الزاوية للأهداف الجوية حسب أقل مسافة أرضية لخط سير الهدف، مما أدى إلى عدم معرفة وقت بدء المناورة للأهداف المناورة، وشكل المناورة القائم بها الهدف.

(٩) عدم الدقة فى التتبع مع أهداف التداخل، نتيجة لضعف مستوى عمال التتبع، وعدم التأكد من قوة إبصارهم، والعمل على تغيرهم دوريًا نتيجة لما يصيبهم من إرهاق بصرى.

(١٠) عدم استخدام الأساليب الصحيحة لتفجير الطابة الرادارية.

(١١) أدى الاشتباك بالأهدف المناورة على الحد البعيد لمنطقة التدمير إلى فشل كل الاشتباكات، بل إلى سقوط بعض الصواريخ على الأرض، وذلك راجع لإحساس الأهداف بالصواريخ وقيامها بالمناورة قبل دخول منطقة التدمير.

(١٢) يجب الحذر من الأهداف العالية التى تطير على السقف العلوى لأجهزة الرادار ٢٢ كيلو مترًا إذ أنها تخفى تحتها الأهداف المنخفضة، وغالبًا ما تشد هذه الأهداف أنظار الوحدات، مما يجعلها تغمض عينها عن الأهداف المنخفضة والتى تقوم بالهجوم على وحدات الصواريخ.

(١٣) اتضح عدم جدوى استخدام أجهزة رادار من أى نوع لإخفاء حجم تجميع القتال أو إخفاء تشكيل القتال للوحدات الفرعية، وذلك راجع لما تتميز به كتائب الصواريخ فى إشعاعها عن غيرها من أجهزة الرادار.

(١٤) فى الكتائب الفنية يجب توزيع المراحل الأولى، والرءوس المدمرة على أكثر من مكان، وأن توضع فى أماكن خرسانية أو حفر عميقة - كى تجنب الكتيبة أى انفجار يقترب من الانفجار الذرى الذى قد يحدث فى حالة نجاح العدو فى مهاجمتها.

(١٥) يجب أن تتواجد الوحدات الفرعية من الصواريخ الفردية على مسافة ٦ - ٨ كم من كتائب النيران، وفى الاتجاهات الرئيسية لاقتراب العدو. وألا يعوق مراقبتها للفضاء أو فتح النيران على العدو أى عائق.

(١٦) إن استخدام كمائن الصواريخ فى الحرب الحديثة - رغم ما يبذل فى إخفائها - يجعل من السهل بالمستشعرات الحديثة تحديد أماكنها ونوعيتها ومهاجمتها. حقيقة قد تؤدى الكمائن إلى بعض الخسائر، ولكن لو حدثت بها خسائر من العدو الجوى فستكون جسيمة للغاية فى الأفراد والمعدات.

(١٧) يجب أن نرفض مبدأ استخدام الكمائن على حساب تجميعات الصواريخ المحدودة، إذ أن ذلك يؤدى إلى زيادة ضعفها.

(١٨) اتضح عدم جدوى المدفعية المضادة للطائرات فى وقاية كتائب الصواريخ، والأفضل هو توفير الدفاع بالصواريخ القصيرة الفردية.

ج- الرادار والإنذار

(١) الحاجة إلى التدريب الراقى والمستمر لعناصر الرادار مع التركيز على أسلوب التقاط وتتبع الأهداف المنخفضة جدا والعالية جدًا، مع الفهم الصحيح لأسلوب إمالة الهوائيات فى كل حالة.

(٢) ضرورة التدريب على التقاط الأهداف وتتبعها تحت ظروف استخدام العدو للإعاقة الرادارية.

(٣) سرعة الانتقال إلى الترددات الاحتياطية بواسطة قادة الأجهزة لتلافى الإعاقة الرادارية.

(٤) التجهيز الهندسي الجيد يقلل الخسائر فى الأفراد والمعدات؛ لذا يجب استخدام المواقع المحصنة هندسيًا بما يتفق مع نوعية المعدات، وسيؤدى ذلك إلى زيادة قدرة الصمود أمام العدو. ولا ينطبق ذلك على المواقع التبادلية.

(٥) الحاجة إلى وجود ٢ - ٣ مواقع تبادلية لكل موقع رادار على أن تختار على مسافات تتراوح بين ١٠ و ١٢ كم من بعضها بعضًا وفقًا لطبيعة الأرض، على أن يحوى كل موقع تبادلى عددًا من الحفر المتشابهة تتناسب مع عدد أجهزة الرادار فى الموقع.

(٦) استخدام المعدات الهيكيلة فى المواقع الحقيقية وبجوارها، وفى جميع المواقع التبادلية مع إظهار الحياة فى هذه المواقع باستخدام بعض الرشاشات م/ ط للدفاع عنها.

(٧) خفة الحركة لوحدات الرادار أمر على درجة كبيرة من الأهمية، فهى الوسيلة لإتمام المناورة السريعة، ويجب تدريب وحدات الرادار بسرعة وبدقة.

(٨) لإحباط هجوم العدو الجوى على مواقع الرادار يتم الانتقال السريع إلى المواقع التبادلية عقب إجراء العدو لاستطلاعه.

(٩) يؤدى الإخفاء الطبيعى – المناطق الشجرية – دورًا ممتازًا فى إخفاء أجهزة الرادار ويجعل من الصعب على العدو اكتشافها لمهاجمتها.

(١٠) لإخفاء المواقع الجيدة الإخفاء يجب المناورة بالإرسال – هوائى – مكافئ – قبل وصول العدو لمواقع الرادار بمسافة ١٠ – ١٥ كم.

(١١) تؤدى الأجهزة المختلفة النوعيات ـ أى متعددة الترددات ـ إلى زيادة قدرة وحدات الرادار على مقاومة الإعاقة الرادارية.

(١٢) وحدات الرادار والإنذار هى العين الساهرة للدفاع الجوى، ويجب على تشكيلات ووحدات الدفاع الجوى خلق التزاوج بينها وبين هذه الوحدات وبين وحدات الصواريخ الموجهة والمدفعية م/ ط لإيجاد التجانس وروح الفريق داخل التشكيلات والوحدات.

الفصل السابع

بناء حائط الصواريخ

المهام العاجلة

تم إيقاف إطلاق النيران كما سبق أن أوضحت ليلة ٦/ ٧ أغسطس ١٩٧٠، وكان عدد كتائب تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) ١٥ كتيبة صواريخ مشكلة فى لواءين اللواء ٩٥ صواريخ، واللواء ٩٧ صواريخ. الأول مشكل من ثمانى كتائب، والثانى مشكل من سبع كتائب، ويحتل كلا اللواءين مواقعه فى المنطقة الواقعة من ترعة الإسماعيلية حتى الحافة الغربية للمنطقة الجبلية، أى على مواجهة قدرها ٤٠ كيلو مترًا تقريبًا. وكان من الواجب استعادة موقف الوحدات التى اشتركت فى القتال فى الفترة الماضية، وذلك بإرسالها إلى الورش فى الخلف لإتمام عملية الإصلاح والضبط اللازمين لها، وكذا كان من الضرورى استعادة توازن موقف قوات الدفاع الجوى بشكل عام وفقًا للأوضاع الجديدة، وذلك بعد وصول وحدات صواريخ سام ٣ من الاتحاد السوفيتى، وقد استدعى ذلك سحب بعض الكتائب للخلف إلى مناطق دفاعية أخرى.

تحددت مهمة الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بعد وقف إطلاق النيران فى الآتى :

أ- الاستعداد الدائم لصد هجمات العدو الجوى المفاجئة.

ب- العمل المستمر على رفع الكفاءة القتالية للوحدات.

ج- سرعة إتمام التحيز الهندسى للمواقع الجارى إنشاؤها.

وتبعًا لتلك المهمة تم إصدار ما يلزم من تعليمات، واحتلت المهمة الأولى الأسبقية الأولى على ما عداها، فالعدو لا يتوقف نشاطه الجوى أبدًا بل يتزايد، فلو أضفنا إلى

ذلك أن العدو لا يتقيد بوعود أو مواثيق لا تضح لنا مدى عبء الذى وقع على عاتق الفرقة الثامنة (دفاع جوى) دون غيرها من تشكيلات الدفاع الجوى، فالاستعداد يعنى الكثير، فأول ما يعنى يقظة كاملة للأفراد، وصلاحية تامة للمعدات التى يعملون عليها، ومراقبة رادارية وبصرية لنشاط العدو الجوى لمنعه من مفاجأة وحدات الفرقة، وتبعًا لذلك كان من الضرورى أن تعمل المعدات نهارًا وليلًا، ولا شك أن معدات الرادار ما هى إلا معدات إلكترونية معقدة ودقيقة للغاية، وأى خطأ فيها لا ييسر لها النجاح فى مهمتها، كما أن كثرة ساعات تشغيلها يقلل من كفاءتها، أو بمعنى آخر ينقص من عمرها الافتراضى المحدد لها.

كان من الضرورى وقد توقف القتال أن نبدأ فى تجميع خبرات القتال، وذلك بتحليل أعمال القتال التى تمت لمعرفة نقط القوة ونقط الضعف وأسباب النجاح وأسباب القصور وبالتالى تحديد الأسلوب الواجب اتباعه مستقبلا للتعامل مع العدو الجوى بمجرد أن يبدأ القتال مرة ثانية وتدريب الوحدات عليه.

كان هناك مزيد من العمل أمامنا، وكان هذا العمل يستلزم مزيدًا من الجهد من الجميع وأى عمل مطلوب إن لم يسبقه تخطيط دقيق مبنى على الإدراك التام بما هو مطلوب، ذلك الإدراك المبنى على بعد النظر لاحتمالات المستقبل فلن يحقق العمل النجاح المطلوب.

كان أمامنا على سبيل المثال كيف ندرب الوحدات على التعامل مع الأهداف العالية التى تطير على ارتفاع عالٍ جدًا من ١٨ - ٢٢ كم. تلك الأهداف التى فاجأنا بها العدو منذ منتصف يوليو ١٩٧٠ والتى أثارت قلقًا لدينا لعدم تدريب الوحدات على أنواع مماثلة لهذه الطائرات من قبل. كان أمامنا التدريب على أسلوب التعامل مع الأهداف الحاملة للإعاقة الإلكترونية، وخاصة أن العدو استخدم أنواعًا جديدة من الإعاقة الإلكترونية لم تكن معروفة من قبل. لقد كان فى دخول الطائرات الفانتوم فى تسليح القوات الجوية الإسرائيلية أثر كبير على قوة وتنوع الإعاقة الإيجابية التى استخدمها العدو، والتى أثرت كثيرًا على الاشتباك مع العدو خلال قتال يوليو وأغسطس ١٩٧٠، وكذلك كانت هناك حاجة إلى تدريب الوحدات على أسلوب الاشتباك مع أنواع

الهجمات المختلفة المنخفضة جدًا، والمنخفضة والمتوسطة وكذا أسلوب تمييز الأهداف الكاذبة من الأهداف الحقيقية، وعلى قمة كل ذلك أسلوب التدريب على التعامل مع الأهداف التى تقوم بإطلاق الصواريخ شرايك، ذلك الصاروخ الذى قدمته أمريكا لإسرائيل بعد وقف إطلاق النيران مباشرة كى يقف سلاحًا فى يدها ضد تجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) فى القناة عمل ضخم، لو قيس المطلوب بالزمن المتيسر لا تضح لنا عدم كفاية الوقت المتيسر، فإيقاف إطلاق النار تحددت مدته بثلاثة أشهر، وتبعًا لذلك القيد كان من الواجب أن ننتهى مما هو مطلوب منا وما حددناه، لأنفسنا قبل انتهاء فترة إطلاق النار، سباق مع الزمن، ولكن كيف يتم ذلك وفى غمرة هذه المهام تقرر دعم الفرقة بوحدات جديدة كتائب من سام ٢ المتطور، كما أورى بذلك الجانب السوفيتى، ولكن اتضح فيما بعد أنها سام ٢ غير المتطورة وأنها من الجيل الأول من الصواريخ الذى أنتجه الاتحاد السوفيتى فى منتصف الستينيات، وكانت هذه الكتائب دون المستوى العلمى، فقد تم تدريبها وتشكيلها على عجل بالإضافة إلى جميع كتائب الصواريخ من طراز سام ٣ التى تم تدريبها فى الاتحاد السوفيتى.

لقد وصلت الوحدات التى أرسلت إلى الاتحاد السوفيتى فى أوائل أغسطس ١٩٧٠ تقريبًا بعد إتمام تدريبها هناك علمًا بأن هذه الوحدات أتمت تدريبها وأنهته بإجراء رماية فى مايو ١٩٧٠، وظلت بدون عمل هناك ولو كانت هذه الوحدات عادت فى هذا التاريخ ودخلت جبهة القتال مع الأعداد التى تيسرت من كتائب الصواريخ لتغير الموقف تمامًا فبدلًا من مقابلة العدو بقوة ١٥ كتيبة صواريخ على مواجهة ٤٠-٥٠ كم كان من الممكن مقابلته بأكثر من ٣٠ كتيبة صواريخ على مواجهة ٧٠-٨٠، كم ولا شك أن وجود وحدات صواريخ سام٣ بأعداد كبيرة لأول مرة فى المعركة سيحقق لها المفاجأة على العدو، مما سيؤدى إلى إلحاق خسائر كبيرة به - ولكن شكرًا لله - لقد كانت هذه الوحدات دون المستوى القتالى المطلوب وليس ذلك ذنبهم وإنما تدريبهم تم بطريقة لا تؤهلهم لدخول المعركة فورًا،ولا ندرى حتى ذلك الوقت أكان ذلك مقصودًا أم كان هذا هو المستوى المطلوب أن يصلوا إليه، فلو أضفنا إلى ذلك عدم توفير الخبرة القتالية للكثيرين منهم لحمدنا الله على عدم دخولهم المعركة فى يوليو ١٩٧٠،

ولكـن قبـل أن أترك هذه النقطة فإننى أتسـاءل ألا كان من الممكن عـلى أصدقائنا وهم يعلمـون تمامًـا موقفنا ومـدى ما تعرض له العمـق المصرى من أخطـار وعمليات إبرار وعمليـات إرهاب ومـا كانت تتعرض له جبهة القتال من عربدة نهـارًا وليلًا - ألا كان الأجدر بهؤلاء الأصدقاء أن يقدروا هذا الموقف وأن يجدوا ويجتهدا ولا يدخروا وسـعًا فى تدريب هذه الوحدات حتى تصل إلى جمهورية مصر العربية، وقد أتمت تدريبها تمامًا، ولا سـيما أن الوقت الذى اسـتغرقته هذه الوحدات كان كافيًا تمامًا. ولكن من الواضح أن هذا التقدير يخالف اسـتراتيجيتهم الموضوعة للمنطقة، فمنذ مارس ١٩٧٠ وصلت وحدات سـام ٣ الروسـية واحتلت مواقعها حول القاهرة والإسـكندرية لوقاية العمق الاستراتيجى والأغراض الحيوية من عمليات الإبرار وعمليات الإرهاب التى يخطط لها العـدو. واعتبر الأصدقاء ذلك كافيًا؛ لأنه لن يجرؤ الإسرائيليون على مهاجمة وحداتهم، أما من ناحية جبهة القتال والصراع المسـلح فى المنطقة فلا شـك أن استراتيجيتهم كانت مبنية على استمراره؛ لأن فى استمراره العديد من المكاسب التى تعود عليهم.

فى آخر أغسـطس ١٩٧٠ تقرر تدعيم الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بوحدات سـام ٣ كلها ومقدارها ٣ لواءات صواريخ، وهى اللواءات ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧ صواريخ وذلك بغرض توفير الوقاية المطلوبة للتجميع الرئيسـى للجيشـين، الثالـث والثانى الميدانيين، إذ إنـه حتـى ذلـك الوقت كانت هنـاك قطاعات من جبهـة القتال لا تيـسر لها وحدات الصواريـخ الوقاية المطلوبة بالكثافة والإمكانيات الصحيحـة، فحتى ذلك الوقت كان القطـاع الشـمالى من الجبهـة الممتد من الإسـماعيلية - القنطـرة خاليًا تمامًـا من وحدات الصواريخ، ولم يكن القطاع الجنوبى من الجبهة الممتدة من البحيرات المرة الكبرى حتى السويس بأوفر حظ منه.

كان من البديهى أن تتخذ جميع الترتيبات لاحتلال الوحدات لمواقعها دون أن يشعر العدو، وفى سـبيل ذلـك اتخذت عدة ترتيبات لفرض نطاق مـن السرية على التحركات واستخدمت المواقع الهيكلية بكثرة مع عدم تكليف الوحدات الجديدة بخدمة العمليات بعد إتمام احتلالها لمواقعها لحين إتمام تنفيذ خطة احتلال اللواءات الثلاثة، مع الاستعداد الدائم لصد أى هجمات معادية للعدو، أو التعامل مع أى أهداف معادية تقوم باختراق المواجهة بغرض الاستطلاع.

وضعـت الخطـة اللازمـة لذلك، وتقـرر أن يتم احتـلال الوحدات عـلى مرحلتين، المرحلـة الأولى تتـم بلواءيـن فى الفترة مـن ٥ إلى ١٢ سـبتمبر ١٩٧٠، وفعلًا بدأ دخول اللـواء ١٠٦ صواريخ يوم ٦/ ٩/ ١٩٧٠، واللواء ١٠٧ صواريخ، يوم ٩/ ٩/ ١٩٧٠، أما المرحلة الثانية والتي كانت تشـمل احتلال اللواء ١٠٥ صواريخ فقد كان من المقدر لهـا أن تتم تحت ضغط العدو، وحدد لها ثلاث ليال، ليلة ١٨/ ١٩، ١٩/ ٢٠، ٢٠/ ٢١ سـبتمبر ١٩٧٠، ولم يكـن هذا التقدير نابعًا من كثرة عـدد الوحدات وإنما كان نابعًا من المناورة الواسعة على طول المواجهة التى استمرت طيلة هذه الأيام، مناورة إلى الأجناب وإلى الأمـام حتـى اتخـذت الوحدات أوضاعها المحـددة فى الخطة، أعقـب ذلك مناورة للأمام والأجناب اسـتمرت حتى يـوم ١/ ١٠/ ١٩٧٠، حتى أصبحت الوحدات على مسـافة ١٨-٢٠ كـم من القنـاة بطول المواجهة من القنطرة شـمالًا إلى السـويس جنوبًا، وأصبحت فعلا تقوم بتوفير الوقاية فعلا لتشكيلات الجيشين. الثالث والثانى الميدانيين تمامًا ما ضد أى أعمال يقوم بها العدو الجوى الإسرائيلي بكثافة وإمكانات صحيحة.

لم يخف على العدو ما يجرى من جانبنا، فالعدو يعلم تمامًا أن وحدات الصواريخ سام ٣ وصلت إلى جمهورية مصر العربية ومنذ وصولها وهو يراقب الاتجاهات التى سـتدفع إليهـا، وتبعًا للمناورة التى قامت بها الفرقـة الثامنة (دفاع جوى) للأمام والأجناب بدأ العـدو يركـز تمامًا اسـتطلاع المواجهة عـدة مرات فى اليوم الواحد، ونشـط اسـتطلاعه الإلكترونى لتحديد مصادر الإشـعاع الرادارى الجديدة ونوعيتها. ومن مقارنة الصور الجوية مع معلومات الاستطلاع الإلكترونى تمكن العدو من التأكد من دخول صواريخ سـام ٣ إلى جبهة القتال، فبدأ فى تنشـيط وسائل اسـتطلاعه المختلفة لتجميع المعلومات اللازمـة عن معدات سـام ٣، هـذا بالإضافـة إلى مراقبة الموقف على جبهـة القتال حتى لا يفاجـأ بـأى عمليات مـن أى نوع، إذ إن العدو لم يألف هذا الحشـد الكبير من كتائب الصواريخ الموجهة أرض - جو من قبل. لقد تمكن العدو من التقاط العديد من الصور الجوية بواسـطة طائرات الاسـتطلاع المتيسرة لديه، فطائرت الاستطلاع الفانتوم مجهزة بكامـيرات تقوم بالتصوير الرأسـى والمائل، والنوع الأخير مـن التصوير ييسر الحصول عـلى صـور جويـة للأغراض الموجودة على مسـافة تصـل حتى ١٠٠ كم من خط سـير

الطائرة، ولقد نشر العدو فى المجلات الأجنبية صورًا للتجميع فى إحدى مراحله، وبناؤه لم يكتمل بعد، وبمجرد أن اكتمل بناؤه أطلق عليه العدو حائط الصواريخ وأصبح هذا الاسم هو الاسم السائد له، ولكن لماذا أطلق عليه العدو هذا الاصطلاح؟

لم يكن العدو مغاليًا فى ذلك فتجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) وصل فى ذلك الوقت إلى ٣٨ كتيبة صواريخ من أنواع سام ٢، ٢ معدل، ٣ يخدمها بعض الوحدات الفنية الأخرى، وتحتل المنطقة الممتدة من بحيرة المنزلة شمالًا حتى جبل عتاقة جنوبًا وعلى انساق يبعد النسق الأول منها عن القناة نحو ١٨ كم وبعمق ٢٥ كم أو أكثر أى يحتل بوحداته منطقة قدرها ٢٥٠٠ كيلومتر مربع تقريبًا، بحيث يغطى مواجهة وعمق الجيشين الميدانيين الثالث والثانى، ويغطى بصواريخه منطقة مساحتها ١٣٦٠٠ كيلو متر مربع، ولا شك أن إطلاق كلمة حائط عليه هى أقرب تسمية له، فهو يقف كسد منيع فى وجه القوات الجوية الإسرائيلية إذا حاولت أن تهاجم قوات الجيشين الثالث والثانى الميدانيين، أو تحاول التسلل للقاهرة، وهى العاصمة السياسية من الشرق، ولكن أى سد يمكن التغلب عليه بالوسائل العلمية الحديثة فليس فى الفكر العسكرى اليوم كلمة مستحيل فى ضوء التقدم العلمى والتكنولوجى الذى يقفز يومًا بعد يوم. لقد كانت أجناب حائط الصواريخ مكشوفة، وكلها ترتكز على هيئات طبيعية تيسر للعدو مهاجمة أجنابه بنجاح، فالجانب الأيسر يرتكز على بحيرة المنزلة، مسطح مائى كبير يتصل بالبحر الأبيض المتوسط، ويمكن العدو استخدامه فى مهاجمة حائط الصواريخ على ارتفاع لا يزيد عن ٥٠ م معقدًا عملية اكتشافه والاشتباك معه، كما أن جانبه الأيمن يرتكز على جبل عتاقة ذلك الجبل الذى يحتل مساحة من الأرض طولها ٣٠ كم وعرضها ٣٠ كم تقريبًا، ويرتفع إلى ٩٧٠ مترًا، ويطل على خليج السويس، ويمكن للعدو استخدامه تمامًا والغطس منه على جانب حائط الصواريخ وتدميره، هذا بالإضافة إلى أساليب الهجوم الجديدة التى يتبعها العدو، وأسلحة الخمد التى سلحته بها أمريكا والتى تنبع أساسًا من خبرة قتال القوات الجوية الأمريكية فى فيتنام، ومن هذا المنطلق كان لابد من التفكير فى حماية أجناب التجميع، وفعلا تم دعم حائط الصواريخ بكتيبتين من الصواريخ الفردية المحمولة على الكتف، وهى صواريخ سام ٧، وبهما أمكن توفير الوقاية لأجناب التجميع، وقد أدى استخدامها بذكاء إلى أن تؤدى المهام المطلوبة منها بنجاح منقطع النظير فى حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ - ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

المشكلات العاجلة

لم يكـن إعـداد حائط الصواريخ أمـرًا هينًا لقـد احتلت وحداته الفرعيـة أماكنها فى تشـكيل القتال الذى يؤهلها لتوفير الوقاية للقـوات البرية المحتلة لمواقعها غرب القناة، وأصبـح من الـضرورى والقتال قد توقف منذ مدة أن يبدأ إعداد هذه الوحدات للقتال فى أى وقت، فاحتمال عدم تجدد اتفاقية وقف إطلاق النار احتمال موجود؛ لأن الاقتناع السـائد لدينا وقتئـذ أن إسرائيل لا تحترم مواثيق ولا عهـودًا، وأن قبولها لمبادرة روجرز وقتئذ قد يكون مناورة تكتيكية تبغى من ورائها إيقاف حرب الاستنزاف التى استمرت أكثـر من عام، أو إيقاف اسـتنزاف قواتها الجوية بعد خسـائرها فى حـرب يونيو ١٩٧٠ وهـى فى بدايـة تطويرها، فلم يكن لدى إسرائيل وقتئذ سـوى ٢٥ طائـرة فانتوم بدأت تتسـاقط منها أعداد، وخشيت أن يسـتشرى ذلك مما يؤدى إلى فقدان الثقة بهذه الطائرة التى ملأت بها أسماع الدنيا.

ولكـن واجهنـا فى التفكير والإعداد الكثير من المصاعب، كان أول هذه المشـكلات وأعقدها أن وحدات الصواريخ احتلت مواقعها الأمامية على مسافة ١٨ - ٢٠ كم من قناة السـويس، ووفقًا لأجهزة الرادار المتيسرة لديها وقدرتها على كشف الطائرات المنخفضة جـدًا، تلـك الطائـرات التى تطير على ارتفـاع ٥٠ م أو ١٠٠ م محـدود لا يتجاوز ٤٠ - ٥٥ كيلـو مترا، ويعنى ذلـك أن وقف الإنذار المتيسر للوحـدات الأمامية لايزيد عن ٣ دقائق فى أحسن الأحوال. ويعنى ذلك أن العدو قادر على أن يفاجئ الوحدات الأمامية ويدمرها دون أن تتمكن من الاشتباك معه. لقد ترتب على هذه المشكلة ضرورة تواجد وحدات حائط الصواريخ فى درجة استعداد عالية، ويعنى ذلك وجود نسبة مئوية عالية من الوحدات جاهزة فورًا للتعامل مع العدو لو حاول الاقتراب من كتائب الصواريخ، أو القيام باختراق فى اتجاه الغرب، ويعنى ذلك تخطى القناة للغرب، ولا شك أن وضع الاسـتعداد القتالى هذا يتعارض تمامًا مع الإعداد التدريبى اللازم للوحدات من ناحية، كما أنه سيؤدى إلى استهلاك كبير فى عمر المعدات، ولكن هل كان هناك حل آخر يوقف اسـتنزاف المعـدات ويحقق قدرًا معقولا من التدريب؟ لا شـك أن هنـاك حلولا ولكن لم ندعهـا، وسـنبين أسـباب ذلك فيـما بعد. أما ثانى هـذه المصاعب فـكان مرجعه يعود

إلى نفس التركيب التنظيمى لحائط الصواريخ، ذلك الحائط مكون من نوعيات مختلفة من صواريخ سام ٢ معدل، ٣ ولكل منها خصائصها وأسلوب الاستخدام الخاص بها - هذا الاختلاف فى حد ذاته ربما لا يكون مشكلة صعبة وإنما اختلاف مستويات الوحدات وخبرتها القتالية كان هو المشكلة الملحة فإذا استثنينا الوحدات التى اشتبكت مع العدو خلال عام ١٩٧٠، نجد أن باقى الوحدات دون المستوى التدريبى - من الناحية النظرية البحتة، فضلا على أنه لا يتوفر لها خبرات عملية كافية للعمل على المعدات بطريقة صحيحة سليمة، مما جعل تعطل المعدات عن العمل أمرًا مسلمًا به، بل هو الأمر الغالب، فلو أضفنا إلى ذلك عدم توفر الخبرة القتالية لأفرادها لا تضح لنا أن هذه الوحدات كانت غير قادرة على دخول معركة عاجلة والاشتباك بنجاح مع العدو، وإلا وقعت فريسة سهلة ولا سيما أن القوات الجوية الإسرائيلية التى ستقابلها تعتبر قوات جوية من نوع فريد.

هذه هى المشكلات التى واجهتنا بعد إتمام البناء المادى لحائط الصواريخ غرب القناة، وكان علينا نواجهها تمامًا، وأن نقوم بالتدريب والإعداد ورفع المستوى للأفراد ضباطًا كانوا أو جنودًا، وأن نكون مستعدين لقتال العدو فى الوقت نفسه.

لقد كانت أولى المشكلات كما ذكرت هى مشكلة الاستعداد القتالى الذى وقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق التدريب والحفاظ على كفاءة المعدات، لقد توقف القتال ليلة ٦/ ٧ أغسطس ١٩٧٠. وكان من الطبيعى أن يتوقف معه نشاط القوات الجوية الإسرائيلية أو يقل نشاطها أو يقتصر على عمليات الاستطلاع فقط. ولكن ذلك لم يحدث، ولم يكن السبب فيه يرجع إلى الإسرائيليين بقدر ما كان يرجع إلى النشاط العالى الذى يتم غرب القناة. ذلك النشاط الذى صاحب انتقال حائط الصواريخ للأمام ثم دخول وحدات الصواريخ الجديدة من أنواع سام ٢، سام ٣ تدريجيًا ثم المناورة الواسعة للأجناب وللأمام لتغطية باقى قطاعات الجبهة، ولو سلمنا جدلًا بأن ذلك الاستعداد كان ضروريًا أثناء المناورة الواسعة التى تتم والتى انتهت فى أوائل أكتوبر تقريبًا فلماذا يستمر هذا الوضع إلى نهاية عام ١٩٧٠. والواقع أن هناك أسبابًا ظاهرة ولا أقول مختفية استدعت ذلك، ولكن فى حقيقة الأمر لم تكن إلا شعارات تخفى من ورائها الدوافع

الحقيقيـة لذلك الاسـتعـداد العالى، والتى لـم يلتفت إليهـا أحـد من المسئـولين، أو يعمــل على الحد منها.

إن السـبب الظاهـر هـو الاسـتعداد الكامـل للتصـدى لأى هجـوم جـوى تقوم به القـوات الجوية الإسرائيلية على حائط الصواريخ، وخاصـة أثناء قيامه بالمناورة، وذلك بغـرض النيـل منه بتدمير عدة وحـدات منه. لقد قبلت إسرائيل وقـف إطلاق النار أثر قبولها لمبادرة روجرز، فهل كان فى نيتها أو فى إمكانها أن تقوم بمثل ذلك العمل. الواقع أن قبـول العـدو للمبادرة الأمريكية وقرار وقف إطلاق النـار يوضح أن العدو ليس فى نيتـه كسر وقف إطلاق النار وبدء حرب اسـتنزاف جديدة، فمـن ناحية إمكاناته يكفى أن نعلـم أن العـدو قبـل وقف إطلاق النـار بعد خسـائره فى قواته الجويـة والتى بلغت ٩ طائـرات أغلبهـا من نـوع الفانتوم - وهو بهذه الخسـائر ضنين. ولنـا فى تصريح أحد المسئولين الإسرائيليين والذى أعلن فيه عقب خسائرهم فى يوليو ١٩٧٠، بأنه لا يمكن الاستمرار فى القتال؛ لأن القوات الجوية الإسرائيلية بدأت تتآكل ويعنى ذلك أنه برغم وجود السـلاح الجوى فإن إمكاناته لا يمكن أن تقف وهى تتآكل بهذه السرعة ندًا أمام حائط الصواريخ. ومن ذلك نسـتخلص أن الأسـباب الظاهرة ما كانت إلا قناعًا تم به إقناع المسئولين لتحقيق الأسباب الخفية، والتى كانت هى الهدف الرئيسى من وراء هذا العمل.

أما الأسباب الخفية فتكمن فى سببين أولهما :

الرغبة الجامحة لدى الخبراء السـوفييت لمعرفة موقف القوات الجوية الإسرائيلية تجاه هذا التسليح الجديد، أو بمعنى آخر دراسة كيف يمكن لهذا التسليح الجديد التعامل مع العدو، كذا دراسة الفعل التكنولوجى الذى ستقوم إسرائيل بمعاونة الولايات المتحدة الأمريكية وذلك كرد فعل لإعادة التوازن نوعًا وكمًا إلى جبهة القتال.

أما السـبب الثانى فيكمن فى الرغبة الجامحة لدى الخبراء السوڤييت لتشغيل المعدات إذ إن تشـغيلها المسـتمر سـييسر التعرف على عيوبها لإمكان ملافاتها مستقبلًا بالإضافة إلى أن تشـغيلها يعتبر وسـيلة لاسـتهلاك قطع الغيار، وكلما زادت ساعات التشغيل زاد اسـتهلاك قطع الغيار، بالإضافة إلى ما يسـببه ذلك التشـغيل من نقص فى عمر المعدات وكثـرة أعطالهـا وتعدد أخطائها بما يسـبب عدم سـلامتها أثناء القتـال، ويكفى أن نعلم

أن كثيرًا من كتائب الصواريخ الجديدة فى ضوء ذلك التشغيل لمدة ستة أشهر تعدت ساعات تشغيلها أكثر من ٢٠٠٠ ساعة، ويعنى ذلك أنها قاربت ربع عمرها الافتراضي، وببساطة إذا استمرت على هذا المعدل ينتهى عمرها خلال أربع سنوات، ولم يقف الأمر منهم عند ذلك الحد بل استمر افتراضهم لقيام العدو بهجوم جوى مفاجئ على حائط الصواريخ قائمًا بين وقت وآخر طول مدة وجودهم، مما أدى إلى تشغيل المعدات بنفس المعدل فترات متقطعة خلال عام ١٩٧١ . لقد أدى ذلك إلى أن دخلت كثير من المعدات حرب رمضان وقد استهلكت أكثر من نصف أو ثلثى عمرها الافتراضى، ويعنى ذلك اهتزاز الثقة فى المعدات والنتائج التى يمكن أن تحققها عند اشتباكها مع القوات الجوية الإسرائيلية فى أى قتال مقبل.

وبرغم ما أبديناه من عدم ارتياح لأسلوب تشغيل المعدات فإنه لم يلتفت لامتعاضنا، وإزاء ذلك الموقف كان لابد من أن نكسر الجمود الذى يحيط بالتدريب. وفعلا اهتدينا إلى حل. لقد وجدنا فى الليل فرصة سانحة للتغلب على مشكلاتنا حيث يتوقف نشاط العدو، وليل الشتاء ما أطوله إلا أنه من الناحية الأخرى ما أسأمه، فبمجرد أن يسدل الليل أستاره تزداد برودة الجو رويدًا رويدًا، فإذا علمنا أن الكثير من الوحدات يتواجد على هضبات مرتفعة قد تصل ارتفاع بعضها إلى ٣٠٠ متر عن سطح البحر وفى مناطق صحراوية جبلية لا تضح لنا مدى برودة الجو فى هذه المواقع، لقد كانت درجة الحرارة تصل إلى الصفر فى كثير من الأحيان، وتتجمد المياه، وكان على الوحدات أن تقوم بنشاطها التدريبى فى مثل هذا الجو، استعداد بالنهار وتدريب بالليل، لقد وجد مقاتلو حائط الصواريخ عزاءً فى عملهم الليلى أشعرهم بالدفء، لقد كان العمل على المعدات فى الليل القارس البرودة عملا محتملا، إذ كانت المعدات الإلكترونية التى يعملون عليها تشع الدفء فى أماكن عملهم، مما جعلهم يستعذبون العمل ليلًا، غير أن ما كان يحيل هذا الدفء إلى جحيم هو استكمال التدريب خارج المعدات، وكان عليهم أن يتدثروا خلال هذا النوع من التدريب بكل الوسائل المتيسرة، لقد كان تدريبهم يمتد إلى الفجر تقريبًا، يليه قسط محدود من الراحة لتبزغ بعدها أضواء النهار، وتدور العجلة من جديد استعداد فى النهار أو صيانة للمعدات وتدريب فى الليل. ما أعذب الإرهاق على قلوب هؤلاء الرجال، ما أعذبه وهم يتنافسون فى أداء الواجب، وما أعذبه وهم يعدون أنفسهم بصدور مفتوحة لمعرفة كل جديد، وما أروع هؤلاء الرجال، رغم الإرهاق،

فإنـك كنـت ترى فى أعينهم وفى أحاديثهـم الإصرار على رغبتهم فى لقـاء العدو ليثأروا لشـهدائهم وكرامتهم، وليسددوا معه الحساب، وكان على أن ألتقط هذه النار المتأججة فى هذه الصدور الفتية، وأن أعمل على زيادة جذوتها اتقادًا، وأن أحافظ عليها بأسلوب علمى سليم لأدخلها المعركة وهى أشد ما تكون اشتعالًا، وكنت واثقًا أنها بهذا الشكل ستجعل صواريخهم أشد فتكًا مما هى، وأن قدراتهم ومهارتهم إذا ظهرت وتجلت ولمعت فى السـاعات الأولى فسـيؤدى ذلك إلى إفقاد اتزان العدو، وهنا يبدأ فى أن يخسر الحرب لأول مـرة، ولكن كيف أمكن الحفاظ على هذه الجـذوة ؟ وكيف تم الوصول بقدراتهم ومهارتهم إلى درجة اللمعان ؟ هذا ما سنوضحه بتفصيل فيما بعد.

كانـت وحدات سـام ٣ هى شـغلى الشـاغل، فقـد وصلـت إلى أرض المعركة وهى دون المسـتوى، ووصـل معها عـدد محترم من الخـبراء، قلة منهم على مسـتوى، وأكثرية دون المسـتوى، ولم تصـل أى مراجع لهذه المعدات، وقد تم مواجهـة الموقف بحزم تام، ووضعـت خطـة متكاملـة لتدريبهم عـلى مراحل تتفـق وتوقيتات وقف إطـلاق النار، ووضـع لكل مرحلة ما يجب إنجازه، بحيث تكون الوحدات جاهزة فى نهايتها، وقادرة على تنفيذ مهامها بكفاءة قدرتها فى ذلك الوقت بما يتراوح ما بين ٥٠ - ٦٠ ٪ من الكفاءة القتالية المطلوبة، وتعشـمت خيرًا فى ذلك المسـتوى الذى لا يمكـن أن تبلغ أكثر منه فى ضـوء الظـروف المحيطة التـى أشرت إليها، وبات ذلـك الموقف يقلقنى تمامًـا، لقد كنا متوقعـين القتـال فى أى وقت، فبالإضافة إلى كثرة الاحتـمالات التى كانت تأتى إلينا من القيادة العليا بذلك كان نشـاط العدو الجوى يتزايد بتزايد تسـليح قواته الجوية فى ضوء ما عقده مع الولايات المتحدة الأمريكية من صفقات. فاستطلاعه الجوى والإلكترونى يتم يوميًا وبأكثر من طلعة. إقامة التحصينات والسواتر الترابية على القناة قائمة على قدم وساق، بل كانت يتم ليلًا فى أحيان كثيرة على ضوء الأنوار الكاشفة؛ كذلك فتحه لقواته الجوية واستدعاؤه الطيارين الاحتياط للتدريب، وجلبه لطبقة من الطيارين المرتزقة يتم من وقت لآخر كل ذلك جعل الموقف منذرًا بقتال يستدعى منا الإسراع فى الإعداد كلما كان لذلك سبيل.

لقد كانت وحدات سام ٢ فى بداية وصولها إلى مصر محل دعاية من الجانب السوفيتى على قدرتها الفنيّة وخصائصها التى تيسر لها تعاملا أفضل مع القوات الجوية الإسرائيلية بالذات، وتبعًا لما صاحبها من الدعاية التى قام بها الخبراء صدقنا جميعًا ذلك وأملنا منها

خيرًا، لقد كان أملنا ناجمًا من المعلومات التى أعطوها إيانا، وكم خاب أملنا هذا بمرور الايـام لدرجة أدركت معها أنها ستكون عبئًا على عاتقى فى أثنـاء المعركة، لقد جابهتهم بذلـك بصراحـة، فـما كان منهـم إلا أن أوروا أن هذا القديم أفضل مـا يكون، وإن هذه الوحـدات ثمنهـا رخيص إذا قيس بغيرها مـن نوعيات أخرى، لقد صـح ما توقعته فى القتال فعلا، لقد كانت عبئًا ثقيلا، بل كابوسًا يؤرقنى طوال المعركة.

ذكـرت أنـه كان من الواجب عـلى حائط الصواريـخ أن يكون على استعداد لمقابلة العدو، ذلك العدو الذى لا يحترم أى مواثيق أو قوانين، والذى إذا ما لاحت له الفرصة النجـاح لا يتركهـا، ضاربًا عرض الحائط بكل شـىء، وواضعًا المجتمـع الدولى كله أما الأمر الواقع، هذا هو الواقع الذى تؤيده الحروب والاشتباكات المتتالية التى وقعت بين ١٩٤٨ - ١٩٧٠ . لقد كان نشاط العدو الجوى يتزايد يومًا بعد يوم فى ضوء ما وصله من طائـرات جديدة، وخاصة أنه تعاقد مع الولايـات المتحدة الأمريكية على صفقة جديدة مـن طائرات الفانتوم وسـكاى هوك فى أعقـاب قبول إسرائيل لمبـادرة روجرز، أضف إلى ذلـك مـا كان يصل من معلومـات عن نوايا العـدو وكلها تفيد باحتـمال قيام العدو بعمـل عدائـى على جبهة القتال إما ضـد القوات البرية أو ضد حائـط الصواريخ، وكم جاءت التحذيرات تفيد بأن العدو سـيوجه ضربة جوية شـاملة كـى تتفاوض إسرائيل مـن مركز القـوة، وفى غمرة هذه المعلومات والتعليمات وضرورة الاستعداد لمقابلة أى احتـمال ظهـرت الحاجـة الملحّة إلى نوع مـن الثبات - ولو المحـدود - للوحدات، حتى يتسـنى لها بعض الوقت لتزيد من تدريبها، خاصة أن جميع الوحدات الجديدة كانت فى أمس الحاجة إلى التدريب لرفع مستواها.

إن إعداد حائط الصواريخ الإعداد القتالى الجيد استلزم وقتًا كبيرًا، واستنفد جهدًا لا حـدود له، وقد كان لهذا الإعداد الممتاز الفضل الأول والأخير فى تحقيق النتائج التى توصـل إليهـا حائط الصواريخ، والتـى جعلت العالم أجمع يقف مبهـورًا أمام نتائجه بل ينفق العديد من الملايين للتوصل إلى أساليب يمكنه بها التغلب على تجميعات الصواريخ أرض - جو، ولكن ماذا شـمل الإعداد الـذى امتد منذ أوائل عام ١٩٧١ إلى أن قامت الحرب فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ أى قرابة ثلاث سنوات.

الباب الثالث

القوات الجوية الإسرائيلية

الفصل الثامن

نشأتها وتطورها وإمكاناتها

نشأة القوات الجوية الإسرائيلية

ترجع نشأة القوات الجوية الجوية الإسرائيلية إلى ما قبل ميلاد إسرائيل، إذ تمكنت إسرائل بما لها من نفوذ فى بريطانيا من الحصول على عدد من الطائرات أوستر، وذلك قبل انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين، وميلاد إسرائيل فى الخامس عشر من شهر مايو ١٩٤٨ ونجاحها فى الاستيلاء على أجزاء كثيرة من الأراضى الفلسطينية وظهور بوادر النجاح فى تكوين الدولة، بدأت فى إرسال مندوبيها إلى مختلف الدول الأوروبية لشراء أى أنواع من الطائرات من مخلفات الحرب العالمية الثانية، وما أكثرها فى ذلك الوقت، تلك المخلفات التى كانت بين أيدى تجار الأسلحة وقتئذ، وفعلا تمكنت إسرائيل من الحصول على بعض الطائرات القديمة من أنواع «موسكتيو، مس شميدت، وموستانج، وبوفايتر، وداكوتا، وهارفارد» وكانت كلها طائرات مروحية مما استخدمت فى الحرب العالمية الثانية. ولم يقف عدم توفر الطيارين أو الفنيين لديها حجر عثرة فى سبيل بناء قوة جوية إسرائيلية، إذ لجأت إلى تجنيد جميع اليهود الذين كانوا يعملون فى القوات الجوية البريطانية والأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك بوسائلها الملتوية مما يسر لها فى النهاية قوة جوية محدودة قادرة على تأمينها ضد أى هجوم عربى يقع عليها، ولم يأت عام ١٩٥٢ حتى كان لدى إسرائيل نحو ١٠٠ طائرة تتكون من أكثر ٢٠ نوعًا.

بناء القوات الجوية الإسرائيلية :

انتهزت إسرائيل الجفاء الذى ساد العلاقات الفرنسية المصرية، ذلك الجفاء الذى يرجع إلى تأييد مصر للثورة الجزائرية، فعملت على توثيق علاقاتها بفرنسا كى تنفذ من

ورائها للحصول على كا تحتاج إليه من أسلحة لجيشها، وقد كان لها ما أرادت، فعززت قواتها الجوية ببعض الطائرات المستير ٤ أ، كما تمكنت أيضًا بفضل ما لها من نفوذ فى الدوائر الغربية من أن تحصل على بعض الطائرات المتيور البريطانية الصنع وغيرها من الأنواع الأخرى الموجودة، وقد بلغت قوة السلاح الجوى الإسرائيلى فى ضوء المعلومات المتيسرة قبل العدوان الثلاثى فى أكتوبر ١٩٥٦ :

١٦	طائرة مستير ٤أ	٢٤	طائرة أورجان قاذفة
١٥	طائرة متيور	٢٩	طائرة موستانج
١٦	طائرة موسكتيو قاذفة	١٧	طائرة هارفارد
٣	طائرات نورأطلس	١٦	طائرة داكوتار

ورغم هذا العدد الكبير من الطائرات، فإن هذه القوة الجوية لم تكن قادرة على الوقوف فى وجه القوات الجوية المصرية التى كانت مسلحة بالطائرات الشرقية من نوع ميج ١٥. ولولا التعهدات التى قدمتها كل من بريطانيا وفرنسا لإسرائيل فيما يختص بتوفير الدعم الجوى اللازم لها ما أقدمت إسرائيل على دخول الحرب عام ١٩٥٦.

كانت حرب ١٩٥٦ نقطة تحول فى بناء السلاح الجوى الإسرائيلى. إذ اتضح لإسرائيل أن ما لديها من طائرات لا يمكن أن يقف بأى حال أمام التطور الذى أدخل على القوات الجوية المصرية بإدخال بعض أنواع الطائرات الميج فى هذه القوات، كما اتضح لها بعد أن حاربت على أرض سيناء وفشلت فى اقتحام المواقع المصرية فى منطقة رفح وأبى عجيلة أن الطيران والمدرعات هما عماد أى قتال فى حرب الصحراء ولم يغب عنها وهى تصل إلى هذه النتيجة ما تمخضت عنه الحرب العالمية الثانية، وخاصة معاركها التى دارت على أرض مصر، والتى أثبتت دون شك أن الطائرة والدبابة هما عماد المعركة الحديثة، بل بدونها لا يمكن أى جيش أن يقوم بأى قتال ناجح. وبحصول القوات الجوية المصرية على القاذفات اليوشين ٢٨ تمكنت إسرائيل من الحصول على القاذفة فوتور من فرنسا، ونظرًا للدور الكبير الذى احتلته القوات الجوية الإسرائيلية من صدارة فى

تنفيذ استراتيجية إسرائيل رأت إسرائيل أن تعمل جاهدة لدعم هذه القوات، وتبعًا لذلك بدأت إسرائيل تعيد بناء قواتها الجوية الإسرائيلية على أسس جديدة، وتسلحها بأحدث الطائرات فتم تزويدها عام ١٩٦٣ بأحدث الطائرات الفرنسية مثل الميراج ٣، بل تمكنت من الحصول على حق تصنيع الطائرة فوجا ماجستر داخل إسرائيل، كى تكون نقطة بدء لمستقبل بعيد تعدُّ له من الآن، وبحصولها على حق تصنيع هذه الطائرة بدأت أول صناعة للطائرات فى إسرائيل.

لم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل أدت الجفوة فى العلاقات الأمريكية المصرية فى أوائل الستينيات إلى وجود مصدر لا ينضب لإمداد إسرائيل بما تحتاج إليه من طائرات، بل إلى وجود مصدر متقدم تكنولوجيًا، وهذه الصناعة ينفق عليها ملايين الدولارات، لقد كانت حرب فيتنام بوتقة انصهر فيها الكثير من الخبرات التكتيكية والتكنولوجية الأمريكية، مما أدى إلى تطور سريع ومتنوع فى صناعة الطائرات الأمريكية، وقد استفادت إسرائيل من ذلك التطور فبدأت تدعم قواتها الجوية بالطائرات سكاى هوك، تلك الطائرات التى وصلت فى نهاية ١٩٦٧، وفى سبيل إعدادها لحرب جديدة تشنها على الدول العربية بدأت تسرع فى استكمال قواتها الجوية كى يمكنها أن تقوم بتنفيذ ما خططت له إسرائيل.

لقد بلغت القوات الجوية الإسرائيلية فى حرب الأيام الستة فى ضوء التقديرات الموجودة وقتئذ لقوة العدو ما يلى :ـ

٧٢	طائرة ميراج ٣	٣٦	طائرة فوتور
٣٦	طائرة مستير	٧٢	طائرة أورجان
٧٢	طائرة مستير ٤أ	١٢	طائرة متيور

أى ٢٩٢ طائرة قتال قاذفة، وقاذفة مقاتلة مضافة، بالإضافة إلى ١٠٠ طائرة فوجا ماجستر للتدريب والمعاونة الأرضية القريبة للقوات البرية، هذا بخلاف عدة عشرات من طائرات النقل والهليوكوبتر.

تطور القوات الجوية الإسرائيلية

كان نجاح القوات الجوية الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧ داعيًا إلى إعطاء المزيد من العناية لهذه القوات، نظرًا لما أظهرته من نجاح خلال حرب الأيام الستة. لقد تمكنت هذه القوات على قلتها، وعدم حداثة الكثير من طائراتها، وتواضع مستواها التدريبى، وكثرة الطيارين الاحتياط فيها - تمكنت فى أقل من ساعتين من تدمير القوات الجوية المصرية وهى رابضة فى مطاراتها - فى ضربة جوية مركزة، ولم تفلح وحدات الصواريخ الموجهة أرض جو والمدفعية المضادة للطائرات الموجودة وقتئذ فى إيقاف هذه الضربة الجوية أو تقليل أثرها.

لقد تبنت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية القوات الجوية الإسرائيلية ووضعتها فى مركز الصدارة بين أسلحة الجيش الإسرائيلى، حتى يمكنها عن طريقها تحقيق استراتيجيتها العسكرية، المبنية على الاستراتيجية الهجومية، ونقل الصراع العسكرى إلى أرض أعدائها، ووضعت لذلك استراتيجية شاملة تتلخص فى الآتى :

أ- تجديد دم السلاح الجوى الإسرائيلى، وذلك بالاستغناء عن الطائرات القديمة تدريجيًا مثل مستير - سوبر مستير - أورجان - فوتور، وكلها من الطائرات التى ظهرت فى منتصف الخمسينيات.

ب- الاعتماد على الولايات المتحدة اعتمادًا كليًا فى الحصول على احتياجاتها من الطائرات، ولم يكن ذلك المبدأ راجعًا إلى إغلاق مصادر السلاح فى وجهها من إنجلترا وفرنسا عقب عدوان ١٩٦٧، وإنما نابع من سرعة التطور الذى لاحق صناعة الطائرات الأمريكية، والذى كان سببه - أساسًا - تورط الولايات المتحدة الأمريكية فى حربها فى فيتنام، مما أدى إلى ظهور نوعيات جديدة تعتبر صيحة فى عالم التطور التكنولوجى فى صناعة الطائرات، مثل الطائرة الفانتوم ف٤.

جـ- بناء صناعة للطائرات فى إسرائيل تعمل فى المستقبل القريب على تحقيق الكفاءة الذاتية لها، وتحقق لها الاحتفاظ بقوة جوية قادرة - من ناحية الحجم والنوع - على إحباط أى نوايا عدائية توجهها الدول العربية لإسرائيل.

د- انطلاقًا من المبدأ السابق يجب وجود كوادر كبيرة من الطيارين والفنيين من مختلف المهن حتى تيسر هذه الكوادر إمكان تحقيق ضربات الإحباط المطلوبة توجيهها وبالشكل المطلوب تنفيذه.

وتبعًا لهذه الاستراتيجية بدأت إسرائيل تعد قواتها الجوية، وذلك بعقد صفقة الطائرات سكاى هوك مع أمريكا بعد حرب ١٩٦٧، وفى عام ١٩٦٨ عقدت صفقة الطائرات الفانتوم التى وصلت أواخر عام عام ١٩٦٨، وللسرعة فى تحقيق ما تريد أرسلت طياريها إلى أمريكا للتدريب على هذه الطائرات الجديدة، وفى نهاية عام ١٩٦٨ بدأت الطائرات سكاى هوك الجديدة تطير على مسرح القتال فى قناة السويس، وما لبثت أن اشتركت فى حرب الاستنزاف منذ بدئها، كما ظهرت الطائرات الفانتوم على مسرح القتال فى ديسمبر ١٩٦٩، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل تمكنت إسرائيل عام ١٩٦٩ من شراء أحد مصانع الطائرات الأمريكية ونقلته إلى إسرائيل. لقد بلغت قوة العدو الجوى فى أوائل عام ١٩٧٠ حسب التقديرات المتيسرة وقتئذ ما يلى :

قاذفات وقاذفات مقاتلة :

٣٧ طائرة فانتوم ف ٤.

هذا بخلاف ٦ طائرات مجهزين للاستطلاع، يتم وصولها فى أوائل صيف ١٩٧٠.

٨٢ طائرة سكاى هوك.

هذا بخلاف ٣ طائرات تصل شهريًا لاستكمال العدد المتعاقد عليه.

٢٥ طائرة مستير ٤ أ.

٢٥ طائرة سوبر مستير.

٢٠ طائرة فوتور.

٥٠ ميراج ٣.

٣٥ أورجان.

طائرات النقل :

٨ طائرات ستراتوكروز.

٢٣ طائرة نور أطلس.

١٢ طائرة داكوتا.

٨ طائرات هيل سوبر فلون.

١٢ طائرة هيل سيكورسكى.

٤٠ طائرة بل ٢٠٥.

مما سبق يتضح أن إسرائيل دخلت مرحلة الحرب الجوية كمرحلة من مراحل حرب الاستنزاف، تلك الحرب التى بدأت فى أوائل ١٩٧٠ وانتهت بوقف إطلاق النار فى ٧ أغسطس ١٩٧٠ ولديها الحجم التالى :

١٦٩ طائرة قاذفة وقاذفة مقاتلة حديثة (فانتوم - سكاى - ميراج).

١٠٥ طائرات قاذفة وقاذفة مقاتلة قديمة من أنواع مستير، وسوبر مستير، وأورجان، وفوتور.

٤٣ طائرة نقل لنقل الأفراد والمعدات والإمدادات.

٦٠ طائرة هيل للعمل فى النقل والمواصلات وأعمال الملاحظة.

لقد كان هذا الحجم هو الحجم الذى وجهته إسرائيل لوحدات المدفعية المضادة للطائرات التى تقوم بوقاية القوات البرية، ووقاية إنشاء مواقع الصواريخ خلال الفترة من مارس إلى يونيو ١٩٧٠، وهو نفس الحجم الذى وجهته إسرائيل لتجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) عند عودته للجبهة ثانيًا فى أواخر شهر يونيو ١٩٧٠.

رأت إسرائيل فى قبولها لوقف إطلاق النار وفقًا لمبادرة روجرز فرصة لتعويض خسائرها، والعمل على زيادة قوتها الجوية بما يحقق لها استراتيجيتها الموضوعة، ويضمن لها استمرار احتلال الأراضى التى استولت عليها عام ١٩٦٧ وبصفة دائمة، وتحقيقًا لذلك عقدت إسرائيل عدة صفقات مع الولايات المتحدة الأمريكية حصلت بمقتضاها إسرائيل على العديد من الطائرات الفانتوم وسكاى هوك، كما حصلت على العديد من أسلحة الهجوم الجوى ووسائل الإعاقة الإلكترونية الحديثة بالإضافة إلى دعم فنى برز فى توقيع اتفاقية التعاون الفنى والتكنولوجى بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية فى ١٧ يناير ١٩٧٠، ورغم ذلك فلم تقنع إسرائيل على ما حصلت عليه أو ما وعدت به، بل عمدت إلى دفع عجلة صناعة الطائرات فيها قدمًا للأمام حتى تمتلك أكبر قوة

جوية ممكنة تيسر لها ردع الدول العربية من موقع القوة دون قتال، فحاولت الضغط على فرنسا لإتمام صفقة الطائرات الميراج التى تعاقدت معها بشأنها، إلا أن التقارب العربى الفرنسى وقف حائلا دون إتمام ذلك.

لقد دفع هذا بعملاء إسرائيل فى عام ١٩٧١ إلى سرقة التصميم الجديد للطائرة الميراج ٥، مما مكن إسرائيل من إنتاج طائرتها الجديدة التى سميت بالبراق، والتى أوردت التقارير أن لدى إسرائيل القدرة على إنتاج عدد يتراوح من ٢ـ ٣ طائرات منها شهريًا.

دخلت إسرائيل حرب أكتوبر ١٩٧٣ ولديها سلاح جوى تبلغ قوته أكثر من ٦٠٠ طائرة بيانها كالآتى :

طائرات قتال حديثة :

١٣٠ طائرة فانتوم ف٤ بها فيها ٦ طائرات استطلاع.

١٨٠ طائرة سكاى هوك.

٥٠ طائرة ميراج.

أى أن إجمالى عدد الطائرات الحديثة ٣٦٠ طائرة قاذفة وقاذفة مقاتلة.

طائرات قتال قديمة:

٣٠ طائرة أورجان.

٤٥ طائرة مستير ٤أ وسوبر مستير.

٢٠ طائرة فوتور

أى أن إجمالى طائرات القتال ١٠٠ طائرة قاذفة وقاذفة مقاتلة.

طائرات التدريب والمعاونة الأرضية :

٨٠ طائرة فوجا ماجستر.

طائرات النقل :

طائرتان ث١٣٠ .

١٢ طائرة داكوتا.

١١ طائرة سترابتوكروز.

٢٢ طائرة نور أطلس.

أى أن إجمال طائرات النقل ٤٧ طائرة.

طـائرات الهليوكوبتر :

٣٠ طائرة هيل بل ٢٠٥.

١١ طائرة هل سوبر فيرلون.

١٢ طائرة هل سيكورسكى.

٥ طائرات هل ألويت.

أى أن إجمالى طائرات الهيلوكوبتر ٥٨ طائرة هليوكبتر

طـائرات مواصلات :

١٠٠ طائرة للمواصلات والملاحظة.

طـائرات موجهـة لاسلكيًا :

٢٠ طائرة شيكار.

٢٠ طائرة ريان فيربى.

فـإذا أضفنـا إلى ذلك ما أنتجتـه مصانع إسرائيـل من طائرات «نـسر»، وهى صورة طبـق الأصل من الميراج، ويقدر ما أنتجته قبـل بدء الحرب بنحو ٤٠ طائرة، لوجدنا أن إسرائيل دخلت حرب أكتوبر ٧٣ بالآتى :

٤٤٥ طائرة قتال حديثة بما فى ذلك طائرات المستير والسوبر مستير والنسر.

٨٠ طائرة معاونة أرضية.

٥٥ طائرة قتال قديمة.

١٠٥ طائرة نقـل وهليوكوبتر.

هذا بخلاف طائرات المواصلات والملاحظة.

هذا هـى التقديـرات الصحيحةللعـدو قبل حرب رمضـان، تلك التقديـرات التى أجمعت عليها جميع المعاهد الاسـتراتيجية فى العالم، إلا أن التقديرات المتيسرة لدينا لقوة إسرائيل الجوية، والتى بنيت عليها جميع حساباتها كانت أقل من ذلك بنحو ١٣٨ طائرة ـ فرق كبير ومخيف ـ ولكن يجب أن نعلم أن الوصول إلى التقديرات الصحيحة لقوة أى دولة وخاصة فى قواتها الجوية يعتبر اليوم من أصعب الأمور.

وهنـا يثـور التسـاؤل مـاذا تعنـى أى قـوة جويـة ؟ هـل تعنـى ذلـك الحجـم مـن الطائرات؟الواقـع أنها تعنى الكثير، فليسـت العـبرة فى القتال بالأعداد وهو ما نسـميه بالكـم، وإنما بالنوع والقدرات، وهو ما نسـميه بالكيف، لذا يجـب لتقدير قوة إسرائيل الجويـة الحقيقيـة لا يكفـى أن تقـول إن لديها ٤٤٥ طائـرة قتال حديثـة، ولكن يجب أن نتساءل من أى النوعيات ؟ وما تسليحها؟ وما مستوى الطيارين الذين يعملون عليها؟ وما مسـتوى الخدمة الفنيـة المتيسرة ؟ وما عدد القواعد والمطـارات التى تخدم مثل هذه القوة وبالتالى ما قدراتها القتالية فى أى حرب؟

ففى مجال النوعيات نجد أن طائرات القتال الحديثة كلها تعتبر من أحدث ما أنتجته صناعـة الطائـرات فى العـالم، بـل على حـد التعبير الشـائع تعتبر أحدث صيحـة فى عالم الطـيران. وكان العـدو يهدف من وراء ذلك إلى أن يتوفر لديـه طائرات ذات مدى كبير وسرعـة عاليـة، لديها القـدرة العالية على المناورة، كـى يمكنها أن تقـوم بالقتال الجوى مـع طائـرات الميج بنجاح، بالإضافـة إلى قدرتها على تنفيذ مهامهـا فى القصف الأرضى للأغـراض بدقة كبـيرة، مع القدرة العالية عـلى إفلاتها من نـيران الصواريخ والمدفعية. ولقـد برهنـت الطائرة الفانتوم فـ٤ قدرتها على ذلـك، وكانت صولاتها وجولاتها فوق فيتنام الشمالية خير مثل على ذلك، ودون الخوض فى تفاصيل، فالطائرة الفانتوم لها قدرة عاليـة على المناورة الأفقيـة، وقدرة محدودة على المناورة الرأسـية، وذلك بعكس الطائرة الميج ٢١ الموجودة لدينا، إلا أن الطائرة ميج ١٧ لها قدرة أعلى منها على المناورة الأفقية،

مما يجعل الطائرة الفانتوم لا تقبل الاشتراك فى معارك جوية معها غير أن النقص فى الطائرة الفانتوم يعوضه وجود الطائرة الميراج ٣ لدى العدو، والتى يتوفر لها قدرة عالية على المناورة فى المستوى الأفقى والمستوى الرأسى، فلو أضفنا إلى ذلك أن كلتيهما يمكنها - بجانب القتال الجوى - إمكان القيام بمهمة القصف الأرضى لا تضح لنا مدى الذكاء المادى المتوارث فى العدو الإسرائيلى فى تخطيطه للحصول على طائرات قادرة على القيام بأغراض متعددة بنجاح، وتحقيقًا لوجود قوة قاذفة قادرة على تدمير الأغراض المختلفة يمكنها أن تعمل إما مستقلة فوق أرض المعركة أو بالتعاون مع الطائرات الفانتوم والميراج، التى تعمل فى هذه الحالة كقوة حماية لها زودت إسرائيل سلاحها الجوى بالطائرات سكاى هوك.

أما النوعيات القديمة الموجودة لدى العدو فلا يعنى اصطلاح قديمة أنها طائرات غير صالحة للقتال، وإنما يعنى أن هذه النوعيات سرعتها ومداها وقدرتها على المناورة العالية محدودة، بذلك فهى ليست ندًا لطائراتنا المقاتلة من طراز الميج، ونظرًا لقدرتها المحدودة على المناورة فهى لا يمكنها أن تؤدى مهامها إلا فى المناطق غير المدافع عنها بعناصر الدفاع الجوى، أو ذات الدفاعات المحدودة، وقد استخدمها العدو فى عمليات أكتوبر ١٩٧٣ فى ضرب سرايا الرادار المنعزلة فى مهاجمة بور سعيد.

إن اهتمام العدو بطائرات النقل وطائرات الهليكوكوبتر يفسر لنا جزءًا كبيرًا من استراتيجيته فالعدو الإسرائيلى يعمل على خطوط مواصلات داخلية، ووفقًا لذلك بنى العدو عقيدته القتالية على القتال فى جبهة واحدة لإمكان تحقيق مبدأ الحشد إذا ما انتهى من جبهة معينة نقل ثقله كاملا للجبهة الأخرى للإطاحة بها كما حدث فى حرب الأيام الستة ١٩٦٧، إذ بدأ العدو مهاجمة مصر أولا ثم سوريا بعد ذلك. وتحقيق هذه الاستراتيجية بنجاح يحتاج إلى سرعة حشد القوات من جبهة إلى أخرى أو سرعة حشدها من اتجاه إلى اتجاه، وتؤدى طائرات النقل والهليوكوبتر فى ذلك دورًا كبيرًا، فإذا أضفنا إلى ذلك مدى اعتناق العدو لاستراتيجية العمل غير المباشر تلك الاستراتيجية التى طبقها خلال العدوان الثلاثى بنزوله فى ممر متلا بوحدات المظلات، والتى طبقها خلال حرب الأيام الستة بمهاجمة القوات المصرية بين رفح والعريش ثم الالتفاف عليها فى اتجاه الجنوب لعرفنا مدى اهتمامه بطائرات النقل والهليوكوبتر، لأنها عماد تحقيق هذه

الاستراتيجية، فلا شك أن إبرار بعض الوحدات جوًا فى مكان ما خلف جبهة القتال أو على أحد أجنابها يحقق للعدو مزايا تكتيكية وتعبوية كبيرة.

أما من ناحية التسليح فطائرات القتال كلها مسلحة بأحدث الأسلحة، فعلاوة على أجهزة الرادار المجهزة بها للمعاونة بها فى القتال الجوى أو القصف الأرضى، نجد أن جميع الطائرات مسلحة بالمدافع المضادة للطائرات متعددة المواسير لاستخدامها فى القتال الجوى أو لضرب الأغراض الأرضية الموجودة فى العراء. هذا بالإضافة إلى قدرة جميع الطائرات التى لدى العدو ـ الحديثة والقديمة ـ على حمل القنابل من الأوزان المختلفة ٢٥٠، ٥٠٠، ٧٥٠، ١٠٠٠ رطل، كذا الصواريخ الحرة أو الصواريخ المواجهة راداريًا مثل الصاروخ بول بب BULL BUB، والصازوخ شرايك أو الصواريخ الموجهة إلكتروبصريًا مثل الصاروخ مافريك، القنبلة المنزلقة وول أى Walleye أو الصواريخ الموجهة حراريًا مثل الصاروخ سباروو سيدويندر Sparrow-side-winder هذ كله بجانب مستودعات النابالم، ومستودعات الإعاقة الإلكترونية، التى يمكن أن تحل محل أى نوع من أنواع الأسلحة السابقة.

مما سبق يتضح لنا مدى تنوع تسليح السلاح الجوى الإسرائيلى، وهذا يبين بجلاء مدى سخاء الترسانة الأمريكية على إسرائيل، بل لقد كان السخاء على أشده عند تزويدها بقنابل البلى Cluster BomBs تلك القنابل التى صنعت لمهاجمة القوات فى العراء، لإحداث أكبر خسائر بها، وذلك بعد تزويدها بالصواريخ شرايك المعدلة المضادة للرادار Staudard and AGM – 18، بعد فشل الجيل الأول من الصواريخ شرايك، والذى استخدم فى سبتمر ١٩٧١، كذا عند تزويدها بوسائل الإعاقة السلبية خلال الحرب، وأنواع أخرى من وسائل الإعاقة الإيجابية بعد توقف القتال.لكن ما سر تلهف إسرائيل على الحصول على الطائرات الفانتوم تلهفًا لم يسبق له مثيل، هل هو قدرتها على حمل قنابل زنة كل منها ٢٠٠٠ رطل، ذلك النوع من القنابل الذى يستطيع أن يدمر أى نوع من التحصينات.أو أن هناك سرًا آخر.الواقع أن الطائرة الفانتوم ف ٤ ما هى إلا قلعة طائرة، ليس من ناحية حجمها ـ وإن كان حجمها كبيرًا نوعًا ما ـ وإنما من ناحية التجهيزات المختلفة المزودة بها مما جعل منها أسطورة، أسطورة فى قتالها الجوى،

أسطورة فى دقة قصفها للأغراض المختلفة، أسطورة فى ملاقاتها لنيران الصواريخ أرض ـ جو، والمدفعية م/ ط بأنواعها، ولا شك أن انتصارها هذا فى المجالات السابقة جعل مجرد ذكر اسمها أو رؤيتها عاملا مخيفًا أو مثيرًا للذعر والارتباك، هذه الطائرة حطمنا منها فى أكتوبر الكثير، أكثر من مائة طائرة على الجبهة المصرية.

إن الفضل فى نجاح هذه الطائرة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ يرجع إلى ثلاثة عوامل أساسية، أولها مستوى طيارى الفانتوم، وثانيها هو قدرات الطائرة من ناحية المدى والسرعة والقدرة العالية على المناورة، وثالثها هو التجهيزات الإلكترونية المجهزة بها، كل هذه العوامل مجتمعة كانت سببًا فى نجاحها، فأما مستوى تدريب طيارى الفانتوم فسنوضحه عند التعرض لمستوى الطيارين عمومًا، أما قدرات الطائرة فيكفى أنها كانت ولا تزال قمة صناعة الطائرات الأمريكية حتى اليوم. أما التجهيزات الإلكترونية المجهزة بها فهى عديدة، فبها أجهزة رادار، وأجهزة حاسبة تمكنها من إتمام تنفيذ مهامها القتالية بنجاح، سواء فى القتال الجوى أو فى القصف الأرضى، بجانب ذلك لديها أجهزة تحذير عديدة، منها ما هو تحذير ضد طائراتنا المقاتلة مع توضيح نوع الطائرة المقتربة منها، وأخرى لتوضيح أجهزة الرادار الأرضية الملتقطة لها مع تحديد نوعية الأجهزة القائمة بالتقاطها، وما أكثر هذه النوعيات بالإضافة إلى أجهزة للتحذير ضد أجهزة رادار إدارة نيران المدفعية م/ ط، إلا أن أهم هذه الأجهزة هو تلك الأجهزة التى توضح للطيار أن محطة توجيه الصواريخ ملتقطة للطائرة، أو أنها قامت بإطلاق الصواريخ، أو أن الصاروخ يجرى توجيهه، أو أن الصاروخ يقترب من الطائرة أو يطير خلفها، مع توضيح أنواع الصواريخ التى تقوم بالاشتباك معها. فوق كل هذا تحمل الطائرة الفانتوم مستودعات للإعاقة الإيجابية للقيام بذلك النوع من الحرب المعروفة باسم الحرب الإلكترونية، تطور فى الأداة الحربية بدأ مع ظهور الرادار فى أوائل الحرب العالمية الثانية قرابة ١٩٤٢، وتطور بل وصل إلى الذروة تقريبًا فى أيامنا هذه، وكان تطوره أمرًا طبيعيًا مصاحبًا لنفس تطور الأداة الحربية واستخدامها المعدات الإلكترونية فى جميع مجالاتها، وسنشير إليها فيما بعد بإيجاز، حيث إنهاكانت عاملًا مهمًا وحاسمًا فى معركة أكتوبر ١٩٧٣، وستظل كذلك فى أى حرب مقبلة. ورغم كل ذلك فإننا تمكنا فى حرب

أكتوبر من تحطيم هذه الأسطورة، ويرجع الفضل فى ذلك إلى قدرة المقاتل المصرى، ومدى تفهمه للأساليب العلمية المختلفة، وقدرته الفائقة على الابتكار والإبداع، مما جعل هذه الطائرة تصبح فريسة سهلة أمام وحدات حائط الصواريخ.

لكى نحكم على قدرة السلاح الجوى الإسرائيلي تمامًا بعد أن عرفنا نوعية الطائرات التى كان يمتلكها، ونوعية التسليح الذى توفر لديه، لابد أن نعلم تمامًا وبإمعان مستوى الطيارين الإسرائيليين، ومما لا شك فيه أن مستوى الطيارين الإسرائيليين الذين عرفناهم خلال حرب الاستنزاف ١٩٦٩ والحرب الجوية ١٩٧٠، يختلف تمامًا عن مستوى الطيارين الذين عرفناهم خلال عام ١٩٦٧، أما طيارو حرب أكتوبر ١٩٧٣ فإنهم نوع آخر. يختلف تمامًا عن كل هؤلاء، ولا شك أنهم حصيلة خبرة قتال السنين السابقة، مضاف إليها المهارات المكتسبة من التدريب القاسى الذى كان يتم يوميًا دون هوادة حتى بدأ القتال فى اكتوبر ١٩٧٣.

الواقع أن الضربة الجوية المركزة التى قام بها السلاح الجوى الإسرائيلى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وتمكن فيها من تدمير القوات الجوية المصرية والسورية لا يمكن أن تعتبر أساسًا فى الحكم على الطيارين الإسرائيليين، فالضربة الجوية الشاملة كأى ضربة جوية مخطط لها، إلا أن القصور الذى تم جانبنا هو الذى أدى إلى نجاحها الساحق. ولكن دون مغالاة أو إنقاص من قدرة عدونا. يمكن القول إن مستوى الطيارين الإسرائيليين يعتبر حتى ذلك الوقت متوسط المستوى، فالطائرات التى كانت تتوفر لإسرائيل حتى ذلك الوقت - إذا استثنينا الطائرات الميراج - كلها طائرات مروحية. لقد أدى نجاح السلاح الجوى الإسرائيلى فى حرب ١٩٦٧ إلى بذل المزيد من العناية به، واعتباره السلاح الحاسم فى الحرب، ساعد على ذلك استمرار حالة الحرب على غير ما حدث فى الحروب السابقة بين جمهورية مصر العربية وإسرائيل، نتيجة لعدم انصياع إسرائيل للقرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الأمن ١٩٦٧.

ولقد كان لاحتمال تجدد القتال فى أى وقت أثر كبير على تدريب الطيارين الإسرائيليين، فبذل العدو جهدًا كبيرًا يفوق أى جهد للوصول بنوعية طياريه إلى مستوى لا يدانيه مستوى، بالإضافة إلى وجود أعداد احتياطية من الطيارين لمقابلة خسائر العمليات المنتظرة، وللتدليل على ذلك ما تم رصده لطلعات العدو اليومية على سيناء، والتى تقدر

فى المتوسـط يوميًا يتراوح ما بين ٢٠٠ و ٢٥٠ طلعة إذا استبعدنا يومى الجمعة والسبت اللذين ينعدم فيهما النشـاط الجوى التدريبى للعدو، ولا شك أن استمرار التدريب بهذا الأسـلوب يؤدى إلى استهلاك عاجل لمحركات الطائرات؛ لأنها ذات أعمار محدودة، إلا أن العدو ضرب عرض الحائط بذلك، معتمدًا على سـهولة ويسر حصوله على ما يلزمه من محركات الطائرات الأمريكية، أما الطائرات الفرنسـية التى لديه فما لديه من صناعة طائـرات تيسر له عمـل الإصلاحات أو العمرات المطلوبة لها بنجاح، ويحضرنى فى هذا المقـام للتدليل على مدى السـخاء فى التدريب، ما حدث يـوم ٢١ يوليو ١٩٧٢ فبعد أن تمكن كمين صواريخ تم إعداده بإحكام من إسقاط إحدى طائرات الفانتوم التى كانت تقوم بالاسـتطلاع شرق القناة على مسـافة ٢٠ كم قام العدو باستعراض عضلاته أمامنا تمامًا، فقام بنشـاط تدريبى اسـتمر من (سعت ٩٠٠) صباح يوم ٢١/ ٧، ولم يتوقف إلا (سـعت ٢٠٠) يـوم ٢٢ يوليو، وبلـغ إجمالى عدد طلعاته خلال ١٧ سـاعة تدريبًا ٨٧٠ طلعة طائرة؛ أى معدل ٥٠ طلعة / ساعة فى المتوسط.

لقـد كان تدريب العدو لطياريه يتم بالأسـلوب الواقعى العلمـى، فالقواعد الجوية والمطـارات المصريـة أقيـم مثيل لها تمامًا فى صحراء سـيناء، بها نفس الممرات والمنشـآت المختلفـة، ونفس الأبعاد والزوايا، كما أقيـم حولها مواقع الدفاع الجوى المختلفة القائمة بوقايتهـا ـ وذلك بغرض تدريـب الطيارين المنوط بهم فى مهمـة مهاجمة القواعد الجوية والمطارات على أسـلوب مهاجمة هذه القواعد والمطارات، وأسـلوب إسـكات وسـائل الدفـاع الجـوى حولها، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بـل إن حائط الصواريخ الموجود غرب القناة أقام العدو شبيهًا له للتدريب عليه، مواقع بنفس الأبعاد وعلى نفس المسافات التـى عليهـا مواقع حائط الصواريـخ، ووضع بها معدات هيكلية مصنعة من الخشـب، تمثل معدات كتيبة صواريخ تمامًا، وذلك لتدريب طياريه على مهاجمة حائط الصواريخ، هـذا من ناحية التدريب الواقعى، وباسـتمرار التدريب لنفس الطيار على نفس الغرض يصبـح العرض الجارى مهاجمته مألوفًا لديه، والمنطقة المطلوب قصفها بالقنابل واضحة تمامًـا لا لبـس فيها، فإذا انتقلنا إلى الناحية العمليـة، نجد أن العدو لم يغفل التدريب على

هذه الأغراض التى أقامها بالذخائر الحية دوريًا، مع حساب إمكانات الإصابة لطياريه والعمل على رفع نسبة الاحتمالات بصفة دائمة للوصول إلى أعلى نسبة احتمالات ممكنة.

لقد كان العدو يهدف من وراء هذا التدريب المكثف ـ والذى يتم بكونه أسلوبًا واقعيًا وعمليًا إلى الوصول بالسلاح الجوى الإسرائيلى ليصبح أداة الحسم المطلق فى المعركة كما سبق أن أوضحت، بجانب نوعيات الطائرات التى كان يسعى للحصول عليها أو تصنيعها كان هناك الطيارون الذين سيعملون عليها، فبذل فى تدريبهم ما يفوق الوصف أو الخيال، حتى وصل بعدد محترم منهم إلى درجة الاحتراف، ولقد كانت ثقة إسرائيل فى طياريها أكبر من أن توصف، بل العالم كله، وللتدليل على ذلك ما أذاعته وكالات الأنباء عن رحلة الجنرال ديان إلى فيتنام وعرضه على أمريكا إنهاء الحرب بالسلاح الجوى الإسرائيلى، بل ما قاله أبا إيبان فى نوفمبر ١٩٧٣ بعد الهزيمة الإسرائيلية إن النصر السريع والحاسم فى حرب الأيام الستة أعطى الشعب فى إسرائيل إحساسًا كاذبًا بالأمان، وقد صدق الإسرائيليون مثل باقى الدول فى العالم، أن إسرائيل لا يمكن ضربها أو هزيمتها، حتى واجهت الظروف السلبية للغاية، وقد كان هناك إحساس خارج إسرائيل أن طيارينا يستطيعون الانتصار فى المعركة حتى بدون طائرات، وكانت النتيجة أنه طول ست سنوات عشنا فى عالم غير واقعى وأننا دفعنا ثمنًا غاليًا مقابل هذه الأوهام.

أما الجنرال إسحق رابين رئيس الأركان فى حرب ١٩٦٧، فقد كان مزهوًا بما حققه فى حرب ١٩٦٧، ولا يرجع الفضل إليه بقدر ما يرجع إلى أسباب القصور من جانبنا، ولقد ذكر أن إسرائيل لديها خطط عسكرية لجميع الاحتمالات حتى احتلال القطب الشمالى. لقد ذكر المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية فى لندن تحليلًا للميزان العسكرى عام ١٩٧٣ ذكر فيه أن التفوق الجوى الإسرائيلى قد تدعم بدرجة كبيرة رغم شحنات الطائرات الروسية التى أرسلت للدول العربية، وأن مجموع ما لدى إسرائيل ٤٤٨ مقاتلة قاذفة تتفوق أغلبها على طائرات الميج، كما ذكر أن من دواعى فخر إسرائيل أن لديها أفضل الطيارين فى العالم. وللتدليل على ذلك ذكر المعهد أن هؤلاء الطيارين قد تمكنوا فى ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ من إسقاط ١٣ طائرة سورية ضد واحدة فى المعركة الجوية التى حدثت فوق طرطوس بسوريا.

أما الجنرال شارون فقد ذكر فى أثناء قيادته للجبهة الجنوبية فى ٢٠ يونيو ١٩٧٣ إننى أرى أنـه ليـس هناك أى هدف عسـكرى أو مدنى يقع بين بغـداد والخرطوم بما فى ذلك الأراضى الليبية إلا ويستطيع الجيش الإسرائيلى غزوه ويعنى فى ذلك غزوه جوًا لا برًا.

لقـد سـقت القليل مـن الكثير ممـا كان الإسرائيليون يتشـدقون بـه، والواقع لم يكن بعيـدًا عن هذا، فلديهم أفضل أنواع الطائرات فى العالم، ولديهم عدد وفير من الطيارين لا يتوفـر لأى دولـة أخـرى، إذ كان لـدى العدو ما يـتراوح ما بـين ٢ , ١ - ٥ , ١ طيار لكل طائرة، كما أن العناية فى تدريب طياريه والسـخاء فى الإنفاق على تدريبهم أدى إلى الوصول بكثير منهم إلى مستوى المحترفين، وللتدليل على ذلك يكفى أن نعلم أنه بعملية حسـابية بسـيطة لعدد ساعات التدريب الشـهرية وجد أن العدو يستهلك ما يقرب من ٤٠ طائرة شهريًا، كما أن تدريب طيارى الفانتوم - وهى أقوى طائرة وعماد قواته الجوية - لا يتم جزافًا، ويكفى أن نعلم أن طيارى الفانتوم يتدرجون من الطائرات المروحية إلى الطائرات سـكاى هوك، ثم يختار الممتازون منهـم وينقلون للعمل على أسراب الميراج، وبعد فترة تدريبية يظهرون خلالها قدراتهم فى العمل على طائرات الميراج ينقلون للعمل على طائرات الفانتوم - طريق طويل للوصول إلى طيارى الفانتوم، وبعد مران وتدريب عـلى الفانتـوم يظهر فيه الطيار نجاحه يبدأ عمله فى أسراب الفانتوم المقاتلة. لقد سـقت ذلـك لأبـين أن العدو كان لديه نخبـة من طيارى الفانتوم على مسـتوى غير معقول من المهارة، لقد خبرتهم كقائد لحائط الصواريخ، وكم أدهشـنى قدراتهم على المناورة الحادة بسرعات عالية، ولك أن تتصور مقدار الضغط G الذى يحتمله الطيار وهو يسير بسرعة فـوق الصـوت، على ارتفاع ١٥ - ١٦ كيلو مترًا، ثم يناور مناورة حادة بزاوية تتراوح ما بـين ٤٥ و ٥٠ درجـة للإفلات من نيران الصواريخ، هولاء هـم الطيارون الذين بدءوا المعركـة معنـا من (سـعت ١٤٤٠) يوم ٦ أكتوبـر لضرب قواتنا عنـد عبورها، وضرب المعـدات الجـارى إقامتها لإيقـاف العبور، ولكن تمكـن حائط الصواريـخ من دحرهم تمامًـا، بـل لم يمكنهـم من تحقيـق مهامهـم، وكان لـه شرف تدميرهم وشرف اسـترداد الكرامة المصرية والقدرة العسكرية منذ بدأ القتال إلى أن انتهى بإيقاف إطلاق النار.

أما عن الخدمة الفنية فى السلاح الجوى الإسرائيلى فيعتبر على مستوى رفيع، معدات متيسرة، فنيـون مهرة، شـعور بالواجب متوفـر، ويكفى للتدليل على ذلـك قدراتهم فى

إعـادة تمويـن الطائرات فى حـرب ١٩٦٧ فى ٥ , ٧ دقيقة، وهو رقم قياسـى وصلوا إليه فى ذلك الوقت، وصلوا إليه بعد إعداد وتدريب شـاق، ودراسـة عميقة لكل مشكلات الخدمـة الفنية، وسـاعدهم فى ذلـك إمكان حصولهم على كل جديـد فى هذه الناحية من دول العـالم المتطـور تكنولوجيـا، بالإضافـة إلى ذلك الصرح الذى شـيدوه منـذه أوائل السبعينيات ـ بمعاونة الولايات المتحدة وفرنسا ـ لإقامة صناعة متقدمة لبناء الطائرات فى إسرائيل، ويكفى أن نعلم أن هذا الصرح يقدم اليوم أكثر من نوع من الطائرات.

أمـا عن القواعد الجوية والمطـارات وأراضى الهبوط المنتشرة لدى إسرائيل فهى تبلغ أربع قواعد جوية رئيسية فى إسرائيل وفلسطين المحتلة، وهى راماث - دافيد - عكير - حاتسـور - حاتسريم، وقاعدة جديدة تم إقامتها فى سيناء المحتلة وهى رأس النقب أما المطارات وأراضى الهبوط فتبلغ ٤٠ مطارًا وأرض هبوط، وما هذا العدد الضخم الذى تـم إنشـاؤه إلا ليعاون فى فتح القـوات الجوية على الجبهات العربيـة المختلفة، وييسر لها حرية المناورة من جبهة إلى أخرى بسرعة،بالإضافة إلى ما تيسره هذه الشبكة من القدرة على الانتشـار لتلافى أية ضربة جوية شـاملة على قواعد ومطـارات العدو توجه إليه من الدول العربية.

وفى ضـوء مـا تقدم من وفرة عدديـة للطائرات، ونوعية متقدمـة أو حديثة لأغلبها، وعـدد وافر مـن الطياريـن الإسرائيليـين، وخدمة ممتـازة، وقواعد ومطـارات عديدة، يجـب أن نأتى إلى الخلاصة الواجب الوصول إليها من هذا السرد، ألا وهى قدرة العدو الجوية، لقد كان فى قدرة العدو فى ضوء ما علق فى أذهاننا من خبرته الجوية عام ١٩٦٧ أن يقوم بنحو ١٥٠٠ طلعة / طائرة أو أكثر خلال اليوم الأول للقتال بواسطة طائرات القتـال الحديثة المتوفرة لديه وعددها ٣١٢ طائرة قتال ـ كما قدرناها ـ بمعدل ٥ طلعات فى اليوم لكل طائرة. مع عدم وضع الطائرات القديمة فى الحسبان وعددها ١٠٠ طائرة تقريبًـا، نظـرًا لأهميـة الضربـة الجويـة الأولى، ومدى ما سـتقابله من مقاومـة عنيفة من وسـائل الدفاع الجـوى، لابد أن يعمل لها العدو حسـابًا فى تقديراته. فجميع الأغراض الحيوية فى الدولة والقواعد الجوية الرئيسـية تدخل فى نطاق شـبكة الصواريخ المصرية، على أن يستغل النوعيات القديمة بعد ما تلوح له بوادر النجاح.

لكـن هذا ما حـدث ١٩٧٣ ـ الجواب بالنفى هناك فارق فى قوة العدو المقدرة وقوته الحقيقيـة واسـتخدام قواتـه على جبهتين بدل جبهـة واحدة ـ لكن لمـاذا جرينا وراء هذه التقديرات ؟ الواقع أن ما قرأناه عن انتصارهم ١٩٦٧ ذلك النصر الذى ضخموه حتى لا تقـوم لنا قائمـة أبدًا. هو الذى جعلنا نعتقد ويعتقد معنـا العالم كله فى صحة ما كتبوه وفى صحـة مـا أذاعوه عن خـبرة قواتهم الجوية، وكثـير مما قالوه كان سـمومًا موضوعة بعنايـة بـين طيات مـا صرحوا به ومـا كتبوه، مسـتغلين فى ذلـك الضربـة القاضية التى وجهوهـا إلينا، والتى جعلتنا بدون مبالغة نترنـح كالملاكم الملقى على حلبة الملاكمة أثر ضربـة قاضية نحـاول بكل ما أوتينا من أصالة اسـترداد قوانا للوقـوف فى وجه العدو، وهـذه الحقيقـة هى التى ملكت علينا تقديراتنا خلال السـنين التـى تلت حرب ١٩٦٧ إلى أن تمكنا من محوها تمامًا فى أكتوبر ١٩٧٣، وامتلكنا زمام المبادأة والقدرة على العدو.

وإليك ما قاله قائد السلاح الجوى الإسرائيلى وقتئذ جنرال مردخان هودعقب حرب ١٩٦٧، إذ قال فى (سعت ٧٤٥) من صباح الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ كانت نسبة الطائرات المقاتلـة الصالحـة للخدمـة أكثر من ٩٩٪ وحافظنا على المسـتوى طول أسـبوع الحرب، ورغـم أنـه لابد من حوالى سـاعة لسـد ثغرة فى طائـرة أو طائرتين فلم يحـدث أن طائرة تعطلت فى أى مرحلة باسـتثناء خسـائرنا، ولم يحدث أن أضاع الطيـارون وقتًا فى انتظار الطائـرات. ونتيجة لذلك كان متوسـط الطلعات التى قامت بهـا الطائرات الإسرائيلية والطيـارون حوالى خمسـة يوميًا، بـل إن بعضهم قام بحوالى ثمانـى طلعات. ولكى نقدر هـذه حق قدرها لابد أن نذكر أن المعدل الطبيعـى لطلعات الطيران الأمريكى فى فيتنام لا يتجـاوز طلعـة تقريبًـا ولو طالعنـا ما قالـه قائد السـلاح الجوى الإسرائيـلى لوجدنا بين سـطوره سـمومًا واضحة. فلا يمكن أن يكون نسـبة صلاحية الطائرات بحال من الأحـوال ٩٩٪ ولا يمكن أى طيار مهما كانت لياقته البدنية ـ أن يقوم بثمانى طلعات فى اليوم ـ ولكن هذا أسـلوب الحرب النفسـية التى برع فيها الإسرائيليون، والتى أدت فى النهايـة إلى أمـن وطمانينة تامة لهم. إلى أن كان أكتوبـر ١٩٧٣، فضحوا على قرع عملاق يدق أبوابهم.

الفصل التاسع
العدو و حائط الصواريخ

خرج العدو من قتال يوليو ١٩٧٠ بدروس قيمة أضافها إلى دروسه السابقة، خرج بأن قدرة وحدات الصواريخ أرض - جو على القتال مع الطائرات الفانتوم والميراج محدودة، وأن باستطاعته لو أكثر من هذين النوعين لتوفر له قوة ضاربة قوية قادرة على التعامل بتأثير مع حائط الصواريخ المصرى الذى ظهر أمامه اعتبارًا من أول أكتوبر ١٩٧٠.

ولذا بدأ العدو يفكر تمامًا فيما يجب إعداده من معدات وما يجب أن يتوفر له من طائرات نوعًا وعددًا، وذلك للتعامل مع حائط الصواريخ عندما تلوح له الفرصة، بحيث يتمكن من تدميره ومعاونة قواته البرية فى تنفيذ مهامها القتالية فى القضاء على القوات البرية المصرية - كما كان يتوهم - فبدأ يعمل على تسليح قواته الجوية تسليحًا يتفق مع متطلبات هذه القوات،بحيث تعمل كقوة ردع قادرة على أن تنتهى الحرب فى أيام محدودة إن لم يكن فى ساعات قليلة كما حدث عام ١٩٦٧.

وإزاء ذلك عمدت إسرائيل عن طريق عملائها فى سويسرا إلى سرقة تصميم الطائرة الميراج ٥، وبدأت فى إنتاجها منذ منتصف ١٩٧١، بمعدل ٢-٤ طائرات شهريًا.

كما بدأت فى الحصول على المزيد من الطائرات الفانتوم وسكاى هوك من الولايات المتحدة الأمريكية حتى تحقق لنفسها تفوقًا نوعيًا وعدديًا على حائط الصواريخ، هذا من ناحية النوع والحجم، أما من ناحية التسليح فلم يكتف العدو وبما لديه من أسلحة عديدة كالقنابل شديدة الانفجار مختلفة الأعيرة، والصواريخ الحرة جو - أرض

والقنابـل الفرمليـة التـى تسـتخدم ضد ممـرات المطـارات، وإنما عمـد إلى الحصول من الولايات المتحدة على العديد من ألأسـلحة الحديثة - تلك الأسـلحة التى اسـتخدمها العـدو خلال حـرب أكتوبر ١٩٧٣، والتى عمـل على الحصول عليهـا بغرض التغلب عـلى حائط الصواريخ، تلك الأسـلحة التى تطلق عليها أسـلحة الخمـد suppression weapons.

لقـد أدى حصـول العـدو على هـذه الأسـلحة فى عـام ١٩٧١ و الأعوام التـى تلته ودراسة خصائص هذه الأسلحة بمعرفة قادة السلاح الجوي الإسرائيلى ودراسة الآثار التى تمخضت عنها الحرب الجوية فى فيتنام وخاصة فى الفترة التى سـبقت صلح باريس إلى وصول قادة السلاح الجوى الإسرائيلي إلى قرار حاسم بأن مشكلة حائط الصواريخ أصبحت أمرًا لا يقلق بالهم، وأن القوات الجوية الإسرائيلية قادرة على فرض سـيطرتها الجوية وإنهاء الحرب دون أى تأثير لهذه الصواريخ، بل لقد أدلى أحد القادة الإسرائيلين المسئولين بتصريح إلى مجلة نيوزويك فى أبريل ١٩٧٣ جاء فيه مايلى :

«لقـد تجمع لـدى القيـادة الإسرائيلية العليـا معلومـات موثوق بها تفيد بأن شـبكة الصواريـخ المصريـة بمنطقـة القنـال عاطلـة، وأن المصريين غـير قادرين على تشـغيلها بالطريقـة الصحيحـة بعد خروج الخبراء السـوفييت، وبناء على مـا تجمع من معلومات يمكن القول بأن القوات الجوية الإسرائيلية قادرة على مسحها فى ساعة أو أقل»

“to sweep it in one hour or Less”

إن أسـلحة الخمـد التـى أعدها العـدو ليسـتخدمها ضد حائـط الصواريـخ يمكن تقسيمها إلى الأنواع التالية :

أ - أسلحة الخمد الإلكتروني.

ب - أسلحة الخمد الإلكتروبصرية.

جـ - القنبلة رقيقة الجدار.

د - أسلحة الخمد الأرضية .

وفيما يلي توضيح موجز لكل هذه الأسلحة لنتعرف على دورها في معركة أكتوبر ١٩٧٣:-

أسلحة الخمد الإلكتروني ELectronic Suppession Weapons

هى ذلك النوع من الأسلحة التي تعمل على الطاقة الكهرومغناطيسية التي تبثها أجهزة الرادار أو محطات الصواريخ أرض - جو في الفراغ، وتعتبر الطاقة الكهرومغناطيسية المشعة في الهواء هى أضعف نقطة في المعدات الإلكترونية، إذ تؤدى هذه الطاقة إلى كشفها وبالتالى استخدام أسلحة الخمد ضدها.

ويتوقف النجاح فى استخدام هذا النوع من الأسلحة على معرفة الترددات التى تعمل عليها أجهزة الرادار أو محطات توجيه الصواريخ أرض - جو.

ويتم ذلك قبل بدء القتال الفعلى، عن طريق أجهزة الاستقبال التى تعمل لالتقاط الطاقة الكهرومغناطيسية المشعة فى الفراغ، ومن ثم العمل على تحليلها للوصول إلى خصائص الطاقة المشعة لتحديد نوع أسلحة الخمد الواجب اتخاذها ضد هذه الوسائل المشعة، وتنقسم أسلحة الخمد الإلكترونية إلى قسمين رئيسيين الأول هو الإعاقة الإلكترونية بأنواعها EIectioniccoumter meas uens

والثانى هو الأسلحة المبينة بالرادار Radar homing missile

الإعاقة الإلكترونية

تهدف الإعاقة الإلكترونية إلى إبطال مفعول المعدات الجارى إعاقتها أو تقليل كفاءتها إلى أقل حد ممكن، بحيث تنعدم فاعليتها.

ونظرًا لأن معدات حائط الصواريخ كلها معدات إلكترونية، إذ تشمل على العديد من أجهزة الرادار المتنوعة الترددات ومحطات توجيه الصواريخ أرض - جو بنوعياتها سام ٢، ٢ معدل، ٣ وهى الأخرى متعددة الترددات، لذا عمد العدو إلى الاهتمام بهذا النوع من الأسلحة.

لقد تيسر للعدو فى ذلك المضمار خبرة لاتعادلها خبرة، فقد توفر لديه وبدون مقابل خبرة الولايات المتحدة الأمريكية فى فيتنام،وعلى ضوء هذه الخبرة المكتسبة حدد العدوما يجب أن يحصل عليه من أجهزة الإعاقة الإلكترونية نوعًا وعددًا.

وقد يسرت له الولايات المتحدة الأمريكية إمكان الحصول على العديد من مستودعات الإعاقة الإلكترونية نوعًا وعددًا، فكانت جميع طائراته المهاجمة تحمل مستودعات الإعاقة الإلكترونية بالإضافة إلى ما تقوم به مراكز الإعاقة الإلكترونية الثابتة التى أقامها العدو فى وسط سيناء، وأهمها وأكبرها مركز الإعاقة الموجود فى منطقة أم خشيب على بعد ٤٠ كم تقريبًا شرق قناة السويس عند مدخل ممر الجدى.

لقد تمكن العدو عن طريق ما تيسر له من الخبرة الأمريكية من معرفة جميع الترددات التى تعمل عليها معدات حائط الصواريخ. تمكن بذلك من الحصول على ما يناسبها من معدات كانت قادرة على تعمية حائط الصواريخ تمامًا، ولأقرب لذهنك ما كان يحدث، تصور شاشة تلفزيون وعليها صورة ما، ثم سرعان ما تصبح الشاشة بيضاء لدرجة تختفى خلفها الصورة التى كانت موجودة بدرجة يتعذر معها رؤية الصورة تمامًا، والصورة بالنسبة لأجهزة الرادار أو محطات توجيه الصواريخ هى شكل الهدف عند ما يظهر على المبينات المختلفة، وإن كانت تظهر بشكل محدود وصغير جدًا. ولكن هل كانت خبرة فيتنام كافية للإسرائيليين لأجل أن يقتنعوا بما لديهم من معلومات عن حائط الصواريخ، الواقع يقول العكس. لم يترك العدو حائط الصواريخ يوميًا دون استطلاع لمعرفة مواقعه، وتحركاته، وأسلوب عمله اليومى أو ما يسمى بنظام الخدمة، وذلك بغرض تحديد نوعية وحداته ومكانها ونشاطها اليومى.

لقد بذل العدو فى سبيل ذلك مجهودًا كبيرًا فبجانب الاستطلاع اليومى تقريبًا مرة أو اثنتين لتصوير حائط الصواريخ لجأ العدو إلى الاستطلاع الإلكترونى بمعدل ٢-٣ مرات أسبوعيا كل طلعة تستغرق ٢- ٤ ساعات تقريبًا، حيث تقوم إحدى طائراته المجهزة للاستطلاع الإلكترونى وهى على مسافة ٥٠ كم شرق القناة بالمرور من البردويل شمالا إلى رأس سدر جنوبًا عدة مرات فى توقيتات مختلفة، وذلك بغرض التقاط إشعاع وحدات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ، ثم تحليلها وتحديد خصائصها

ومواقعهـا ومـا يلزم عن معلومـات فنية أخرى، لرسـم صورة صحيحة لتشـكيل قتال حائط الصواريخ بنوعياته المختلفة، وذلك بغرض تحديد أنسـب أسلحة الخمد اللازمة للتعامل معه. ولكن هل نجح العدو فيما كان يهدف إليه. الحقيقة التى أثبتتها الحرب أن نجاح العدو كان محدودًا جدًا، والدليل على ذلك أنه لم يجد من وسيلة للتعامل مع حائط الصواريـخ سـوى المدفعية والدبابـات، ويرجع عـدم نجاحه إلى ما قمنا بـه من تخطيط علمى دقيق للتعامل مع العدو ووضع أسـاليب مبتكرة تتفق مع الاحتمالات المنتظرة فى المعركـة والابتعاد عـن النمطية مما فوت على العدو كل أغراضـه، وجعله يقع لأول مرة طعمًا شـهيًا لوحدات حائط الصواريخ، ولم يتم ذلك تلقائيًا، بل انطلق من عرق وكفاح يومى استمر لمدة طويلة.

لقد استخدم العدو الإعاقة الإلكترونية بأنواعها الآتية :

أ- الإعاقة الإيجابية active jamming

ب-الإعاقة بالأهداف الخداعية taiget decepetionjam mers

ج-الإعاقة السلبية passive jamming

الإعاقـة الإيجابية

يعتـبر هـذا النـوع مـن الإعاقة هو أشـد أنـواع الإعاقـة خطرًا عـلى أجهـزة الرادار ومحطـات توجيـه الصواريـخ أرض - جو، إذ يؤدى هـذا النوع من الإعاقـة إلى اختفاء علامة الهدف نهائيًا من على مبينات المعدات، مما يجعل الاشـتباك معه متعذرًا. والإعاقة الإيجابيـة على أنـواع متعددة، فمنها الإعاقـة المتزامنة، والإعاقة غـير المتزامنة، والإعاقة المكررة، والإعاقة المعدلة بالضوضاء، وهى أخطر الأنواع جميعًا.

وكقاعدة تستخدم الإعاقة الإيجابية بأسلوبين إما إعاقة غلالية وفيها تتم الإعاقة على المعدات بنظام المسح خلال الحيز الترددى كله ثم العودة إلى بداية التردد من جديد، إما إعاقة موجهة وهى أخطرها، وتتم على حيز ضيق من الترددات، وهو الحيز الذى تعمل عليه المعدات، وهنا تكون شـدة التداخل كبيرة، يؤدى إلى ضياع إشـارات الأهداف من على المبينات.

لقد لجأ العدو إلى استخدام الأسلوبين : أسلوب الإعاقة الموجهة من المستودعات التى تحملها الطائرات المهاجمة والإعاقة الغلالية من محطات الإعاقة المقامة فى سيناء، ولكل أسلوب منها مزاياه وعيوبه، وقد لجأ العدو للجمع بينهما للحصول على مزاياهما وتلافى عيوبهما معًا، فالإعاقة الموجهة تتم على حيز ترددى ضيق، وتبعًا لذلك تمتاز معدات هذا النوع بإمكان حملها فى الطائرات، بالإضافة إلى أن شدة التداخل تكون قوية.

أما عيوبها فإنها تترك بعض الترددات الأخرى دون التداخل عليها مما يجعلها حرة تمامًا فى التعامل مع العدو، وتدميره. أما الإعاقة الغلالية فتتم على حيز ترددى واسع بنظام المسح الترددى، من أول حيز الترددات الذى تقوم بالإعاقة عليه إلى نهاية الحيز، وعادة ما يكون حيز الترددات واسعًا، وهنا تقل شدة الإعاقة، وللوصول إلى شدة الإعاقة اللازمة لتعمية المعدات يلزم استخدام مصادر قوة كبيرة جدًا لذلك الغرض. ومن هنا جاء استخدام هذا النوع من الإعاقة من محطات الإعاقة الأرضية، أما عيوب هذا النوع فهى عدم استمرار الإعاقة إلا لحظيًا على تردد معين خلال عملية المسح، وتقل فاعلية الإعاقة بزيادة الحيز الترددى المطلوب إعاقته مع ضعف قدرة الإعاقة.

الإعاقة بالأهداف الخداعية

يهدف هذا النوع من الإعاقة إلى إخفاء الهدف الحقيقي (الطائرة أو الطائرات)، وذلك بإيجاد هدف أو أكثر مشابه تمامًا للهدف الحقيقى، ويتواجد حوله، ويختلف عنه فى الاتجاه أو الزاوية، مما يصعب على عامل الرادار الإبلاغ عن معلومات الهدف الحقيقى، أو يقوم بالإبلاغ عن جميع الأهداف، وغالبيتها أهداف مخادعة، كما يصعب على ضابط التوجيه فى محطة توجيه الصواريخ انتخاب الهدف الحقيقى من بين هذه الأهداف المتعددة، أو قد يخدع تمامًا فيقوم بالاشتباك معها كلها، مما يؤدى إلى استهلاك كل الصواريخ المتيسرة لديه، وهذا يحقق ما يريده العدو من استنزاف للصواريخ.

وفى الإعاقة بالأهداف الخداعية تستخدم ثلاثة أنواع من الإعاقة، إعاقة بإزاحة الهدف الخداعي في المسافة وتسمى Range gate steeler أو إزاحته فى الاتجاه وتسمى

inverse coni calscan Repeater أو تكون عدة أهداف حول الهدف الحقيقي وتختلف عنه اتجاهًا ومسافة وتسمى False target generator

الإعاقـة السلبية

يؤدى استخدام هـذا النوع من الإعاقـة إلى تعمية أجهزة الـرادار وإخفاء الأهداف الحقيقية بين أهداف الإعاقة السـلبية، مما ييسر للطائرات الإفلات من التقاطها بواسطة أجهزة الرادار، أو محطات توجيه الصواريخ، وهذا النوع من التداخل على أنواع متعددة، وقد استخدمت القوات الجويـة الإسرائيلية كل الأنواع خلال حـرب أكتوبر ١٩٧٣، عـدا نـوع واحـد، وأول هذه الأنواع هو مـا يطلق عليه Chaff، وهو عبـارة عن رقائق معدنيـة مـن مادة خاصة، لها القدرة عـلى عكس الطاقة الكهرومغناطيسـية، يتم تجزئتها بأطـوال معينة تتناسـب مع نصف أطوال الموجـات التي تسـتخدمها المعدات، وتغطي نطاقًا ترددیًا كبيرًا، وتحمل فى مستودعات وتلقى عند التقاط الطائرات الحقيقية بواسطة أجهزة الرادار ومحطات توجيه الصواريخ فتندفع المسـتودعات فى الجو، ثم تفتح وتتناثر منهـا حزم هـذه الرقائق، وتظل معلقة فى الهواء لمدة طويلة، مكونة سـحابة من التداخل السلبى مما يحجب الطائرات الحقيقية ويعاونها فى أداء مهمتها تمامًا دون أن يتم تدميرها.

أمـا النـوع الثانـى مـن الإعاقة السـلبية فهـو الإعاقـة باسـتخدام الأهـداف المعلقة decoys، وهذا النوع من الإعاقة السـلبية عن بالونات تحملها الطائرات ذات سـطح عاكـس ويتـم قذفها من الطائرات عنـد اقترابها من مناطق الصواريخ، فتكسـب سرعة مسـاوية لسرعـة الطائرات المهاجمة أو أكـبر منها، ولا يمكن عن طريـق السرعة التمييز بينهـا وبين الأهداف الحقيقية وعلى ذلك فهى تعطى الشـعور باقتراب أهداف معادية، وعادة ما كان يستخدمها العدو للتضليل عن الأهداف الحقيقية، ولاستنزاف الصواريخ عليها، دون أى ثمن غالٍ يقابله، بجانب ذلك استخدم العدو نوعًا من البالونات المعلقة ذات السطح العاكس، والتى قد يحتوى بعضها على أجهزة إرسال صغيرة الحجم، تلك البالونات المعلقة التى قد يلقيها خارج مدى الصواريخ فتظل مدة زمنية معلقة لتجذب انتبـاه كتائـب الصواريـخ أرض - جو، وتبعدهـا عن البحث عن الطائـرات المنخفضة القائمـة بالهجـوم الفعـلى، ورغم كل هـذه الحيل التى اتبعهـا العدو فى اسـتخدام أنواع

التداخل السلبي فإن فطنة المقاتل المصرى وذكاء مقاتلى حائط الصواريخ كان أكثر من توقعه فمنذ لحظة بدئه لاستخدام الإعاقة السلبية بأنواعها المختلفة تم كشف ما يهدف إليه العدو، واتخذ حيال كل نوع من أنواع الإعاقة السلبية، ما يلزم من إجراءات لتلافى التعامل الخاطئ معها، وكما يسر التقدم العلمى من الخداع أساليب متعددة، فقد يسر أيضًا فى الوقت نفسه الوسائل التى يمكن بها كشف الأساليب والتعامل معها.

الصواريخ المبينة بالرادار

يعتبر الصاروخ الشرايك أحد أسلحة الخمد الإلكترونية التى أعدها العدو للقضاء على حائط الصواريخ، والشرايك صاروخ جو - أرض، يتم توجيهه راداريًا، وقد استخدام الشرايك بمعرفة الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة ضد قوات الدفاع الجوى الفيتنامي إلى تدمير العديد من كتائب الصواريخ، وإسكات فاعلية وسائل الدفاع الجوي الفيتنامى، والصاروخ شرايك كان أول أسلحة الخمد التي تفتق عنها التطور العلمي للتعامل مع وحدات الصواريخ الموجهة أرض ـ جو من بعد، والشريك يتم حمله بواسطة الطائرات الفانتوم وسكاي هوك، ويمكن لكل منهما حمل صاروخين بمعدل واحد تحت كل جناح، ويقوم الطيار، بمجرد التقاطه للطاقة المنبعثة فى الهواء بواسطة أجهزة الرادار أو وحدات الصواريخ بتوجيه الطائرة نحوها إلى أن تضيء لمبة خاصة به، وإضاءتها تعني التقاط الصاروخ شرايك للطاقة المنبعثة فى الهواء،وبذلك يصبح الصاروخ جاهزًا للإطلاق، وبمجرد إطلاقه تبتعد الطائرة عن المنطقة،ويتم للصاروخ المحافظة على اتجاهه نحو جهاز الرادار أو هوائى محطة توجيه الصواريخ،وذلك بتعديل مساره ذاتيًا إلى أن يصطدم بهوائى الرادار أو هوائى محطة توجيه الصواريخ، مؤديًا إلى تدمير جهاز الرادار أو هوائى محطة توجيه الصواريخ، مما يؤدي إلى إسكات أي منها نهائيًا.

لقد استخدم العدو الشرايك على الجبهة المصرية مرتين: المرة الأولى عقب إسقاط طائرة ستراتوكروز للعدو في سبتمبر ١٩٧١. وقد قام بها كرد فعل لإسقاط طائرته ـ وفي هذه الهجمة قام العدو بإطلاق ١٠ صواريخ شرايك لم يصب أحدهم أى معدة من المعدات، وقام إثر ذلك بحملة إعلامية موسعة داخل إسرائيل، توضح مدى فاعلية هذا السلاح فى القضاء على حائط الصواريخ. غير أن العدو بعد أن تجمع لديه

المعلومات الصحيحة عن الهجمة الجوية لم يهدأ باله، وأخذ يلح على الولايات المتحدة فى الحصول على سلاح متطور أكثر دقة وفاعلية فكان له ما كان، وقد تم إمداده بنوع متطور من الصاروخ الشرايك، وذلك النوع المسمى Standardarm وهو أكبر فتكًا، أكثر دقة من سابقه، أكبر فتكًا لكبر العبوة المدمرة والتى ٦٨ تبلغ كجم، وأعلى دقة نظرًا لإدخال دوائر إلكترونية معقدة عليه تجعله لا يحيد عن هدفه الذى حدده عند بدء مساره،بالإضافة إلى سرعته العالية والتى تصل إلى ٢، ٢ماخ، مما يجعل زمن دخوله إلى غرضه قليلا جدًا حتى يتغلب على أعمال رد الفعل التى يمكن أن يقوم بها السلاح، هذا النوع من الصاروخ شرايك يمكن أن يطلقه الطيار من طائرته من مسافة ٤٥ كم؛ أى خارج مدى تأثير وحدات الصواريخ الموجهة مما يضمن سلامة الطيار والطائرة، ولقد استخدم العدو هذا النوع فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وبلغ جملة ما أطلقه العدو من الصواريخ شرايك على حائط الصواريخ أكثر من ٢٥صاروخًا، كانت نسبة إصابتها هزيلة للغاية، ويرجع الفضل فى ذلك إلى كفاءة أطقم القتال فى التعامل مع العدو، تلك الكفاءة التى أذهلت العدو، وأفقدته توازنه منذ اليوم الأول للقتال.

لقد أدى حصول العدو على هذا النوع المتطور من الصاروخ شرايك إلى أن يصرح القادة الإسرائيليون على مختلف المستويات بما صرحوا به وسبقت الإشارة إليه، تلك التصريحات التى كانت تنم عن الاستخفاف بحائط الصواريخ، وإلى خلق مزيد من الثقة لدى الطيارين الإسرائيليين فى قدرتهم على مواجهته والقضاء عليه بضربة جوية واحدة.

ولقد كانت الساعة ١٤٣٥ يوم ٦ أكتوبر أول لقاء لحائط الصواريخ مع العدو، ونجح حائط الصواريخ منذ اللحظة الأولى فى فقد العدو اتزانه.

وإليك ما قاله الجنرال الإسرائيلى ميتا هوبيلير فى تحليله لمعركة ٦ أكتوبر، لقد أعلن السلاح الجوى أنه وجد الحلول اللازمة للحرب وركن إلى ذلك، وكانت المفاجأة لنا كبيرة أكبر مما تصورناه، لم يكن السلاح الجوى ناقصًا فنيًا، بل كان مستعدًا للقتال

١٠٠٪ وكان المفروض على ذراع إسرائيل الطويلة أن تعمل على إيقاف الهجوم على الأكثر فى اليوم التالى إلا أن هذه الآمال خابت نظرًا للخسائر الباهظة التى حدثت فى هذا السلاح، والتى ترجع إلى الإهمال والاتكال.

لقد استخدمت القوات الجوية الإسرائيلية الصاروخ شرايك بأساليب متعددة منها:

الإطلاق من ارتفاع منخفض جـــدًا

وهنا يطير الطيار على ارتفاع يتراوح بين ٥٠- ١٠٠ متر وعند تحديده لكتيبة الصواريخ أرض - جو بالتقاطه أشعتها المنبعثة فى الفراغ يقوم الطيار بالارتفاع، ثم إطلاق الصاروخ بزاويةمعينة، وذلك على مسافة أقل من ١٦ كم ثم يبدأ فى الانخفاض والمناورة بالابتعاد للخارج.

الإطـلاق من ارتفاع متوسط

وفى هذه الطريقة يرسل العد وعددًا من الطائرات، إما زوجًا من الطائرات أو أربعة، يقوم بالعمل فى هيئة مظلة خارج مدى الصواريخ وعلى مسافة ٥٠ كم تقريبًا من أقرب كتائب صواريخ، وتزاول الداورية مهامها بالدوران فى دائرة، وتتواجد الطائرات على المحيط الدائرة بفاصل ٩٠° أو ١٨٠°، وعندما تلتقط إحداها إشعاع كتائب الصواريخ تتجه نحو الإشعاع الذى تم التقاطه مع المحافظه عليه وبسرعة معينة، وتقوم بإطلاق الصاروخ شرايك، وعادة ما يتم ذلك من مسافة ٢٦-٣٢ كم من موقع كتيبة الصواريخ، ثم تعود إلى وضعها فى المظلة، وهذا الأسلوب يعتبر الأسلوب الأمثل، إذا أنه يخدم جميع عناصر الاستطلاع سواء الإلكترونى أو الأرضى أو الجوى، التى تبلغ عن كتائب الصواريخ أرض - جو المشتبكة مما يحقق سرعة التعامل معها.

الإطـلاق من ارتفاع عالٍ

يستخدم هذا الأسلوب فى أثناء القيام بضربة شرايك مركزة أو أثناء الاشتباكات الفعلية إذا ما استدعى الموقف ذلك، أو أثناء قيام العدوبالاستطلاع على ارتفاعات عالية مع إخفاء نواياه حيال تخطيطه للقيام بمهاجمة كتائب الصواريخ بالشرايك، وفى

هـذه الحالة تقـترب الطائرات الحاملـة للصاروخ شرايـك إما فرديـة أو أزواجًا بسرعة عالية تصل إلى ١,٢٥ ماخ، وعند الدخول إلى مسافة ٤٠-٤٥ كم تبدأ الطائرة بتشغيل مستقبلاتها، وعندمـا تـضىء لمبـة خاصة بشـعاع كتيبـة الرادار تبـدأ الطائـرة فى إطلاق الصاروخ من مسـافة تتراوح بين ٣٠-٤٠ كم ثم الابتعاد، وذلك لتتحاشى الدخول فى مناطق تدمير الصواريخ.

أسلحـة الخمد الإلكتروبصريـة

أما أسـلحة الخمـد الإلكتروبصرية التى أعدهـا العدو لحائـط الصواريخ فتتلخص فى القنبلـة وول أى walleye، وهـذا النـوع مـن القنابل يتم توجيهـه تلفزيونيًا، وتقوم بحملهـا الطائرة الفانتوم فقط،وهذه القنبلة ذات أثر تدميرى كبير، إذ إن عبوتها المدمرة تبلغ ٣٤٠ كجم، ويتم قصفها آليًا بواسطة الطيار، فعندما يلتقط جهاز رادار الطيارة أى إشـعاع لرادار إرسـال محطة توجيه الصواريخ أرض-جو يقوم الطيـار بتوجيه الكاميرا التلفزيونيـة الموجـودة فى مقدمـة القنبلـة عـلى رادار إرسـال محطـة توجيـه الصواريخ، وبمجـرد إتمـام توجيه كامـيرا القنبلة على هدفهـا تظهر أمام الطيار علامـة توضح له أن عملية تنشـين القبلة قد تمـت، وأنها جاهزة للإطلاق، ومن ثم يتـم إطلاقها، وتقوم هى بتعديل مسارها إلى هدفها بواسطة أجهزة التحكم الموجودة بداخل القنبلة، وهذا النوع من القنابل يمكن إطلاقه من مسـا فة ٢٥كم غير أنه للوصول إلى دقة أعلى كان يسـتلزم من الطيارين الإسرائيلين إطلاقه من مسافة قليلة ورغم استخدامها فى عمليات أكتوبر ٧٣ فـإن نتائجها كانت غير ملموسـة، وهذا راجع إلى ذكاء رجـال الصواريخ، مما فوت على العدو فرصة استخدامها بنجاح.

لقـد تمكـن العدو من قبـل حرب أكتوبر مـن الحصول على نوع آخر مـن الصواريخ جـو-أرض الموجهـة إلكتروبصريًا يماثل القنبلـة walleye فى نظام التوجيه، ويسـمى «الصـاروخ مافريك» ويرجع السـبب فى حصـول إسرائيل عليه إلى إمـكان إطلاقه من مسـافات خارج مـدى تأثيروحـدات الصواريخ، فمـداه يصـل إلى ٥٠كم،وبذا يمكن إطلاقه دون الدخول فى مدى تأثير وحدات الصواريخ الموجهة، ولقد اسـتخدم العدو هـذا الصـاروخ فى الأيـام الأخيرة من الحـرب، إلا أنه لم يكـن أكثر حظًا من سـلفه من أسلحة الخمد الآخرى.

وهذا الصاروخ يحمل كاميرا تلفزيونية، وعندما تصل الطائرة الحاملة لهذا الصاروخ من كتائب الصواريخ إلى مسافة ٦٠كم تبدأ فى تشغيل جهاز الرادار خاصتها للتفتيش عن أى كتائب صواريخ أوأجهزة رادار، وعندما ما يلتقط جهاز الرادار خاصتها، أى غرض من هذه الأغراض تضىء لمبة إرشاد دلالة على ذلك، وهنا يبدأ الطيار فى تشغيل الكاميرا التلفزيونية الموجودة بالطائرة، والتى تبدأ فى البحث عن الغرض متخذة نفس محور شعاع الرادار، وعندمايظهر الهدف أمامه فى الكاميرا التلفزيونية يبدأ الطيار بتشغيل كاميرا الصاروخ التلفزيونية، التى تبدأ فى التقاط الغرض تمامًا، ومن ثم يتم إطلاق الصاروخ، وعادة ما يتم الإطلاق من مسافة ٣٠-٣٤كم.

القنبلة الثقيلة ٤٠٠٠ رطل

ورغم كل هذه الأسلحة فلم يهدأ للعدو بال، ولم يقتنع بما أعد من أسلحة،بل أخذ يفكر فى أسلوب أخر لمهاجمة كتائب الصواريخ وتدميرها، أسلوب أقل تكلفة وأقل خسائر. ولما كانت الأسلحة المتوفرة لديه من صواريخ حرة وقنابل شديدة الانفجار حتى زنة ١٠٠٠ رطل فقط- تعتبر من وجهة نظر العدو غير مجدية أمام حائط الصواريخ، نظرًا لكثافة حائط الصواريخ من الناحية العددية بالإضافة إليه ما تحتاج إلى الكتيبة الواحدة من عدة قنابل، وبالتالى عدة طائرات، وعدة طلعات مما يعرض طائراته للتدمير، وهو عليها ضنين؛ لذا عمد العدو على أن يستحوذ على آخر ما أنتجته الترسانة الأمريكية من أسلحة دمار، فكان له أن حصل على القنبلة زنة ٤٠٠٠ رطل، وهذه القنبلة ماهى إلا قنبلة رقيقة الجدار، تحمل مادة شديدة الانفجار قدرها ٣٥١٥رطلا، وتعتبر من الأسلحة المدمرة، فهى تؤدى إلى تدمير كامل لأى أغراض فى منطقة نصف قطرها ٤٤ مترًا، وتدمير متوسط فى منطقة نصف قطرها ٤٤٠ مترًا وتدمير خفيف فى منطقة نصف قطرها ٥٥٨ مترًا، وتحمل الطائرة الفانتوم أو سكاى هوك واحدة منها فقط، وإلقاء واحدة منها أو أكثر على موقع صواريخ كافٍ بأن يخلق موجة انفجار تطيح بكل ما حولها من معدات وعلاوة على تدمير المعدات المجاورة تمامًا تصبح باقى المعدات غير موجودة فى أوضاعها القتالية الطبيعية، مما يشل موقع الصواريخ عن العمل تمامًا.

لكـن هل اكتفى العدو بذلك الإعداد من الناحية العملية، كان من الواجب أن يقنع بما فى حوزته إلا أن العدو وهو فى سبيل دراسـة الحلول المقترحة أمامه وجد أنه بجانب ذلـك يجـب أن يعمل عـلى أن يكون للأسـلحة الأرضية واجـب فى التعامـل مع حائط الصواريخ، حيث إن هذه الأسـلحة مضمونة النتائج، وسـبق له اسـتخدامها فى حرب الاسـتنزاف، وأدت إلى نتائج حسـنة، فكان أن عمل بعد وقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠ على أن يزود نفسـه بمدفعية بعيدة المدى من الولايات المتحدة الأمريكية، فكان لـه مـا أراد، إذا تم حصوله فى عام ١٩٧١ على أربع بطاريـات مدفعية ميدان عيار ١٧٥ مـم، كل منهـا مـن ١٢ مدفعًا يمكنها أن تعملْ فى سـت بطاريات كل مـن ٨ مدافع ولما كان أقـصى مـدى لهذا المدفع يبلغ ٧, ٣٢ كم، فلقد تخيل العدو أولا بوضعه هذه المدافع شرق القنـاه بمسـافة ١٠ كم تقريبًا أنه فى قدرته – عـلى ضوء مدى المدفع ـ تدمير حائط الصواريـخ، وفعـلا كان هناك عدد محدود من وحـدات الصواريخ تدخل فى مدى هذه المدافع وبالتحديد كان النسق الأول كله من القنطرة حتى السويس يقع فى مدى مدفعية العـدو، ولكـن ما الحل؟ إن أى رجـوع للخلف بوحدات الصواريـخ يعنى عدم تغطية القوات الموجودة غرب القناة، وجعلها تحت رحمة العدو إلى حد كبير.

لقـد كان تقدير العدو أنه بمجـرد أن نعلم بوضعه لهذه المدفعية على هذا المدى شرق القناة–مـع علمنـا مسـبقًا بخواصها– لا بد من اتخـاذ إجراء مضاد لمنـع وقوع وحدات الصواريـخ تحـت رحمـة مدفعيته عنـد بدء القتـال، ولكننـا لم نعبأ بذلـك – وأصبح من الواجـب على رجال حائط الصواريخ أن يفكروا كيف يوفـرون الوقاية والعمل القتالى لوحداتهـم أمام هـذا التحدى الأرضى الجديد، ماذا كان رد فعل العدو على عدم تحريك وحدات الصواريخ للخلف كما كان يعتقد أو يظن، كان رده غريبًا لقد قام العدو بإنشاء عدة مواقع أخرى للمدفعية ١٧٥ مم شرقًا، ولكن هذه المرة أقامها على مسافات تتراوح بـين ٢-٣كم من الضفـة الشرقية للقنـاة – وبمداها المعروف، كانـت أوضاعه الجديدة تيـسر ضرب ٢/ ٣ تجميع حائط الصواريـخ إن لم يكن كله،ولكن ما مغذي هذا كله من وجهة نظر العد و؟لا شك ثقة واطمئنان زائد لقدرته على محو حائط الصواريخ بمجرد

بدء القتال، وهذا فعلا ما أذاعه العدو وتحدث عنه قادته كثيرًا من المرات. ومن واقع ما ذكرت من أسلحة خمد متنوعة، ومدفعية ميدان بعيدة المدى، بالإضافة إلى قدرة السلاح الجوى الإسرائيلي التى أوضحتها بطياريه المحترفين. اعتقد العدو تمامًا أن مشكلة حائط الصواريخ أمامه قد حلت نهائيًا، وأنه مطمئن لذلك تمامًا. وأود قبل أن أترك هذا الفصل أن أشير إلى أن العدو لم يضع فى حسابه حلولا أخرى، وأعنى بها هنا مهاجمة حائط الصواريخ بالدبابات كما حدث فى حرب أكتوبر ٧٣ فلجوؤه إلى ذلك لحل لم يكن واردًا فى تقديره وإنما لجأ العدو إلى ذلك عندما أعيته الحيل لذلك، ووجد أنه أمام معركة خاسرة تمامًا طالما أن قواته الجوية أصيبت بهزيمة ساحقة، وأن استعواضه لخسائره في الطائرات الذى بدأ يوم ١٠/ ١٠/ ٧٣ من الولايات المتحدة لن يجعله أحسن حظًا فى قتال الأيام التالية عن سابقتها طلما أن حائط الصواريخ باقٍ، وقد تحطمت أمامه جميع الهجمات الجوية ـ فكان لابد من فكر جديد، فكر يهدف إلى العودة بالمعركة إلى العقيدة القتالية الإسرائيلية، ألا وهى قتال الطائرة والدبابة، فكان ذلك الهجوم الذى وقع ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر، والذى أدى إلى عبور القناة فى منطقة الديفرسوار والذى كان يهدف أول ما يهدف إلى تدمير حائط الصواريخ بالدبابات؛ كي تمتلك القوات الجوية حرية القتال فى المعركة ـ ولكن هل تم للعدو النجاح. هذا ماسيتضح فيما بعد.

الباب الرابع

الإعداد والاستعداد

الفصل العاشر
إعداد حائط الصواريخ

خلفية الإعداد

حتى نهاية عام ١٩٧٠ لم تكن هناك خطة معمول بها سوى الخطة الدفاعية، و التى تعرف باسم الخطة ٢٠٠. وكان وضع وحدات حائط الصواريخ على طول المواجهة يحقق للوحدات وقاية تامة ضد هجمات العدو الجوية فى حالة قيامه بالهجوم واقتحام قناة السويس والعبور إلى الضفة الغربية. غير أن الموقف سرعان ما تبدل مع أوائل عام ١٩٧١، وبدأ التفكير يتجه نحو القيام بعمليات هجومية، ومن ثم أخذ التخطيط مجراه على جميع المستويات، وأيًا كانت الخطط التى وضعت في ذلك الوقت، فإنها كلها لم تتعد فى أغراضها سوى الاستيلاء على شريط ضيق من الأرض، يتراوح عرضه ما بين عدة مئات من الأمتار إلى كيلو مترًا و أكثر قليلا، وأيًا كانت الأسماء التى أطلقت على هذه الخطط من المحدودة فى مارس ١٩٧١، إلى المآذن العالية فى يوليو ١٩٧١، إلى جرانيت، وإلى جرانيت ٢ فى عام ١٩٧٢، إلى جرانيت المعدلة فى عام ١٩٧٣ _ فإن طابع دفاعات العدو على الضفة الشرقية و الصعاب التى تكتشف، اقتحام قناة السويس، ذلك المانع المائى الصعب فى وجه أكبر قوة جوية، و الخسائر المنتظر أن تتكبدها القوات، و التى قدرت على أحسن الفروض بما لا يقل عن ٢٥٠٠٠ شهيد وجريح، كل ذلك جعل التفكير دائمًا يتجه إلى أن تكون أغراض أية عملية هجومية محدودة للغاية، تجنبًا لزيادة الخسائر فى الأفراد، وكان التفكير فى وقاية القوات فى أثناء العبور ضد هجمات العدو الجوية يعتمد أساسًا فى هذه الخطط على حائط الصواريخ، وكان من السهل على حائط

الصواريخ تنفيذ هذه المهمة القتالية من مواقعه على بعد ١٨ كم غرب القناة أو من مواقعه الأكثر قربًا من القناة وما أكثرها، إذ كان قد تم خلال أواخر ١٩٧٠ و أوائل ١٩٧١ بناءً عدة مواقع على مسافات تتراوح بين ٦ إلى ١٢ كيلو مترًا من القناة. ورغم أن الغرض الذى كانت تهدف إليه هذه الخطط بسيط ومحدود فإن الثقة فى إمكان تنفيذها وضمان نجاحها كان أمرًا غير مؤكد تمامًا، وذلك راجع إلى عدم الثقة التى كانت تسود القيادات المختلفة التى كان لهزيمة ١٩٦٧م بالإضافة إلى الحرب النفسية البشعة التى شنها العدو أثار كان لها أثر كبير فى إيجاد ذلك الإفراط فى التشاؤم، والنظر إلى الأمور بمنظار أسود.

إن الخوف من السلاح الجوى الإسرائيلى كان هو الرعب المسيطر على كل تفكير، كما كان العامل الأساسى فى عدم الإقدام على تنفيذ أى تخطيط خوفًا من الخسائر المتوقعة والتى سبق الإشارة إلى حجمها، لقد أدى عامل عدم الثقة إلى التفكير فى عدم إمكان القيام بهجوم ناجح وعبور القناة والاستيلاء على خط بارليف دون معاونة قوية من القوات الجوية المصرية، ويعنى ذلك الزج بها فى المعركة وهى وقتئذ لم تستكمل بناؤها، حقيقة لقد كان متوفرًا لدينا أعداد كبيرة من الطائرات من طراز ميج، وسوخرى أن هذه النوعيات تعتبر دون المستوى المطلوب فى معركة هجومية. لقد كان يتسنى البناء وجود قاذفة مقاتلة جديثة تعادل الفانتوم، وبأعداد مناسبة حتى يمكنها أن تقوم بدور القصف الأرضى، ومحاولة القوات فى المعركة الهجومية المنتظرة، أضف إلى ذلك عدم الثقة المتولدة لدى القادة من عدم قدرة الصواريخ على توفير الوقاية ضد هجمات القوات الجوية الإسرائيلية، ما كان يتردد علنًا بين كبار القادة من قولهم إذا تمكن حائط الصواريخ أن يهش عنا الغربان ـ يقصد بذلك الطيران فلا شك أننا يمكننا تنفيذ العبور والاستيلاء على النقط الحصينة فى خط بارليف، إلا أن ثقتنا فى الصواريخ وما رأيناه منها خلال معارك حرب الاستنزاف يوحى بأنها لن تكون أسعد حظًا مما كانت، وسيؤدى ذلك فى النهاية إلى تعاظم الخسائر، وقد يؤدى فى النهاية إلى فشل العملية كلها.

وفى ضوء ما سبق كان من الضرورى القيام بعملية هجومية ناجحة لتحرير سيناء أن تعمل مصر على تزويد قواتها الجوية بقاذفة مقاتلة جديدة، وفى سبيل ذلك بذلت

محـاولات كثـيرة للحصول مـن الاتحاد السـوفيتى على طائـرة حديثة، ولديـه منها عدة أنواع، وقد وعد الاتحاد السـوفيتى فى أوائل عام ١٩٧١ بإعطاء لواء قاذفات مقاتلة إلا أن هـذا الوعـد لم يـر النور بعد ذلـك، وعلى ذلك بقيت مشـكلة تحريـر الأرض المحتلة فى حاجـة إلى إيجاد حل، ولم يكن هذا الحل سـوى اسـتخدام حائـط الصواريخ فى وقاية القـوات أثناء قيامها بعملياتهـا الهجومية، ولكن كيف يتم ذلك ونوعية المعدات المتوفرة لدينا ثقيلة صعبة التحرك ومن نوعيات متأخرة ؟ وكان من المتوقع عدم إمكان متابعتها للقوات وخاصة فى العمليات المتحركة مما يجعل القوات تخرج خارج نطاق التغطية التى يوفرهـا حائط الصواريخ، ومن هنـا ظهرت الحاجة إلى وجود نوعيـات من الصواريخ المتحركـة وقـد تم طلب هذا النوع من الاتحاد السـوفيتى ووافق فعـلا على إمدادنا بعدد (٣) لـواءات صواريـخ سـام ٦، وتم إرسـال الأفـراد للتدريـب فى الاتحاد السـوفيتى، ووصل اللواء الأول إلى مصر فى ديسمبر ١٩٧٢.

ولم يكن مسـتوى أفراده ضباطًا وجنودًا بأسـعد حال من غيرهم من الوحدات التى تـم تدريبها فى الاتحاد السـوفيتى قبل ذلـك، لقد كانوا على دراية محـدودة نظريًا وعمليًا وليست لديهم أى خبرة قتالية، وكان أمر تدريبهم فى مصر أمرًا ضروريًا، واستلزم ذلك طبعًا وجود عدد من الخبراء لإتمام التدريب، أما اللواء الثانى فقد وصل فى منتصف عام ١٩٧٣. أما الثالث فقد وصل قبل المعركة بأيام قلائل، ولم يشترك فى المعركة.

فى أواخر سـبتمبر ١٩٧٠ بدأت فكرة اسـتخدام حائط الصواريخ فى وقاية القوات فى أثناء العملية الهجومية تظهر إلى حيز الوجود خلال أحد المشروعات الجوية، ولم يكن هذا الفكر مفاجئًا لنا بقدر ما كان جديدًا، لم يكن مفاجأة لأننا منذ بدء فترة وقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠ اتجه التفكير المحلى إلى إمكان استخدام وحدات الصواريخ فى وقاية القوات فى المعركة الهجومية المنتظرة، ولقد قادنا إلى ذلك التفكير شعورنا بضعف الأمل فى الحصول على قاذفة مقاتلة جديدة وبالأعداد الكافية لحل المشكلة بالإضافة إلى مـا صاحب المبادرة الأمريكية من ظواهر التعثر، تلك المبادرة المعروفة بمبادرة روجزر، وتضاؤل الأمل فى انسحاب إسرائيل.

لقد احتل هذا التفكير جزءًا كبيرًا من مناقشاتنا، وانقسمت الآراء ما بين مؤيد يتحفظ هـذا الأسـلوب وبين معـارض تمامًا على طول الخـط، وخلال إجراء أحـد المشروعات التعبويـة ظهر الكثـير من العقبات فى إمـكان تنفيذ مثل هذا الأسـلوب،فالمواجهة التى سـتعمل عليها الجيوش الميدانية واسـعة، ومحاور تقدمها فى سيناء محددة بالطرق، وهذه المحـاور متباعدة عن بعضهـا، والأرض رملية ناعمة شرق القناة يصعب التحرك عليها للعربـات العاديـة فـما بالك بمعـدات ثقيلة مثل هـذه المعدات ومطلـوب تحريكها على مثل هذه الأراضى، كثير من المشـكلات والصعوبات آخرها عدم ملاءمة تشـكيل قتال حائـط الصواريخ لتنفيذ المهمـة، ولاقتناعى بالفكرة ذلك الاقتناع النابع لا من سـلامة الاسـتخدام التكتيكـى بقـدر ما هـو نابع أن هـذا هو الأسـلوب الوحيد الـذى أمامنا، هـذا هـو السـلاح الـذى فى أيدينا، والذى سـنحقق به المهمـة التى سـتوكل إلينا وليس أمامنـا خيـار، كان لابد من أن نعطى الأمر أهمية والمـوضـوع جديته، فبدأنا نعمل بهدوء ونحسب ونخطط وندقق ونراجع نقنع ونقنع، تارة نؤيد الفكرة وتارة نعارض الفكرة، بحـر متلاطـم من الآراء والأفـكار، ونقاش جاد يثـور أحيانًا فيظهر الأفـق معتمًا ويهدأ أحيانًا فتتضح ملامح الفجر الجديد. ومن خلال مناقشـاتنا التى لا تنقطع التقط الخبراء الـروس ذلك الفكر وبدءوا هم فى إقناع القيادات المسئولة بـه، متظاهرين بأن ذلك هو الحل للتغلب على مشكلة النقص فى القوات الجوية، وفاتهم أن قيادتنا لم تكن بمنأى عن تلك التيارات الفكرية التى كانت سائدة فى قيادة حائط الصواريخ. حقيقة لم تكن مقتنعة بإمكان تنفيذ ذلك بل كانت تعتبر ذلك ضربًا من الخيال، ولكن أمام التصميم والإقناع أخذ الموقف يلين رويدًا إلى أن وصل إلى درجة الإقناع المشـوب بالحذر. هذه هى خلفية الإعداد من الناحية العسـكرية. أما الناحية السياسية تلك الناحية التى تحدد استراتيجية المعركـة - أغراضهـا - توقيتاتها- مدتها - المؤثرات الدولية والمحلية - النتائج المتوقعة، وأخيرًا وليس آخرًا الآثار الناجمة عن الحرب اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسـيًا وعسـكريًا، هذا النوع من الاسـتراتيجية هو ما يسـمى بالاسـتراتيجية العليا، لقد كان واضحًا تمامًا بعد أن تولى الرئيس محمد أنور السـادات مهام منصبه أن التصميم على المعركة كمخرج نهائى للموقف المتجمد أمر لا بديل له.

لقـد كثرت زيـارات الرئيـس للجبهة، وفى كل مـرة كان يطلب من القـوات اليقظة واسـتكمال الاسـتعداد للمعركـة، مطالبًـا القادة العمـل دائمًا على رفع مسـتوى تدريب قواتهم وإعدادهم لمعركة شرسة ستتم حتمًا بيننا وبين العدو. كان لهذا التوجيه السياسى أثـره الكبـير فى نفوس الضبـاط والجنود، ولك أن تتصور ما تعنيه كلمة معركة شرسـة، وما تتطلبه من إعداد للقوات، لا شـك أن الوقوف أمام عدو يمتلك قوة جوية ضخمة وحديثـة، ولديه أمهر طيارين فى العالم يسـتلزم مقاتـلا من نوع خاص، يتطلب قادة على مختلف المستويات من نوع خاص، وقد تمكنا والحمد لله من الوصول إليهم وكان سبيلنا فى ذلـك الإيمان بـالله والوطن، والعمل الـذى لا يعرف الملل أو الكلـل، وكانت غايتنا جميعًا النصر أو الشهادة لا نبغى فيها نعمل سوى وجه الله ومرضاته.

لقد كانت المجلات العلمية الأجنبية التى نقرؤها تنفث سمومها فيها تكتب عن نوعية الصواريخ التى تمتلكها، وعدم قدرتها على التصدى للسلاح الجوى الإسرائيلى، وكانت تسـوق للتدليل على صحة ما تعرض من آراء، تلك المعارك التى دارت فى جنوب شرق آسـيا فى فيتنام، ففى عام ١٩٧١ تمكنت قوات جنود الجـو الأمريكية من مهاجمة العديد مـن كتائب الصواريـخ وتدميرها فى عملية إبرار ليلية، وذلك تحت سـتر مظلات جوية قويـة، وكانـت مثل هذه العمليات أحد الحلول التى يمكـن أن يتبعها العدو ضد حائط الصواريخ، وفى ديسـمبر ١٩٧٢ عندما تعثرت مباحثـات باريس قامت القوات الجوية الأمريكيـة بأكبر عمليـات جوية فى شرق آسـيا، صمد خلالها الدفاع الجـوى الفيتنامى لأيـام محدودة ثم انهار بعدها، وتحقق الغرض السياسـى الـذى كانت تهدف إليه أمريكا بتوقيع الفيتاميين على شروط صلح باريس، وكانت النوعيات التى لدى الفيتناميين هى نفسها النوعيات الموجودة لدينا وبنفس الكثافة الموجودة مع اختلاف المواجهات.

أمـا فى الجانب الآخر فكان العدو يعد قواته الجوية لحسـم المعركـة منذ بدئها، وكان سبيله فى ذلك تدريب شاق ومستمر ليلا ونهارًا، وتزويد قواته الجوية بأحدث ما أنتجته الترسانة الأمريكية من أسلحة للدمار ومعدات إلكترونية.

وفى ضـوء مـا أوضحنـاه مـن عوامـل كان لا بـد مـن أن يتفـق إعداد قـوات حائط الصواريخ مع التصميم المستمر على حتمية المعركة ومع قدرة السلاح الجوى الإسرائيلى،

مع التقدير السليم الواضح للمسئولية الملقاة على عاتقنا، لتوفير الوقاية لجيشين ميدانيين سيقومان بالهجوم عبر أكبر مانع مائى عرفه التاريخ فى وجه مقاومة قوية تنبع من خط بارليف، والاحتياطيات القوية من المدرعات التى يحشدها العدو فى المنطقة التكتيكية وخلفها. كان لا بد أن نضع فى الاعتبار عند التخطيط للإعداد حالة المعدات التى فى أيدينا، حالتها الفنية، قدرتها التكتيكية على وقاية القوات فى الهجوم، فليست هذه أول مرة فى تاريخ الحروب التى تستخدم فيها الصواريخ الموجهة أرض - جو بهذه الكثافة العالية فقط وإنما أيضًا الأول مرة فى تاريخ الحروب تستخدم فيها الصواريخ الموجهة أرض - جو فى وقاية عملية هجومية كبرى تشمل اقتحام قناة السويس وهزيمة العدو وتدميره فى سيناء، ولا شك أن المهمة ما أسهلها إذا كانت المعدات مصممة أصلًا لتنفيذ مثل هذا الواجب، ولكن على العكس من ذلك، فالمعدات التى فى أيدينا مصممة أصلا للدفاع عن القواعد الثابتة مثل المراكز السياسية (القاهرة مثلا)، المناطق الصناعية، عقد المواصلات المهمة ولكنها لم تصمم للدفاع عن القوات فى الميدان. وكان لا بد أن نضع أمام أعيننا عند الإعداد أن الحرب المقبلة ستكون أول الحرب إلكترونية فى التاريخ، فإسرائيل حشدت من المعدات الإلكترونية الكثير من المعدات والوسائل لتدمير حائط الصواريخ من الوهلة الأولى، وإحالة الهجوم المصرى إلى كارثة كما كانوا يتصورون ويذيعون.

إن إعداد أية قوات مسلحة للحرب فى زمن السلم تعتبر عملية صعبة، وإن كانت خالية من التعقيد، فالعدو الذى يجرى الإعداد لقتاله محدود الإمكانات والوسائل، وأسلوب تطويرها واضح معروف، وعلى العكس فإن إعداد أية قوات عسكرية للمعركة تحت ظروف القتال سواء أكان محتدمًا أم متوقفًا ما هى إلا عملية شاقة ومضنية، فإمكانات العدو ووسائله لا تستقر أوضاعها، فهى دائمة التغير والتطوير، وكثيرًا مما يتم فيهما لا يمكن معرفته إلا متأخرًا، إذ يحاول العدو بكل الوسائل إخفاء ما يتم، لإحراز المفاجأة فى ضربته الأولى.

هذه هى الظروف التى تحيط بالإعداد بشكل عام. أما بالنسبة لحائط الصواريخ فإن عملية إعداده كانت تعتبر أكثر من شاقة ومضنية إذ كان من الواجب أن يتم الإعداد

مع استمرار الاستعداد، فالعدو غادر ولا يؤتمن جانبه، وأى نجاح من جانبه لا يؤثر على معنويات الجبهة الداخلية فقط بل على معنويات القوات المسلحة، تلك المعنويات التى أمكن استعادتها بعد قتال يوليو ١٩٧٠، ولكن كيف تم إعداد حائط الصواريخ بحيث أمكنه أن يقلب موازين القوى منذ بدأت المعركة وأن يجعل العالم كله يقف حائرًا أمام النتائج التى تحصل عليها، والتى جعلت الدول الكبرى ترصد مئات الملايين من الجنيهات لدراسة نتائج حرب الصواريخ والتعرف على أسباب النجاح ومحاولة إيجاد الحلول أو الأسلحة اللازمة للتغلب على الصواريخ الموجهة أرض - جو فى المستقبل، وللتدليل على صحة ذلك ما ذكره أحد القادة العسكريين الإسرائيليين فى تحليله لحرب يوم الغفران تعليقًا على بيان كل من الجنرال ديان والجنرال دافيد إليعازر. لقد ذكر الجنرال ديان عقب قيام الحرب مباشرة أن إسرائيل قادرة على إلحاق هزيمة مجلجلة بالعرب، بل قادرة على سحق عظامهم مؤكدًا أن النصر لا يتطلب بضعة شهور أو أسابيع أو حتى بضعة أيام، أما الجنرال دافيد إليعازر رئيس الأركان، فقد أعلن أمام الصحفيين مساء ٨ أكتوبر ١٩٧٣ بعد أن عرض الموقف إجمالا بأن إسرائيل قادرة على طرد العدو وملاحقته وسحق غطرسته، لقد علق القائد العسكرى الإسرائيلى على ذلك بأن هذه التصريحات أدت إلى أن باتت إسرائيل تغط فى نومها يوم الإثنين، وهى تنتظر أن ينكشف بين لحظة وأخرى أبعاد النصر الهائل الذى وعدت به. ولكن ماذا حدث ؟ تحطمت عشرات من الطائرات فى بضع دقائق أمام حائط الصواريخ، لم يقذف جسر واحد، وطاشت جميع الهجمات، ولم تتمكن من الوصول إلى الجسور، هذا شكل أقوالهم ولكن أهمها و أخطرها ما صرح به ديان يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ عندما اتضحت حقيقة المأساة وشكل الهزيمة التى حاقت بالسلاح الجوى الإسرائيلى، خاصة ذلك التصريح الذى اعترف فيه أنه فى اليومين الأولين تم تحييد السلاح الجوى الإسرائيلى، وأن إسرائيل خسرت فى اليومين الأولين للقتال ٦٠ طائرة بواسطة حائط الصواريخ المصرية، منها ٣٦ طائرة فانتوم و٢٤ طائرة سكاى هوك. هذا الحديث الذى تدخلت الحكومة الإسرائيلية لمنع تسريه، لأنها أدركت مدى تأثير نشر ما يعتبره البعض نهاية العالم، ورغم ذلك فقد تسرب لعديد من المراسلين الأجانب، وكان ذلك سببًا فى أن أسند الإعلام إلى الجنرال أهارون ياريف، الذى قال إن هذه الحرب ستكون صعبة وطويلة الأجل.

لاشك أن هذا النجاح الذى أحرزه حائط الصواريخ منذ اللحظة الأولى لبدء القتال لم يكن وليد المصادفة، بل كان نتيجة لجهد كبير وعمل شاق متواصل قام به جميع هؤلاء الرجال الذين كانو يعلمون فى حائط الصواريخ، وفى معرض هذا الإعداد تم العديد من الدراسات والتجهيزات و الإجراءات التى قادت فى النهاية إلى هزيمة القوات الجوية الإسرائيلية، وسنلقى الضوء على عناصر الإعداد بالقدر الذى تقتضيه النواحى العسكرية من سرية و أمن.

إن استخدام حائط الصواريخ فى وقاية الجيوش الميدانية كأى فكر عسكرى جديد إنما نبع أول ما نبع من فكر رجال حائط الصواريخ، ذلك الفكر الذى انبثق من بعد النظر والقدرة على التنبؤ، ذلك البعد والقدرة اللذين صقلتهما خبرة حرب الاستنزاف و الإيمان المطلق بالمقاتل المصرى. ولضمان نجاح أى فكر عسكرى جديد قبل تطبيقه كان من الضرورى إجراء العديد من الدراسات، للتثبيت من صحته والتعرف على نقط ضعفه وقوته، وهذا هو ما حدث تمامًا بالنسبة لحائط الصواريخ. لقد أخذت الدراسات طريقها لتحديد أفضل أسلوب للوقاية يمكن أن يقوم به حائط الصواريخ فى المعركة الهجومية المنتظرة، وهنا ظهر كثير من المشكلات كان أبرزها.

أ- عدد الوحدات اللازمة لذلك الغرض فى ضو اتساع مواجهة الهجوم واتجاه الضربات الرئيسية لقواتنا.

ب- أنسب تشكيل للقتال يمكن أن يتخذه حائط الصواريخ حتى يكون قادرًا على أن ينفذ مهام الوقاية للقوات، ووقاية المعابر على القناة، وذلك طول العملية الهجومية دون الحاجة إلى إجراء العديد من عمليات إعادة التجميع خلال العملية.

ج- أفضل أسلوب للانتقال خلف القوات، بحيث يتيسر عدد كافٍ من الوحدات يمكنه صد هجوم العدو الجوى وتدميره خلال العملية الهجومية سواء فى مراحلها الأولى التى تتسم بصغر عمق المهام اليومية أو فى مراحلها النهائية بعد انطلاق المدرعات لتدمير العدو والقضاء عليه، وتحقيق مهمة القوات المسلحة من العملية الهجومية.

د- تعرض حائط الصواريخ عند انتقاله شرق القناة نظرًا لعدم وجود مواقع محصنة أو مسبقة الصنع من تلك الموجودة غرب القناة، والحاجة إلى ضرورة توفير الوقاية

للمعدات والأفراد، وتحديد نوعية الوقاية الممكنة فى ضوء الزمن المتيسر، وبالتالى تحديد نوعية وكمية المعدات الهندسية اللازمة لذلك.

هـ- أسلوب قيادة حائط الصواريخ وهو يغطى مواجهة الجيشين الميدانيين، ويتشكل من العديد من الوحدات، ومطلوب منه تحقيق الكثير من المهام، فمن وقاية المطارات الأمامية إلى وقاية المعابر على القناة، إلى المهمة الأساسية ألا وهى وقاية الجيشين الميدانيين خلال العملية الهجومية، وحتى تحقيق مهمة القوات المسلحة، فلو أضفنا إلى ذلك أن الفرقة الثامنة (دفاع جوى) تعتبر إحدى التشكيلات التعبوية فى قوات الدفاع الجوى، ولا تدخل فى تجميع الجيوش الميدانية، وبحكم وجودها فى مسرح القتال واشتراكها معها فى العملية الهجومية، إنها ستقوم بأصعب و أكبر مهمة ألا وهى وقاية الجيشين ضد هجمات الطيران الإسرائيلى - لوجدنا أنه من اللازم إيجاد علاقة قوية و أسلوب متين لربط هذا التشكيل التعبوى بالجيشين الميدانيين.

وفى هذا المضمار فقط دارت الدراسات العديدة وتشعبت، واتخذت أكثر من أسلوب وتم إجراء التجارب عليها، إلا أنه فى النهاية تم الاستقرار على استخدام الأسلوب، الذى وضعته قيادة حائط الصواريخ ووافقت عليه بعناد وإصرار، وأثبتت الحرب فعلا صحته وسلامته.

و- دراسة أفضل الطرق لإدارة النيران، ويشمل ذلك فيما يشمل أسلوب الإنذار ضد العدو الجوى، أسلوب قيادة الوحدات والوحدات الفرعية، أسلوب استخدامها ضد العدو وضد أسلحة خمده المختلفة وكيفية الاستفادة أفضل أستفادة من النوعيات المختلفة من الصواريخ الموجهة أرض -جو، ويعنى ذلك استخدام كل نوعية مع أفضل عد وملائم لها كذا أسلوب الوقاية المتبادلة بين الوحدات وكيفية تحقيقها سواء عند قيام العدو بضربته الوقائية أو أثناء توفير الوقاية للقوات، واضعين فى الاعتبار النقط - والأساليب التى سيضعها العدو فى الاعتبار.

ز- تأثير الأرض على حركة وحدات الصواريخ، وكما قلت سابقًا الأرض شرق القناة حتى السلسلة الغربية للحائط الغربى، والذى يشمل ممرى والأرض رملية ناعمة يصعب التحرك عليها إذ تتخللها الكثبان الرملية التى لا يمكن التحرك عليها لأى

نـوع مـن الحمـلات، وكان المطلوب هـو دراسـة الأرض تمامًا ومعرفـة طرق تحرك الوحـدات والأماكـن التـى يمكـن احتلالها شرقـًا؟، وفى هذا الصـدد كان لابد من وضـع وزن المعـدات وكـبر حجمها فى الاعتبار، وإيجاد أسـلوب ييسر لهـا قدرًا من خفة المعركة، وييسر لها العمل مع القوات وتوفير وقاتيتها أثناء تقدمها، وتبعًا لذلك الطلـب وضع تنظيم خاص للقتال تم فيه تحديد عدد الأفراد والمعدات وفقًا للمهام المطلوبـة، كما تم تجهيز الوحدات بأنواع من الجرارات قادرة على السـير فى الأراضى الرمليـة الناعمة، ويكفـى أن تعلم أن عدد الجرارت الجنزيـر فى الفرقة الثامنة (دفاع جـوى) ـ وهو نوع واحد من الجرارات ـ يعـادل عدد الجرارات الموجودة فى فرقتين مدرعتين تقريبًا.

ح ـ أسـلوب استهلاك الصواريخ خلال المعركة، والموجود منهـا وإن كان كثيرًا إلا أنه بالنسـبة لعمليـة هجومية كبيرة مثل هـذه العملية يعتبر محـدودًا، وقد يحدث فى أثناء القتـال نقـص فى نـوع معين منهـا دون البعـض الآخـر، وفى قطاع دون غـيره، وقد حـدوث ذلك فعـلًا، فلو أضفنا إلى ذلك أنه ليس من المنتظـر أن يصل أى إمداد من الخـراج أثنـاء القتال لاتضـح لنا بجلاء القدر مـن المعاناة الذى واجهنا فى الدراسـة لإيجاد الحلول التبادلية للاحتملات المنتظرة، وقد قادنا أسلوب استهلام الصواريخ إلى مشـكلة أكبر كان لابـد لها من حل سريع ألا وهو أسـلوب الإمداد بالصواريخ، والوحدات المخصصة للإمداد تقع على مسافات كبيرة خلف الوحدات، ولا يمكن أن تحتفـظ الوحـدات بعدد كبير مـن الصواريـخ فى حوزتها، إذ أنها سـتكون معرفة لأعمال العدو برية أو جوية، أنها ستكون عرضة للتلف بمرور الأيام نتيجة للعوامل الجويـة المختلفة، بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن يتـم توزيع الصواريخ على الوحدات بالتعاون واستهلاك كل وحدة فى المعركة يختلف من الأخرى، وبذلك وفقًا لدورها ومكانها من المعركة، وفى هذا السبيل كان لابد أن يكون هناك تصور دقيق للمعركة، سـواء غرب القناة أو شرقها، حتى يمكن على ضوء ذلك التصور وضع الحسـابات الدقيقـة لعمليـة الإمـداد، ويكفـى أن نعلـم أن الصـاروخ عنـد تجهيـزه للقتال يمر

بمراحـل عديـدة من تجميع الأجـزاء إلى ملئه بالوقود، إلى اختبـار مكوناته كلها، ثم دفعـه إلى كتيبـة الصواريخ، وكل ذلك يسـتغرق زمنًا غير قليل، كـما يجب أن نعرف عـدم وجـود صواريـخ فى كتيبـة الصواريخ يـؤدى إلى خفض معنويـات رجالها كما يجعلها فى الوقت نفسـه طعمًا سائغًا للعدو، يسـهل عليه افتراسها إذا أمكنه ملاحظة توقفها عن الاشتباك معه لذلك السبب.

هذه هى المشكلات البارزة - وهى قليل من كثير من المشكلات - التي واجهت قيادة حائط الصواريخ، ولم يكن أمام القيادة لحل هذه المشكلات سوى دراستها بعمق وترو، ووضع الحلول المناسبة، واضعين في الاعتبار أن الحذر لن يوصل إلى المخاطرة والحرب فى طبيعتها مخاطرة، وأن المجازفة المحسوبة هي أفضل الطرق للنجاح.

لقد مكنتنا فترة الإعداد من تطبيق معظم الدراسـات قبل بدء المعركة، بالمشروعات التدريبيـة المختلفـة، وقد أثبتت كلها والحمد لله سـلامتها إلى حد بعيد أو اسـتلزم الأمر إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها.

إمـا عـن التجهيزات فقد شـملت الكثـير وكلها تخدم التشـكيل لإعـداده للمعركة المنتظـرة، ولسـت مغاليًـا إذا قلت إنـه تم الاتفاق على هـذه التجهيزات بسـخاء منقطع النظـير، وأهم هذه التجهيزات التجهيزات الإشـارية، وهى عصب القيادة والسـيطرة، الناجحـة عـلى الوحدات تقـود في النهاية إلى النجـاح في المعركـة إذا اتصفت الوحدات بالكفـاءة القتاليـة العاليـة، وهـذا هـو ما كنـا نهدف إليـه ونسـعى إلى تحقيقـه في حائط الصواريخ.

لقد تم تزويد حائط الصواريخ بشـبكة ضخمة من المواصلات الخطية وأعداد كبيرة مـن المواصلات اللاسـلكية المختلفة تكلفت عشرات الملايين مـن الجنيهات ويكفى أن تعلـم أنه تم مد كابلات لحائط الصواريخ بلغـت أطوالها عدة مئات من الكيلو مترات، وأن عدد الأجهزة اللاسلكية المختلفة التي كانت تعمل في حائط الصواريخ تعادل أكثر من أضعاف تلك الموجودة في جيش ميداني.

لقد ذكرت هذه الأعداد لأوضح حجم المواصلات التي كانت تخدم حائط الصواريخ في أثناء المعركة، فالمواصلات في معركة الدفاع الجوى تعتبر العصب الرئيسي للمعركة، فهي التي عن طريقها تقاد أعمال وحدات الرادار والمراقبة بالنظر والصواريخ، ويتم عن طريقها أيضًا تبادل المعلومات مع القوات الجوية والجيوش الميدانية وفرق الدفاع الجوى الأخرى.

لقد كانت قيادة حائط الصواريخ تعمل لكل احتمال حسابه حتى أسوأ الاحتمالات، وقد مكنها هذا التقدير من فرض السيطرة المستمرة على وحداتها غربًا وشرقًا حتى تنفيذ وقف إطلاق النار الفعلي يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣م يلي ذلك في الأهمية التجهيزات الإدارية، وهى ذات نواح متشعبة، وفيها تم تزويد الوحدات بكل متطلباتها اللازمة للمعركة من وقود وتعيينات ومهمات، وفى سبيل تحقيق خفة الحركة للوحدات لتمكينها من إتمام المناورة اليومية أو التقدم خلف القوات لوقايتها تم تجهيز الوحدات بنوعيات معينة من مختلف الاحتياجات الإدارية تتميز بخفة وزنها وصغر حجمها.

تأتى بعد ذلك التجهيزات الهندسية، ونظرًا لارتباطها المباشر بوقاية المعدات والأفراد، فقد احتلت ـ هذه التجهيزات – جانبًا كبيرًا من الاهتمام، وأخذت مجهودًا كبيرًا ومضنيًا قامت به وحدات المهندسين العسكريين لحائط الصواريخ، ونظرًا لتعدد هذه الأعمال فسنأتي على المهم منها.

كان من الضروري استكمال المواقع غرب القناة، وكما سبق أن ذكرت من قبل، فلقد أقمنا عدة خلال النصف الثاني من عام ١٩٧٠، والنصف الأول من عام ١٩٧١، ولما استقر الفكر العسكري في استخدام حائط الصواريخ فى وقاية القوات فى العملية الهجومية وجد أنه من المناسب بناء مواقع متقدمة أكثر قربًا للقناه على أن تكون من النوع المحصن، وفعلا تم اختيار هذه المواقع، وتراوحت مسافاتها ما بين عدة مئات من الأمتار فى مناطق عديدة مثل: الشلوفة – الدفرسوار – الفردان – القنطرة وإلى كيلو مترات محدودة لم تزد فى أبعادها عن ثلاثة كيلو مترات، مواقع من النوع الذى يوفر الوقاية التامة للأفراد والمعدات.

لقد أدت هذه المواقع دورًا كبيرًا فى معركة العاشر من رمضان إذا احتلتها وحدت الصواريخ ليلة ٧/ ٨ أكتوبر ١٩٧٣، واستمرت بها أحد عشر يومًا حتى صباح يوم

١٩ أكتوبر، ذلك فى بعض القطاعات، فى حين استمرت فى البعض الآخر حتى يوم ٢٥/ ١٠/ ١٩٧٣، ومن هذه المواقع أمكن الوحدات الصواريخ أن تقدم الوقاية للقوات تمامًا وتغطى بصواريخها جميع المواجة حتى الطريق العرضى الذى يمتد بحذاء القناه تقريبًا فى الشرق، وعلى بعد ٣٠كم منها مارًا من بالوظه على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الطاسة على طريق الإسماعيلية القسيمة إلى رأس سدر على الساحل الشرقى لخليج السويس فى مواجهة العين السخنة فى الغرب.

لقد بدأت إنشاءهذه المواقع فى أوائل عام ١٩٧٢، وانتهى العمل منها فى آخر عام ١٩٧٢، ومنذ بدأ العمل فيها لم يهدأ نشاط العدو الاستطلاعى سواء بعناصرة البرية من الشرق أو قواته الجوية فلقد كان الانتهاء منهما نذيرًا بقرب الهجوم المصرى المنتظر، ولقد صرحت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل عند العمل فى هذه المواقع أن المصريين يقومون ببناء مواقع جديدة للصواريخ على القناة مباشرة ولم يكفهم ما لديهم من مواقع لدرجة أنه لا يوجد لديهم مكان غرب القناة لم يقيموا فيه مواقع لصواريخهم إلا أنه مهما فعل المصريون فإننا قادرون على إلقائهم فى المساء لو حا ولوا عبور القناة.

لقد حاولت إسرائيل أن تحصل على أسلحة قادرة على التعامل بنجاح مع حائط الصواريخ، فلقد كان هذا الحائط هو الشغل الشاغل ومحل دراستها الدائمة، وقد كانت إسرائيل بجانب إعدادها لقواتها الجوية نوعًا وعددًا وتدريبًا تعد أسلحة مناسبة لتدمير حائط الصواريخ وتحييده وإخراجه خارج المعركة حتى تمتلك السيادة الجوية فوق أرض المعركة، وكان من ضمن الأسلحة التى أعدتها للتعامل مع حائط الصواريخ الصواريخ الموجهة من الجو إلى الأرض مثل الصاروخ شرايك وما فريك والقنبلة زنة ٤٠٠٠ رطل والمدفعية بعيدة المدى ١٧٥مم وكان من الواجب علينا أن لا نترك لهذه الأسلحة أن تحدث الأثر الذى يأمله العدو فيها؛ لذا كان من الواجب أن يكون هناك - بجانب الأسلوب التكتيكى أو الفنى الذى تستخدمه الوحدات للتعامل مع العدو - تجهيز هندسى خاص لتقليل الآثار الناتجة عن هذه الأسلحة، وفعلا دارت عجلة التفكير فى قيادة حائط الصواريخ، وتمكنا من الوصول إلى أسلوب خاص من التجهيز الهندسى يتلاءم مع إمكانات كل سلاح،وتتلخص جميعها فى استخدام السواتر الترابية بسمك

معين، وعلى أن تقام بزواياو أبعاد خاصة من المعدات تم حسابها بدقة بالإضافة إلى زيادة سمك التكسيات القائمة وتحديد سمك التكسيات التى توضع فى مداخل ومخارج الأنفاق الموجودة بها المعدات، لقد تم حساب كل شىء من زواياه المختلفة واضعين فى الاعتبار أسلوب استخدام العدو لها والأثر الناتج منه، ومن ثم تم تحديده أنسب تجهيز هندسى يمكن اتباعه لتقليل أثر ذلك سواء على الأفراد أو المعدات لقد يسر الأسلوب العلمى إيجاد حل لكل مشكلة كانت تواجهنا، ونحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على توفيقه لنا، فقد أظهرت الحرب صحة الحلول التى اتبعت مما أدى إلى خسائر محدودة، سواء أكانت فى الأفراد أم فى المعدات.

لقد مكنتنا دراسة وتحليل أسلوب العدو فى مهاجمة كتائب الصواريخ خلال معارك الاستنزاف وقتال يوليو ١٩٧٠ من أن نتغلب على دقة الطيارين الإسرائيليين فى مهاجمة كتائب الصواريخ، واتبع فى ذلك أسلوب المواقع المتداخلة، ويعنى ذلك أن الموقع الواحد يعمل بين أجنابه عدة مواقع أخرى تختار على مسافات وبأشكال هندسية مختلفة تقام وفقًا للتصور المنتظر للهجمة الجوية، وتوضع لها معدات هيكلية تتفق فى شكلها وحجمها مع المعدات الحقيقية، وتقام لها نفس التجهيزات الهندسية أسوة بالمواقع الحقيقية، وقد أدى هذا الأسلوب إلى وقاية المواقع التى صفها العدو، كما أدى إلى استنزاف الكثير من عدد طلعاته الجوية وذخيرته بالإضافة إلى زيادة تعرضه لوحدات الصواريخ الحقيقية مما مكنها من تدميره. لقد استلزم إقامة مثل هذه المواقع مجهودًا ضخمًا من وحدات المهندسين العسكريين، سواء فى ذلك وحدات الإنشاءات – التى قامت بأعمال إقامة المواقع. أو وحدات الإخفاء التى قامت بوضع المعدات الهيكلية وألبستها ثوبًا قشيبًا من الحقيقة والواقعية، وذلك بالتفنن فى إخفائها حتى أصبح من الصعب على من يراها عن قرب إمكان التفرقة بين المعدات الحقيقية والهيكلية فى الموقع الواحد أو بين المواقع الحقيقية الخالية والمواقع الهيكلية الخالية. لقد أدى المجهود الذى بذل فى هذا الاتجاه إلى تضحية كاملة لطيارى العدو، مما أدى إلى ذهاب كثير من هجماتهم هباءً دون فائدة فى الأيام الأولى للقتال.

بجانب هذا التجهيز الهندسي الذى تم فى المواقع الحقيقية كان هناك مجهود مماثل فى كثير من مواقع الصواريخ الأخرى، فجميع المواقع غير المحتلة تم إقامة معدات

صاروخية هيكلية بها، ووضعت وفقًا لخطة مدروسة، حتى تتفق مع الشكل المطلوب أن يعرفه العدو فى فترة ما من الفترات و لقد استلزم ذلك مجهودًا ضخمًا من ناحية التخطيط لتحقيق خداع العدو عن خطة العمليات الحقيقية، كما استلزم أيضًا مجهودًا من وحدات الإخفاء، بل يمكن القول إن ذلك المجهود كان مجهودًا مستمرًا، فوضع المعدات عليها سليمة و المناورة بها من حين إلى آخر بمعدل يتراوح بين ١٠-١٥ كتيبة صواريخ شهريًا، بل قد يزداد ذلك المعدل و يصل إلى ٤-٥ كتائب صواريخ يوميًا، و إكسابها الشكل المناسب للمعدات الحقيقية و إخفائها عن المراقبة الأرضية والجوية بنفس أسلوب الإخفاء المتبع فى المواقع الحقيقية، كل ذلك استلزم مجهودًا كبيرًا ومستمرًا من وحدات الإخفاء، تلك الوحدات التى كان لمجهودها العادى الذى أسهمت به أثر كبير فى نجاح خطة الخداع التعبوى التى وضعتها قيادة حائط الصواريخ، و التى أثبتت حرب أكتوبر أنها نجحت أيما نجاح، كما سنوضحه فيما بعد، وللتدليل على مدى عظم التجهيز الهندسى الذى قامت به وحدات المهندسين أسوق الأعمال التى قامت بها خلال عام ١٩٧٢ على سبيل المثال، إذ وصل حجم الأعمال الهندسية التى تمت إلى :-

أعمال حفر و ردم ١١٣٥٣٨ مترًا مكعبًا

حوائط واقية مبنية بالشكاير ٢٨٥,٣٠٠ شيكارة رمل

إقامة مواقع هيكلية للصواريخ ٨٣ موقع صواريخ سام ٢، ٣

إقامة مواقع هيكلية للرادار ١٠٤ موقع رادار من الأنواع المختلفة

إقامة عدة مواقع متداخلة ثنائية، وإقامة مواقع هيكلية بها، و ذلك لعدد ٢٠ موقعًا من مواقع كتائب الصواريخ، و لا شك أن ما تم خلال عام ١٩٧٣ كان أكثر من ذلك، وذلك فى ضوء الاستعداد الذى كان يتم على قدم وساق للمعركة التى كانت تلوح فى الأفق.

كان من الضرورى أن أتأكد بنفسى من المواقع الأمامية، تلك المواقع التى ستحتل قبل بدء العملية الهجومية، و تلك التى تقع غرب القناة مباشرة، والتى ستحتل بعد نجاح القوات فى العبور وتكوين رءوس الكبارى المحددة لها فى الشرق و ذلك بالمرور عليها ومعى رئيس المهندسين العسكريين وقادة اللواءات للتأكد من فائدة هذه المواقع

وتحديد أسلوب تجهيزها الهندسى، حيث إنها سقف تحت صقف مدفعية العدو علاوة على قصفه الجوى، بالإضافة إلى التعرف على المشكلات الموجودة بها، والتى لا يتيسر احتلالها إلا بعد جهد جهيد أو لا تيسره إطلاقًا، وكان من الضرورى أن يتم هذا المرور على هذه المواقع بصفة خاصة وباقى المواقع الأخرى، وخاصة المواقع التى يستخدم الخاصة الهجومية للتأكد من أنها جاهزة للاستخدام. وفعلًا لم يأت شهر يوليه ١٩٧٣ إلا كانت كل المواقع جاهزة للعمليات، وأصبح من واجب وحدات المهندسين مداومة المرور عليها،دوريًا لإتمام أعمال الصيانة اللازمة لها.

لقد أدى تنفيذ حائط الصواريخ لخطة منع العدو من الاقتراب من القناة لمسافة أقل من ١٠ كم بغرض الاستطلاع إلى تحرك كتائب صواريخ للأمام ولما كان احتمال القتال مع العدو أصبح أمرًا متوقعًا وجدت من اللازم زيادة التجهيز الهندسى استعدادًا لتلقى أى ضربة جوية يقوم بها العدو فعلا تم خلال شهر يوليو ١٩٧٣ ما يلى :

أ- إتمام أعمال سواتر ترابية بارتفاع ٣,٢ متر أمام ٦٧ موقع كتيبة صواريخ لوقايتها من ضرب مدفعية الميدان تيار ١٧٥ كم، ١٥٥ كم، وفيها ما هو سيتم احتلاله مستقبلا وفقاللخطة أو تطور العمليات.

ب - عمل مواقع صواريخ متداخلة مع الموقع الأصلى ثنائية أو ثلاثية، وفى اتجاه هجوم العدو المنتظر للمواقع،ووضعت بها معدات هيكلية مشابهة تمامًا للحقيقة، وذلك فى ١٧ موقعًا.

ج - لقد ألقت طبيعة مسرح القتال ضرب القناة على وحدات المهندسين عبئًا إضافيًا جديدًا فنظرًا لعدم صلاحية الأرض فى ،معظم أجزاء هذا المسرح لتحرك المعدات الثقيلة، فقد أصبح من الضرورى إقامة طرق حجرية أو زاطية لجميع مواقع حائط الصواريخ حتى يسهل عليها تحرك المعدات عند احتلال المواقع وإخلائها، هذه العملية كانت تتم بصفة دائمة تقريبًا.

أما عن الإجراءات التى اتبعت فى الإعداد التالى لحائط الصواريخ فقد كانت كثيرة ومتشعبة، ومن أشق ما يمكن، لأنها تمس وقود المعركة الفعلى، ألا وهو الرجال والمعدات.

وكان اعتقادنا بأن المعركة لا يتم كسبها بالسلاح وحده وإنما يتم كسبها بالرجال الذين يعملون خلف هذا السلاح. كان هذا الاعتقاد سببًا فى توجيه أكبر اهتمام لهؤلاء الرجال الذين يعملون فى وحدات حائط الصواريخ. ولما كانت دوافع القتال لدى الفرد تتأرجح بين الإيجابية والسلبية فيما يختص بالرغبة فى الحرب أصبح من الضرورى العمل على تنمية الدوافع العدوانية لدى الأفراد، وكان سبيلنا فى ذلك هو الإيمان بالله، ثم الإيمان بالوطن، وقد كان لنا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ خير معين على ذلك، لقد أدى تعميق الإيمان فى النفوس إلى زيادة الثقة بالنفس، وبالتالى طرد شبح الخوف، ومن ثم حب الاستشهاد، أما الإيمان بالوطن فقد كان لتاريخه الطويل عبر آلاف السنين وقدراته العسكرية القديمة وانتصاراته الباهرة خلال التاريخ الطويل أثر كبير على رفع همة الأفراد، وإيقاد جذوة الرغبة فى القتال، وخلق روح الثأر لنكسة ١٩٦٧، وبهذا فقط أمكن أن نصل إلى روح معنوية عالية، روح معنوية تحمل بلا كلل ولا ملل، تتسابق فى الأداء الممتاز ومن ثم اكتملت دوافع القتال فى الأفراد ضباطًا وجنودًا ولم يعد هناك إلا أن تجدد القتال مرة أخرى لتجد هذه الروح طريقها للانطلاق والإبداع.

إن توفر روح القتال لدى الأفراد لا يعتبر كافيًا لدخول الحرب، فلابد من تدريب جيد لهؤلاء الأفراد، ويحضرنى فى ذلك التشبية الذى جاء فى كتب التدريب والذى يبين أهمية التدريب للمعركة، التشبيه الذى يقول: «إن أى قوة عسكرية مهما كان تسليحها ولم يتم تدريبها جيدًا إنما هى فى الواقع جماعة من الغوغاء، لن تنال من القتال سوى كثرة خسائرها» وعلى ذلك كان من الضرورى أن يحتل تدريب وحدات حائط الصواريخ مكانة أساسية، بل لا أبالغ إذا قلت مكانة ممتازة، وأن يأخذ من فكر وعمل ومجهود قيادة حائط الصواريخ كل ما يستلزمه من جهد وعرق، إيمانًا منها بالآتى :

أ- إن القصور الذى حدث فى الماضى مع العدو إنما كان مرجعه أساسًا نقص التدريب وعدم إعطائه الاهتمام الواجب أن يناله.

ب- إن توفير الوقاية للجيوش الميدانية باستخدام وحدات حائط الصواريخ يحتاج إلى تطوير المعدات لهذا الاستخدام الجديد، وإيجاد أسلوب جديد لاستخدامها يتفق مع المهام التى يتكلف بها.

ج- إن أى معركة جديدة لنجاحها يجب أن تقابل بأساليب تكتيكية جديدة، وبذلك فقط يتم إحراز المفاجأة التكتيكية فى الاستخدام، مما يفقد العدو اتزانه منذ اللحظة الأولى للقتال.

د- إن التدريب هو أفضل ترفيه لنفسية المقاتل، وإن أعظم ما يسعده هو أن يعلم أنه سيدخل المعركة ويخرج منها سالمًا.

وتبعًا لذلك بدأت عجلة التدريب تأخذ طريقها فى حائط الصَوَاريخ بتخطيط محكم وإشراف دقيق وواقعية مبنية على التصور الواعى للمعركة وأبعادها فى مراحلها المختلفة.

لقد كان أمامنا فى التدريب الكثير مما يجب إنجازه، وكان توقع المعركة يفرض علينا نوعًا معينًا من الاستعداد، وهذا الاستعداد يستلزم أداءً معينًا من القوات، كما يستلزم بقاء الأفراد بجوار معداتهم يراقبون الموقف ويستخدمون لكل موقف ما يلزم من إجراءات تكتيكية وفنية. ولاشك أن هذه المهمة تتعارض تمامًا مع تدريب الوحدات، وكان علينا أن نتدبر الأمر لإتمام التدريب وفقًا لأوضاع الاستعداد التى عليها الوحدات، ففى بداية الأمر - بعد وقف إطلاق النار إثر قبول المبادرة الأمريكية المعروفة باسم مبادرة روجرز - كان القتال متوقعًا بين يوم وآخر، وتبعًا لذلك كان الاستعداد نهارًا فى ذورته وكان الليل ستارًا يجرى التدريب فيه، واستمر هذا الموقف إلى ما بعد رفض مصر لتجديد مدة وقف إطلاق النار بمدة، وكان أمامنا خلال هذه الفترة مهمة عاجلة يجب العمل على تحقيقها مهما كان الجهد المطلوب وتتلخص فى الآتى :

أ- رفع مستوى الوحدات وخاصة وحدات سام ٢ وسام ٣، والتى لا يزال مستوى تدريبها دون المستوى الذى يؤهلها لدخول المعركة.

ب- استخلاص الدروس المستفادة من قتال يوليو وأغسطس ١٩٧٠ وتعميمها على الوحدات، وإصدار ما يلزم من تعليمات لتلافى الأخطاء.

ج- استخدام أساليب تكتيكية جديدة للعمل بموجبها فى ضوء ما ظهر من قصور فى الأساليب التى استخدمت.

لقد كانت وحدات سام ٢ وسام ٣ التى انضمت إلى تشكيل قتال الفرقة الثامنة (دفاع جوى) لتشكيل حائط الصواريخ الشرايك دون المستوى الذى الذى يجعلها من ضمن

وحدات المواجهة مع العدو، فوحدات سام ٢ التى تم تدريبها فى مصر لم يبذل فيها من الجهد ما يلزم للوصول بها إلى المستوى القتالى المطلوب، وقد يكون عامل الوقت هو السبب فى ذلك. وهنا يجب أن نقارن بين أهمية عامل الوقت والمستوى القتالى المطلوب، ونوازن بين العاملين فى ضوء احتمالات المعركة. أما وحدات سام ٣، والتى تم تدريبها فى الاتحاد السوفيتى عليها قصة أغرب القصص التى لابد من ذكرها للتاريخ.

لقد أرسلت هذه الوحدات، وكلها من خيرة الضباط والجنود إلى الاتحاد السوفيتى للتدريب على صواريخ سام ٣ وذلك فى نهاية ديسمبر ١٩٦٩، وكان من المقرر أن تتم هذه الوحدات تدريبها وتعود إلى مصر مصر فى مايو ١٩٧٠، وفعلًا أتمت هذه الوحدات تدريبها فى مايو ١٩٧٠، ولم تعد على مصر، ولو كانت عادت هذه الوحدات فى ذلك التوقيت - وهى على مستوى تدريب عال لتغير الموقف فى أثناء قتال يوليو وأغسطس ١٩٧٠. فلقد كانت إسرائيل تمتلك وتتخذ ١٦٩ طائرة قاذفة مقاتلة حديثة موزعة كالآتى ٢٤ طائرة فانتوم، ٥٥ طائرة ميراج، ٩٠ طائرة سكاى هوك، ولكان فى مقدرة هذه الوحدات الجديدة بالإضافة إلى الوحدات القديمة التى تقرر إدخالها إلى جبهة القتال وقدرها ١٣ كتيبة صواريخ أرض-جو تدمير أكبر عدد ممكن من الطائرات، ولأمكن الوصول إلى حل المشكلة عام ١٩٧٠، وهنا يظهر التفاؤل فى عدم إرسال هذه الوحدات إلى مصر فى ذلك الوقت رغم إتمامها التدريب وإجرائها الرماية بالصواريخ، فهل السبب يرجع إلى ضعف مستواها، والذين قاموا بتدريبها أعلم بذلك تمامًا، وهنا تكون الطاقة الكبرى ؟ أو أن الاتحاد السوفيتى لا يرغب صراحة فى إنهاء النزاع فى المنطقة، وأن هذا جزء من استراتيجية التى وضحت فيما بعد ألا وهى حل مشكلة فيتنام ومشكلة الحرب الباردة على حساب مشكلة الشرق الأوسط ؟

أما من ناحية تطبيق الدروس المستفادة خلال قتال يوليو وأغسطس ١٩٧٠ فقد كنا نعلم مقدمًا أساليب العدو المنتظر استخدامها، إلا أن العدو لم يستخدم نفس أساليبه القديمة بل طورها، وخاصة فى أسلوب استخدامه للإعاقة على محطات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ، وأسلوب مهاجمته لكتائب الصواريخ،بالإضافة إلى استخدامه أسلوب المناورة الحادة والإفلات من الصواريخ والخروج بسرعة من مناطق تدميرها،

وقد كانت الأخيرة سببًا فى عدم إصابة كثير من الصواريخ لأهدافها، وكان لابد لنا من البحث عن أسلوب جديد أو أكثر للتغلب على أساليب العدو وتدريب الوحدات عليه، وذلك بغرض تحسين أدائها القتالى عندما يتجدد القتال.

ولتحقيق كل ذلك بذلت القيادات على جميع المستويات والوحدات مجهودًا كبيرًا للغاية، ويكفى للتدليل على هذا المجهود أن نعلم أن الوحدات خلال تنفيذها لذلك لم تذق النوم أو للراحة طعمًا، وأن كليهما كان يتم لساعات محدودة جدًا على المعدات، إذ كان من الضرورى أن تعمل بسرعة وبهمة عالية للوصول إلى مستوى قتالى يمكننا من ملاقاة العدو ولو فشلت مهمة الدكتور يارنج وتجدد القتال مرة أخرى، بأمل أن نتمكن من أن نلقن إسرائيل درسًا يجعلها تنصاع لمتطلبات الدكتور يارنج المبعوث الدولى القائم بالوساطة.

بعد فشل المبادرة الأمريكية وعدم تجديد مدة وقف إطلاق النار بات أن المشكلة بدأت تتجه إلى الحل العسكرى، ووضع ذلك تمامًا فى اللقاءات المتعددة للسيد رئيس الجمهورية مع القوات المقاتلة فى جبهة القتال، وكان علينا أن نستعد تمامًا لذلك الحل، وإن كان توقيته لم يتحدد بعد فإنه لاشك آتٍ، فلقد كنت على اقتناع تام لا يقبل الشك فى أن إسرائيل لن تتزحزح شبرًا واحدًا إلا بالقتال، وتبعًا لذلك بدأ التخطيط للعمليات الهجومية يأخذ طريقه وتحددت مهمة حائط الصواريخ وظهرت أبعاد المعركة تمامًا، وفى ضوء ذلك تم تحديد الشكل الذى يجب أن تكون عليه الوحدات، ولا أقصد الشكل التنظيمى بقدر ما أقصد الجوهر الذى يجب أن تتحلى به، إذ كان من الضرورى أن نصل إلى وحدات تتميز بالآتى :

أ- لديها خفة حركة عالية بقدر ما تسمح به طبيعة معدات التى فى أيدينا.

ب- ذات مستوى فنى عالٍ للتعامل مع معدات إلكترونية معقدة بأسلوب علمى سليم، واضعين فى الاعتبار أن أى خطأ ولو طفيف يؤدى إلى فشل الاشتباك مع العدو.

ج- لها القدرة على العمل مددًا طويلة دون أن يصيبها التعب أو الإرهاق الذهنى أو البدنى.

د- قـادرة على إتمام أعمال الضبط والإصلاح الصيانة لمعداتها بدقة وبسرعة حتى يمكن المحافظة على الكفاءة الفنية للمعدات طول المعركة.

هـ- على درجة عالية من الاستعداد القتالى لمقابلة العدو فى أى وقت.

و- لها القدرة على الحسم الدقيق بسرعة، أى يتوفر لها السرعة فى الوصول إلى القرارات الصحيحة وتطبيقها تطبيقًا سليمًا.

ز- ذات مستوى تكتيكى رفيع يمكنها من الاشتباك مع العدو اشتباكًا مؤثرًا يؤدى إلى زيادة نسبة خسائره عما يتوقع.

ح- لديها قادة على مستوى علمى رفيع قدوة لمرءوسيهم، يتصفون بالشجاعة والرغبة فى تحمل المسئولية وأداء الواجب والقدرة على اتخاذ القرارات السليمة.

تم وضع خطة مرنة للتدريب تحقق لنا إمكانية مقابلة العدو فى أى وقت، وفى الوقت نفسـه تهدف إلى الوصول بالوحدات إلى الكفاءة القتاليـة المطلوبة وكنت على يقين تمامًا ان عامـل الوقـت فى صالحنا لو تيـسر لنا، فعن طريقه يمكن سـد الكثير من الثغرات فى أسلوب التدريب والعمل على إجادته.

لقد كان أول شـىء يجب أن نفعله وأن نوليـه جهدًا كبيرًا هو تطويع المعدات للعمل مـع الجيـوش الميدانيـة، أى توفير خفـة الحركة لهـا، وقد اسـتلزم منا ذلك إعـادة تنظيم الوحدات فى ضوء المهام التى تكلف بها، كما استلزم تدريب الوحدات على أعمال تجهيز المعدات للتحرك أو للقتال فى أزمنة معقولة، فالمعدات ضخمة وهوائيتها معقدة وتحتاج إلى أسـلوب خـاص لتركيبها وفكهـا، ويكفى للتدليـل على ذلك أن الأزمـة الموضوعة لذلـك تصل إلى ٦-٨ سـاعات أمكنا كسرهـا والوصول بها إلى أزمـة تتراوح بين ١-٤ سـاعات، ولم يكن الوصول إلى ذلك أمرًا سـهلًا. فقد اسـتلزم بجانب التدريب المستمر نهـارًا وليلًا تغيير أسـلوب تجهيز المعدجات والخروج على الأسـاليب الموجودة فى كتب التعليم، حيث إنها لا يمكن أن تحقق المطلوب.

لم يقـف الأمر عند ذلك الحد، بل تم وضع شـكل خـاص للوحدات وذلك بتحديد عـدد الأفراد الضروريـين للقتال، وذلك بالإقـلال من العناصر الإداريـة، وكذا تحديد

حجم المهمات التى يحملها المقاتل، وبذلك أمكنا أن تصل إلى وحدات تتميز بخفة الحركة تمامًا، ولديها القدرة على العمل مع الجيش الميدانى، ولقد أثبتت معركة أكتوبر ١٩٧٣ أن ما بذل من جهد فى هذا الاتجاه قد أثمر تمامًا، بل فاق كل تصور للعدو، ولقد كان من الضرورى لأجل أن تكتمل خفة الحركة للوحدات أن يتم تدريبها على إتمام التحرك بالمعدات ليلًا، نهارًا، وفى ظروف مشابهة لما سيقابلها فى المعركة، وقد كنا فى بداية الأمر متخوفين من مثل هذه التحركات لا لحاجة المعدات إلى نوع معين من الجرارات فهذه قد تم توفيرها، وإنما لضعف قدرة المعدات على التحرك فوق الأراضى الصعبة، بل ضعف قدرتها على التحرك لمسافات طويلة سواء على الطرق أو خارج الطرق، وأثر هذه التحركات على المكونات الداخلية للمعدات، إذ أن الاهتزازات التى تتم للمعدات أثناء التحرك تؤدى إلى على عدم صلاحية المعدات للقتال وحاجتها إلى وقت قد يطول لاكتشاف أعطالها وإصلاحها، وقد يطول الإصلاح لعدم توفر قطع الغيار اللازمة للإصلاح بالوحدة، والحاجة إلى الحصول عليها من مكان آخر مما يؤدى إلى ضياع وقت ليس بالقليل، والمعركة فى حاجة إلى أى وقت، إذ أن الحسم فى القتال لا يتأتى إلا نتيجة الديناميكية العالية لأداء الوحدات.

وفعلًا تم إجراء التجارب على بعض الوحدات وذلك بإجراء تحركها على مختلف الطرق والأراضى، ثم إجراء تجهيزها للقتال بعد إتمام هذا التحرك، ومن هذه التجارب تم التعرف على المشكلات الناجمة من تحرك المعدات وكم كانت كثيرة ومتنوعة. لقد أظهرت هذه التجارب مشكلات جديدة كان أبرزها وجود أعطال شديدة أو مركبة فى المعدات بعد تحركها، تلك الأعطال التى تحتاج إلى وقت كبير لإصلاحها، وكان علينا أن نقارن بين التحرك على المدقات الجبلية - ولا شك أنها ممهدة إلى حد كبير - والتحرك على الأرض الرملية الناعمة التى تتخللها الأغوار العميقة، تلك الأرض التى تمتد من شرق القناة حتى منطقة الممرات الجبلية، وهنا ظهرت مشكلة جديدة وهى الحاجة إلى سائقين من نوع ممتاز، وفعلًا تمكنا من علاج المشكلتين علاجًا سليمًا، فتم التركيز على تدريب ضباط تخصصات الصواريخ عمليًا ونظريًا مع إجراء الاختبارات المختلفة والمتعددة لهم، مما أوجد منهم كوادر فنية على مستوى رفيع، تمكنت خلال معركة أكتوبر

من الإبقاء على المعدات صالحة وسليمة رغم ما وجهه العدو إليها من هجمات بالطيران أو قصف بمدفعية الميدان بعيدة المدى عيار ١٥٥ مم، ١٧٥ مم.

لقد أخذ التدريب على تحرك الوحدات طريقًا للمنافسة بين قادة الوحدات، وكان علينا أن نزكى هذه الروح، واتبعنا فى ذلك الوسائل العديدة من مادية ومعنوية وأدبية، ويكفى أن نعلم أن حائط الصواريخ خلال فترة تدريب للوصول بوحداته الفرعية إلى خفة الحركة المطلوبة للمعركة قد قام بأكثر من ١٠٠٠ تحرك كتيبة، وإن بعض كتائب الصواريخ قد قامت بنحو ٤٠ تحركًا، علمًا بأن كل تلك التحركات كانت تتم ليلًا، لقد كان تدريب الوحدات المستمر بهذا الأسلوب على زيادة خفة حركتها استعدادًا للمعركة عامل قلق لكثير من قادة كتائب الصواريخ من زاوية تأثير ذلك على سلامة المعدات، فالمعدات ـ أصلا ـ مصممة للدفاع عن القواعد الثابتة. ويعنى ذلك أن خفة حركتها مقيدة، ولكننا بما ابتكرنا، من أساليب علمية تمكنا من إزالة عامل القلق، ورأينا فى هذا النوع من التدريب وسيلة يمكن استخدامها لخداع العدو عن حجم حائط الصواريخ وأوضاعه على الأرض وأسلوب توزيع هذه الوحدات، وقد تم عمل أكثر من خطة خداع تعبوى، ومستفيدين من تحرك الوحدات للتدريب، وقد نجحت هذه الخطط نجاحًا كبيرًا سنأتى عليه فيما بعد.

لقد كان من الواجب أن يسير التدريب الفنى والتكتيكى بجوار التدريب الجارى على خفة الحركة، فهذا النوع من التدريب هو الأسلوب الذى تتبعه وحدات الصواريخ لقتال العدو، ولم يكن هذا النوع من التدريب سهلًا ولا ميسورًا، فأما صعوبته فناجمة من حاجته إلى قاعدة علمية عريضة من العلوم الإلكترونية والرياضية، ولم تيسر سنوات حرب الاستنزاف إعطاءها ما تستحقه من الدراسة والعمق المطلوبين، هذا بالإضافة إلى حاجة الأفراد، وخاصة هؤلاء الذين يقومون بمهام خطيرة مثل ضباط التوجيه - عمال التتبع سواء أكان منظورًا أم تليفزيونيًا أم ألكترونيًا - إلى أن يتم تدريبهم بصفة دائمة للوصول بهم إلى المستوى المطلوب والحفاظ عليه ليوم المعركة.

لقد كان هؤلاء هم المفاجأة الكبرى للعدو فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأما عدم تيسر التدريب بالأسلوب المنتظم المتعارف عليه فكان نابعًا من عقبتين رئيسيتين،

أولا هما حاجة هذا النوع من التدريب إلى تشغيل المعدات وأثر ذلك التشغيل على أعمار المعدات، تلك الأعمار التى كانت قد جاوزت ما هو محدد لها بكثير، وتعنى مجاوزة العمر للمعدة الصاروخية أن مكوناتها لا تتسم بأى استقرار، وأن توجيهها للصواريخ أصبحت دقته محدودة. أما العقبة الثانية فتعود إلى وضع الوحدات فى أوضاع استعداد عالية، تتفق مع النوايا المحتملة للعدو. وما أكثر ما تم من مغالاة فى تقدير نوايا العدو مما يتعارض مع قيام الوحدات بالتدريب، فاستعداد الوحدات للقتال يستلزم صلاحية المعدات ودقة أدائها، والتدريب يؤدى إلى إخلاء بدقة الأداء.

وكان علينا أن نوازن بين الحاجة إلى التدريب للوصول إلى كفاءة قتالية عالية تمكننا من دخول المعركة المقبلة وبين استعداد الوحدات، بين كليهما وعدد ساعات التشغيل، وأثر هذه الساعات على أعمار المعدات وفقدها لكفاءتها الفنية، كما يجب علينا أن نقارن بين ذلك كله من ناحية وموقف قطع الغيار المتيسر لدينا، تلك الأجزاء الإلكترونية المكونة للدوائر المختلفة، لقد كان موقف قطع الغيار منذ نهاية عام ١٩٧١ ينذر بالحرج، وقد ازداد هذا الحرج بمرور الأيام حتى قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣ . معادلة رهيبة استلزمت الكثير من التفكير للوصول إلى حل، ولم يكن هناك حل ثابت، بل كان هناك حلول عديدة، يتناسب كل منها مع ما فرضه الموقف، إلا أن هناك حلا رائعًا كان أروع الحلول، بل كان الركيزة التى اعتمد عليها حائط الصواريخ للتغلب على هذه المعادلة الرهيبة، هذا الحل هو كفاءة الرجال وقدرتهم على تحمل المسئولية، لقد تحملوا ما لا يتحمله بشر، وأقول ذلك صراحة وأنا أقرب الناس إليهم، ويكفى للتدليل على ذلك أن أقول إن كثيرًا من أوضاع استعدادهم تحملتها أعصابهم وحالتهم الصحية أكثر مما تحملتها معداتهم، لقد ضنوا بتشغيل معداتهم وتحملوا مسئولية ملاقاة العدو الفوية بعقولهم، التى التزمت اليقظة الدائمة والتفكير السليم والتحليل المستمر والاستنتاج المنطقى، وفى النهاية القرار السليم، فالعدو أمامهم على بعد عشرات من الكيلومترات لا يهدأ.

كان من الضرورى دراسة العدو دراسة مستفيضة، إذ لا يمكن مقابلة عدو دون دراسة واعية له، وقد أثبتت هزيمة يونيو ١٩٦٧ صحة ذلك، إذ لم يتيسر لنا عن العدو

وقبل يونيو ١٩٦٧ سوى معلومات عن عدد طائراته. أما أساليب الإعاقة الإلكترونية وطريقة استخدامها، أو أسلوب مهاجمته للأغراض المختلفة ونوعيات التسليح المتيسرة لديه فلم يكن لدينا سوى معلومات هامشية عنها؛ لذا حققت ضربته الجوية ما كانت تهدف إليه من مفاجأة للقيادات والوحدات، وما أحدثه ذلك من أثر معنوى، وكان من الواجب علينا أن نعمل بكل الطرق حتى لا يتكرر ما سبق حدوثه، وعلى ذلك لم نترك نشاط العدو خلال حرب الاستنزاف أو خلال الحرب الجوية التى شنها فى أواخر فترة حرب الاستنزاف يمر دون تحليل واعٍ، تحليل كان يتم يوميًا إلى أسلوبه فى مهاجمة الاغراض المختلفة، شكل الهجمة الجوية، ويشمل ذلك عدد الموجات التى تتكون منها الهجمة عدد الطائرات فى كل موجه، الفواصل بين الموجات وبين الهجمات، الارتفاع الذى يقترب عليه والارتفاع الذى يقوم منه بالهجوم على الأغراض المختلفة، ولم نترك الدروس المستفادة من مسرح القتال فى فيتنام تمر دون دراسة واعية، حقيقة هذا المسرح يختلف عن مسرح القتال فى سيناء إلا أن المبادئ التى تحكم استخدام القوات الجوية ثابتة تقريبًا، ولقد سبقتنا إسرائيل فى ذلك، فتسليحها كله تقريبًا من إنتاج الترسانة الأمريكية، تلك الترسانة التى كانت تقاتل الأسلحة السوفيتية المماثلة لتلك الموجودة لدينا، التى يقاتل بها الفيتناميون، لقد كانت دراستنا للعدو جادة وحذرة بما تحمله كلتا الكلمتين من معنى، جادة فى معرفة كل شىء عنه، بالأخص نقط ضعفه حتى يمكن التركيز عليها للنيل منه، نقط قوته لإيجاد الوسائل الكفيلة للحد منها أو إضعافها إن أمكن. وحذره لعدم المغالاة فى قوة العدو أو قدراته، وكان من الواجب أن نزيل كثيرًا من الأوهام أو الخيالات التى علقت بالأذهان خلال حرب الاستنزاف والحرب الجوية.

لم تترك قيادة حائط الصواريخ نشاط العدو اليومى يمر دون تحليل دقيق للتعرف على نواياه وأسلوب تدريبه، وكانت مرجعًا للقيادات الأعلى فى ذلك كله، كما لم تترك هذا النشاط دون أن تستفيد منه فى تدريب وحداتها والتعرف على أسلوب العدو عند تعامل وحدات الصواريخ معه، فلقد كانت الوحدات تأمر بالتعامل مع العدو بأساليب خداعية مختلفة لمعرفة تصرف العدو وإزاء كل أسلوب، وذلك لدراسة هذا الأسلوب ووضع الحل المناسب له.

لقد كانت أسلحة الخمد التى تستخدمها العدو لعمل ضد وحدات الصواريخ هى شغلنا الشاغل، وكان واجبنا التعرف على خصائصها وأسلوب استخدامها، وقد كانت معرفتنا لبعض أنواعها فى حرب الاستنزاف والحرب الجوية غير كافٍ، للحكم الصحيح على تأثير هذه الأسلحة، وكان علينا أن نتابع الحصول على معلومات كافية عن هذه الأسلحة، وقد أمكننا ذلك عن طريق ما يكتب فى المجلات العالمية المتخصصة، أو عن طريق الخبرة التى أمكن الحصول عليها من المسرح الفيتنامى، أو عن طريق الدراسة الواعية للغرض الذى وجد من أجله السلاح والتطور التكنولوجى المعاصر، بالإضافة إلى الخبرة العملية فى مسرح القتال المصرى من استخدام العدو لهجمة الشرايك فى سبتمبر ١٩٧١.

من كل هذا أمكن تكوين فكر واعٍ عن أسلحة الخمد، وبالتالى أمكن اتخاذ الطرق الكفيلة بالتغلب على هذه الأسلحة وتقليل فاعليتها وكان التدريب المستمر عليها، وترسيخ أسلوبها فى أذهان الذين سيتولون تطبيقها أمرًا ضروريًا لنجاحها، وكنا نبغى لها نجاحًا جزئيًا. ولم يكن هناك من وسيلة لاختبار مدى نجاح هذه الطرق سوى القتال الفعلى، وقد كانت أقصى أمانينا أن يكتب لها نجاح جزئى، حتى لا يتدمر حائط الصواريخ فى الدقائق الأولى للمعركة كما أعلن العدو ذلك، وكنت معتقدًا أن ثباته فى الساعات الأولى سيؤدى إلى كسب المعركة مع العدو. وقد أثبتت حرب أكتوبر نجاح وسائلنا وفشل جميع وسائل الخمد التى اتبعها العدو، لقد أمكن عن طريق الدراسة العملية الواعية استنباط طرق بسيطة للغاية، أمكن بها تلاشى أثر أسلحة الخمد، مما جعل العدو فى حيرة مما تم حتى الآن.

لقد كان من الضرورى أن يلم ضباط التوجيه - وهم العمد الرئيسية لكتائب الصواريخ - بأسلوب العدو فى المناورة، وكيف يمكن التعرف على بدء المناورة، ثم تحديد اتجاهها وتحديد الوقت المناسب للاشتباك مع العدو، وقد استلزم ذلك كثيرًا من الاجتهادات تم حسمها أخيرًا بوضع أسلوب علمى لذلك، وقام قادة الكتائب كل بعمل الحسابات الخاصة به. لقد كان لذلك الأسلوب الفضل الأكبر - إن لم يكن الفضل كله - فى تدمير العدو تمامًا. أما قادة اللواءات والأفواج فلقد اختلف معهم

الموقف تمامًا، فبعد الدراسات والمناقشات العديدة التى أجريت مع كل على حدة رأيت أن رأى مدى ما وصل إليه فكرهم واجتهادهم فى المعركة المقبلة، وذلك بغرض توحيد الفكر والمفهوم والأسلوب لمعركتنا المقبلة؛ لذلك طلبت من قادة اللواءات وقادة الأفواج فى أحد المؤتمرات تقديم خطة من وجهة نظر كل منهم توضع ما يلى :

أ - شكل الهجمة الجوية المنتظرة على اللواء أو الفوج وكيفية صد هذه الهجمة.

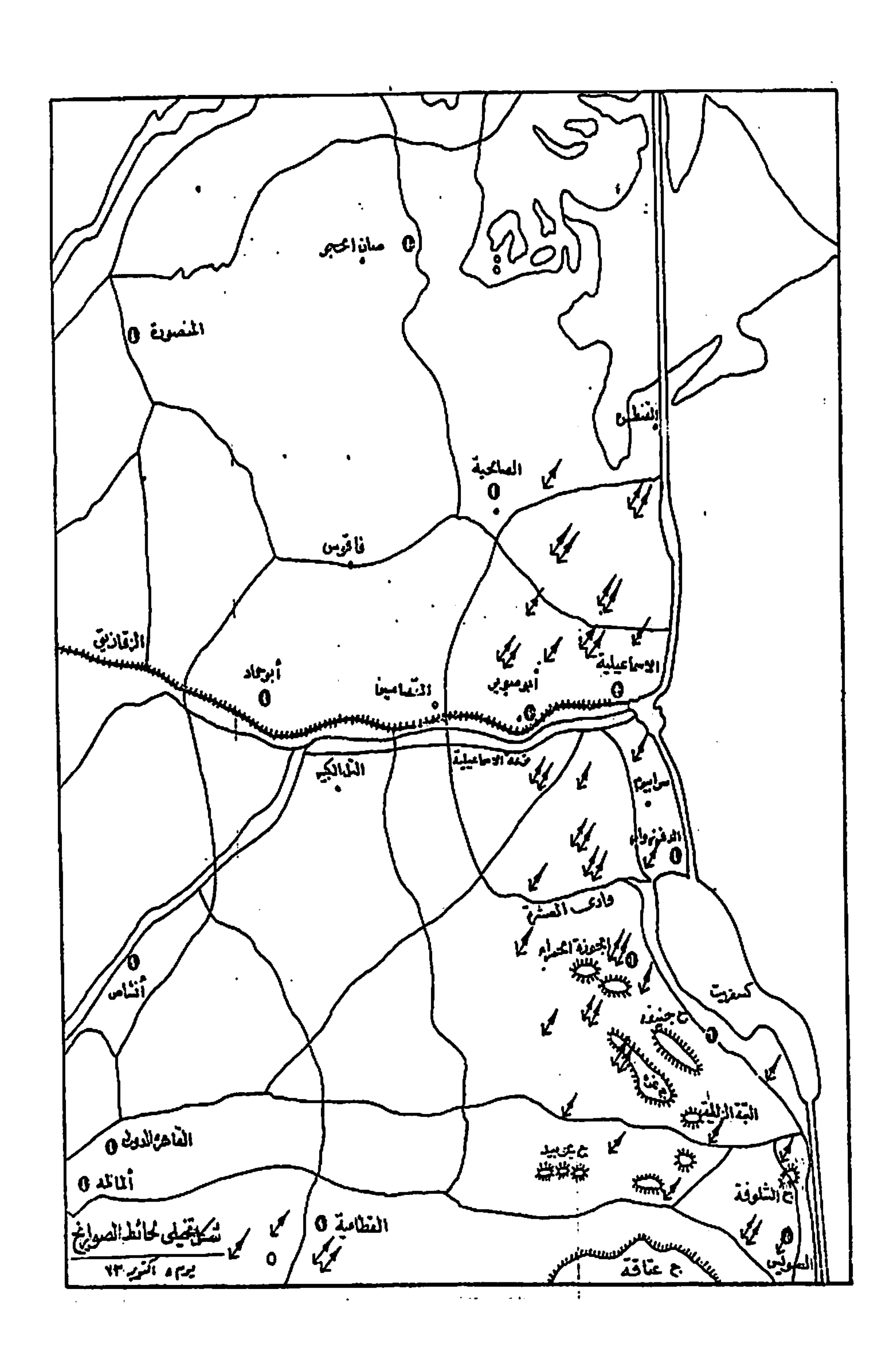
ب- أسلوب مهاجمة العدو للكتائب الأمامية أو كتائب الأجناب للواء واضعين فى الاعتبار طبيعة الأرض، وعمق الإنذار الجوى المتيسر.

ج- أسلوب إدارة النيران والتعاون مع الجوار. وتحدد لكل لواء أو فوج توقيت محدد لتقديم المطلوب منه، وفعلا تقدمت اللواءات والأفواج بآرائها وتم دراستها ومناقشتها، ومن هنا تولد لدى إحساس كامل بالثقة فى وحداتى، وارتفع التقدير الذى كنت أقدره للخسائر فى العدو فى نظرى. لقد كان مطلوبًا من حائط الصواريخ أن يسقط ٣٣ طائرة من طائرات العدو بإجمالى عدد من الصواريخ يزيد على ٤٠٠ صاروخ من طراز سام ٢، ٢ معدل، ٣، وكانت هذ النسبة حاصل عدة عمليات حسابية مبنية على نظرية الاحتمالات، وكان علينا أن نحدد المعاملات القائمة عليها ونطورها، ونزيد من قدراتها كل على حدة، وكل بالأسلوب الأمثل الذى تمتلكه وهو الأسلوب العلمى، وبهذا الأسلوب كتب لنا النجاح وكان أن تدمر معظم السلاح الجوى الإسرائيلى بل اهتزت ثقته فى نفسه إلى اليوم.

واستكمالًا لتدريب الوحدات للمعركة، كان لابد من تدريب القادة والقيادات على دورهم المنتظر فى المعركة واحتل تدريب قادة كتائب الصواريخ الأهمية العظمى فى تدريب القادة، لأن عليهم سيقع العبء كله، فهم المنفذون فعلا للأوامر الخاصة بالقتال مع طائرات العدو، بل فى أحيان كثيرة يتم تعاملهم مع العدو دون الرجوع إلى المستوى القيادى الأعلى، لقد كان من الضرورى أن أقف على تصور قادة الوحدات الفرعية، قادة الكتائب عن المعركة المقبلة، فعلى قدر هذا التصور يمكن تصور رد الفعل المطلوب من جانب القادة، وبالتالى تحديد أسلوب التعامل والتعاون اللازم لتدمير العدو لقد

استلزم هذا جهداً كثيرًا، واستلزم العديد من اللقاءات مع قادة الكتائب فى مواقعهم، وفى كل مرة يتم استعراض الموقف استعراضًا شاملًا والتعرف على تصور القادة لمعركتهم ومناقشة هذا التصور بالأسلوب العلمى، لقد كان من الضرورى طرد الوهم الذى أدخله العدو فى روح الكثيرين منهم، لقد حضر قليل منهم حرب الاستنزاف إلا أن ما تناقلته الألسنة عن قدرات السلاح الجوى الإسرائيلى غير المحدودة، وما أذاعه العدو وما كتبته بعض الصحف العالمية المتعاطفة معه مثل مجلة أفيشين ويك، ونيوز ويك News week Omatian Week، كل ذلك أثر على تصورهم للمعركة، وكان من الضرورى تصحيح هذا التصور ووضع العدو مكانه الصحيح حجمًا وإمكانًا وأسلوبًا وقدرات، ولقد أتمكن بالتحليل المنطقى لكل شىء أن تستقيم الأمور وتتخذ مجراها السليم.

كان المطلوب أن نصل إلى قادة تتوفر فيهم صفات خاصة سبق توضيحها، إلا أن أهم صفة كنا نعمل على إذكائها هى صفة السرعة فى اتخاذ القرار، فقرار سريع غير سليم تمامًا أفضل من قرار بطىء، ولكنه سليم تمامًا، وهذه الصفة استلزمت الكثير من الجهد، واعتمدت على الدراسات الشخصية والمناقشات التى كانت تتم حتى مطلع النهار، تلك الدراسات التى يمكن تشبيهها بحلقات العلم، إذ كان يجتمع عدد من القادة مع قيادة حائط الصواريخ ويدور حوار علمى يتحول إلى نقاش وشرح وينتهى فى النهاية بتحديد الأسلوب الواجب على القادة اتباعه. لقد يسر هذا الأسلوب تواجد العديد من قادة الكتائب الممتازين، والذين أدوا دورًا بطوليًا خالدًا جعل التاريخ يسجل لهم بكل فخر أعظم وأشرف صفحة فى تاريخ حرب أكتوبر المجيدة.



صان الحجر
المنصورة
الصالحية
فاقوس
الزقازيق
أبو حماد
التل الكبير
أبو صوير
الإسماعيلية
ترعة الإسماعيلية
سرابيوم
الدفرسوار
وادي المشرة
الجدوزة الحمراء
كسفريت
ج جنيفة
ج غنيفة
البحيرات المرة
ج عويبد
ج الشلوفة
السويس
ج عتاقة
القطامية
القاهرة
أنشاص
المالح
شكل تفصيلي لحائط الصواريخ
يوم ٥ أكتوبر ٧٣

الفصل الحادى عشر
الاستعداد

الحاجة إلى الاستعداد

لم يكد يستقر تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بعد قبول وقف إطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ فى مواقعه حتى فرض عليه أعلى حالات الاستعداد، تلك الحالة التى استلزمت تشغيل ١٠٠ ٪ من معدات الوحدات أولًا، ثم ما لبثت بعد فترة أن انخفضت إلى ٥٠ ٪ من تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) ذلك التجميع الذى أخذ فى الزيادة كما سبق أن أوضحت حتى أصبح يكون حائط الصواريخ.

لقد كنا فى ذلك الوقت فى فترة وقف إطلاق النار وفقًا للمبادرة الأمريكية المعروفة باسم روجرز، وكان توقع الفشل يلوح فى الأفق، واحتمال قيام العدو بهجوم جوى على حائط الصواريخ أمر قائم، كما كانت تصوره التقديرات التى تتم فى ذلك الوقت، تلك التقديرات التى كانت تجرى وراء الافتراضات الآتية :

أ- عدم قبول إسرائيل لوجود مثل هذا الحائط يحمى القوات البرية، ورغبة العدو فى أن تبقى هذه القوات تحت رحمته ينال منها كيفما يشاء وفى أى وقت يشاء.

ب- استمرار نشاط العدو الجوى، بل زيادته عن معدلاته السابقة، إذ كان يتراوح ما بين ١٢٠-١٨٠ طلعة طائرة فى اليوم.

وفات المسئولين عن هذه التقديرات الكثير، فقبول إسرائيل لمبادرة روجرز وإيقاف إطلاق النار كان أمرًا لازمًا لإسرائيل أكثر مما كان لازمًا لنا، لأن سلاحها الجوى كان قد

بدأ فى التآكل كما صرح مسئولوها بذلك، ولا شك أن توقف النار فرصة ثمينة لها للعمل على التئام جراحها واستعادة قدرتها القتالية بعد حرب استنزاف مريرة وكطويلة، لقد كانت إسرائيل مجهدة وفى حاجة إلى التقاط أنفاسها فعلا، أما استمرار نشاط العدو الجوى الزائد على معدلاته، فأمر ضرورى للاعتبارات الآتية :

أ- رفع المستوى تدريب الطيارين القدامى على الطائرات الجديدة والتى وصلت إليه.

ب- إيجاد طبقة من الطيارين الاحتياط المدربين لملاقاة صفقة الطائرات الفانتوم وسكاى هوك الجديدة المنتظر الحصول عليها من الولايات المتحدة الأمريكية.

ج- الحفاظ على الروح المعنوية لقواته المحتلة للمنطقة التكتيكية من أن تهتز فى ضوء الخسائر التى أصابتها من حرب الاستنزاف أو من معركة الدفاع الجوى خلال قتال يوليو ١٩٧٠.

لقد أدى وضع الوحدات فى حالات الاستعداد العالية إلى زيادة ساعات تشغيل المعدات، ولم نفطن إلى الأسباب الخفية وراء ذلك، إذ كيف يعقل أن السلاح الجوى الإسرائيلى وقد واجه ١٦ كتيبة صواريخ فقط فى معارك يوليو ١٩٧٠، وحدث فيه من الخسائر ما جعلهم يتباكون عليه - فكيف والموقف على هذه الصورة تسمح القيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية بزجه مرة أخرى فى المعركة أمام وحدات بلغت أضعاف ما كان فى يوليو ١٩٧٠. ولا شك أن أصحاب التقديرات كانوا يجرون خلف منطق معكوس، وفاتهم الأسباب الخفية وراء ذلك من استهلاك للمعدات وقطع الغيار لتستمر عملية الاستنزاف المادى للاقتصاد المصرى، ولتستمر العجلة مرتبطة بالجواد الذى يملك زمامها.

إن أهم ما يميز هذه الفترة كثرة قيام العدو بالاستطلاع الجوى بطائرات الفانتوم التى كانت تعمل أزواجًا، وتطير بسرعة تتراوح بين ١٢٠٠ - ١٤٠٠ كم / ساعة على ارتفاع من ١٢ - ١٥ كم، وكانت هذه الطائرات فى طيرانها الاستطلاعى تحاول أن تقترب أكثر من القناة وخاصة فى المنطقة جنوب البحيرات، وكان أن اتبعنا نظامًا مخادعًا للاشتباك معها، مما كان يجعلها تناور بالابتعاد والإفلات بسرعة، ومنذ ذلك الوقت

بدأنا فى التعرف على أساليب المناورة التى تقوم بها الطائرات الفانتوم للإفلات من نيران الصواريخ وأخذنا بتلابيبها يومًا بعد آخر لمعرفة ما يدخله العدو وعليها من تطورات نتيجة لارتفاع مستوى طياريه.

فى هذه الفترة، كان من الصعب على الوحدات أن تمارس تدريبها بشكل جدى وإن كنا لم نترك وقتًا دون اقتناصه، ضاربين عرض الحائط بالتعب والإجهاد، فالمعركة لابد من أن يدفع ثمنها الفعلى عند بدئها محدودًا، لقد لاحظنا خلال هذه الفترة ضعف أسلوب الاستعداد لدى وحداتنا فى حائط الصواريخ، وكان مرد ذلك إلى كثرة الوحدات الجديدة التى لم تتمرس على القتال وعدم فهمها لأهمية أسلوب الاستعداد، ولقد كانت أخبار الضربة الجوية الأمريكية فى فيتنام ونتائج هذه الضربة التى أدت إلى تدمير عدة كتائب صواريخ بواسطة القوات الجوية الأمريكية ووحدات الإبرار الجوى مثار دهشة وكان نتوقع أن تتم على حائط الصواريخ بنفس الأسلوب، وكان هذا التقدير يسبب لنا فزعًا وقلقًا كبيرًا. وكان من الواجب علينا أن نفرض الأسلوب المطلوب من البداية بكل الوسائل، حتى تشب الوحدات وقد أصبح الاستعداد للقتال عادة أصيلة لا تفارقها، وفعلا أولينا هذا الموضوع أهميته تمامًا، وكنا نبغى أن نصل بالوحدات إلى الآتى :

أ- السرعة فى تنفيذ أسلوب الاستعداد.

ب- الدقة فى التنفيذ وما يستلزمه ذلك من أسلوب معاملة المعدات، إذ لا قيمة لوحدات تتخذ وضع استعداد للقتال ومعداتها عاطلة أو خارج حدود الخطأ المسموح به.

ج- أن يتخذ الأمر برفع حالة الأستعداد مأخذ الجدية ويعنى ذلك ترك التراخى أو التواكل فى تنفيذ هذا الأمر ولو كان لأغراض التدريب وتنفيذ، فى الأزمنة الموضوعة لذلك إن لم يكن أقل.

د- اليقظة عند تنفيذ أوضاع الاستعداد ومستلزماتها من ضرورة الحصول على معلومات دقيقة من المصادر المحددة لها، وإظهارها على اللوحات المختلفة لتقدير الموقف بصفة مستمرة والاستعداد لفتح النيران دون الرجوع إلى المستوى الأعلى لو استلزم الأمر ذلك.

لقد كان اهتمامنا الاستعداد وتنفيذ التدريب ليها ليلًا ونهارًا إنما يرجع إلى عاملين، أولهما استراتيجية العدو المبنية على ضرورة القيام بالضربة الجوية المفاجئة. وثانيهما قلة الوقت المتيسر للإنذار لوحدات الصواريخ، لقد تمكنا من خلال التدريب فى هذه الفترة من غرس وعى الاستعداد القتالى بأسلوبه الصحيح، ولم تنته فترة وقف إطلاق النار فى مارس ١٩٧١ إلا والوحدات قد حققت تمامًا ما كنا نهدف إليه من أغراض.

ومنذ ٨ مارس ١٩٧١ وهو تاريخ عدم موافقة مصر على مد فترة وقف إطلاق النار ساد الموقف حالة من الركود اصطلح عليها بحالة اللاسلم واللاحرب، وبدأ أسلوب العمل يتخذ طريقًا آخر يومًا بعد يوم بما يتفق مع هذه الحالة، لكن هل كان من الممكن اتباع نفس هذا الأسلوب مع حائط الصواريخ والعدو تزداد قوته الجوية يومًا بعد يوم، ونشاطه اليومى لا يهدأ، لم يكن ذلك ممكنًا، فأقصى الأمانى التى يحلم بها العدو هى أن يفقد حائط الصواريخ يقظته، ومن ثم يقوم العدو أما بهجماته فى ضربة مفاجئة أو يقوم باختراق عميق للعمق من اتجاه الشرق، وكان علينا أن نتبع أسلوبًا من الاستعداد معينًا لا يرهق المعدات ولا يعوق التدريب ولا يسمح للعدو بتنفيذ أى من أغراضه التى يهدف إليها.

لقد حصل العدو خلال النصف الأول من عام ١٩٧١ على الصاروخ شرايك أحد أسلحة الخمد التى زودته بها أمريكا، وكان تقديرنا فى حالة قيام العدو بهجمة جوية على حائط الصواريخ هو أن تبدأ الموجة الأولى من الهجمة الأولى بصواريخ شرايك لإسكات أكبر عدد ممكن من الكتائب، على أن تقوم الموجة الثانية للهجمة الأولى بمهاجمة الكتائب بالأسلحة التقليدية، لتدمير أكبر عدد وإحداث أكبر خسائر ممكنة بالأفراد والمعدات، وكان نشاط العدو المتزايد وتنفيذ، فى المنطقة الواقعة شرق القناة خارج مناطق تدمير الصواريخ، التى لم تكن تغطى أكثر من ١٠ كم شرق القناة، مثار خوف من احتمال قيامه بضربة جوية مفاجئة، وكان علينا أن نوازن بين حالة استعداد حائط الصواريخ - أى عدد الوحدات التى يجب أن تكون جاهزة لمقابلة العدو فورًا - وعدد ساعات تشغيل المعدات، وحاجة الوحدات إلى التدريب استعدادًا للقتال الذى آمنا بأنه الوسيلة الوحيدة لاسترداد الأرض، وفى سبيل تحقيق هذا التوازن حملنا

الأعصاب أكثر من طاقتها، ولم يقتصر هذا التحميل على قادة كتائب الصواريخ كما ذكرت و بل كان من الضرورى لضمان عدم المخاطرة تحمل مراكز القيادة على مختلف المستويات ومراكز قيادة الألوية ومركز قيادة الفرقة مسئولية مراقبة العدو، والتأكد من سلامة وحدات الخدمة - وتحليل نشاط العدو بصفة دائمة، ورفع حالة الاستعداد أو تشغيل عدد أكبر من الوحدات إذا تطلب الموقف ذلك، وذلك تماشيًا مع مبدأ. كلما كانت الوحدات القادرة على الاشتباك مع العدو الجوى كبيرة أمكن الاشتباك مع أكبر عدد ممكن من طائراته، زادت احتمالات التدمير تبعًا لذلك.

دور وحدات الرادار والإنذار فى الاستعداد

كان علينا طالما أننا خفضنا حالة الاستعداد أن لا نترك للعدو فرصة الإفلات من مراقبتنا له ومفاجأتنا، ورغم ما ذكرته، فالكل يعتمد على معلومات تصل إليه عن العدو من وحدات الرادار والإنذار، وكان تقديرنا للعدو الجوى فى ذلك الوقت كالآتى :

أ- إن العدو لن يترك المبادأة من يديه، وإنه سيكون البادئ بأى عدوان فهذه هى استراتيجيته التى يسير عليها منذ وجد.

ب- إن العدو لابد أن يحقق المفاجأة فى أى هجوم جوى يقوم به ولن يتم ذلك إلا بالطيران على ارتفاع منخفض جدًا ٥٠-١٠٠ متر. حتى لا يتم كشفه راداريًا إلا قرب القناة.

ج- إن استخدام القواعد الجوية الرئيسية فى إسرائيل -عكير - حاتسور - حاتسريم لن تمكن العدو من تحقيق ذلك، وعلى ذلك ينتظر أن يقوم العدو تحت ستر التدريب الكثيف الذى يجريه يوميًا من حشد طائرات الموجات الأولى للهجمة الأولى فى مطارات : مريش - المليز - تمادا - رأس النقب، إذ أن أغلبها لا ييسر زمن إنذار للوحدات أكثر من ٤ دقائق على أن يدفع بالموجات التالية فى الهجوم من مطارات إسرائيل.

تبعًا لذلك أصبحت مراقبة المطارات الأمامية للعدو أمرًا ضروريًا، للتعرف على أى تغيير فى عدد الطائرات التى بها. لقد كان معروفًا لدينا أن العدو يحتفظ فى المطارات

وأراضى الهبوط المتقدمة فى سيناء ـ وهى بالوظة - الطاسة - أم خشيب - الفريشات - سدر ـ ببعض طائرات الهليوكبتر وعدد محدود من الطائرات البطيئة، أما القواعد الأمامية كالعريش والمليزوتمادا ورأس النقب ورأس نصرانى، فقد كانت توجد بها طائرات قاذفة مقاتلة تتراوح قوتها ما بين ٨-١٢ طائرة، وعلى درجة عالية من الاستعداد، ويكفى أن تعلم أنها كانت قادرة، من مطار المليز على التواجد شرق القناة مباشرةً لاعتراض أى طلعة استطلاع مصرية تقوم بها قواتنا الجوية بمجرد اقترابها من القناة.

لقد قامت وحدات الرادار والإنذار والمراقبة بالنظر - بمراقبة العدو ومراقبة جادة وسليمة- فقامت وحدات الرادار والإنذار بالمراقبة الرادارية الدقيقة الدائمة ليلًا ونهارًا للعدو، وتمكنا عن طريقها من حصر نشاط العدو ومعرفة التغير فى أوضاع تمركز المطارات الأمامية، وبذلك توفرت لدينا حصيلة دقيقة من المعلومات، أمكنا عن طريقها التعرف على نوايا العدو المنتظرة، هذا بالنسبة للطائرات التى يمكن أن تلتقتها وحدات الرادار والإنذار وفقًا لخصائصها، أما تلك الطائرات المنخفضة جدًا، والتى قد تفلت من وحدات الرادار والإنذار فقد قامت وحدات المراقبة بالنظر أو الرادار البصرى بمراقبة العدو شرق القناة مباشرة ووفقًا لقدراتها كان فى استطاعتها مراقبة العدو حتى مسافة ١٥ كم شرق القناة، وذلك بالنسبة للطائرات متوسطة الارتفاع وأقل من ذلك كلما قل ارتفاع هذه الطائرات. ونظرًا لأهمية مراقبة العدو فقد دعمت وحدات الرادار والإنذار بأجهزة رادار من نوع جديد، تيسر التقاط العدو على ارتفاعات منخفضة جدًا على مسافة ٦٠ كم بما يكفل مراقبة الفضاء الجوى أمام حائط الصواريخ على ارتفاع منخفض جدًا، كما أولينا وحدات المراقبة بالنظر أهمية خاصة لما لها من دور فعال فى الأهداف المنخفضة جدًا، والتى تطير على ارتفاع ١٠٠ متر فأقل، ولم يكن مجرد وضع هذه الوحدات فى حالة استعداد عالية تتفق مع ما هو مطلوب كافيًا لتحقيق المطلوب، فلابد من رقابة حازمة دقيقة للتأكد من سلامة هذه العيون. وفعلا وضعت أساليب مختلفة تراوحت بين السيطرة على الوحدات من مراكز القيادة أو المرور المفاجئ عليها أو قيامها حتى فى توقيت عدم وجود نشاط للعدو، بإذاعة معلومات متفق عليها ليلًا

ونهـارًا، وكان على وحـدات الصواريـخ أن تلتقط هذه المعلومـات وكانت دقة وصحة تسـلم المعلومات التى تتسـلمها كل وحدة هو الأسـاس الذى تقوم عليه يقظة الوحدة وبهذا الأسلوب تمكنا من الاحتفاظ بالوحدات فى درجة يقظة عالية.

الكمائن وأبعاد العدو عن القناة

ظل السلاح الجوى الإسرائيلى منذ وقت إطلاق النار حريصًا عند قيامه بالاستطلاع أو تدريـب قواتـه شرق القنـاة فى عدم الاقتراب مـن القناة لمسـافة ١٥-٢٠ كم، ولكن تلاحظ خلال شـهرى يوليو وأغسـطس ١٩٧١ اقتراب الطائرات الإسرائيلية أكثر من القناة حتى وصلت فى اسـتطلاعها إلى مسافة ٤ كم من القناة وبات من الضرورى اتخاذ إجراء ما لإبعادها عن القناة حتى لا تتمكن من معرفة أوضاع قواتنا غرب القناة، إذ إن قدرة طائرات الاستطلاع المعادية وهى تطير على تلك المسافة من القناة وعلى ارتفاعات عاليـة تـتراوح ما بـين ١٦ و ١٩ كيلو مترًا يمكنهـا معرفة موقف قواتنـا بدقة إلى منطقة يصل عمقها إلى أكثر من ٦٠ كم غرب القناة.

لقـد حـدث عقب إعادة تجميـع حائط الصواريـخ وتجهيزه للعمليـة الهجومية ذلك العمـل الـذى بـدأ فى ٢٨/ ٨/ ١٩٧١، وانتهـى فى ٧/ ٩/ ١٩٧١، والذى شـمل القيام بمنـاورة بعـدد ٢٣ كتيبـة صواريخ من أن يزداد نشـاط الاسـتطلاع الجـوى للعدو بعد أن رأى أن وحـدات صواريـخ قـد اقتربت من القنـاة وأصبحت على مسـافة ٦-٨ كم منهـا، وذلـك فى القطاع الجنوبى قطـاع الجيش الثالث الميدانى. وذلـك بغرض التعرف على أسـباب ذلك الاقتراب مما اسـتدعى وضـع كمين للعدو فى القطـاع الجنوبى وكان مكونًـا مـن كتيبتـين صواريـخ سـام ٢ معـدل، وفى ١٧/ ٩/ ١٩٧١. قامـت إحداهمـا بالاشـتباك مع طائرة استطلاع إلكترونية من طراز ستراتوكروز عند قيامها بالاستطلاع الإلكترونـى فى شرق القنـاة وقد تـم تدميرها وخسرت إسرائيل بذلك عنصرًا أساسـيًا من عناصر اسـتطلاعها الإلكترونـى بطاقمها من الفنيين. لقد أثار هذا الاشـتباك ثائرة إسرائيل فشـنت يوم ١٩/ ٩ هجمة جوية مسـتخدمة فيها لأول مرة الصواريخ الموجهة جـو - أرض شرايـك على حائـط الصواريخ، وكانـت الهجمة مكونة مـن ١٠ طائرات عملـت أزواجًـا ووجهـت هجومهـا فى الاتجاهات التالية : شـمال الإسـماعيلية بغرض ضرب كتائـب القطاع الشـمالى وأجهزة رادار الإنذار الموجودة به وجنوب الإسـماعيلية

بقصد ضرب كتائب الصواريخ بالقطاع الأوسط بين الإسماعيلية والدفرسوار وجنوب البحيرات المرة والشلوفة بقصد ضرب كتائب الصواريخ الموجودة بالقطاع الجنوبى من القناة.

لقد أعلن العدو عن نواياه للهجوم قبل بدئه، فللعدو أسلوب خاص عند قيامه بأى هجوم جوى، ذلك الأسلوب الذى أمكن التعرف عليه وتحديد شكله من قتال ١٩٧٠ . ويتلخص هذا الأسلوب فى قيام القوات الجوية الإسرائيلية قبل الهجوم مباشرة باحتلال مناطق معينة تحمل منها المظلات الجوية التى تخصص لحماية طائراته أثناء قيامها بمهامها، بالإضافة إلى قيام طائرات الهليوكبتر الحاملة لأجهزة التداخل باحتلال مناطق معينة مختارة بعناية للقيام بها بالتداخل، تلك الطائرات التى تعمل فى تعاون وثيق مع مركز الإعاقة والشوشرة القائم فى منطقة أم خشيب ولكن ماذا كانت النتيجة لقد فشل هجوم العدو تمامًا فى إحراز أى خسائر اللهم إلا خسائر طفيفة فى هوائى أحد أجهزة رادار الإنذار تم إصلاحها بعد ساعتين، ولم يتمكن من إصابة أى كتيبة صواريخ، نظرًا للأسلوب الذى اتبعته كتائب الصواريخ مع العدو والذى أضاع عليه الهدف الذى كان يبغيه من تدمير عشر كتائب صواريخ كما كان يتوقع. لقد أعلن العدو بعد انتهاء الهجوم عن نجاحه فى تدمير عدة كتائب صواريخ، بل أعلن على الشعب الإسرائيلى أن هذا هو الأسلوب الوحيد للتعامل مع حائط الصواريخ. إلا أننا وقد هالنا النجاح الذى حصلنا عليه فلم نمسك عن الكلام، بل أذعنا فشل العدو وعدم تدمير أى وحدات مما جل العدو يعمل جاهدًا بوسائله الخاصة للتحقق من نتائج هجومه، والدليل على ذلك أن العدو وفى ضوء ما اكتمل إليه من معلومات طلب من الولايات المتحدة الأمريكية أن تعده بالصاروخ شرايك - المعدل، والذى يطلق عليه ستاندر آرم standard arm الصاروخ الذى يعتبر أشد تدميرًا وأكثر دقة من الصاروخ شرايك الذى لديه، وهذا النوع من الصاروخ الجديد هو الذى استخدمه العدو فى أكتوبر ١٩٧٣، واستخدم منه أكثر من ٢٥ صاروخًا ضد حائط الصواريخ.

أدى تدمير طائرة العدو فى ١٧/ ٩/ ١٩٧١ إلى إبعاد العدو عن القناة وعاد إلى ما كان عليه من عدم الاقتراب إلى مسافة أقل من ١٥ كم من القناة - وقل نشاطه اليومى،

إلا أن هـذا الأسـلوب لم يدم طويلًا، فعقـب تنفيذ خطة الخداع الجـوى التعبوى الأولى بمعرفـة حائـط الصواريخ، والتى بـدئ تنفيذها فى يناير ١٩٧٢ جـن جنون العدو وبدأ نشـاطه يـزداد ويقترب مـن القناة، كما أن نشـاطه الاسـتطلاعى - وخاصة اسـتطلاعه الإلكترونـى الـذى كان يتم مرة أو اثنين على الأكثر أسـبوعيًا - بدأ يتـم يوميًا ولم تصل إلى أكثـر من أربع سـاعات، وقـد يتم مرتـين يوميًا صباحًـا ومسـاءً، وكان تقديرنا لهذا الهوس الاستطلاعى هو رغبة العدو فى معرفة ماذا يجرى عندنا تمامًا وكان استنتاجًا من اسـتمرار ذلك النشاط، وبهذا الحجم الكبير من الاستطلاع بأنواعه الاستطلاع بالنظر، والاسـتطلاع بالتصوير، والاسـتطلاع الإلكترونى، هو خريطـة حائط الصواريخ لدى العدو، وقد اهتزت وأصبحت ملامحها - (العدد- النوع - أماكن التمركز) غير معروفة تمامًا - وهذا الأمر بالنسبة له يعتبر كارثة، فعدونا لا يقدم على أى عمل عسكرى إلا إذا اكتملـت لديه المعلومات المطلوبة عنه، ولك لضمان النجـاح من ناحية ولتحقيق مهمته بأقل خسـائر. اسـتمر تنفيذ خطة الخداع الجوى لحائط الصواريخ مدة طويلة، وأضحى واضحًـا أن العدو أصبح يجازف باقترابه من القناة، فكان أن اتجه التفكير للحصول على صيد ثمين آخر من طائراته، فلجأنا إلى أسـلوب الكمين مرة أخرى اعتبارًا من منتصف يونيو ١٩٧٢. ولكن لم نتمكن من اصطياد شىء من طائراته للحذر الشديد الذى اتبعه العـدو عند طيرانه بعـد تدمير الطائرة سـتراتوكروز فى سـبتمبر ١٩٧١، وكان علينا أن نـدرس أسـلوب العدو فى الحـذر والمناورة، وأن نخطـط لكى يقع فى أيدينـا، وفعلا فى ١٩ / ٧/ ١٩٧٢ تمكنت إحدى الكتائب القائمة بعمل كمين للعدو من إسـقاط إحدى طائرات الاسـتطلاع من نوع الفانتوم، وذلك رغم حذره الشديد أثناء طيرانه، لقد كان العـدو إزاء رغبـة حائـط الصواريخ فى اقتناصـه جاهزًا للرد الفـورى فى حالة اعتراض طائراته فى الجو وتدميرها بالصواريخ، وكان سـبيله فى ذلك هو وجود بعض المقاتلات فى أوضاع استعداد عالية فى مطارات سيناء، وعلى ذلك فبمجرد تدمير طائرة الاستطلاع خرجت طائرات الاستعداد من مطار المليز إلى مكان الطائرة المدمرة لمحاولة تحديد كتيبة الصواريـخ لمهاجمتهـا، ولم يتمكن العدو مـن ذلك، بل وفى أثناء بحثه تم الاشـتباك معه مـن كمين آخـر دون يدمر مما جعل العـدو يفضل أن يلوذ بالفرار، فلقـد اعتقد أنه وقع فى منطقـة بهـا أكثر مـن كمين، وأن وجـوده بها بحثًا عـن مكان للكمين لابـد أن يؤدى

إلى خسائر أكثر، فما كان منه إلا أن عاود أدراجه وقد لحقت به أذيال الخيبة، فلقد تدمرت له طائرة وفشل فى مهاجمة الكمين، لقد أذاع العدو إثر فشله نصبنا له كمينًا بارعًا وحدد مكانه فى الإسماعيلية، ولم يذكر أننا دمرنا له أى طائرة، والواقع أن إحدى طائرات الفانتوم وهى فى رحلتها الاستطلاعية اليومية تم تدميرها، ولكن لماذا أذاع العدو إسقاط الطائرة ستراتوكروز ولم يذع تدمير الطائرة الفانتوم - الواقع أن الطائرة الأولى لا يمكن إخفاء نبأ تدميرها لكثرة عدد ضحاياها، فبجوار طاقمها كان بها عدد من الفنيين يتراوح ما بين ٤ و ٧ أفراد حسب حجم المعدات بها، علاوة على ضخامة المعدات الإلكترونية بها، أما الثانية فيمكن إخفاؤها وإعلانها بعد فترة على أنها تحطمت خلال التدريب اليومى.

لقد أدى هذا الكمين دوره البارع فى الحد من نشاط العدو وشرق القناة مباشرة، فاقتصر نشاط العدو على منطقة وسط سيناء وابتعد عن القناة شرقًا بما يقرب من ٥٠ كم، وبالتحديد لم يتعد خط طول ٣٣ شرقًا. ولا شك أن هذا الاتجاه من العدو أسعدنا، فأصبح غير قادر على معرفة ما يجرى فى عمق قواتنا غير أن هذا الابتعاد لم يدم أكثر من شهور محدودة، عاد العدو بعدها كعادته القديمة، ولإجباره على الابتعاد عن القناة نصب له كمين أخرى بمنطقة جنوب البحيرات، وانتباه منه ولم يتدمر لقيام العدو بالمناورة إلى داخل سيناء.

لقد استخدمت الكمائن بأساليب مختلفة فى القطاع الواحد أو فى القطاعات كلها بغرض تدمير طائرة العدو.

وكان علينا حتى نوقعه فى الكمين أن نتخذ كثيرًا من الأساليب الخداعية، وأن تقوم كتائب الصورايخ القائمة بالكمين باتباع تعليمات مناسبة للاشتباك مع العدو تهدف إلى عدم إشعاره بأن هناك وحدات تجرى الاشتباك معه بعد عدة ثوانٍ من إطلاق أول صاروخ عليه، ناهيك إلى وجود المعدات دون رقابة بالإضافة إلى الإجهاد الكبير للأفراد والمعدات والقيادات وضرورة توفير الوقاية لكتائب الصواريخ الموجودة فى الكمين وذلك بالوحدات الموجودة خلفها حتى يمكن وقايتها لو حاول العدو مهاجمتها عند كشفها، وقد استلزم ذلك جهدًا كبيرًا وألقى عبئًا ثقيلًا على الأفراد والمعدات.

لقـد رأينـا – قد أصبح هذا الأسـلوب لـه تقريبًا – الاسـتفادة منه فى دراسـة العدو وأسـاليبه وفعلا كانت طلعات العدو القريبة، والتـى تتعامل معها وحدات الكمائن ولم تتمكن من الاشـتباك بها – لحرص العدو الزائد، أو كبر مسـافاتها، أو لفشل وحداتنا فى تحديد اللحظة الصحيحة للاشتباك معها. كانت هذه الطلعات معينًا لا ينضب لنتعرف على أسـاليب العدو التى يسـتحدثها على تكتيكاته الجوية والتى يعدهـا الجولة القادمة، وإزاء كل ما كان يسـتحدثه كنا نضع أسـلوبًا مناسـبًا للتغلب على ما اسـتحدثه، ولكننا كنا فى كل مرة نفاجأ بالجديد، ومن تحليلنا لهذه الأساليب أيقنا تمامًا بأن الطيارين الذين يدفـع بهم العـدو للعمل على المواجهة ما هم إلا صفوة من الطيارين المهرة، بل من أمهر الطيارين فى العالم فعلا، ولك أن تتصور قدرتهم على القيام بالمناورة الحادة بسرعة تصل إلى ٢٥ كم / دقيقة مع حمل زائد يصل إلى ٨ (G) عجلة جاذبية.

الخـداع

لم يهدأ العدو عن القيام بالاسـتطلاع لجبهة القتال سواء أكان استطلاعًا بالتصوير أم استطلاعًا إلكترونيًا، وكانت أوضاع حائط الصورايخ منذ أكتوبر ١٩٧٠ قد ثبتت تقريبًا فلم يطرأ عليها سوى تغييرات محدودة، سواء فى عدد الوحدات أو فى المواقع التى تحتلها على الأرض، ونظرًا لما لدى العدو من وسائل متقدمة بالإضافة إلى استعانته بمعلومات الأقـمار الصناعية الأمريكية فلا شـك أن حجم وشـكل حائط الصواريـخ كان معروفًا لديـه. ولقـد نشر العدو خلال عام ١٩٧٠ إحدى الصور التـى حصل عليها من الأقمار الصناعيـة الأمريكيـة، والتى توضح على شـكل حائط الصواريخ عـلى الأرض، وفعلا كانـت أوضاعـه مطابقة لأوضاع القتال تمامًا يوم أن أخذت هذه الصورة، بل إنها كانت دقيقـة للغايـة فى تحديد المواقع على الأرض، وإزاء ذلك وفى ضوء فشـل اشـتباك العدو يـوم ١٨ / ٩ / ١٩٧١ واحتمال تكرار هذا الهجوم بنفس الأسـلوب أو بغيره، وجدنا من الـضرورى القيـام بوضع وتنفيذ أول خطـة للخداع، وكانت محـدودة فى الغرض الذى تهدف إليه وفى عدد ونوعية الوحدات القائمة بتنفيذها.

بدأ تنفيذ هذه الخطة فى أكتوبر ١٩٧١، ولمدة شهر تقريبًا، واستُخدم فيها عدد محدود جدًا من الوحدات، وقدر كبير من المعدات اللاسـلكية والمعدات الصاروخية الهيكلية،

ولم يتم فيها استخدام مواقع المعركة الهجومية. تلك المواقع التى تقع فى نسقين. أولهما على مسافة ٦-٨ كم، والثانى على مسافة ١-٣ كم من القناة، وكان أهم ما تهدف إليه هذه الخطة هو إيهام العدو عن وجود تجميع قوى أولًا على أجناب تشكيل قتال حائط الصواريخ بمنطقة القطامية والقنطرة، وثانيًا فى القطاع الأوسط لحائط الصواريخ. أما عن الجانب الأيمن فكان السبب هو إيهام العدو بوجود دفاع بالصواريخ قوى حول مطار القطامية وما عليه وقتئذ لم يزد عن فوج مدفعية خفيفة مضادة للطائرات. أما عن الجانب الأيسر فلأنه معرض لهجوم العدو على ارتفاع منخفض جدًا، نظرًا لارتكاز هذا الجنب على بحيرة المنزلة ووجود تجميع قوى على هذه الأجناب وقتئذ يجعل العدو يفكر تمامًا عدة مرات مهاجمته حائط الصواريخ من الأجناب، فلا شك أن أجناب أى تجميع كبير مثل حائط الصواريخ تكون هى اتجاه الجنب عند التخطيط لمهاجمته. أما عن القطاع الأوسط لحائط الصواريخ - ذلك القطاع الذى يقع بين طريق أبى سلطان والسلسلة الجبلية التى تكون الحدود بين الجيشين الثالث والثانى، ويعمق حتى طريق القاهرة والإسماعيلية الصحراوى، فلإيهام العدو بوجود تجميع قوى فى أنساق عديدة فى ذلك الاتجاه، ولكن لماذا هذا الاتجاه، لقد كان هذا الاتجاه هو اتجاه المجهود الرئيسى للعدو فى حالة قيامه بعمليات هجومية وعبور قناة السويس، فهذا هو الاتجاه الذى سيدفع فيه العدو احتياطياته التعبوية من المدرعات والمشاة الميكانيكية تلك الاحتياطيات التى ستقوم بالتعاون مع قواته الجوية وقوات الإبرار الجوى بالوصول إلى مشارف القاهرة. لقد كانت تلك هى الفكرة التى بنيت عليها الخطة الدفاعية - الخطة التى أعطيت الرقم ٢٠٠، وذلك من وجهة نظر تقديرنا لأعمال العدو المنتظرة، ولقد برهنت عمليات أكتوبر ١٩٧٣ - بعد عبور العدو إلى غرب القناة فى منطقة الدفرسوار على أن العدو كان حريصًا فى تقدمه فى هذا الاتجاه، وسنرى ذلك عند التكلم عن المعركة.

كان رد فعل العدو إزاء ذلك زيادة النشاط الاستطلاعى، وخاصة الاستطلاع الإلكتروني للتعرف على ما يجرى فى جانبنا، وكان ذلك داعيًا لأن نعود إلى استخدام أسلوب الكمائن فى ٥ نوفمبر ١٩٧١، ولكن استخدمت هذه المرة على أجناب تشكيل قتال حائط الصواريخ لتأكيد صحة خطة الخداع، ولم يحاول العدو القيام بأى اختراق

للمواجهـة،إذ كان لا يـزال يجد فى جمع المعلومات، وتأكيدها، لإعادة رسـم خريطة عن حائـط الصواريـخ وفقًـا لآخـر معلومات تيـسـرت إليـه وفى ٢ ديسـمبر ١٩٧١، وإزاء إصرار العـدو على الاسـتطلاع الزائد، صدرت تعليمات من قيـادة قوات الدفاع الجوى بأن توقف وحدات حائط الصواريخ إشـعاعها عـلى الهواء لجميع معداتها، وكانت هذه الأوامر مبنية على رأى الخبراء السوفييت الذين يعملون بها، والله يعلم وحده ماذا كانوا يبنون من وراء ذلك، إن بقاء الوضع على هذه الحالة يجعل العدو قادرًا على تهشيم حائط الصواريخ قبل أن تطلق كتائبه أى صاروخ.

ونظرًا لأن المد الذى يؤيد هذا الرأى كان عاليًا فلم أشأ معارضته فى حينه، واكتفيت بإظهار المشـكلات التى تعـترض تنفيذه والخطورة التى تترتب عـلى ذلك الوضع طالبًا قليـلًا مـن الوقت لإتمـام الدراسـة المطلوبة. وفى وقت قصـير تم إجراء كل الحسـابات اللازمـة، وأثبتت الحسـابات صحة ما أوضحنـاه ومدى الخطورة الناجمـة من اتباع هذا الأسلوب مما حدا بهذه القيادة حدًا إلى إصدار تعليمات مضادة للتعليمات الأولى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧١.

كان علينـا أن نعـد لخطـة الخـداع الثانية، فأسـلوب الخـداع فى اعتقـادي كان أنجح أسـلوب للتعامل مع العدو، وإن دراسـة أجهزة استشـعاره بدقة مع خصائص المعدات التى فى أيدينا يمكنها أن تعطينا أسـلوبًا ناجحًا لجعل العدو يتخبط ويصبح فى ظلام مما يدور عندنا. وفعلًا تم وضع خطة الخداع الثانية، وكانت تهدف إلى تحقيق الآتى :

أ- خداع العدو عن تجمع حائط الصواريخ حجمًا ونوعًا.

ب- خداع العدو عن أوضاع الوحدات على الأرض.

ج- الوصول إلى تجميع يخدم المعركة الدفاعية والهجومية.

د- تقنين أسـلوب لعمل الوحـدات بعد انتهاء تنفيذ خطة الخداع لمنع إشـعاعها للطاقة الكهرومغناطيسـية فى الهـواء، تلـك الطاقة التى يقـوم مركز الإعاقة والشـوشرة فى أم خشـيب بما فيه من أجهزة استشـعار فى بحر ثوانٍ معدودة بتحديد نوع الإشـعاع ومكانه.

استلزم تنفيذ الخطة الثانية للخداع التعبوى نحو ثلاثة أشهر، واشتركت فيها عدة كتائب صواريخ، وعدة أجهزة رادار مختلفة الترددات، كما اشتركت فيها أيضا المعدات الهيكلية الممثلة لنوعيات أجهزة الرادار والصواريخ المختلفة، ووضع للوحدات القائمة بتنفيذ الخطة أسلوب خاص لعملها، كى تخدع العدو، ونعطيه ما نريد أن نعطيه من معلومات، وتم توقيع كل ذلك على خريطة الخداع وروقب التنفيذ بدقة تامة حتى لا يتسرب للعدو من معلومات سوى ما حددناه.

بدأ تنفيذ الخطة فى يناير ١٩٧٢، وانتهت فى مارس ١٩٧٢، خلال المراحل الأولى لتنفيذها جن جنون العدو كعادته عندما يجابه بأى فعل جديد، وابتدأ نشاطه الاستطلاعى وخاصة الاستطلاع الإلكترونى يكثر، لدرجة أنه كان يصل فى بعض الأيام إلى أربع طلعات استطلاع إلكترونى، تغطى ما يقرب من ٨ ساعات يوميًا.

لقد كنا واثقين تمامًا أن العدو عند بدء القتال سيوجه هجومه إلى أجناب تجميع حائط الصواريخ، فهذه هى أساليبه، ضرب الأجناب مع الالتفاف للخارج والإفلات إلى داخل سيناء حتى لا يعرض نفسه لمدة طويلة إلى نيران الصواريخ، وكان علينا فى تنفيذ الخطة الثانية أن نؤكد له مدى قوة وتماسك أجناب حائط الصواريخ. ولقد برهنت حرب أكتوبر صحة ما خططناه له، فلم يحاول العدو ضرب أجناب حائط الصواريخ خلال فترة القتال كلها من ٦ – ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ إلا مرة واحدة عندما قام بضرب الجانب الأيسر يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣، ولم ينل منه ما كان يتوقعه.

وفى الوقت نفسه الذى كانت تتم فيه خطة الخداع كان يتم تدريب الوحدات تدريبًا واقعيًا تمامًا على دورها المنتظر فى المعركة الهجومية من تحركات ليلية تحت ظروف القصف المعادى أيًا كان نوعه بتمثيل. والمعركة بصورة أقرب ما تكون للواقعية، مع قيامها بعبور مانع مائى فعلا، وصد هجمات جوية على ارتفاعات منخفضة جدًا، وقد اختير توقيت هذا التدريب ليخدم الخطة الخداعية الجارى تنفيذها ليزداد العدو بلبلة وتخبطًا عما هو فيه. وفى هذه الخطة لم أحاول أن أحرك الوحدات القائمة بالخداع إلى بعض المواقع الأمامية – تلك المواقع التى تقع على مسافة ٦-٨ كم من القناة، لأن معنى ذلك هو احتلالها بعد ذلك، وهذا لم يكن فى الحسبان، فلا تزال الخطة الدفاعية

هى السارية المفعول، ولو أن هناك خطة هجومية معدة، بل لم نحاول أن نضع بها مواقع هيكلية من أى نوع، حتى لا يعتقد العدو أننا بدأنا فى الإعداد للعملية الهجومية.

لم يقتصر الأمر على ذلك إذ كان من الضرورى جعل العدو فى شك تام حجم تجميع حائط الصواريخ، وقررنا أن نعمل على تكبيره حتى يكون له التأثير النفسى المطلوب على العدو، وفعلا قامت الوحدات بأسلوب تدريبى معين وفقًا لخطة زمنية تجمع بين النمطية وعدم النمطية فى تنفيذها، واستغلت فيها المواقع التبادلية وما أكثرها - وإمعانًا فى الخداع وضعت لها أساليب تدريبية مختلفة، وتم تبادلها بين القيادات والوحدات بالأساليب المفتوحة تارة أى استخدام اللاسلكى دون قيود. وفى بعض الأحوال تتم بعض الوحدات أو كلها باستخدام اللاسلكى أيضًا، ولكن باستخدام الشفرة، وفى الحالة الأولى يتم محاسبة الأفراد على تقصيرهم وسوء تدريبهم، وإمعانًا فى الخداع تذاع الجزاءات الموقعة عليهم على الهواء حتى يعتقد العدو تمامًا أن هذه الأماكن التى يرصدها بأجهزة استشعارة إنما هى مواقع حقيقية. ولقد دلت حرب أكتوبر على نجاح هذا التخطيط تمامًا، فقد اعترف الأسرى فى أقوالهم بأن قوة حائط الصواريخ التى يعرفونها عن طريق التلقين المعطى إليهم إنها تتراوح قوته بين ٨٠-١٠٠ كتيبة صواريخ أرض - جو من الأنواع المختلفة.

بعد إنهاء تنفيذ خطة الخداع الثانية بدأ الصواريخ يعمل وكأنه فى صمت، وبدأت الحيرة تظهر على العدو تمامًا فى تصرفاته، فلقد فقد كثيرًا من المعلومات التى لديه عن حائط الصواريخ، وأصبح واجبًا أن يعمل من جديد للحصول على معلومات حديثة عنه، فلم يكتف بنشاطه الاستطلاعى الذى لا يزال على معدله العالى منذ يناير ١٩٧٢، بل عمد إلى القيام باستطلاع منظور بواسطة الطائارت الهليكوبتر والطائرات البسيطة التى تطير على مقربة من القناة، وهنا أصبح هناك ما يدعو إلى أن نبعد، ثانيًا وفعلا فى يونيو ١٩٧٢. تقرر العودة إلى نظام الكمائن. وبإسقاط طائرة له فى ١٩ يوليو ١٩٧٢ انتاب العدو الخوف وتراجع تمامًا، وأصبح نشاطه التدريبى يتم شرق القناة على مسافة لا تقل عن ٥٠ كيلو من القناة على الأقل،أما استطلاعه فقد اقتصر على مرتين أسبوعيًا أو ثلاثة على الأكثر وعلى مسافة ٢٥-٣٠ كم شرق القناة أو أكثر، وبسرعة تتراوح ما

بين ١٣٠٠ و ١٥٠٠ كيلو متر/ ساعة، وعلى ارتفاعات من ١٢-١٥ كم، واستمر على ذلك مدة طويلة.

وخلال النصف الأول من ١٩٧٣، وفى ضوء التحضيرات التى يجرى تنفيذها للقيام بالعملية الهجومية، بدأنا تنفيذ خطة الخداع الثالثة وكانت تهدف إلى :

أ- زيادة حجم مراكز قيادة اللواءات المكونة لحائط الصواريخ لتتناسب مع الحجم الذى سبق تخطيطه، وفى سبيل ذلك تم إنشاء مراكز القيادة هيكلية تم استخدامها خلال مشروعات الخداع لتعمل كمراكز قيادة حقيقية.

ب- إلغاء أسلوب عمل حائط الصواريخ اليومى وهو ما يسمى بنظام الخدمة، وذلك باتباع أساليب ترتكز كلها على اختلاف التوقيت والعدد والاتجاه ومدة الخدمة، وذلك راجع إلى أن العدو كان يركز استطلاعه الإلكترونى مع بدء تغيير خدمة الوحدات، ومما يمكنه من تحديد أماكن وحدات الخدمة فى كل فترة زمنية،ولا شك أن معرفة العدو وبذلك بالإضافة إلى ما يعرفه من أسلوب عملنا النمطى - يساعد على تخطيط هجماته الجوية فيوجهها إلى وحدات الخدمة أولا حتى يسكتها ليصول ويجول بعد ذلك.

ج- جعل جميع المواقع حقيقية أو هيكلية ـ متشابهة فى الشكل والتجهيز الهندسى، حتى لا يستطيع الطيارون أثناء اقترابهم إليها - القدرة على التفرقة بينهما جميعًا، مما يؤدى إلى استنزاف مجهودهم وقتالهم ضد المواقع الهيكلية لكثرتها، مع إيجاد حياة محدودة بالمواقع الهيكلية من أفراد ومعدات تعمل وفق أسلوب خاص.

د- معرفة تصرف العدو إزاء احتلال المواقع الأمامية بالمواقع الهيكلية وذلك بوضع معدات هيكلية فى مواقع المعركة التى تقع على بعد ٦-٨ كم، ومن نوعيات تشابه ما سيكون فيها مستقبلا حسب خطة العمليات التى كانت قد تبلورت تمامًا وقتئذ، ودفع أجهزة رادار إنذار تتشابه مع نوعيات الكتائب التى ستحتلها مستقبلًا، وذلك للإشعاع منها وفقًا لنظام خدمة وضع لذلك الغرض.

هـ- منع العدو من التعرف عما يجرى داخل التشكيل من أوجه نشاطه المختلفة حتى نجعل من الصعب عليه القيام بأى استنتاجات منطقية، وذلك بغرض الصمت

الكامل على وسائل المواصلات اللاسلكية وحظر استخدامها نهائيًا، واستخدام المواصلات الخطية إلا ما كان لازمًا لتحقيق خطة الخداع الجارى تنفيذها.

و- منع العدو من الاستدلال والتعرف على مواقع الكتائب أو مراكز القيادة المراد مهاجمتها، وذلك بهدم الأغراض الشهيرة المجاورة لها، والتى يتخذها العدو كنقط إرشاد للوصول إلى أغراض أو تتغير معالمها أو إخفائها فى حالة تعذر هدمها.

أدى بدء تنفيذ خطة الخداع الثالثة، وفى الوقت الذى كان يجرى فيه تحركات للتشكيلات البرية تجاه الجبهة لقيامها بمشروع تدريبى ضخم خلال مارس ١٩٧٣، وما كان يتم من تحضيرات للعملية الهجومية - إلى نشاط كبير من جانب العدو، فلقد نشط استطلاعه الجوى بشكل واضح، إذ كان يتم لعدة مرات يوميًا وخلال هذا النشاط الاستطلاعى لوحظ زيادة جرأة العدو واقترابه من القناة، حتى أصبح يطير على مسافة تتراوح بين ٢-١٠ كم شرق القناة، بل انه إزاء المعلومات التى وصلت إليه عن ذلك المشروع التدريبى وحجم التشكيلات المتحركة للجبهة قام العدو باستدعاء احتياطياته ودفع منها قسمًا كبيرًا إلى سيناء - وإزاء اقتراب العدو من القناة أصبح من الواجب مرة أخرى العمل على دفعه بعيدًا عن القناة، فقد خشينا أن يقوم العدو باختراق جوى للجبهة بغية الحصول على معلومات دقيقة عما يجرى من جانبنا، وإزاء ذلك عدنا مرة أخرى إلى نظام الكمائن، ونظرًا لما كان يعلق فى الأذهان من الخسائر التى لحقت بإحدى الكمائن التى نصبت للعدو فى سوريا وهى خسائر رهيبة إذا قيمت بالمهمة الموكولة إلى الكمين - أصبح موضوع استخدام الكمائن غير مقبول من الجميع، وخوفًا من تكرار ما حدث فى سوريا غيرنا الأسلوب المستخدم بغرض توفير الوقاية للكمين، ولم تفلح الكمائن التى وضعت خلال ثلاثة أشهر إلى إسقاط أى طائرة للعدو للحذر الشديد الذى اتبعه العدو فى طيرانه أولًا وإلى استخدام السرعات فوق الصوتية عند عبور أما القناة ثانيًا، بالإضافة إلى قيامه بالمناورة إلى داخل سيناء بمجرد الإحساس بأن إحدى كتائب الصواريخ بدأت فى الاشتباك معه.

فى يوليو ١٩٧٣ كانت الاستعدادات للعملية الهجومية تزداد يومًا بعد يوم وأخذت ملامحها تتضح تمامًا، وقد أوشكت مصاطب الدبابات التى تم بناؤها غرب القناة على

الانتهاء تمامًا، والتجهيز الهندسى لمنطقة الهجوم أوشك هو الآخر على الانتهاء والعمل يسير فيه ليلًا ونهارًا، وكان من الضرورى أن يتم كل ذلك بعيدًا عن أعين العدو ورقابته وخاصة - وفقًا للتخطيط الموضوع للعملية الهجومية - سيدفع العديد من الوحدات والتشكيلات إلى الجبهة خلال الفترة المقبلة، وهنا طلبت القيادة العامة للقوات المسلحة من قيادة الدفاع الجوى منع العدو من الاستطلاع شرق القناة لمسافة ١٠ كم، كما منعه من القيام بأى اختراق فى اتجاه الشرق، وقد أرسلت تلك التعليمات إلىَّ لوضع الخطة اللازمة لتحقيق ذلك.

- قررت احتلال بعض مواقع المعركة، وكان هذا الاحتلال تحديًا للعدو وكما سنرى فيما بعد، أن احتلال المواقع الأمامية تلك المواقع التى تقع على مسافة ٦-٨ كم من القناة -إنما يعنى زيادة قدرة حائط الصواريخ على التدمير داخل سيناء، مما يجعل القناة وخط بارليف والاحتياطيات التكتيكية القريبة كلها بمعزل تمامًا عن القوات الجوية الإسرائيلية، فاقتراب القوات الجوية إلى أقل من مسافة ٢٠ كم شرق القناة يجعلها تدخل مناطق تدمير الصواريخ، ويعرضها تمامًا لنيران الصواريخ؛ ولذا لم يقابل العدو هذا العمل بالارتياح - وكنا مقدرين هذا تمامًا.

لقد رأيت عند وضع الخطة لتحقيق المطلوب الآتى :

أ- أن نخدم المعركة الهجومية المقبلة، وذلك باحتلال مواقع الخطة احتلالا حقيقيًا بالكتائب كى يتعود العدو على هذا المنظر من الآن.

ب- ألا يعطى هذا العمل العدو أى احتمال لعمليات مقبلة، وإنما يجعله يعتقد أن هذا شكل جديد من أساليب الكمائن، فبدلا من استخدام الكمائن المختفية قبل ذلك أصبحنا نستخدم الكمائن المكشوفة.

ج- ألا يوحى هذا الاحتلال للعدو بأنه مقدمة لعمليات هجومية وشيكة الوقوع، وذلك باحتلال قدر محدود من المواقع، إذ أنه فى العمليات الحقيقية سيتم احتلال معظم هذه المواقع.

كان من الواجب على العدو أن يفطن إلى أن احتلالنا لهذه المواقع سيؤثر على سيطرته الجوية فوق القناة وخط بارليف، ولكنه لفرط الثقة لم يعرها التفاتًا أو أننا كنا أكثر منه ذكاءً فناوشناه بأساليب سلبية ولم نسمح للأساليب الساخنة بالانطلاق. ولقد أدت الأوضاع الجديدة لوحدتنا إلى ابتعاد العدو عن القناة، وأصبح يطير على مسافة لا تقل عن ٣٠ كم شرق القناة. وكلما حاول العدو أن يقترب أقل من ذلك كانت كتائبنا الأمامية تعامله بأسلوب خاص تجعله يطير إلى داخل سيناء مؤثرًا السلامة عن تحقيق المهمة، لقد كان تقديرنا أن هذا الأسلوب من العمل لن يطول، فعدونا لا يقبل أن ينقص أحد شيئًا من غطرسته وكبريائه، ولكن ما الاحتمالات المنتظرة ؟.

لقد كان توقعنا أن هناك رد فعل من جانب العدو، وقد يكون رد الفعل فى صورة اختراق لجبهة القتال للتعرف على ما يجرى فيها، أو مهاجمة الوحدات الأمامية، تلك الوحدات التى تحد من نشاطه الاستطلاعى شرق القناة، وكان تقديرنا أن رد الفعل لن يتأخر كثيرًا لما فى ذلك من أثر على نفس المعلومات اليومية لدى العدو عن أوضاع قواتنا، بالإضافة إلى مالها من تأثير معنوى على قواته الموجودة فى خط بارليف وخلفه مباشرة، ولم يتأخر رد الفعل الذى انتظرناه، ففى يوم ١٨/ ٧/ ١٩٧٣ بدأ نشاط العدو صباحًا شرق القناة وانحصر نشاطه شرقًا على مسافة ٤٠ كيلو مترًا من القناة، (وسعت ١٣٠٧) قام العدو بطلعة استطلاع بعدد ٤ طائرات فانتوم وميراج، اقتربت من وسط سيناء على ارتفاع ١٣ كم متجهة إلى رأس سدر، ثم مرت بحذاء القناة فى اتجاه الشمال على مسافة ٣٠ كم. وجدها بقليل وبعد تأكيد أوضاع الوحدات الأمامية بدأ العدو فى تنفيذ خطة الرد الفعلية، فقام بطلعة استطلاع جديدة بعدد ٨ طائرات اقتربت فى مجموعتين على ارتفاع ٧ كم من وسط سيناء إلى منطقة البحيرات، ثم اتجهت شمالًا على مسافة ١٠ كم شرق القناة، وفى الوقت نفسه ظهرت أهداف عديدة على مسافات تتراوح بين ٢٥-٤٠ كم، بلغت فى جملتها ٨ أهداف مجموعة، أى تتراوح قوتها بين ١٦ -٣٢ طائرة.

كان من الممكن أن تشتبك وحداتنا الأمامية مع العدو، ولكن ظهور المظلات الجوية واستخدام الإعاقة الإلكترونية بكثافة أوضح لى ما يضمره العدو من وراء هذه الطلعة،

وقد تأكد ذلك بعد زمن قليل، فما لبث أن ظهرت مجموعة من الأهداف كل منها ٤ طائرات على ارتفاع ٧ كم، تقترب بسرعة عالية تجاه الإسماعيلية، لقد كان العدو يبغى من وراء ذلك - بعد تأكيد مواقع الوحدات وإجبارها على الفتح عليه عند مروره أمام الإسماعيلية، مما يجعلها تقع فريسة سهلة لضربها بالصواريخ شرايك وذلك بواسطة الأهداف المقتربة من وسط سيناء، والتى تطير بسرعة عالية على ارتفاع ٧ كم، على أن تعاونها المظلات الجوية العديدة الموجودة فى الشرق فى مهاجمة وحداتنا الأمامية، ولكن تقديرنا السليم لأعمال العدو لم يتح للعدو أى أمل فى النجاح، فشلت خطته التى خصص لها بين ٣٦-٥٠ طائرة، وفشلت خطة الانتقام أو الردع التى خطط لها العدو لتتم فى الفترة من ٧/١٠ إلى ٧/١٨، وبفشل هذا التخطيط وجد العدو أنه لا سبيل لإجبار الوحدات الأمامية على الاشتباك معه بمثل هذا الأسلوب وكان عليه أن يختار أسلوبًا آخر، ولم يكن أمامه سوى القيام باختراق لجبهة القتال فى قطاع أو أكثر من قطاع، على أن يكون الاختراق لعمق محدود، حتى لا يتواجد لفترة زمنية طويلة تحت تأثير نيران وحدات الصواريخ، على أن يتم ذلك على ارتفاعات منخفضة جدًا مع استغلال الأودية للطيران فيها، فكان علينا ألا نسمح للعدو بذلك، ولقد وجدنا فى صواريخ سام ٧ الحل الأمثل للوقوف ضد هذا الأسلوب، وكان أن حددت أماكن الاختراق المحتملة على طول المواجهة، وتم قفلها بواسطة وحدات سام ٧ التى أخذت أوضاعها فى تعاون وثيق مع الأسلحة الأخرى، كالمدفعية المضادة للطائرات ووحدات الصواريخ أرض - جو.

ولم يحاول العدو بعد ذلك الاقتراب من القناة لمسافات أقل من ٢٥ كم. ولكنه إزاء ما يجرى فى الجبهة من تحضيرات للعملية الهجومية رأى أنه من الضرورى الاقتراب للحصول على صورة للجبهة حتى يتعرف على نشاط وأوضاع قواتنا، تلك المعلومات التى تمكنه من خلالها بمعرفة نوايا قواتنا وتمكنه من تحديد التوقيت التقريبى للهجوم.

ولكن كيف تم ذلك ؟، لقد بدأ العدو بتنفيذ طلعات استطلاعية على ارتفاعات عالية جدًا تتراوح ما بين ١٧ و ١٩ كم، ومثل هذه الارتفاعات تسمح للعدو بالاقتراب أكثر من القناة، وذلك حتى مسافة ١٢ كم شرق القناة دون أن تتمكن الوحدات الأمامية

من الاشتباك معه، وقد كان للمعلومات الفنية التى تمكن العدو من الحصول عليها عن خصائص وحدات الصواريخ سام ٢ معدل، وخصائص وشكل منطقة تدميرها على الارتفاعات المختلفة إثر هزيمة ١٩٦٧ - أثر فى أن يتمكن العدو من استخدام مثل هذا الأسلوب الناجح.

لم يزعجنا هذا الاقتراب حقيقة أن قيامه بالاستطلاع على الارتفاع العالى ييسر له تصوير مناطق أكثر عمقًا من الأولى، فكلما زاد الارتفاع زاد عمق المناطق التى يتم تصويرها - ولكننا كنا نخشى أن يتم أى اختراق على ارتفاع منخفض جدًا ٣٠-١٥٠ مترًا تحت ستر هذا الاستطلاع، ولكننا لم ننخدع، بل كنا نولى كل اهتمامنا لكشف أى طائرات للعدو وتحاول التسلل والاختراق، فكما كانت هناك وحدات قائمة بالتعامل مع طائرات الاستطلاع لتدميرها لو سنحت الفرصة لها بذلك كانت هناك وحدات أخرى تقوم بالبحث عن أى تسلل للتعامل معه فورًا.

لقد استفدنا من هذه الطلعات الاستطلاعية المعادية الكثيرة، تلك الطلعات التى تمت خلال شهر أغسطس، وكان أفضل ما استفدنا منها أن طيارى العدو رغم طيرانهم على هذا الارتفاع الشاهق ورغم إلمامهم بخصائص مناطق تدمير الصواريخ سام ٢ معدل التى يعرفونها تمامًا، كان الهلع ينتابهم تمامًا عند التعامل معهم بالأساليب الخداعية المختلفة، وقد كان علينا أن نستفيد من هذا الهلع فى معركتنا المقبلة لنفقد العدو اتزانه مبكرًا كلما أمكن ذلك، لضمان انتزاع المبادأة من يده، واستمر الحال على ذلك المنوال طول شهر سبتمبر والاستعدادات للمعركة تأخذ طريقها، بل تزداد يومًا بعد يوم، والقوات المخصصة للعملية الهجومية تدفع من مناطق تمركزها الخلفية إلى جبهة القتال.

كان من الواجب علينا وقد احتلت بعض وحداتنا المواقع الأمامية (موقع المعركة) أن نخدع العدو مرة أخرى، ونجعله فى شك من مهمة هذه الوحدات هل هى بغرض منعه من الاستطلاع على مقربة من القناة أو بغرض منع العدو من اختراق جبهة القتال لمحاولة التعرف على ما يجرى إعداده فى الخلف لذلك اليوم ؟ وفى سبيل ذلك وضع للوحدات القائمة بتنفيذ المهمة خطة للمناورة، روعى فيها جميع الاحتمالات المنتظرة القريبة والبعيدة، مما أظهر للعدو من خلال تنفيذ هذه الخطة رغبتنا الشديدة فى منعه من الاستطلاع وليس الاختراق، وهو ما أردنا أن نخفيه عنه.

الباب الخامس

الفصل الثانى عشر
التحضير لمعركة أكتوبر ٧٣

استكمال التحضير للمعركة

لقد كان إعداد حائط الصواريخ الذى سبق توضيحه من قبل منذ رفض جمهورية مصر العربية تجديد وقف النار حتى شهر سبتمبر ٧٣ ما هو إلا عملية إعداد وتجهيز مستمر للقتال، وكان من الضرورى أن يكون ذلك هو الأسلوب الذى يجب اتباعه، فأمامنا عدو لا يهدأ، نهّاز للفرص، يمتلك قوة جوية قوية يدعمها بصفة مستمرة ويعدها للقتال. أعظم إعداد، يتباهى بها وبقدراتها أمام العالم؛ لذا فتوقعى للقتال معه كان منتظرًا بصفة دائمة، ما يكاد يهدأ قليلًا حتى تشتد جذوته ثانيًا. لقد كان كلانا يضع الآخر تحت مراقبته للتعرف على نشاطه وأوضاعه للحد من نجاحه. لقد كان استعدادنا الدائم للقتال ما هو إلا أسلوبًا للحدمن نجاحه وإشعاره بمدى يقظتنا. لقد أدى هذا الاستعداد إلى استهلاك كبير للمعدات بلغ ما يتراوح بين ٧٠٠٠- ١١٠٠٠ ساعة من عمر أى معدة.

لم يكد يقترب منتصف شهر سبتمبر ٧٣ حتى ظهر فى الأفق أن هناك شيئًا ما أصبح وشيك الوقوع بالنسبة للمعركة، ورغم التكتم الشديد، ورغم عدم صدور أى أوامر فيما يختص بالعملية الهجومية حتى ذلك الوقت فإننى كنت مقتنعًا تمامًا بأن هناك شيئًا ما قريب الحدوث، وخاصة بعد صدور الأوامر لعديد من الوحدات بالتحرك من القاهرة إلى مناطق الجيوش الميدانية اعتبارًا من يوم ١٠ سبتمبر ٧٣، وإزاء ذلك كان لابد مت الإسراع فى إنهاء أى تحضيرات ضرورية للقتال، حتى نكون على أتم استعداد

لملاقاة أى أعمال مفاجئة يقوم بها العدو، وإزاء ما يجرى من تحرك كثير من الوحدات إلى جبهة القتال، وحتى تكون مرحلة إصدار الأوامر وتنفيذ الاستعداد القتالى خالية من أى تعقيدات أو إرهاق إذ أن كليهما سيكون له الأثر على المعركة عندما تبدأ، وضعت فى اعتبارى كل ذلك وقررت فى تخطيطى إنهاء جميع الأعمال المطلوبة قبل ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣.

وفى ضوء ذلك قمت بدراسة أوضاع حائط الصواريخ من جميع النواحى، وحددت الموضوعات والأعمال التى يجب أن تتم، وكان أهم هذه الموضوعات والتى يجب وضعها موضع التنفيذ الفورى هو اليقظة العالية لمراكز القيادة، تلك العقول المسيطرة على عمل وحدات الصواريخ والرادار والمدفعية، ونظرًا للإرهاق الناتج من مراقبة الموقف الجوى بدقة، وإصدار الأوامر للوحدات بجانب سوء التهوية، والإظلام الذى تعمل فيه المراكز قررت أن تعمل الأطقم فقط لضمان يقظتها تمامًا وبالتالى يقظة الوحدات التى تقودها، ولا شك أن هذه اليقظة كانت لازمة اعتبارًا من ذلك الوقت، نظرًا لأن الوحدات والتشكيلات المخصصة للعملية الهجومية بدأ دفعها للجبهة حسب الجدول الزمنى والموضوع لها، ومن بين ما تم دفعه وحدات مدرعة ومشاة ميكانيكية ومهندسين..... إلخ. كما قررت أن يتم احتلالها لمراكز قيادتها فى توقيتات مختلفة لتلافى وجود حلقة ضعيفة فى سلسلة اليقظة والاستعداد وراقبت هذا النظام مراقبة دقيقة.

وضمانًا للسرية قررت أن لا يعرف أحد فى قيادة الفرقة أى شىء عما صدر من توجيهات على أن يتم التحضير للمعركة فى هدوء، وعلى هيئة أوامر تصدر منى للرؤساء والقادة المعنيين مباشرة على أساس أنها أعمال من المفروض إتمامها لاستكمال استعداد الفرقة لأى عمليات قد تنشب فى المستقبل، واحتفظت ببعض الأعمال المطلوب إتمامها والتى تخدم الخطة الهجومية مباشرة دون إنجاز إلى وقت متأخر حتى لا تكون سببًا لكشف نوايانا مبكرًا، وإمعانًا فى الخداع لم أصدر أوامرى لكل الرؤساء بالفرقة، بل اخترت لذلك الرؤساء الأساسيين دون غيرهم من الرؤساء، واجتمعت بكل منهم على انفراد، وأعطيته تعليماتى وطلبت منه إنهاء الأعمال المطلوبة منه، وحددت له توقيت الانتهاء من كل عمل. وذلك دون إبداء أى أسباب سوى أنها من مستلزمات الاستعداد

للقتال. بعد ذلك رأيت من واجبى كقائد للتشكيل أن أراقب تنفيذ الأعمال الجارية على الأرض بنفسى، وأن أقرن ذلك بالمرور على قيادات ألوية الصواريخ وأفواج المدفعية م/ ط وأفواج الرادار لإعطائها دفعة قوية للعمل، وتذكيرها بما هو مطلوب منها وما سيتم فى قطاعاتها من أعمال، وكذا المرور على كتائب الصواريخ لتأكيد بعض النقاط المهمة عن العدو وأسلوبه، وكيفية الاشتباك به، وأسلوب التغلب على وسائل العدو المختلفة التى سبق ذكرها، يحدونى فى ذلك أمران الأول الوقوف على مستوى الكفاءة القتالية للوحدات لإمكان معرفة الوحدات التى يمكن إسناد المهام الصعبة لها خلال المعركة، وثانيًا لإعطاء الأفراد جرعة معنوية لتحصينهم ضد الحرب النفسية للعدو ولبث الإصرار على القتال وحب الاستشهاد فى سبيل الله والوطن فى نفوسهم مذكرًا إياهم بأمجادهم الماضية ومستقبلهم المشرق.

مراجعة أهم الأعمال

لقد كان هناك العديد من الأعمال المطلوب مراجعتها للتأكد من صحتها أو تلك المطلوب إنجازها لتجهيز الوحدات للمعركة. كانت الأعمال المطلوبة كثيرة، وكان الوقت المتيسر محدودًا. لقد تركت كثيرًا من الأعمال للرؤساء للمراجعة والتنفيذ، ولكن كانت هناك بعض الموضوعات التى يجب أن أراجعها بنفسى للتأكد فى النهاية من أن التشكيل كله على مستوى الكفاءة القتالية العالية والتجانس المحكم حتى يمكنه أن يحقق مهامه بنجاح فى المعركة.

لقد كان التأكد من قدرة الوحدات على إتمام المناورة فى الأزمنة التى سبق أن حققتها والتى على أساسها تم التخطيط أول عمل يجب مراجعته والتأكد منه؛ لذا أصدرت أوامرى إلى بعض الكتائب بالقيام بالمناورة فجائيًا، ولكم كانت دهشتى عندما وجدت أن عددًا كبيرًا منها تعدى الأزمنة القياسية التى وصل إليها من قبل، حقيقة أن الأزمنة التى أتموا فيها المناورة تعتبر ممتازة إذا قيست بما هو فى كتب التعليم إلا أنها فى ضوء معركتنا المنتظرة تعتبر دون المستوى المطلوب نظرًا للصعوبات المنتظر أن تقابلها الوحدات عند عملها، نظرًا لما ينتظر أن تتسم به المعركة من عنف، بالإضافة إلى الصعوبات المنتظر أن تقابلها الوحدات عند عملها شرق القناة، ولتحقيق ذلك

بـدأت وضـع خطة زمنيـة لتدريب الوحـدات على المنـاورة، وهذا النوع مـن التدريب من مسـتلزمات الخطـة الهجومية ومن مسـتلزمات الخطة الدفاعيـة، والتدريب عليه لا يـؤدى إلى معرفـة النوايا المقبلة، وإمعانًا فى إخفاء النوايـا أشركت فى التدريب اللواءات المخصصة لوقاية المعابر على القناة، والتى ستظل أوضاعها غرب القناة، تلك اللواءات التـى تعتـبر مناورتها محـدودة، لأنها سـتتم على طرق سـهلة وبعيدة عن ضغـط العدو، وفعـلا بدأت الوحدات فى التنفيذ لقد أدى الانضبـاط العالى الذى كانت تتمتع به جميع الوحدات مع إحساسهم بعظم المسئولية الملقاة على عاتقهم إلى وصول غالبية الوحدات إلى الأزمنة القياسية بسرعة مما لم يستدع تكرار التدريب على المناورة مرة أخرى.

كانـت خطـة العمليـات هـى الموضوع الثانـى الذى يجـب مراجعتـه، وفعلا طلبت خطـة العمليات وأحضرت الخطة و مشـتملاتها من خرائـط ووثائق مختلفة، وقمت مع رئيـس العمليات بالفرقة بمراجعتها، وفعـلا تم إدخال بعض التعديلات عليها لتتلاءم وأوضاع الفرقة الحالية. فالخطة الحالية وضعت عندما كان تشكيل قتال الفرقة يبعد عن القناة بمسـافة ١٨ كم، ولكنها الآن ونظرًا للمهمة القائمة بها الفرقة من يوليو ١٩٧٣. أصبح تشـكيل قتالها يبعد عن القناة فى بعض القطاعات بمسـافة تتراوح بين ٦-٨ كم، وفى بعـض القطاعـات الأخـرى يبعد بمسـافة تتراوح مـا بين ١٢ و ١٨ كم مـن القناة. واحتفظـت بهذه التعديلات لحـين إتمام عمل الخطة الجديدة، وما كان ذلك إلا إمعانًا فى السريـة، ولمـا كان احتمال قيام العدو بضربة جوية وقائية فى حالة إحساسـه بالاسـتعداد للعمليـة الهجوميـة وذلك بغرض إحباطها، رأيـت أيضاً التأكيد لا مـن الخطة الدفاعية ٢٠٠، فقـد كانـت هذه الخطـة معروفة للجميع ومنفـذة، ولكن كان هنـاك خطة إعادة تجميـع لمقابلة الضربة الوقائية للعدو ووضعتها بنفسـى ولم أطلـع عليها أحدًا. أخطرت بهـا قيـادة قوات الدفـاع الجوى، وكانت هـذه الخطة فى مضمونها تشـمل ثلاث مراحل ويتوقـف تنفيـذ كل مرحلـة منها على عـدد الأيام المتيـسرة لإعادة تجميع الفرقـة الثامنة (دفاع جوى) لمقابلة العدو.

لقد كانت خطة إعادة التجميع تهدف إلى :

أ ـ منع تجاوز الوحدات لدرجة التعرض لقصفها معًا.

ب ـ منع احتلال المواقع التى عرفتها العدو وهاجمها بالقنابل. سواء فى أثناء إقامتها أو بعد إقامتها أو فى أثناء احتلالها بغرض تصعيب مهمته.

جـ ـ خلق تماسك أفضل بين اللواءات وبعضها، لإمكان المعاونة المتبادلة فى صد أى هجوم جوى على إحداها.

وقد يتساءل سائل: المفروض أن يكون التجميع الذى عليه التشكيل وقتئذ قادرًا على تحقيق مطالب الخطة الدفاعية ٢٠٠، فلماذا تكون هناك خطة أخرى ؟ الواقع أن التجميع فى جميع الأوقات كان يخدم الخطة الدفاعية، ورغم الخداع الذى تم للعدو، فإن هناك مواقع كانت محتلة ويعرفها العدو من سابق مهاجمته لها خلال حرب الاستنزاف، وقد كانت هذه المواقع من الأنواع التامة التحصين، أى أنها قادرة على تحمل القنابل زنة ١٠٠٠ رطل، وكانت ثقتنا فى المواقع المسبقة الصنع محدودة، فهى لم تدخل التجربة بعد، ومن الوجهة النظرية كان المفروض ألا تعطى وقاية سوى للصورايخ جو/ أرض، وبهذه الخطة قاصرت بالتحصين والوقاية فى سبيل تصعيب مهمة الطيارين مما يجعلهم يحتاجون إلى وقت أطول فى مهاجمة المواقع وهذا ما لا يريده أى طيار أو مخطط ـ لأن معنى ذلك زيادة زمن تعرضه للنيران، وبالتالى زيادة احتمال تدميره.

كان موضوع التجهيز الهندسى للفرقة هو الموضوع الثالث، وكان حيويًا للغاية، فعليه يتوقف إعداد المواقع للمعركة وتوفير الوقاية للمعدات والأفراد، وفى مراجعة هذا الموضوع تم دراسة مواقع المعركة كلها لمعرفة مدى صلاحيتها للاحتلال ومدى الوقاية ضد وسائل العدو المختلفة، كما تم مراجعة موقف المواقع الهيكلية وموقف الأخطاء فى جميع المواقع حقيقية أو تبادلية أو هيكلية، وفى ضوء هذه المراجعة تم تحديد حجم الأعمال المطلوبة مع رئيس فرع المهندسين العسكريين.

وفى ضوء ما تحدد وجد أن وحدات المهندسين المتيسرة للعمل غير كافية، وتبعًا لذلك كان من الضرورى إعطاء أسبقية للأعمال المطلوبة فى ضوء عدد وحدات المهندسين الموجودة، وفعلا قامت وحدات المهندسين خلال الفترة من أول سبتمبر إلى ٢٦ سبتمبر

١٩٧٣ بحجم كبير من الأعمال شملت ما يلى :ـ

رص ألغام	١٠٠٠ لغم
إصلاح خرسانات	٣,٣٠٠
أعمال نسف استهلكت	١٠٠ كجم مفرقعات
أعمال حفر وردم تساوى	٨٠٠ بلدوزر / ساعة
إقامة تكسيات	٤٠٠,٠٠٠ شيكارة رمل

لقد ترتب على عدم وجود وحدات مهندسين كافية تأجيل بعض الأعمال المطلوبة للعملية الهجومية لحين حضور اللواء ١١ مهندسين عسكريين الذى تدعم به الفرقة فى العمليات وبوصول وحدات اللواء يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣، وضعت وحداته الفرعية تحت قيادة لواءات الفرقة، وقام باستكمال التجهيز الهندسى وفقًا للتخطيط الموضوع وبالأسبقيات المحدودة، وقد بلغت جملة الأعمال التى تمت فى المدة من يوم ٢٦/ ٩/ ٧٣ إلى ٥/ ١٠/ ٧٣ ما يلى :

رص ألغام	٤٤٥ لغمًا
أعمال نسف استهلكت	٢٠٠ كجم مفرقعات
أعمال حفر وردم تساوى	١١٦٠ بلدوزر / ساعة
إقامة تكسيات	٥٠٠,٠٠٠٠ شيكارة رمل

كان الموضوع الرابع، والذى يمثل جانبًا كبيرًا من الأهمية هو موقف المعدات من ناحية صلاحيتها وضمان ثبات مكوناتها أثناء القتال ومراجعة قطع الغيار، فقد كان عدد كبير من كتائب الصواريخ سام ٢ معدل، سام ٣ تعدت ساعات تشغيلها، وعلى ذلك راجعت الموقف مع كبير المهندسين للفرقة، ووجدنا أن حالة المعدات فى ضوء القتال المنتظر من تشغيل للمعدات لمدة طويلة قد تصل إلى ٢٠ ساعة يوميًا وإلى إتمام العديد من المناورات موقف غير مريح لعديد من كتائب الصواريخ؛ ولذا قررت أن تتم الصيانة المركزة بأسلوب حددناه فى حينه لرفع كفاءة المعدات الفنية بما يحقق ضبطًا دقيقًا، وطلبت من كبير المهندسين للفرقة أن يعطى أوامره لمجموعات مهندسى الإصلاح ببذل كل ما

فى طاقاتهـم للوصول بالمعدات إلى أعلى مسـتوى فى الأداء والضبط. ولقد أدى المجهود الذى بذل فى المعدات إلى صلاحية عالية لعدد كبير من الوحدات مكنتها من أداء دورها الرائـع فى قتالها مع العـدو ووفرت مع غيرها مـن العوامل الكثير مـن الصواريخ، هذا بالنسـبة لكتائب سـام ٢ معدل، سـام ٣، أما بالنسبة لكتائب سـام ٢ على الرغم مما اتبع معهـا كغيرها فإننى كنـت غير واثق من قدرتها على العمل خـلال المعركة بالكفاءة التى تتطلبهـا المعركـة، وقد أثبتـت المعركة ذلك فعلا؛ ولـذا كان من الواجب علىَّ أن أطيل النظر فى الخطة الموضوعة مبكرًا، وأفكر فى الحلول التبادلية لاستخدمها فى ضوء تطور المعركة المنتظرة. حقيقة لقد كانت حملا لا يتحمله أى قائد، ولقد شكوت منها ومن عدم قدرتها على العمل فى المعركة المنتظرة خلال شهر يناير ١٩٧٣.

لقـد كان هـذا النوع من كتائب الصواريخ صفقة من السـلاح غـير مجزية أعطاها لنا الاتحـاد السـوفيتى لتثقل كاهلنا وتجعلنا نيأس تمامًا من إمـكان قتال العدو، ولقد بذلت مجموعات مهندسـى الإصلاح وأطقم قتال الوحدات فى هذا السـبيل كل ما فى طاقاتهم من جهد وعلم وخبرة لرفع كفاءة المعدات، واسـتمر هذا دورهم إلى أن قامت المعركة، بـل تعاظم دورهم خلال المعركة وبعدها، واسـتكمالا لموضوع الكفاءة الفنية للمعدات قمت مع كبير مهندسـى الفرقة بدراسـة موقف قطع الغيار، وأمرت باستكمال المرتبات لجميـع الأصنـاف ١٠٠٪ عـدا الأصنـاف الحرجـة أى تلك التـى يعتبر موقفها سـيئًا، وطلبت من كبير المهندسين تحديد نوعياتها والأعداد المطلوبة لطلبها.

كان الإمداد بالصواريخ أثناء المعركة من المشكلات الكبيرة، فالكتائب الفنية التى تمد تشكيل القتال بالصواريخ بدل المستهلكة تقع خلف تشكيل القتال بمسافات تتراوح ما بين ٥٠ و ٧٠ كم، وبالتحول إلى تنفيذ العملية الهجومية ستزداد هذه المسافة مع احتمال قيـام العدو بمهاجمة هذه الكتائـب إما بقصفها جوًا أو إبراز قوات منقولة جوًا بجوارها لتدمـير هذه الكتائـب أو العمل على توقفها عن العمل وفى ضـوء تلك الاعتبارات وفى ضوء احتمالات المعركة حددت أسلوب الإمداد بالصواريخ الواجب اتباعه.

كان الموضـوع الأخـير الـذى يحتاج إلى مراجعـة منى هو مراجعة مسـتوى التدريب للواحـدات كلها للتعـرف على قدراتها القتالية، وفى ضوء الوقت المتيسر أمامى وضعت مـع رئيـس الصواريـخ والمدفعيـة بالفرقة خطـة الاختبـار والموضوعات التى يشـملها

الاختبـار، بل حددت للضباط القائمـين بإتمام الاختبارات والنقـاط التى يجب التركيز عليهـا والتأكيد من تمام الإلمام بها ولو اسـتدعى ذلك إعـادة شرحها العديد من المرات، وخاصة موضوعات القتال تحت ظروف الإعاقة الإلكترونية أو تحت ظروف استخدام العدو لأسـلحة الخمـد المختلفـة أو القتال ضد الأهـداف المناورة، وطلبـت من رئيس الصواريـخ والمدفعيـة بالفرقة أن يكون واقعيًا ودقيقًا حتى تكـون النتائج التى تتحصل عليهـا الوحـدات حقيقية ومن ثـم يمكن معرفة مدى صلابـة الأرض التى نقف عليها قبل بدء المعركة.

وفى ضوء هذا أمكن الاطمئنان إلى مستوى الكفاءة القتالية للوحدات، بل ومستوى التخصصـات المهمة تلك التخصصات التى تكون عصب كتيبة الصواريخ وهم ضباط التوجيـه وأفـراد التتبـع الإلكترونى والتتبـع التليفزيونـى والبصرى، ونظـرًا للإرهاق البـصرى الـذى يصيب عـمال التتبع من جـراء عملهم سـاعات طويلة أمام الشاشـات الإلكترونيـة التـى تسـتخدم لتحديد مـكان الطائرة والصـاروخ فى الجـو احتفظنا بعدد (وفـير منهـم فى كل كتيبة صواريخ، مما وفر لنا أفرادًا على مسـتوى ممتاز أثناء القتال كان لهـم أكـبر الفضل فى تدمير هـذا العدد الكبير مـن الطائرات الإسرائيلية الذى شـاهدته منطقة القناة وأرض سيناء.

قام الرؤساء فى الفرقة بإنجاز العديد من الموضوعات وحل كثير من المشكلات على الأرض خلال مرورهم اليومى، وكم كنت سـعيدًا عند مرورى على الوحدات أن أرى المجهـود يتعاظـم يومًا بعـد الآخر، وإن كنت فى لقـاءاتى معهم أطلـب المزيد من الجهد والدقـة فى تنفيـذ باقـى الأعمال القائمـين بها، واعتبـارًا من يوم ٢٦ سـبتمبر ١٩٧٣ بدأ استكمال حملة القتال وفقًا للتخطيط المعمول به.

وعمومًا كان كل شـىء يسـير على ما يرام تمامًا، الكل يعمل فى صمت مطبق وشوق منقطـع النظـير لدفـع عجلة العمـل للأمام بالأسـلوب الذى يحقـق التـوازن المطلوب للتشكيل.

الفصل الثالث عشر

«إصدارات تعليمات القتال»

العجلة تدور

بعد منتصف شهر سبتمبر بقليل وضح أن هناك شيئًا ما وشيك الوقوع، ففي يوم ١٩ سبتمبر ١٩٧٣ عقد مؤتمر بقيادة الدفاع الجوي لقادة الفرق، وفي هذا المؤتمر طلب قائد الدفاع الجوي من قادة الفرق الآتية :

أ- العمل بعجلة متزايدة لإنهاء الأعمال المطلوبة في التشكيلات •

ب- تحديد احتمالات العدو في حالة قيامه باختراق جوي أو ضربة إحباط، وقد يتم ذلك ليلا أو نهارًا، وعلى كل تشكيل دراسة هذه الاحتمالات في قطاع مسئوليته

ج- التركيز على تدريب الوحدات •

د- اتخاذ الاحتياطات اللازمة ضدد عناصر التخريب التى يعدها العدو وللعمل ضد كتائب الصواريخ او مواقع الرادار، وهذه العناصر في ماتسمي «بالمتاكان»

ه- حل جميع المشكلات داخل فرق الدفاع الجوي بواسطة قادة الفرقة •

إلى غير ذلك من التعليمات التي شملت الكثير من التفاصيل، ولكنه لم يشر صراحة إلى قرب بدء المعركة إلا أن ماجاء بتعليماته يوحي بأن هناك شيئًا ما سيحدث، ومن هنا أصبح الموقف يتجه نحو الغموض ولكن لم يستمر ذلك الغموض طويلا •

لقد كان هناك بعض وحدات الدعم اللازمة للفرقة الثامنة (دفاع جوي) أهمها لواء المهندسين العسكريين الذي سيعمل مع الفرقة أثناء العملية الهجومية، وإزاء احتياجي

لإتمـام بعـض عمليات التجهيز الهنـدسي للمعركة طلبت سرعة تحـرك وحدات اللواء، وإمعانًـا في إخفاء تحرك وحدات اللواء الفرعية طلبـت تحرك وحدات اللواء إلى مناطق تجمـع معينة حسـب الخطة الموضوعة لاسـتخدام اللواء، وقررت في ذلـك الصدر إتمام جميـع التحركات ليـلا، وكان تقديري أن دخول وحدات اللواء في ضوء المدة الباقية من شهر سبتمبر يعتبر كافيًا لإتمام الأعمال المطلوبة بالإضافة إلى إتمام التزاوج الذي يجب أن يتم قبل العملية ضمانًا لنجاح المعركة •

وفي ٢٢ سـبتمبر ١٩٧٣ وخـلال مؤتمر موسـع للقـادة أعطى وزير الحربيـة توجيهًا يفيد بقرب وقوع الحرب فبعد شرح للموقف من أبعاده المختلفة السياسية والاقتصادية والعسكرية أوضح أن المعركة الجوية على سوريا كانت معبدة للطيران الإسرائيلي، إذ تم فيهـا تدمير ١٢ طائرة سـورية مقابل ٥ طائرات إسرائيليـة، وطلب منا تجهيز الوحدات للقتـال فى ضربـة، وضمانًـا للسرية أوضح أنة سـيتم إجراء مشروع إسـتراتيجي تعبوي للقوات المسـلحة ضمانًا لإخفاء ما يتم من أعمال، وختم تعليماته بأن الوقت المحدد لبدء الحرب قريب ولن يحدده، ولكن يمكن القول إن المعركة أصبحت قاب قوسين أو أدنى •

وتبعًا لذلك التوجيه كان تقديري الخاص للمعركة أحد احتمالين، إما أن تتم قبل شهر رمضان مباشرة أو خلاله على ألا تتعدى شهر أكتوبر بأى حال من الأحوال لاعتبارات عديدة أهمها حالة الجو، وعدد ساعات الليل والنهار وفي هذه التوجيهات أصبح توقيع المعركـة منتظـرًا واحتـمال صـدور الأوامر في أى يـوم قائم من ذلك الوقـت، وفي ضوء مراجعتي السـابقة لخطة الدفـاع الجوي لحائط الصواريخ وتعديلها في ضوء ما اسـتجد من ظروف سـواء بالنسـبة لقواتنا وأوضاعها ومهامها أو العدو وقوتة وأساليبه المنتظرة رأيت من الضروري أن أضع الرؤسـاء الأساسـيين في التشـكيل في الصـورة مما يجري، حقيقـة لقد كانوا جميعًا على علم بالخطة الهجومية منذ تم وضعها في أول إطار سـليم لها في ينايـر ١٩٧٣، إلا أنه كان من الضروري توضيـح ما أدخل عليها من تعديلات حتى يكون الجميع على بينة مما تم ويتخذ من جانبه مايلزم.

المشكلات تجد طريقها للحل

كان تقديـري لأعـمال العـدو وهو يعتنـق في كل عملياته مبدأ الاقـتراب غير المباشر Indinect approach أن العدو كي ينال من الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بسرعة فأمامه بجوار عملياته المباشرة ضد كتائب الصواريخ الاحتمالات الآتية :

أ- مهاجمـة الكتائب الفنية وهـى عنصر تجهيز الصواريخ والإمـداد بها، وذلك لإيقاف إمداد الكتائب بالصواريخ، فتصبح لقمة سائغة فى يد العدو، ولم يكن أمام العدو من أسلوب لذلك سوى قصفها جوًا أو مهاجمتها بقوات الإبرار الجوى.

ب- أو مهاجمـة مخـازن قطع الغيـار، تلك المخازن التى تحتوى على قطـع الغيار اللازمة لإمـداد الوحدات بها - وكان سـبيله فى ذلك هو مهاجمتهـا بقوات الإبرار الجوى أو مهاجمتهـا جوًا بالطائـرات كما حدث من قبل لتدميرهـا، وكان الاحتمال الثانى أكثرهـا توقعًـا، نظرا لوجودها فى مكان واحد فوق سـطح الأرض لا يوفر لها أى وقاية. أما عن المشـكلة الأولى فقد سـبق أن ذكرت أننى حددت أسـلوبًا فريدًا فى نوعـه لم يخطـر على أى فكر عسـكرى من قبل، وتـم تدريب الوحـدات عليه ليلا ونهـارًا، وكان تنفيذه مرجأ إلى أن تحين سـاعة الجد، وعلى ذلـك أصدرت أمرًا إلى قادة اللواء باتخاذ ما يلزم من التجهيز الهندسـى لتنفيذ هذا الأسـلوب، وأمرًا آخر إلى كبـير مهندسـى الفرقة باتخاذ ما يلزم لتنفيذه مـن النواحى الفنية، على أن يكون هذا الأسلوب جاهزًا قبل يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣.

أمـا عن المشـكلة الثانية فقد كانت إحدى المشـكلات التـى اعترضتنى خلال إعداد حائط الصواريخ للمعركة، وكنت قد أعددت لها عدتها تمامًا إلا أن الموقف لم ييسر إتمام كل نواحـي الإعداد المطلوبة، ونظرًا لضيق الوقت أصدرت الأوامر للمسـئولين بالبدء فورًا في التنفيذ، وكانت الخطة تتضمن ما يلى :

أ- انتشـار قطع الغيار فى مخازن مجهزة أقيمت تحت الأرض منتشرة على مسـاحة كبيرة من الأرض.

ب- نظرًا لتبقى كمية كبيرة فوق سطح الأرض مع طول المسافة بين المخازن ولواءات الفرقة واحتمالات المعركة المنتظرة رأيت تكوين احتياطى كبير منها على عجل، خاصة الأصناف التى تحتاج إليها الوحدات، وذلك من واقع الدراسة العلمية التى أجريت على أن يدفع هذا الاحتياط مع غيره من الاحتياطيات مثل: احتياطى الوقود، الذخيرة - المياه التعينات، قطع غيار إصلاح المركبات وجرارات الجتزير - ذلك الاحتياطى الذى بلغ إجمالى وزنه ٤٥٠ طنًا يوضع خلف القطاعات المختلفة للفرقة ليكون بمثابته نقط إمداد ومعاونة إدارية وقتية لمجابهة المواقف الطارئة أثناء المعركة.

ولقد كان بعد النظر فى اتخاذ هذا الأسلوب مصدر نجاح للوحدات فى معركتها ضد العدو الجوى، فلم يكن يزيد زمن استعواضها لقطع الغيار من هذا الاحتياط عن نصف ساعة لأى مجموعة قطع غيار، مما مكن إتمام الإصلاح ومقابلة العدو بسرعة لم يكن يتوقعها العدو. كما أن الإمداد بالصواريخ لم يزد زمنه على ربع ساعة فى المتوسط.

رفع حالة الاستعداد

فى يوم ٢٦ سبتمبر ٧٣ صدرت الأوامر من قيادة قوات الدفاع الجوى برفع حالة الاستعداد لجميع قوات وعناصر الدفاع الجوى، وفعلا تم رفع درجة الاستعداد للفرقة الثامنة من (سعت ٨٠٠) يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣، ورأيت عدم تنفيذها وفقًا للتعليمات الصادرة بها حفاظا على المعدات، على أن يتم رفع الأوضاع فعلا بمعرفة القادة ومراكز القيادة على جميع المستويات إذا استدعى الموقف ذلك.

وعند اتخاذى هذا القرار كنت أكثر من متردد، فلقد تم حشد جميع القوات البرية المخصصة للعلمية الهجومية والقوات أصبحت على وشك أن تبدأ مرحلة إعادة تجميعها

واتخاذ الأوضاع الابتدائية للعلمية الهجومية، ووحدات الكبارى على وشك أن يتم تحريكها إلى أماكنها المحددة لها فى جبهة القتال، ولكن فضلت ذلك حتى لا يتيسر للعدو معرفة أننا قمنا برفع أوضاع الاستعداد للفرقة مما يشد انتباه العدو ويجعلة ينشط ويبدأ فى البحث عن أسباب ذلك، فلقد كان هذا أسلوبه معنا دائمًا، وقد يقوده بحثه المبكر قبل بدء الهجوم إلى الوصول على حقيقة ما يجرى من إعداد فعلى للهجوم، وهنا يقوم بضربة الإحباط التى كان جاهزًا لها، وكان على وقد اتخذت هذا القرار أن أحث عناصر المراقبة

بالنظر على مداومة اليقظة الزائدة، وفى (سعت ١٣٠٠) فى نفس اليوم تم عقد مؤتمر بقيادة قوات الدفاع الجوى، صدرت فيه من التعليمات ما يفيد بالآتى:

أ- تقرر القيام بعملية هجومية ويسمح بتلقين القادة على أن ينتهى التخطيط اللازم للعملية بمعرفتهم يوم ٣٠/ ٩ .

ب- من المحتمل قيام العدو بهجمة جوية من الآن، وعلى الفرق اتخاذ ما يلزم لصد هذا الهجوم.

ج- تقوم الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بإتمام أى مناورة تراها لتأمين صد الهجمة الجوية مع عدم التأثير على خطة العملية الهجومية.

د- اتخاذ ما يلزم من إجراءات لتنظيم التعاون بين الفرقة الثامنة (دفاع جوى) وبين كل من الجيشين الميدانيين فى جميع الموضوعات التى تهم العمليات الهجومية.

ز-استمرار أوضاع وحدات الفرقة الثامنة (دفاع جوى) فيما يختص باحتلالها للمواقع الموجودة على مسافة ٦-٨ كم (والمحتلة من يوليو ١٩٧٣).

صدور التعليمات الهجومية

رغم أن للعملية الهجومية ووثائقها وتعليماتها كانت جاهزة فإنه لم يتم إصدارها لوحدات الفرقة حتى يوم ٢٦ سبتمبر ٧٣ حفاظًا على السرية، فحتى ذلك الوقت كانت الأعمال والتحضيرات تتم بأوامر مباشرة من قيادة الفرقة على أساس أنها أعمال مطلوب إنهاؤها لأغراض المشروع الاستراتيجى الذى كان قد أعلن عنه فى ذلك الوقت، وفى هذا اليوم صدرت للفرقة تعليمات ببدء تنفيذ عملية إعادة التجميع لأغراض العملية الهجومية اعتبارًا من ليلة ٢/ ٣ أكتوبر ٧٣، وفى ضوء تلك التعليمات.

ووفقًا للخطة الموضوعة أصبح يوم الهجوم هو يوم ٦ أكتوبر ٧٣، أما توقيت بدء العملية فكان سرًا غير معروف حتى الآن، ونظرًا لحلول شهر رمضان المبارك وإمعانًا فى الخداع حددت توقيتات للعمل بمناسبة شهر رمضان، من ضمن هذه التوقيتات توقيتات للراحة حددتها ما بين (سعت ١٦٠٠ إلى سعت ١٨٠٠). وكان تقديرى لذلك مبنيًا على أننا إذا بدأنا العملية الهجومية وتوفرت لدينا المفاجأة فلا بد أن تبدأ العملية

قبل (سعت ١٦٠٠) حتى يمكن الاستفادة من قتال بضع ساعات فى النهار حتى يمكن القوات تثبيت أقدامها فى الشرق، والقيام بقتال ليلى ناجح ضد احتياطيات العدو، وكما أن العدو لو تمكن من معرفة نوايانا، وقرر القيام بضربة الإحباط فلا شك أنه سيقوم بها قبل (سعت ١٦٠٠) أيضًا حيث إنها تحتاج إلى نحو ساعة ونصف لتنفيذها على الأقل ويجب أن ينتهى منها قبل غروب الشمس.

بعد صدور التعليمات للفرقة كان من الضرورى، إصدارها إلى مستوى اللواءات والأفواج، وعلى ذلك تم عقد مؤتمر (سعت ٢٢٠٠) يوم ٢٧ سبتمبر ٧٣ وفيه تم تلقين جميع القادة وأعطيت الأوامر اللازمة للوحدات، فبعد شرح موجز للموقف السياسى والعسكرى، قمت بتحليل العدو الجوى واحتمالاته، ومن ثم أعطيت كل قائد مهمته وحددت له أسلوب التنفيذ فى مراحل المعركة المختلفة إلى آخر ذلك من التعليمات، كما أوضحت لهم أن تشكيل القتال للواءات لا يناسب أوضاع الخطة ٢٠٠ التى كان يجب أن تكون عليها تلك الخطة الموضوعة لمقابلة أى ضربة جوية يقوم بها العدو عندما تتضح له نوايانا ونفقد المفاجأة التى اتخذنا لها كل سبيل ووسيلة، وأخطرتهم أن هناك خطة معدة غير الخطة ٢٠٠ سيتم تنفيذها لو اتضح أن العدو يعد العدة لضربة جوية شاملة، وكانت الخطة تشمل عدة انتقالات لعدة كتائب صواريخ للوصول إلى تشكيل جديد، وكان هذا أول إخطار لهم بذلك.

كان من واجبى بعد إتمام التلقين أن أوضح بعض الموضوعات ذات الأهمية، وخاصة أن عددًا من القادة لم يمارس القتال الفعلى من قبل مع العدو، والرؤية الواضحة تولد الثقة، والثقة تولد النجاح، وكان فيما أوضحت من موضوعات أسلوب العمل ضد التداخل الكثيف و أسلوب العمل ضد الطائرات الحاملة للشرايك أو القنبلة التلفزيونية، أسلوب المعاونة المتبادلة بين اللواءات في صد هجمات العدو الكثيفة من أي اتجاه وعلى أي قطاع، أسلوب العمل ضد قنابل الليزر، أسلوب العمل مع الأهداف المناورة، أسلوب اصطياد العدو عند التعامل معه وطلبت في نهاية ذلك الاحتفاظ بسرية المعلومات وحددت المرءوسين الذين يجب أن يلموا بهذه التعليمات، وحددت لهم يوم ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ لعرض قراراتهم للتصديق عليها .

حضر قـادة مجموعات عمليات الجيوش الميدانية التلقين الذي أعطيتة قادة اللواءات والأفـواج وبعـد انتهاء التلقين حددت لهم الوقت الذي تفتـح فيه مجموعات العمليات في مراكز قيادة الجيوش الميدانية، وفي يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ قمت بإتمام تنظيم التعاون مع قيادة الجيش الثانى، ويوم ٢٩ قمت بتنظيم التعاون مع قيادة الجيش الثالث الميداني، وبعـد التصديق على قرارات قادة اللواءات والأفـواج طلبت منهم إصدار أوامر القتال القادة الكتائب حتى يمكنهم البدء في تجهيز وحداتهم والقيام باستطلاع تفصيلي لمواقعهم المحددة لهم في الخطة والتأكد من سـلامة تجهيزها الهندسي ومواصلاتها وطرقها إلى غير ذلك من النقاط التي يجب التأكد منها قبل الاحتلال حتى لاتكون هناك أي مشـكلات عند الاحتلال لقد كنت مطمئنًا إلى أن الاحتلال للمواقع سـيتم بسرعة ويسر تام، فلقد سبق التدريب عليها العديد من المرات ليلا ونهارًا ووصلت الوحدات إلى درجة الإجادة في ذلك، وفي يوم ٣٠ سـبتمبر ١٩٧٣ تم تلقين قائد لواء المهندسـين العسـكريين بمهام اللواء وكذا مجموعة عمليات الفرقة التي تعمل مع مجموعة عمليات القوات الجوية من مركـز القيادة المشـترك في أبى صير تلـك المجموعة التي تعتبر حلقـة الاتصال بين قيادة الفرقـة وبين القوات الجوية سـواء مراكـز قياداتها المتعددة أو مطاراتهـا المختلفة، ونظرًا لقـرب بـدء مرحلة التجميـع للفرقة رأيت أن أصـدر توجيهًا إلى الضبـاط والجنود يقرأ عليهم كأمر يومي بغرض تذكيرهم بما هو مطلوب منهم من ناحية وإذكاءً لمعنوياتهم من ناحية أخرى، وأخيرًا لأشعرهـم بأنني معهم كما كنت معهم دائما خلال السنين السابقة، وقد كان لي في كتاب الله معين لا ينضب من الآيات التي توضح أسـلوب قتال عدوهم وجيشـه، كـما كان لي في تاريخ مـصر القديم والحديث صورًا مشرقـة وانتصارات باهرة وأمجاد قديمة وحديثة لابد من التذكير بها • وختمت هذا التوجية بكلمة من القادة على جميع المسـتويات ليضعوها نصب أعينهم فى أثناء القتـال قلت لهم فيها. «أنتم أيها القادة على كافة المسـتويات قـدروا الموقف بترو واتخـذوا قرارًا سريعًا وحاسـمًا لقتل عدوكم، تعاونـوا في حمايـة بعضكـم، ولاتتوانوا عـن تقديم الحمايـة والمعاونة لوقايـة وحداتكم، تذكـروا أن العـدو سيسـتخدم أنماطًـا كاذبة في هجومـه الجوي لخداعكـم فلا تخدعكم أعمالـه• تذكـروا أنكم في نظره قوة كبـيرة ورهيبة بما معكم من معـدات وما لديكم من خبرة ومستوي قتالى فأرهبوه ودمروه بحسن الاشتباك به، وطاردوه فى كل اتجاه تعثرون

عليه فيه حتى يسلم الزمام لكم وتحققوا النصر لله وهدانا إلى الطريق المستقيم طريق النصر والله الموفق وبه نستعين».

المرحلة النهائية للاستعدادات للقتال

حائط الصواريخ يخدع العدو

كان احتلالنا للمواقع الأمامية ـ يقصد منع العدو من الاختراق والاقتراب من القناة في حدود ١٠ كم شرقًا كما أشرت إليه ـ سببًا في وجود عدة كتائب صواريخ محتلة لمواقع المعركة على مسافة تتراوح بين ٦-٨ كم غرب القناة، وكان إجراء الغيار بينها وبين غيرها من الكتائب أمرًا ضروريًا حتى تعود الكتائب الأمامية للخلف لتوفر لها قسطًا من الوقت للتدريب، كما كان عدم احتلالها لمواقع ثابتة أمرًا مقصودًا، وذلك بتعويد العدو على أشكال مختلفة للاحتلال. وذلك بغرض إخفاء نوايانا للهجوم عندما يحين الوقت للمعركة • ووفقًا لهذا الأسلوب كان هناك عدد من كتائب الصواريخ في الأمام وتحتل بعض مواقع المعركة في حين أن أوضاعها في الخلف، وتوجد بعض مواقع المعركة في الأمام وغير محتلة ولم يسبق احتلالها من قبل.

في ضوء ذلك تم إعادة التجميع للفرقة الثامنة د/ جو اعتبارًا من ليلة ٢/ ٣ أكتوبر ١٩٧٣، وبدأنا أولا باحتلال عدد محدود جدًا من المواقع التي لا تلفت النظر للعدو، واضعين في تخطيطنا بعض الاعتبارات التكتكية التي تقود العدو إلى تقدير خاطئ أتعب ذلك غيار الوحدات الأمامية ببعض الوحدات المحددة في الخطة، ولكنها احتلت مواقعها الجديدة وفقًا للخطة وفي اتجاه آخر، مما يجعل العدو لا يشك فى شيء، فلقد سبق له التعود على نفس هذا الأسلوب من قبل، وفي المرحلة الأخيرة احتلت باقي كتائب الصواريخ مواقعها، واتخذت الفرق الثامنة (دفاع جوي) أوضاعها كاملة للقتال اعتبارًا من أول ضوء يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ •

لكن كيف كان هذا الأسلوب في إعادة التجميع خدعة للعدو • الواقع أن نشاط العدو لم يتغير فلقد وصل يوم أول أكتوبر ١٩٧٣ • على سبيل المثال إلى ٢٥٢/ طلعة طائرة ولقد خلا نشاطه في هذا اليوم من أي نشاط استطلاعي إلا أنه في يوم ٢ أكتوبر ١٩٧٣ قام العدو بطلعتي استطلاع الكتروني لمعرفة أي تغيير في أوضاع القوات، وخاصة وحدات الصواريخ م/ ط، واستمرت الطلعة الأخيرة حتى (سعت ١٧٠٠) من مساء هذا اليوم • وركز فيها العدو على المنطقة من شمال القنطرة حتى جنوب

البحيرات، ولو أن الجيوش الميدانية كانت قد بدأت مرحلة إعادة تجميع القوات و إتمام عمليات الغيار المطلوبة للقوات، غير أن استخدام الاستطلاع الإلكترونى لا يفيد إلا فى التقاط الموجات الكهرومغناطيسية سواء للأجهزة اللاسلكية أو الأجهزة الرادارية المختلفة، و حتى وقت بدئه لم تكن وحدات الفرقة الثامنة (دفاع جوى) قد بدأت فى إجراء تحركاتها لبدء عملية إعادة التجميع التى أشرت إليها، و على ذلك لا يوضح استطلاع العدو أى جديد وبانتهاء طلعة الاستطلاع الإلكترونى للعدو بدأت الفرقة الثامنة (دفاع جوى) مرحلة إعادة التجميع لحرب أكتوبر المجيد.

لقد كان من الضرورى علينا أن نحلل أعمال العدو و غرضه من الاستطلاع الإلكترونى المكثف الذى استمر زهاء ٤ ساعات فى هذا اليوم لتصل إلى نوايا العدو المنتظرة، حقيقة لم يكتشف العدو شيئًا؛ حيث إن أوضاعنا لا تغيير فيها، غير أن الحذر فى الحرب أمر ضرورى منعًا للمفاجأة، و فعلًا انتهت إلى أن العدو لابد أن يقوم بأحد الاحتمالات الآتية أو بها مجتمعة :

أ- الاستطلاع الجوى للحصول على صورة جوية حديثة لمقارنة معلوماتها بما لديه من قبل، وخاصة أوضاع وحدات الصواريخ الموجهة م / ط.

ب- القيام باستطلاع بقوة، و ذلك بالقيام باختراق محدود على ارتفاعات منخفضة فى منطقة البحيرات، و فعلًا اتخذت من الإجراءات ما يفوت على العدو غرضه، فقد تم قفل الأودية المتعددة بمنطقة البحيرات بفصائل الصواريخ الفردية سام ٧، وصدرت الأوامر لمراكز القيادة المختلفة باليقظة و الاستعداد للتعامل مع العدو فور قيامه بأى عمل.

ج- القيام بهجوم جوى محدود لإجبار الوحدات على الفتح عليه مما يؤدى إلى كشف مواقعها.

أما كتائب الصواريخ التى اتخذت أوضاعها فى الأمام أو تلك التى عادت للخلف فقد صار تقييد إشعاع محطات الصواريخ فيها كلها، و منع عنها القيام بأى إشعاع كهرومغناطيسى إلا للاشتباك الفعلى مع العدو.

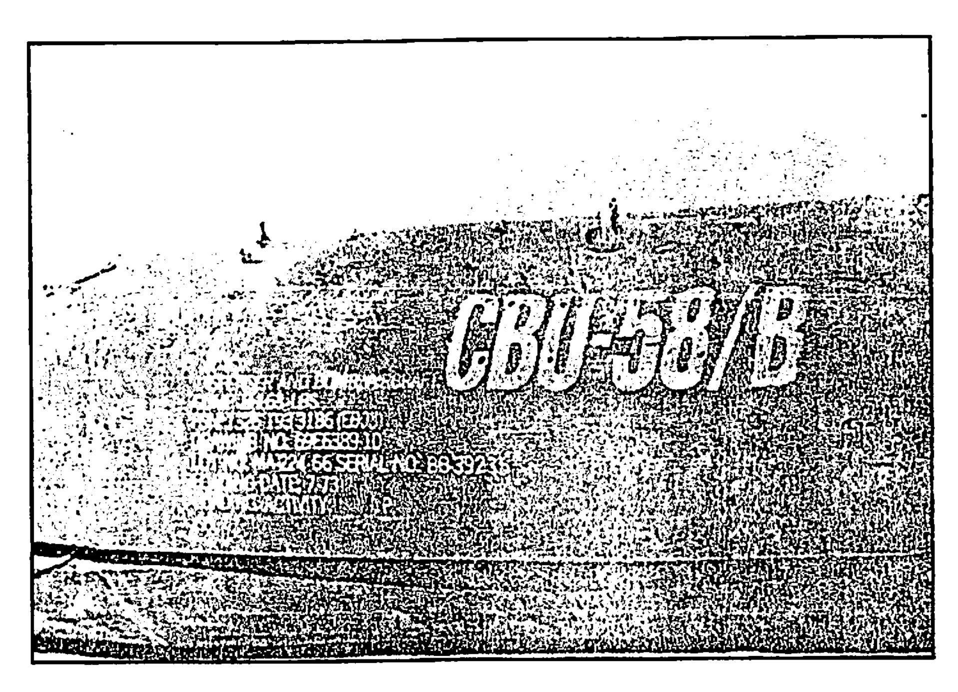
وفى يوم ٣ أكتوبر تأكد لى استنتاجى الذى حددته أمس، فلقد قام العدو بنشاط تدريبى أكبر، لقد قام العدو بنشاط بلغ ٣٧٥ طلعة طائرة، و قد تخلل هذا النشاط طلعة

استطلاع الإلكترونى بدأت فى الساعة ١١٢٥، وانتهت فى الساعة ١٣٤٩؛ أى لمدة ٢٤ ق ٢س، و ذلك من مصفق إلى أبى رديس على بعد يتراوح بين ٥٥-٨٠ كم من القناة بالإضافة إلى طلعة استطلاع بالتصوير بطائرتى استطلاع فانتوم على ارتفاع يتراوح بين ١٤-٢٠ كم، و على عمق ٣٠-٤٠ كم مع التركيز على منطقة البحيرات، ولم يزعجنا هذا الاستطلاع أبدًا، فمن ناحية الاستطلاع الإلكترونى هناك عدم إشعاع، ومن ناحية الاستطلاع بالتصوير كان لنا بعض الوحدات المحدودة، ولكننا وضعناها فى اتجاهات تكتيكية ثانوية مع الاستمرار فى اتباع أساليب الصمت الرادارى.

وفى يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣، زاد نشاط العدو إلى حد كبير جدًا، فبلغ نشاطه ٣٩٢ طلعة طائرة، و قد تخلل هذا النشاط قيام العدو بطلعتى استطلاع بالتصوير تمت كل منها بطائرتى فانتوم مع اقتراب العدو حتى مسافة ٢٠كم من القناة. كما رصد بالليل حركة طائرات هليوكبتر من داخل إسرائيل إلى مطار العريش، و كان استنتاجنا لنشاط العدو هو أن العدو باقترابه إلى هذه المسافة وقيامة بطلعتين اثنتين سيتمكن من معرفة ما يجرى فعلًا فى الجبهة المصرية، فنصف كتائب الصواريخ قد اتخذت أوضاعها، و النصف الآخر سيتخذ أوضاعه خلال ليلة ٤/ ٥ أكتوبر ١٩٧٣. كما أن الجيوش الميدانية فى ضوء الوقت الباقى على بدء العملية الهجومية قد أوشكت هى الأخرى على الانتهاء من عملية إعادة التجميع. ورغم ذلك قررت الصمت الرادارى التام، وحددت عددًا معينًا من الكتائب للتعامل مع العدو بالأساليب المختلفة التى سبق أن تعاملنا معه بها بنجاح.

كان مساء ٤ أكتوبر حافلًا بالأعمال، وحافلًا بالتقديرات، ففى ذلك المساء وصلت معلومات الضربة الجوية المركزة، و كان من الضرورى دراستها تمامًا للتعرف على حجمها وخطوط سيرها وارتفاعاتها، كما وصلت معلومات الإبرار الجوى بالطائرات الهليوكبتر و كان من اللازم عمل مستخرجات هذا المجهود الجوى و إرساله للوحدات فى مظروف مغلق على ألا تفتح إلا وفقًا للتعليمات الصادرة حفاظًا على السرية.

فى الوقت نفسه قامت باقى كتائب الصواريخ بالانتقال لمواقعها الأمامية حسب الخطة الموضوعة ولم يأت أول ضوء يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ حتى كانت الفرقة كلها فى مواقعها وجاهزة للقتال تمامًا، وأصبحنا متوقعين منذ تلك اللحظة أى ضربة وقائية يقوم بها العدو.

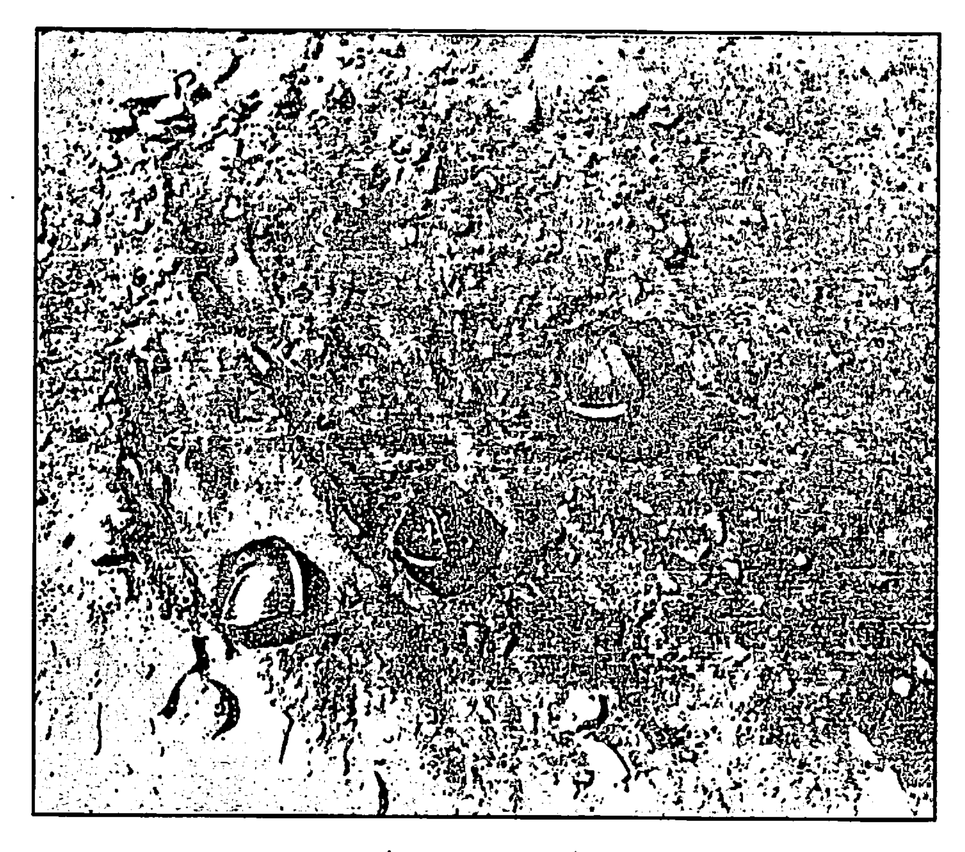


مستودع قنابل البلي

لقد كان يوم الجمعة يحظى من جانب العدو بأسلوب خاص تعودنا عليه، فغالبًا ما يقل نشاطه الجوى خلال هذا اليوم و يقتصر نشاطه على بعض طلعات محدودة للطائرات البطيئة وطائرات الهلكوكبتر و غالبًا حوالى الظهر ينتهى نشاطه نهائيًا، حيث تبدأ الراحة استعدادًا ليوم السبت، و كان تفكيرنا هل سيتم هذا الأسلوب النمطي أو تبدأ الإجازات مبكرًا بمناسبة يوم عيد الغفران ؟ الواقع أن العدو كان له نشاط جوى يعتبر قياسًا إلى أى يوم جمعة سابق أكثر من المعدل، فقد بلغ نشاطه حتى ظهر ذلك اليوم ١٤٦ طلعة طائرة، و رغم المعلومات المتوفرة لديه من استطلاع يوم الخميس، لذا كان من المنتظر إما أن يؤكده فى حالة عدم تثبته أو تحققه مما يجرى أو يقوم بضربته الجوية لإحباط العملية الهجومية، و قد كان الاحتمال الأخير هو الأكثر توقعًا بناء على تحليل طلعة استطلاع يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣، و الاستنتاجات الممكن أن يتوصل إليها. لقد تأكد لنا أن القوات الجوية الإسرائيلية - اعتبارًا من صباح هذا اليوم - أصبحت على أهبة الاستعداد للقتال، و أنه قد تم استدعاء جميع طياريها الاحتياط، ولقد زادت هذه المعلومات من

توقع الضربة الجوية الوقائية بين وقت وآخر، وخصوصًا بعد وصول معلومات تفيد بإيقاف الطيران المدنى فى إسرائيل، وأصبح لزامًا علينا الحذر و اليقظة، فعلى الساعات القليلة الباقية على بدء العمليات يتوقف مصير البلاد لأجيال مقبلة.

لقد خدع حائط الصواريخ العدو تمامًا، فحتى آخر استطلاع له يوم الأربعاء ٣ أكتوبر ١٩٧٣، لم يكن تحرك من الوحدات المقرر تحركها للأمام إلا أقل من نصف عدد الكتائب، فعدد الكتائب التى تحركت خمس كتائب و بعضها فى اتجاهات ثانوية والبعض الآخر فى مواقع سبق احتلالها من قبل،، بل قد عاد بدلًا منها كتائب أخرى من اتجاهات أخرى، فمن ناحية أوضاع الصواريخ على الأرض لا يعنى الاستطلاع الذى تم أى تغيير عن النمط الذى عودنا العدو عليه.



كرات البلي بعد تناثرها من المستودع

منذ مدة و السؤال الذى يقفز إلى الذهن هنا، ماذا تعنى استعداد وحدات الصواريخ أرض - جو واتخاذها الأوضاع التى تعاون منها العملية الهجومية للقوات المسلحة ؟ الواقع أن استعداد وحدات الصواريخ أرض - جو والقوات الجوية يعتبر النذير الأخير بقرب المعركة، أما من ناحية الجيوش الميدانية فقد كانت القوات على وشك الانتهاء من مرحلة إعادة تجميعها، وبدأت القوات المهاجمة فى دخول منطقة الهجوم، و بدأ كثير من المعدات كالدبابات ومدفعية الميدان تتخذ أوضاعها للمعركة الهجومية، بل إن وحدات الكباري و- ما أكثرها - تواجدت فى مناطق تشوينها، وكان بكل منطقة عدد هائل جدًا من العربات، و رغم الاختفاء المتبع فإن الأساليب الحديثة للتصوير مثل التصوير بالأشعة دون الحمراء تمكن من معرفة ما تحت التراب وليس ما تحت الشباك فقط.

يستخلص من ذلك أن هناك الكثير من الشواهد و والمعلومات التى تدل على قرب قيام القوات المسلحة المصرية بالهجوم أمكن القيادة العسكرية الإسرائيلية الحصول عليها من الصور الجوية التى تحصل عليها العدو يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣، ولكن رغم ذلك لم يصل العدو إلى قرار سليم حول ما يجرى فى جبهة القتال، و هنا يكمن السر فى المفاجأة الاستراتيجية التى تمت عدو لديه معلومات كاملة و صور جوية واضحة عن الموقف يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣، ورغم ذلك تخرج تحليلات الموقف و الاستنتاجات المترتبة عليها خلاف ما هو جارٍ حقيقة لقد كانت المعلومات أمام محللى معلومات جهاز المخابرات الإسرائيلية و لكنهم تعاموا عنها أو تظاهروا بالتعامى عنها، لكن ما الأسباب التى قادت إلى ذلك؟ فى الواقع أن قرب بدء العمليات الهجومية لايدل عليه فى موقفنا هذا إلا استعداد وحدات الصواريخ الموجهة م/ ط بالجبهة، و قد كان للأسلوب الذى اتبعته وحدات الصواريخ الموجهة أرض- جو فى احتلال مواقع المعركة، والذى تمكن العدو من التعرف عليه خلال طلعة استطلاعه يوم٤ أكتوبر١٩٧٣، ما هو إلا عمل سبق أن قامت بمثله وحدات الصواريخ عدة مرات من قبل، و على ذلك فرغم الحشد الذى تقوم به القوات البرية ووجود وحدات الكباري فإن العدو لم يخرج باستنتاج يؤدى إلى توقع قرب الحرب، لأنه يعلم تمامًا أن وحدات الصواريخ الموجهة م/ ط هى التى سيتم تحت سترها أى عملية هجومية متوقعة. حقيقه لقد احتلت كتائب الصواريخ

الموجهة أرض -جو مواقع أماميه لها إلا أن هذا الاحتلال كان نمطيًا بالنسبه لها، قامت بـه و تقـوم به بين وقت وآخـر، فإذا أضفنا إلى ذلك عزة النفـس و الكبرياء التى ركبتهم مـن جـراء الغرور الذى انتابهـم على إثر انتصارهـم فى حرب يونيـو ١٩٦٧، وما تلاها بعـد ذلك من عمليات و حـوادث ـ وما أكثرها ـ من أعمال تدمير خلف الخطوط أو إلى أعـمال قتـل داخل البلاد العربيـة... إلخ لو صلنا فى النهاية إلى الاسـتنتاج الذى وصلت إليهـا المخابـرات الإسرائيليـة، و هو أنه لـو أن هناك حشـدًا فإنه أمر طبيعـى ولا ينتظر أن يكـون هناك هجـوم منتظر فى الوقت الحـالى، لقد كانت المخابـرات الإسرائيلية على ثقـه بأن جمهوريـة مصر العربية لن تقوم بـأى حرب إلا إذا توافر لها سـلاح جوى قوى مـزود بنوعيـات حديثة من القاذفـات المقاتلة قادرة على ضرب الأغـراض الموجودة فى عمق إسرائيل، لقد أكد تقرير لجنة أجرانات ذلك، بل أضاف بأن المخابرات الإسرائيلية كانـت لديهـا ثقة زائدة فى قدرتهـا على إنذار جيش الدفاع الإسرائيـلي قبل قيام المصريين بوقـت كافٍ ممـا ييسر إتمـام التعبئة العامـة للاحتياطى بجميـع طبقاته، لقـد ذكر تقرير اللجنـة أن الجنـرال «زعيرا» ومسـاعديه الثلاثة الكبار بعد أن توصلـوا فى النهاية إلى أن الحرب أكيدة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، أخطئوا فى موعد بدء القتال، و أعطوا تأكيدات بأن الحرب ستبدأ فى الساعه ١٨٠٠ مساء يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، فى حين تم الهجوم قبل ذلك الوقت بأربع سـاعات كاملة. وأيا كانت تحليلاتهم فلقد تحققت المفاجأة الإسـتراتيجية تمامًا، و شرب العدو لأول مرة من نفس الكأس التى ذقناها من قبل.

وصلـت وحـدات الحرب الإلكترونية يـوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣، تلـك الوحدات التى ستقوم بالإعاقة الإلكترونية على العدو، بالإضافه إلى قيامها بخداع العدو عن الأغراض التـى يريد مهاجمتها، وتم توزيعها على مواقعها ليلًا، وصدرت الأوامر لوحدات الفرقة التى سـتعمل هـذه الوحدات فى قطاعاتها بأسـلوب التعاون بينهـا للوصول إلى أفضل اسـتخدام لكليهـا فى المعركة، وكان ذلك هو آخر عمل أقوم بـه، وبالانتهاء منه انتهيت فـترة التحضيرات للمعركـة، وأصبح حائط الصواريخ جاهزًا مـن جميع الوجوه لمقابلة القوات الجوية الإسرائيلية.

وجاء يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . وجميع الفرقة فى حالة استعداد كاملة للقتال، وكل مقاتل يقف فى مكانه أو خلف معدته أو يراقب الجو، و الجميع فى انتظار ساعة بدء المعركة واللمسات الأخيرة لإتمام التحضير للمعركة، تجرى بهمة، والكل فى شوق زائد لمقابلة العدو، وذلك الشوق الذى انتظرناه طويلًا، رغم استعدادنا الذى قارب النهاية فإن بعض القادة كان حتى الساعات السابقة لبدء المعركة فى شك من حقيقة ما سيتم. لم يترك العدو يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ يمر دون استطلاع لجبهة القتال رغم أن هذا اليوم هو يوم عيد الغفران الذى تتوقف فيه الحياة تمامًا، ففى (سعت ٩٠٨) ظهرت استطلاع شرق القناة، وغطت باستطلاعها المنطقة من جنوب البحيرات جنوبًا حتى القنطرة شمالًا، و فى ضوء هذه الطلعة و فى ضوء المعلومات التى أمكن الحصول عليها من المصادر المختلفة عن تعبئة العدو لقواته الجوية واستدعاء احتياطيه منها اعتبارًا من يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣، واستعداد قواته الجويه لتنفيذ أى مهام توقعنا قيام العدو بضربته الجوية لإحباط الهجوم خلال ساعات قلائل من انتهاء طلعة الاستطلاع، و لكن لنفس الأسباب و للقصور فى عملية تحليل المعلومات و الحصول منها على استنتاجات منطقية لم تتم الضربة الجوية المتوقعة، بل على العكس، قام العدو بتعزيز المطارات الأمامية (المليز، تمادا، العريش) بتشكيلات جوية محدودة، طارت على ارتفاع منخفض جدًا من مطارات التمركز الأساسية داخل إسرائيل، و قد أمكن التعرف والاستدلال عليها بالاستطلاع الإلكترونى.

لقد حدث قبل قيام قواتنا الجوية بالضربة الجوية المركزة حدثًا مثيرًا كان كفيلًا إما بإرجاء العملية الهجومية كلية أو تأخير توقيت إلى توقيت لا حق، فقبل بدء ضربتنا الجوية بقليل التقطت وحدات الرادار و الإنذار هدفًا جويًا يطير بسرعة عالية متجهًا تجاه مطار فايد، مخترقًا المجال الجوى، ثم بدأ الهدف فى الانتشار إلى هدفين مع استخدام التداخل الكثيف، و لم أصدق ما يحدث أمامى، وهل الهدف حقيقة ؟ أو إنه هدف كاذب ؟ وطلبت من عدة كتائب صواريخ تحقيق صحة الهدف فأكدته راداريًا ولم تتمكن من تحقيقه بصريًا أو تلفزيونيًا، وإزاء ذلك بات الموقف أكثر تعقيدًا، و قفز إلى ذهنى عدة احتمالات، كان أولها وأكثرها خطورة ذلك الاحتمال الذى عودنا العدو عليه دائمًا من قيامه بالاستطلاع الجوى قبل قيامه بأى هجوم جوى لتأكيد أهداف الضربة

الجويـة، وهنا تذكـرت ـ على الفور ـ ما حدث فى الضربة الجوية الباكستانية التى قامت بهـا القـوات الجوية الباكسـتانية على الهند خـلال حرب ١٩٧٢، و التـى أدت إلى تدمير القـوات الجوية الباكسـتانية، حيث عادت من ضربتها و وجـدت جميع قواعدها الجوية ومطاراتهـا مدمـرة الممرات، فلم تجد مكانًـا للهبوط فيه، وأما ثانـى الاحتمالات، فكان إذا كان الهـدف صحيحًـا وقائمًا بالاسـتطلاع، فهل يتم فتح النيران عليـه لتدميره ومنعًا للعـدو من الحصول على أى معلومـات فى الدقائق الأخيرة لبدء العملية الهجومية، وقد يتـم تدميره وقـد لا يتم، و فى كلتا الحالتـين تهب القوات الجويـة الإسرائيلية من فورها كعادتها للتعرف على ما حدث، مما يؤدى إلى كشف كل ما يتم و يجرى إعداده منذ شهور فى سريـة تامة أو تتركه، وإزاء ذلك التضارب طلبت قياس سرعة الهدف فظهر أنها تبلغ ٥٥٠م/ ث تقريبًا، ولما كانت هذه السرعة لا تناسب أى استطلاع يرغب العدو فى إتمامه بدقـه ووضوح، فقد أمرت بإلقاء الهدف واسـتمرار الاسـتعداد لتأمـين ضربتنا الجوية، كـما أصدرت أمرًا لكتائب الصواريخ أرض- جو الأمامية ومحطات الرادار السـتمترية الأماميـه بإلقاء الإشـعاع تلافيًا لضربـة الشرايك المحتمل أن يقوم بهـا العدو فى ضربته الجوية الأولى، والتى يهدف من ورائها إلى تدمير كتائب الصواريخ وأجهزة الرادار.

فى السـاعة ١٣١٠ مـن ذلك اليوم صدرت تعليمات رمزيـة لتأمين طائرات القوات الجويـة عنـد قيامها بالضربة الجويـة المركزة، ومن هنـا أيقن الجميع بحقيقـة الموقف، و فى السـاعة ١٤٠٠ أبلغـت الوحدات عن عبـور القوات الجوية لتنفيـذ الضربة المركزة، وبـذا بدأت الجولـة الرابعة بين جمهورية مصر العربية و إسرائيل، تلك الجولة التى أثبت فيها المقاتل المصرى بشـكل عام ومقاتلو حائط الصواريخ بشـكل خاص خرافة جيش الدفـاع الإسرائيلى وقصر الـذراع الإسرائيلية، فأضاع الجميع الحلم الرائع الذى عاشـه الإسرائيليون طول سنوات ست، ليصبحوا على زلزال يزلزل كيانهم العسكرى، ويأتى عـلى مقومـات حياتهـم الاقتصاديـة و الاجتماعية و المعنويـة، بل على فكرة بنـاء الدولة الصهيونية كما تخيلها مؤسسو الدولة ابتداء من هرتزل إلى بن جوريون.

لقـد بـدأ قتال الفرقـة الثامنة (دفـاع جوى) مع السـلاح الجوى الإسرائيـلى اعتبارًا

مـن (سـعت ١٤٣٠) يـوم ٦ أكتوبـر ١٩٧٣، يـوم العبـور العظيـم، وتقـف تمامًـا يوم ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٣، ويمكن تقسـيم هذه الفترة إلى أربع مراحل قتال تتميز فيها كل فترة عن الأخرى فى الأهداف التى يرمى إليها كلا الطرفين المتحاربين، و شـكل و أسـلوب القتال الذى تم و النتائج التى تحصل عليها كل طرف.

الباب السادس
أعمال قتال حائط الصواريخ

الفصل الرابع عشر
المرحلة الأولى للقتال من٦ أكتوبر إلى ١١ أكتوبر ٧٣

بدأت المرحلة الأولى للقتال ببدء العملية الهجومية يوم ٦ أكتوبر ٧٣ وانتهت يوم ١١ أكتوبر ٧٣، واستمر فيها القتال سجالا بين الفرقة الثامنة (دفاع جوي) والذراع الطويلة لإسرائيل، وانتهت هذه المرحلة بهزيمة تامة للعدو وسيادة كاملة لحائط الصواريخ، وتكبد العدو خسائر جسيمة بل انتابه الهلع تماما، وقبل أن نستطرد في وضع الحقائق لابد من التعرف على خطط العمليات بشكل عام، حتى يعد المسرح تماما وتحدد أبعاده ليمكنّا متابعة الأحداث التي ستجري عليه.

خطط العمليات :

كانت الخطة المصرية للعملية الهجومية بالنسبة للقوات البرية في شكلها العام مبنية على أساس قيام فرق النسق الأول للجيشين الثالث والثاني الميدانيين باقتحام القناة بعد ضربة جوية مركزة لقوات العدو ومطاراته وأغراضه في سيناء وبعد تمهيد قوى بنيران المدفعية، وذلك بغرض الاستيلاء على رءوس كباري على الشاطئ الشرقي للقناة، بعدها تقوم القوات بمتابعة التقدم شرقا لتحقيق المهمة المحددة لها، وكانت هذه المهمة محددة بتوسيع رءوس الكباري وتعميقها وتكوين رءوس كباري جيوش بعمل ١٠-١٢ كم في كل قطاع، وبعد تحقيق هذه المهمة تتم وقفة تعبيرية بغرض تثبيت رءوس الكباري وتدعيمها كي تعمل كقاعدة وطيدة يتم من خلالها دفع الأنساق الثانية لتطوير الهجوم شرقا بالتعاون مع الأنساق الأولى لتحقيق المهمة النهائية من العملية الهجومية، وذلك بالاستيلاء على خط يمتد من خليج السويس جنوبا إلى البحر المتوسط شمالا يشمل منطقة المضايق ويؤمنها استعدادا للتقدم إلى الحدود الدولية لاستكمال تدمير العدو وتحرير سيناء.

تبعا لهذه الخطة وضعت خطة الفرقة الثامنة (دفاع جوي)، بحيث توفر الوقاية للقوات البرية في جميع مراحل قتالها، وكانت في شكلها العام تهدف إلى تواجد وحدات صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوي) على مقربة من القناة على مسافات تتراوح بين ٦-٨ كم، حتى يمكنها أن توفر الوقاية للقوات أثناء إجراء التحضيرات النهائية للهجوم، على أن تنتقل إلى مواقع جديدة غرب القناة على مسافات تتراوح من ١/٢ - ٣ كم، وذلك بعد استيلاء القوات على رءوس الكباري وتعميقها وذلك بغرض تعميق ومد وقايتها للقوات الموجودة في الشرق، وعند تطوير الهجوم شرقا لتحقيق المهمة النهائية للقوات المسلحة كان عليها أن تقوم بانتقالات يومية بعدة لواءات من الصواريخ، بأسلوب يمكنها من متابعة تقدم القوات وتوفير الوقاية لها، في حين تقوم بعض لواءات الصواريخ الأخرى ومعها بعض وحدات المدفعية المضادة للطائرات بتوفير الوقاية عن المعابر المقامة على القناة والمطارات الأمامية التي تعمل منها القوات الجوية، وهي: مطار القطامية - أبو حماد - الصالحية.

لم تكن وقاية القوات القائمة بالعملية الهجومية في مراحلها المختلفة مقصورة على وحدات الفرقة الثامنة (دفاع جوي)، وهي إحدى تشكيلات الدفاع الجوي عن الدولة والتي وضع على كاهلها مهمة وقاية القوات خلال العملية الهجومية. وإنما اشترك معها وحدات الدفاع الجوي عن الجيوش الميدانية، والتي تتكون من وحدات محدودة من صواريخ سام ٦ بالإضافة إلى ما يقرب من ٢٠٠٠ قطعة مدفعية ورشاش مضاد للطائرات من العيارات المختلفة، ابتداء من الرشاش ١٢,٧ مم إلى المدفع ١٠٠ مم، وقد شاركت كلها في توفير الوقاية للقوات وفقا لخصائصها وقدراتها الفنية والتكتيكية وإمكاناتها القتالية.

كانت الخطة الإسرائيلية استنادا إلى عقيدتهم العسكرية - تلك العقيدة المبنية على الطابع الهجومي - تتلخص في شكلها العام في القيام بضربة جوية شاملة أو وقائية بكل القوات الجوية الإسرائيلية أو بأكبر جزء منها، لإحباط العملية الهجومية وإنزال أكبر خسائر ممكنة بالقوات والمعدات، وتدمير القواعد الجوية والطائرات والأغراض العسكرية والمدنية المهمة، على أن يعقب هذه الضربة العبور غربا لقناة السويس بغرض

تدمير التجميع الرئيسي للقوات البرية المصرية، والوصول إلى خط يمتد من الصالحية شمالا إلى القصاصين إلى جبل عويد جنوبا.

لقد كانت الخطة الإسرائيلية الموجودة خطة هجومية، ولم يدر بفكر محللي المعلومات في إسرائيل - جهاز المخابرات - احتمال قيام جمهورية مصر العربية بعملية هجومية، ولقد بنوا فكرهم هذا على أن مصر لا يمكنها أن تقوم بعملية هجومية قبل عام ١٩٧٥، عندما يتوفر لها قاذفات مقاتلة من نوعية أفضل مما لديها ليمكنها التصدي للقوات الجوية الإسرائيلية وضرب الأغراض الإسرائيلية الموجودة في العمق، وتبعا لذلك الفكر يمكن القول إن وقع المفاجأة بنوعيها الاستراتيجية والتكتيكية قد تحقق إلى نهايته وأحداث تأثيره المطلوب، ولما تحققت المفاجأة باقتحام قناة السويس بغرض الاستيلاء على خط بارليف وتكوين رءوس كباري محدودة يتم توسيعها بعد ذلك اتجهت الخطة الإسرائيلية منذ بدء الحرب إلى :

أ- التمسك بمواقع خط بارليف.

ب- إيقاف تقدم القوات المصرية التي عبرت إلى الشرق.

ج - القيام بالهجمات المضادة بالقوات المدرعة الموجودة شرق القناة، وكانت تقدر بعدد ٣ لواءات مدرعة تؤيدها القوات الجوية لإيقاف الهجوم المصري وتدميره، وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه.

د - تقوم القوات الجوية الإسرائيلية بالواجب الأساسي في إيقاف تقدم القوات المصرية، وذلك بإيقاف عبور القوات ومنعها من إقامة أي معابر لها على القناة، حتى لا يزيد معدل تدفق القوات لما تقدمه المعابر من تسهيلات لتحرك المعدات الثقيلة.

في ضوء تلك الخطة وما وضع من أساليب العدو خلال الفترة من ٦-١١ أكتوبر يمكن بلورة الدور والمهام التي أعطيت للقوات الجوية الإسرائيلية والتي تتلخص في الآتي :

أ - إيقاف عبور القوات المصرية عبر القناة وإنزال أكبر خسائر بها أثناء العبور.

ب - منع المصريين من إقامة أي معابر وتدمير ما يقام منها.

ج - معاونة الهجمات المضادة التي تهدف إلى إيقاف تقدم القوات المصرية المهاجمة، والتي تتم بواسطة الاحتياطيات التكتيكية أولا ثم التعبوية فيما بعد، وذلك بعرض تدمير القوات المصرية شرق القناة والوصول إلى القناة واستعادة الموقف إلى ما كان عليه.

د - توفير الدفاع الجوي عن إسرائيل.

ه - القتال للحصول على السيادة الجوية بضرب المطارات المصرية ومحاولة تعطيلها أو تدمير الطائرات المصرية في الجو من خلال أعمال القتال الجوي التي تستدرج إليها أو بهما معا.

و - تدمير حائط الصواريخ المصري غرب القناة بإحداث ثغرات به لتقليل فاعليته، والعمل على استنزاف أكبر قدر من احتياطيات الدفاع الجوي من المعدات.

الضربة الجوية الشاملة

بدأت حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ السادس من أكتوبر ١٩٧٣ (سعت ١٤٠٠)، وكان أول ما بدأت به هو قيام القوات الجوية المصرية بضربة جوية شاملة على أهداف العدو في سيناء بغرض تدميرها أو إسكاتها، لإفقادها القدرة على العمل لفترة محدودة لضمان نجاح عبور القوات إلى شرق القناة والاستيلاء على رءوس كباري محدودة في الشرق تعمل كقاعدة وطيدة، تقوم منها القوات بالهجوم على العدو للاستيلاء على خط بارليف وهزيمة قواته ومتابعة تقدمها شرقا لتحقيق المهام المحددة لها.

تمت هذه الضربة على أغراض العدو بأكثر من ٢٠٠ طائرة قاذفة مقاتلة، وكانت أهم الأهداف التي وجهت إليها الضربة الجوية هي مطاري المليز وتمادا، ومركز الإنذار والإعاقة في أم خشيب، ومركز قيادة القوات الجوية بسيناء في أم مرجم، بالإضافة إلى كتائب الصواريخ أرض-جو من طراز هوك، وبطاريات مدفعية الميدان بعيدة المدى، أعقب ذلك قصف مروع بمدفعية الميدان بأعيرتها المختلفة على جميع أغراض العدو التي تقع في مداها وبكثافة هائلة وذلك لتدميرها أو إسكاتها وإلحاقها أكبر خسائر بها.

تـم تأمين طائرات الضربة الجوية بإصدار الاســم الرمزى لذلـك، ويتم تحذير جميع الوحدات، و طلبت من قادة اللواءات و الأفواج فرض السيطرة الجازمة على وحداتهم خـلال هـذه الفـترة، والتى كان مقـدرا لها ألا تزيد عـلى ٢٠ دقيقة خوفـا من أن يحدث نتيجـة للإرهاق الـذى تعانيه الوحـدات منذ يوم ٢/ ١٠ الاشـتباك مـع طائراتنا نتيجة للتوتر العصبى الذى يصاحب الأفراد عادة، والذى يكون على أشده فى المرحلة الأولى للمعركة.

وتأمينـا لعـودة طائراتنا تخصصت ثلاث مظـلات جوية تعمل فـوق القناة مباشرة، الأولى في القطـاع الشـمالي، والثانيـة في القطـاع الأوسـط، والثالثة في القطـاع الجنوبي، وكان الغـرض مـن تواجد هذه المظـلات هو قتال طائـرات العدو التي ينتظـر أن تقوم بمطـاردة طائرات الضربة الجويـة أثناء عودتها بعد تنفيذ مهمتهـا، على أن تترك محلاتها بعد عودة طائرات الضربة الجوية إلى الغرب، ورغم إتمام الضربة الجوية وعودة طائراتها إلى قواعدها – عدا بعض الطائرات – فلم تترك المظلات الجوية أوضاعها، وفي (سعت ١٤٣٠) بـدأت الطائـرات الإسرائيليـة الظهور في الجـو وهي تطير مذعـورة تجاه القناة لتوقف عبور القوات المصرية التي بدأت في العبور، وهنا طلبت سحب المظلات الجوية من أوضاعها كما كان متفقا لإخلاء الجو لمقابلة هجوم العدو الجوي بحرية تامة، ولكن لم يتيسر إتمام ذلك في الحال، وما في الاثوانٍ حتى أبلغت كتائب الصواريخ أرض / جو بأن طائرات العدو تقترب من القناة مما زاد الموقف حرجا والموجات الأولى من القوات العابرة لم تصل إلى الشـاطئ الشرقي بعد، وعلى ذلك قررت الاشـتباك مع العدو ورغم وجـود طائراتنا، وأعتقد أن هذا القرار كان ضروريا، لأنه لو نجح العدو في اللحظات الأولى في قصف القوات العابرة فلاشـك أن ذلك سـيكون له أكـبر الأثر على معنوياتها بالإضافة إلى ما سيحدثه من خسائر لا داعي لها، فالوحدات العابرة تعتبر غرضا ظاهرا لطياري العدو، بالإضافة إلى أنه لا يتوفر لديها خلال هذه المرحلة أي وسيلة من وسائل الدفاع الجوي.

ولقـد تمت الضربة الجوية وعادت طائراتنا كلهـا إلى قواعدها عدا بعض الطائرات، وفي (سـعت ١٤٣٠) ظهـرت الطائـرات الإسرائيليـة في الجو وهي تطـير مذعورة تجاه

القناة لتوقف عبور القوات المصرية التي بدأت في العبور. ومنذ تلك اللحظة بدأ أول لقاء ساخن بين حائط الصواريخ المصري وبين الذراع الطويلة لإسرائيل، وسنرى كيف دار بينهما القتال إلى أن تحققت هزيمة القوات الإسرائيلية.

العدو يدفع بقواته الجوية

بمجرد بدء هجوم القوات المصرية دفعت إسرائيل بقواتها الجوية، وكان تقديرنا لأعمال قتال القوات الجوية الإسرائيلية في حالة قيامنا بعملية هجومية وتحقيق المفاجأة هو توجيه مجهودها لمعاونة القوات البرية الإسرائيلية ومحاولة إيقاف الهجوم المصري وهو في مراحله الأولى، وقد صدق توقعنا، إذ دفعت إسرائيل بقواتها الجوية في القتال وبمعدل عال وكثافة كبيرة، لقد بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية يوم ٦ أكتوبر ١١٧٠ طلعة / طائرة، منها ٦٧٠ طلعة طائرة خلال ساعات النهار والباقي خلال النصف الأول من الليل، مجهود ضخم وجه لإيقاف الهجوم وإحباطه ولكنه فشل، وقد يتبادر إلى الذهن هل تمكن العدو برغم مفاجأته من الرد السريع على الهجوم ؟ وهل دفع العدو بكل هذه العدد إلى جبهة القتال ليوقف الهجوم المصري ؟ الواقع أن القوات الجوية الإسرائيلية كانت جاهزة للقتال تماما قبل بدء الحرب، فقد رصد قيام العدو بتعبئة قواته الجوية واستدعاء احتياطيه من الطيارين قبل ٤٨ ساعة من بدء الحرب، كما رصد أول ضوء يوم ٦ أكتوبر رفع درجة استعداد القوات الجوية الإسرائيلية، وأبلغ دليل على استعدادها هو ما انتهى إليه رئيس الأركان الإسرائيلي يوم الجمعة ٥/ ١٠ من ضرورة قيام إسرائيل بضربتها الوقائية، تلك الضربة التي لم يتم إقرارها منعا لبدء الحرب من جانبهم كما أعلنوا ذلك، أما عن دفع العدو لهذا العدد من الطائرات لإيقاف الهجوم، فالحقيقة أن استخدام القوات الجوية يخضع لأسلوب خاص، فكل هجمة جوية تتكون من عدة عناصر، لكلٍ فيها مهمة محدودة، وجميع هذه العناصر تهدف إلى تحقيق الغرض المطلوب من الهجمة الجوية، وعادة تتكون الهجمة من العناصر التالية :

١ - مجموعة الحماية والمعاونة : وتشمل الطائرات المخصصة للقيام بالتداخل الإيجابي والسلبي، وطائرات الحماية المرافقة للقوة الضاربة أو تلك التي تعمل في مناطق المظلات الجوية خارج مناطق تدمير الصواريخ.

ب - مجموعة إخماد الصواريخ : وتعمل خارج مناطق الصواريخ ومسلحة بالصواريخ شرايك ومافاريك.

ج - مجموعة ضاربة : وهي المجموعة المكلفة بتنفيذ مهمة القصف الفعلي للقوات والأغراض، وهذه المجموعة تتراوح قواتها بين ٢٠ - ٣٠ ٪ من قوة الهجمة كلها.

د - مجموعة المطارات : وهي المجموعة المكلفة بمهاجمة المطارات لتقفلها ومنع خروج الطائرات منها، وذلك في حالة اشتمال الهجمة الجوية على مهاجمة بعض المطارات.

لقد قامت القوات الجوية الإسرائيلية بمهاجمة القوات العابرة بطريقة غير مركزة في أغلب الأحوال، وبهذا كانت هجماتها غير مؤثرة، وقد تميز من مجهود العدو خلال الساعات نهار يوم ٦/ ١٠ قيامه بهجمتين جويتين مركزتين على القطاع الشمالي والأوسط للقناة، الأولى بقوة ٤٤ طلعة / طائرة، والثانية بقوة ٣٢ طلعة / طائرة، وبحلول آخر ضوء كان من المتصور هدوء نشاط العدو. غير أن العدو - جريا وراء عقيدته من ضرورة حسم المعركة بسرعة لصالحه - استخدم قواته الجوية بكثرة، هادفا من وراء استخدامها إلى إيقاف تقدم الهجوم المصري، لقد بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال النصف الأول من الليل نحو ٥٠٠ طلعة طائرة - نشاط عالٍ، بل أكثر من العالي - وجهه العدو في هيئة طائرات فردية أو زوجية للقوات التي عبرت أو تلك الجاري عبورها، أو للمعابر الجاري تركيبها على القناة للمعاونة في عبور المعدات الثقيلة، أو الكباري الجاري تجهيزها لإقامتها في المحلات التي سبق تجهيزها، أو إلى وحدات المهندسين العسكريين القائمين بفتح الفتحات في الساتر الترابي بالمدافع المائية، ولكن هل نجح العدو في أن يحقق أى هدف من أهدافه ؟ لا - والسبب في ذلك يعود إلى الدور الرائع الذي قام به حائط الصواريخ.

تم تأمين طائرات الهليوكبتر التي قامت بنقل قوات الإبرار الجوي أثناء عبورها قطاع التشكيل للقيام بعمليات الإبرار المختلفة في كل من المناطق التالية : سدر - متلا - الجدي - الطاسة - بالوظة - في الذهاب والعودة، ولم يمنع ذلك الوحدات من استمرار اشتباكها مع القوات الجوية الإسرائيلية التي كانت تتزاحم في اتجاه رءوس الكباري، بقصد إيقاف عبور القوات.

لقد قام العدو (سعت ١٨٤٥) بأول هجمة ليلية على رءوس الكباري والمعابر، وذلك في اتجاه الإسماعيلية، وأمكن صدها بنجاح بالتعاون بين اللواءين ١٠٦، ٢٩٥ صواريخ، الأول يحتل مواقعه جنوب الإسماعيلية، والثاني شمال الإسماعيلية، أما الهجمة الثانية، فقد تمت(سعت ٢٠٠٠) وتركزت على القطاع الممتد من سرابيوم جنوبا إلى الفردان شمالا، ولقد كانت هذه الهجمة متوقعة على أساس قيام الاحتياطي التكتيكي للعدو بالهجوم المضاد على قواتنا التي عبرت القناة بعد ست ساعات من بدء الهجوم. وقد صدق تقديرنا تماما ولم يتحقق للعدو أي نجاح في هذه الهجمة الجوية، وفشلت كغيرها ولم تحقق ما كانت تهدف إليه، فلم يتوقف عبور القوات والمعدات، وسقطت طائراته محترقة قبل أن تصل إلى القناة. لقد قامت القوات الجوية الإسرائيلية بطلعة استطلاع إلكتروني على مسافة ٥٠ كم شرق القناة استمرت أكثر من ساعة، وقد استنتجنا من ذلك احتمال قيام العدو بضربة جوية توجه ضد حائط الصواريخ والمطارات الأمامية في الصالحية - أبو حماد - القطامية، وذلك اعتبارا من صباح يوم ٧ أكتوبر ٧٣، وكان علينا أن نستعد لتلقي هذه الضربة.

لقد بلغت الخسائر في القوات الجوية الإسرائيلية حتى (سعت ٢١٠٠) يوم ٦/ ١٠ نحو ٢٤ طائرة، وتعتبر هذه الخسائر كبيرة إذا قيست بالزمن الذي تم فيه القتال والذي لم يزد عن سبع ساعات، لقد ذكرتني خسائر العدو هذه بما فعله العدو معنا خلال حرب الاستنزاف وما بعدها، وخلال معركة إدخال الصواريخ في يوليو ١٩٧٠، ولم تتغير الصواريخ بل هي هي ولكن الذي تغير نوعية المقاتل المصري الذي ظهر على حقيقته في حرب رمضان ١٣٩٣، المقاتل المصري الذي كان يحارب بأسلحة صاروخية معقدة للغاية تشمل آخر تطور تكنولوجي في العلم في صناعة الصواريخ وأجهزة الرادار الموجهة لها.

استمر القتال على نفس الوتيرة بين حائط الصواريخ والقوات الجوية الإسرائيلية وخسائرها تزداد ساعة بعد أخرى حتى وصلت عند منتصف ليلة ٦/ ٧ أكتوبر نحو ٣١ طائرة منها ٢٥ طائرة مؤكدة. لقد أكد الجنرال ديان وزير الدفاع الإسرائيلي صحة ما دمرناه عندما أعلن يوم ٧/ ١٠ بأن القوات الجوية الإسرائيلية خسرت حتى (سعت ٢٠٠٠) يوم ٧ أكتوبر ٣٦ طائرة، وقد تم تدميرها بالصواريخ أرض - جو.

لقـد كان قتـال هـذا اليـوم قتـالا ممتعا للغايـة، فقـد يسرنا للقـوات البريـة العبور، وأوجدنـا سـماءً خاليه تماما من الطائـرات ومحمية بصواريخنا، تعمـل تحتها قواتنا البرية لتدمـير دبابـات العـدو وبدون حماية جويـة لها، فتقع هـى الأخرى فريسـة لصواريخنا المضـادة للدبابـات، وتصبح هجماتهـم المضـادة بالاحتياطيات القريبة غـير مجدية، بل أصبحـت القـوات الإسرائيلية تولى الأدبار من جراء الخسـائر التى حاقـت بها فرارًا فى الجو، وفرارًا فى البحر، هزيمة منكرة لأول مرة تراها أعين الإسرائيليين.

لقد أدى هذا الموقف الجوى الفريد إلى حدوث بعض المفارقات، ففى الوقت الذى طلـب فيه قائـد الجيش الثانى الميدانى انتقـال كتائب صواريـخ إلى مواقعها غرب القناة مباشرة حتـى تكون قادرة عـلى توفير الوقاية لقـوات الجيش خلال قتـال يوم ٧/ ١٠. ولم نوافـق عـلى هذا الطلـب – نجد أن عدة فرق من فرق الجيـش الثانى الميدانى تمكنت ليلة ٦/ ٧ من إقامة معابرها بيسر و سـهولة وإتمام عبور قواتها، بل لواءاتها المدرعة، مما يـسر لهـا توفر قوة النيران و الصدمة مع بزوغ فجر يوم ٧/ ١٠، إذ مكنتها هذه اللواءات المدرعة من صد هجمات العدو المضادة التى قامت بها الاحتياطيات التكتيكية، و ذلك دون أن تتمكـن القـوات الجوية الإسرائيلية من التدخل فى عملية إقامة هذه المعابر أو فى عبور الأنساق الثانية لفرق المشاة أو فى عبور اللواءات المدرعة.

كثـرت الشـكوى ليلـة ٦/ ٧ أكتوبر من قيـام القـوات الجوية الإسرائيليـة بمهاجمة المعابـر، و خاصـة فى قطاع القنطـرة. ولقد نفيت هذه المزاعـم، فالموقف الجوى واضح أمامنا تمام الوضوح وخسائر العدو تتزايد لحظة بعد لحظة، وما صدر إليه من تعليمات مـن قيادتـه أكبر دليل على ابتعاده عن القناة، و المعـدات الإلكترونية فى أيدينا هى خير وسـيلة للتعرف على أعمال العدو، فهـى لا تكذب أبدا، كما أن اللواء١٠٧ – صواريخ هـو الـذى يقوم بالدفاع عن هذا القطاع، وأفضل كتائب و أفضل قادة هم الذين كانوا خلف المعابر (المقدم / بدر، الرائد / شلوفة، المقدم / أبو الجدايل). لقد كانوا بالمرصاد لأى محاولة للعدو فى هذا القطاع كما أن النتائج التى تحصل عليها اللواء خلال ساعات القتـال الأولى مـع العـدو كانـت عالية، فلقد قـام اللواء بعدة اشـتباكات كانت نسـبة النجاح فيها ٨٥٪.

إفقاد العدو اتزانه

بدأ أول اشتباك لحائط الصواريخ فى القطاع الشمالى تجاه القنطرة مع مجموعات صغيرة «ازدواج» من طائرات العدو، تلاه اشتباك باقى القطاعات، لقد كانت هذه الطائرات المهاجمة هى طائرات الاستعداد فى مطارات العريش و السدر و رأس النقب أقرب المطارات الصالحة لجبهة القتال بعد تعطيل مطارى المليز و تمادا من جراء الضربة الجوية الشاملة، و لم يلبث العدو أن دفع إلينا ببعض طائراته إلى القطاع الجنوبى فى محاولة يائسة لإيقاف عبور القوات، وبدأت وحدات الصواريخ الموجهة فى الاشتباك، وللأسف فشلت الاشتباكات الأولى سواء للوحدات التى اشتبكت فى قطاع القنطرة أو تلك التى اشتبكت فى منطقة الشلوفة، ومن تحليل سريع لأسلوب الاشتباكات التى تمت ورد الفعل الذى قامت به الطائرات الإسرائيلية وجدت أن سبب القصور راجع إلى قيام طائرات العدو بالمناورة الحادة لتلافى الإصابة بالصواريخ وعلى ذلك أيقنت أن العدو دفع بالصفوة الممتازة من طياريه، وأصبح لزما علينا أن نعمل على إفقاد العدو اتزانه وسحب المبادأة منه فى عملياته الهجومية، فتم تحديد نقاط الضعف التي يجب تلاشيها، وأسلوب التعامل مع مثل هذا النوع من الطيارين، وفعلا بدأت الوحدات اعتبارا من (سعت ١٤٤٠) تبلغ عن اشتباكات ناجحة، وتوالت الاشتباكات الناجحة، وامتدت من القنطرة شمالا إلى السويس جنوبا على طول المواجهة، واشتعلت السماء بنيران الصواريخ، صواريخ تطلق من هنا وأخرى تطلق من هناك، بعضها يتحرك إلى أهدافه مباشرة، والبعض الآخر يتحرك بطريقة غير مباشرة، فظهرت في السماء كأنها تعانق بعضها بعضا لتؤكد صلابة المقاتل المصري، وتوضح مدى قدراته وفاعليته في استخدامها، وتكاد – وهي تتزا من مكانا، وتتواجد في الفراغ اللانهائي – أن تشد من عزم بعضها البعض لقهر طياري العدو وتدمير طائراتهم.

لقد واجهنا العدو بأطقم على مستوى رفيع من التدريب كان لها العمل في أن تحيل أماني العدو إلى سراب من البداية، وقد يسر نجاح حائط الصواريخ للقوات القائمة بالعبور مظلة من نيران الصواريخ لم تتمكن القوات الجوية الإسرائيلية من النفاذ منها إلا ووضعت فريسة لوحدات الصواريخ، لقد دفع بعدد – كعادته عند بدء عملياته

- من صفوة طياريه، هؤلاء النخبة من الطيارين الذين كان يباهي بهم العالم أجمع، دفع بهم في الهجمات الأولى، دفع بهم وكله ثقة في قدراتهم على إحباط عبور القوات المصرية وتحويل ماء القنال إلى دماء كما كان يخطط ويعتقد، لقد حاولت القوات الجوية الإسرائيلية في هجماتها المسعورة إيقاف عبور القوات مستخدمة في ذلك كل ما في حوزتها من أسلحة من قنابل وصواريخ، وكل ما لديها من أساليب تكتيكية من هجمات على الارتفاعات المنخفضة جدا ١٠٠ متر فأقل، أو المنخفضة ٥٠٠ متر فأكثر، واستخدام أساليب المشاغلة بطائرات أخرى على الارتفاعات المتوسطة ٣-٤ كم تعمل من بعد، تخفي تحتها الطائرات المنخفضة المقتربة من القناة، أو تقوم هي عندما تحين لها الفرصة بقصف صواريخ الشريك من مسافة ٢٠ -٢٥ كم أو أكثر، ولكن كانت وحداتنا له بالمرصاد، ولم تمكن لأساليبه المختلفة أن يكتب لها النجاح، بل كان تدمير طائراته في الجو - سواء بطياريها وملاحيها، أو هبوطها بالمظلات - هو النتيجة النهائية لأي اشتباك.

لقد دفع العدو في هجماته الأولى بطائرات الفانتوم - لما لها من قدرات عالية على المناورة بما يمكنها من الإفلات من نيران الصواريخ، يعززها في هجومها طائرات الميراج الصغيرة الحجم، ذات القدرة العالية على الغطس والصعود، ولكن لم تجد كل محاولات العدو، ولم ينجح في الوصول إلى قناة السويس ولو مرة واحدة، بل كان مصيره التدمير قبل أن يصل إليها، ولكن ما العمل. هل ينسحب العدو من المعركة ويتركها ويستسلم وهي لاتزال في بدايتها والقوات العابرة ما هي إلا قوات مشاه ليس معها سوى أسلحتها الخفيفة وبعض أسلحة الدعم التي يمكن للجندي المشاه حملها وترك المعركة يعني الفرار من المعركة، وكيف يتفق ذلك مع الملف الإسرائيلي ؟

في ضوء ذلك اتجه العدو إلى أسلوب أكثر لؤما وخبثا، وذلك بالعمل في مجموعات بعيدة عن مواقع الصواريخ شرق القناة تطير على مسافة ٢٠ كم وارتفاع ٣ كم، وينحصر نشاطها في قطاع معين، وأثناء طيرانها تتسلل منها طائرة أو أكثر بالغطس تجاه القوات العابرة وتقوم بمهاجمتها، لقد كان العدو ذكيا في أسلوبه، فالهدف - المجموعة - عند ظهوره على مبينات الرادار لا يتيسر تحديد عدد طائراته إلا بصفة تقريبية، وتسلل أي

عـدد منهـا لا يؤثـر إلى حد ما على شـكل الهدف على مبينـات الـرادار، ولكن هل فات ذلـك عـلى وحـدات الصواريخ لا، لأننا كنا على دراية بأسـاليب العـدو تماما، وكنا قد وضعنا لكل احتمال ما يقابله، فلم تفلح هذه الطريقة وازدادت خسائر العدو، فبلغ ما أسـقط من بدء المعركة مع الصواريخ (سـعت ١٤٣٠ حتى سعت ١٦٣٠) أكثر من ١١ طائرة، معدل عالٍ من الخسـائر لم يتصوره العدو، لقد هالته الخسـائر وخاصة لأنها من بين أحسن أنواع الطائرات والطيارين لديه، لقد أدت هذه الخسائر بالعدو إلى أن يعمل حسابا لحائط الصواريخ، فكان أن أعلنت قيادة القوات الجوية الإسرائيلية أمرا إلى جميع الطيارين (سـعت ١٦٣٠) بعدم الاقتراب من القناة لمسـافة ٢٥ كم، ومن هذه اللحظة أيقنـت تماما أننا بقتالنا مع العدو السـاعات القليلة الماضية تمكنـا فعلا من إفقاده اتزانه، ويجب علينا أن نستمر في ذلك حتى نحرمه من المبادأة والمفاجأة تماما.

لقد أدى هذا الأمر إلى مزيد الدهشة والحذر، أما الدهشة فكانت راجعة إلى أن هذا التحذير معناه خروج السـلاح الجوي الإسرائيلي من المعركة والوقوف موقف المتفرج، ولكـن كيف تقف الذراع الطويلة لإسرائيل خـارج المعركة، وإسرائيل قد بنت عقيدتها العسـكرية على أسـاس العمـل الهجومي المسـتبد إلى الطائرة والدبابة، أمـا الحذر فكان نابعا من احتمال أن يكون هدف العدو الأول هو أن نصدق ما يقوله فنضع الأمور جانبا ويقل اهتمامنا وتفتر صلابتنا التي بدأنا بها المعركة طالما أن العدو يعمل بعيدا عن القوات التي تقوم في ذلك الوقت بتثبيت أقدامها في رءوس الكباري، ولم يتعد ما استولت عليه عن عدة مئات من الأمتار قد تصل إلى كيلو متر في بعض الاتجاهات.

لقد كانت دهشـتي نابعة أيضا من احتمال تعرف العدو على الأسلوب الذي حددناه للتعامل معه، والذى أدى إلى هذه الخسـائر الكبيرة، لاشـك أن تحديده لهذه المسـافة في ضـوء أوضاعنـا القتالية وقتئـذ يلقي ضوءًا على أنه فعلا قد توصل إلى شـيء ما من هذا القبيـل وكان عـليَّ أن أجـد مخرجـا من هذا الوضـع، وفعلا بدأت الوحـدات في تطبيق أسـلوب جديـد آخر، وسرعـان ما بـدأت الطائـرات الإسرائيلية تتسـاقط مثل أوراق الخريف، ولقد أدلى أحد الطيارين الأسرى مما يؤكد نجاح أساليبنا المختلفة مع العدو - بأنه رغم عدم اقترابه من مناطق الصواريخ فإنه فوجئ بأن طائرته تنجذب إلى الصاروخ وتتحطـم كأن في الصاروخ قوي مغناطيسـية تجذب إليه الطائـرات، والواقع أنه لم تكن

هناك قوة جاذبة مغناطيسية كما توهم، وإنما كانت هناك عدة أساليب جار استخدامها مع العدو مما جعله غير قادر على تحديد أبعاد مناطق الصواريخ كما كان يعتقد.

الضربة الجوية الإسرائيلية المضادة

ببزوغ فجر يوم ٧/ ١٠ بدأت المعلومات تصل تباعا عن احتمال قيام العدو بضربة جوية شاملة، وكانت هذه التقديرات مبنية أساسا على عقيدة العدو القتالية وعدم قيامه بهذه الضربة الجوية بغد بدء هجوم قواتنا مباشرة كما كان متوقعا، ورغم كثرة التعليمات، فلقد كنت على اعتقاد كما كنت من قبل أن العدو لن يقوم بضربة جوية شاملة للأسباب الآتية :

أ - الضربة الجوية الشاملة تعتمد في نجاحها على المفاجأة، والمفاجأة ليست في يده.

ب - أدى قيام القوات المسلحة المصرية بالهجوم ووجودها شرقا إلى خلق موقف تعبوي للعدو يستلزم منه مواجهته أولا، حيث إن المعركة أولا وأخيرا ستتقرر على قناة السويس وليست على أغراض في العمق مهما كانت أهميتها.

ج - إن محاولة ضرب أغراض في العمق رغم ما يعترضها من فشل - ستكون سببا مباشرا في ضرب أغراض في العمق الإسرائيلي، ذلك العمق الذي بات يحلم خلال أعوام طوال بالأمن.

وفي أول ضوء يوم ٧/ ١٠ صح ما توقعته تماما، فلم تكد تباشير الصباح تلوح في الأفق حتى بدأت القوات الجوية الإسرائيلية في القيام بنشاط جوي مكثف، واستمرت على ذلك طوال اليوم. لقد بلغ هذا النشاط ١٣٢١ طلعة / طائرة، منها ٨٢٢ طلعة / طائرة نهارا والباقي ليلا. لقد وجه العدو نشاطه الجوي المكثف إلى معاونة قواته القائمة بالهجمات المضادة أو معاونة قواته الموجودة في نقط خط بارليف التي لم تسقط بعد، أو إلى المعابر المقامة على القناة بالإضافة إلى مهاجمته إلى حائط الصواريخ والمطارات الأمامية التي تخدم العملية الهجومية.

لقد تميز نشاط العدو نهارا على مواجهة القتال قياما بثلاث هجمات جوية مركزة تراوحت في قوتها بين ١٨٠ - ٢٢٦ طلعة / طائرة، تمت الأولى منها (سعت ٦٠٠)

بقوة ٥٦ – ٧٨ طلعة / طائرة، والثانية (سعت ١٥٣٠) بقوة ٨٨ – ٩٤ طلعة / طائرة، والثالثة (سعت ١٨٣٠) بقوة ٣٦ – ٥٤ طلعة / طائرة، وجه منها للقطاع الشمالي من الجبهة ٤٦ – ٥٦ طلعة / طائرة، والقطاع الأوسط ٥٨ –٧٢ طلعة / طائرة، والقطاع الجنوبي ٧٦ – ٩٤ طلعة / طائرة.

لقد أشرك العدو مدفعيته بعيدة المدى في ضرب بعض كتائب الصواريخ الأمامية في المنطقة شمال الإسماعيلية وذلك بغرض إحداث خسائر في معدات كتائب الصواريخ بقصد تعطيلها عن العمل. وقد تم هذا القصف قبل مهاجمة الطيران الإسرائيلي لهذه الكتائب بفترة زمنية قليلة، أسلوب جديد، استخدام لسلاحين بعيدي المدى على التوالي، لتعاون المدفعية بعيدة المدى الطيران، وتعمل على تمهيد الأرض لإنجاح هجوم الطيران، ولكن خاب تقدير القيادة الإسرائيلية فلم تكن نيران مدفعية العدو مؤثرة على الإطلاق واستمرت الوحدات في عملها دون أدنى تأثير.

لقد كان هدف القيادة الإسرائيلية من هذه الهجمات الجوية المركزة تحقيق الآتي :

أ – إيقاف تدفق القوات المصرية، وذلك بتدمير وسائل العبور المقامة على القناة.

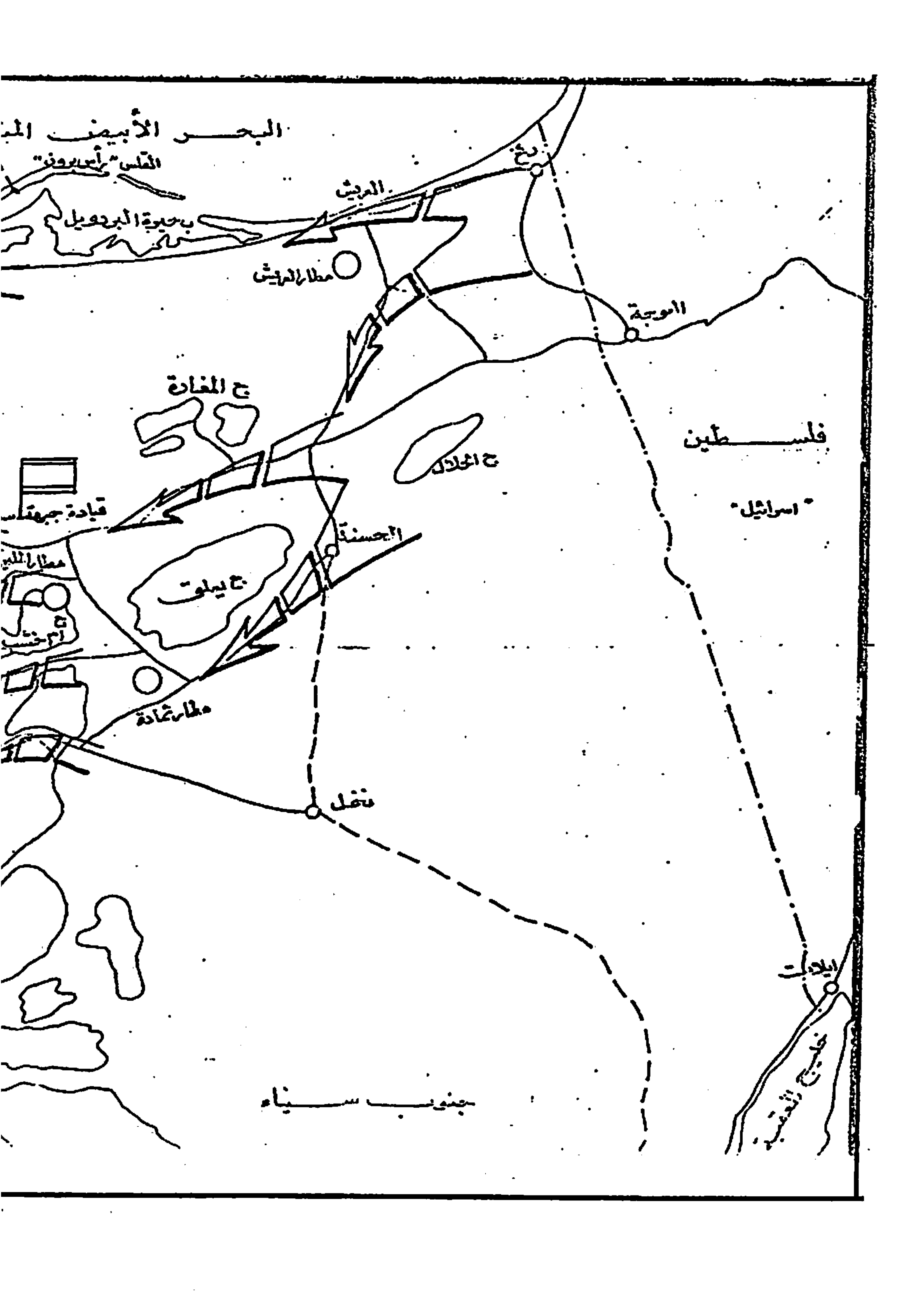
ب – محاولة إرجاع القوات التي نجحت في العبور والقائمة بتكوين رءوس كبارى محدودة العمق والاتساع، وذلك بتدميرها وإرغامها على العودة غربا ودفاعاته شرقا.

د – مهاجمة وسائل الدفاع الجوي، وخاصة حائط الصواريخ، لإمكان استعادة قواته الجوية لسيطرتها الجوية المعهودة.

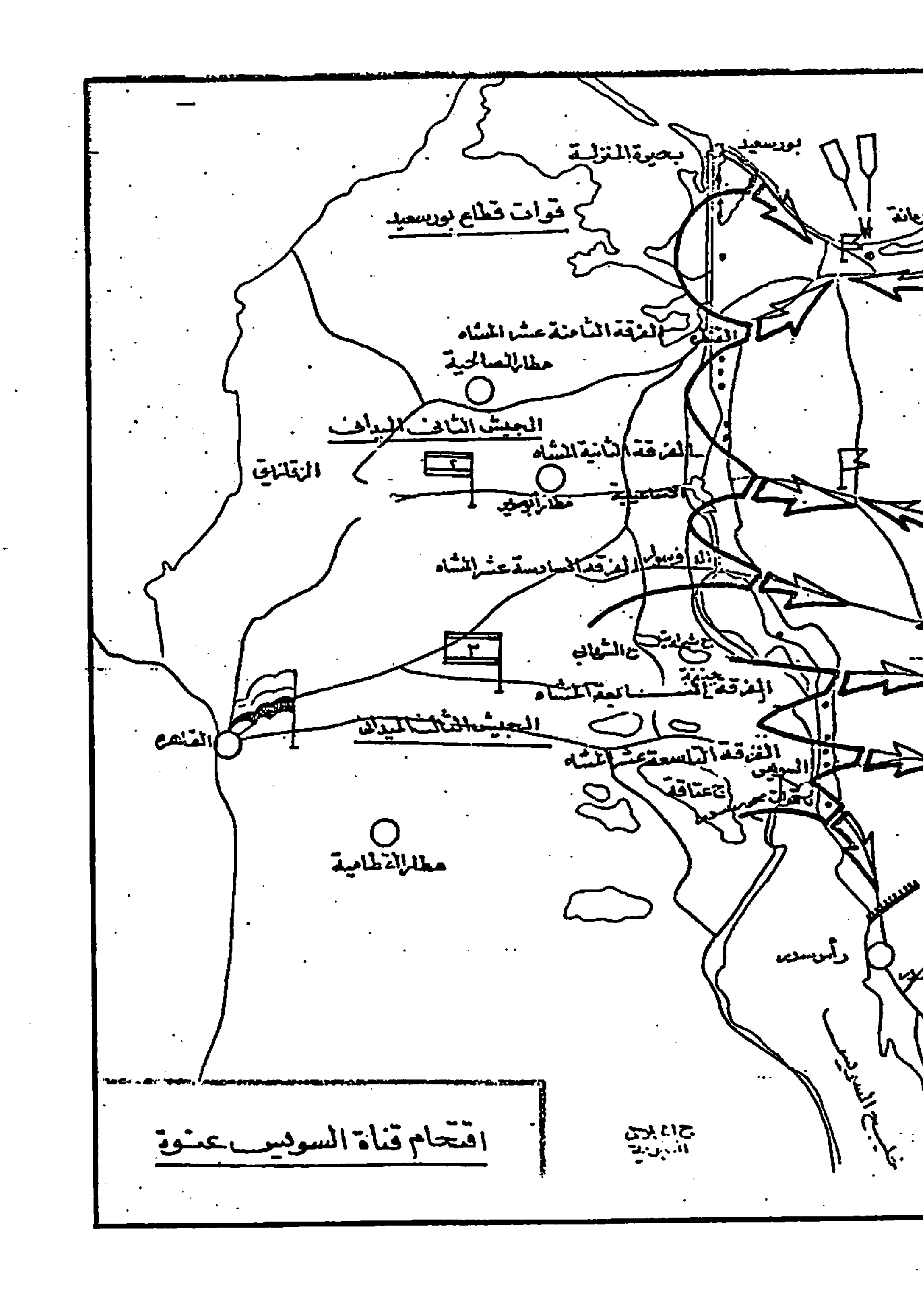
لقد تمكن العدو في القطاع الشمالي من جبهة القتال من مهاجمة كتيبتي صواريخ على التوالي، وذلك في المنطقة الممتدة بين الإسماعيلية والفردان، وكلاهما من نوع سام ٣، وذلك في محاولة يائسة لفتح ثغرة في حائط الصواريخ في هذا الاتجاه، ولكن فشل الهجوم بفضل معاونة الوحدات الأخرى للوحدات الجاري الهجوم عليها. فعلى الكتيبة الأولى ألقى حمولته بعيدا عنها، وتدمر له طائرة من الطائرات المهاجمة أما على الثانية فقد تمكن من إسقاط بعض قنابله وبعض مستودعات قنابل البلي على مقربة من الكتيبة ولاذ

بالفرار، ولكن بعد أن تم تدمير طائر أخرى له. لقد كانت هذه المستودعات جديدة علينا في أسلوب قصفها أو أسلوب الوقاية منها، مستودع يحتوي على كرات يفتح في الجو على ارتفاع محدد له وتتناثر منه الكرات، وبمجرد أن تلمس أرض صلبة تنفجر الكرات ويتناثر منها كرات عديدة صغيرة الحجم، تؤثر على الأفراد الموجودين بالعراء. لقد تسببت هذه الكرات في إصابة بعض الأفراد، كما أدت عند انفجارها إلى تعطل بعض معدات هذه الكتيبة لفترة زمنية محدودة أمكن بعدها إتمام إصلاحها.

لم يقتصر نشاط العدو خلال يوم ٧/ ١٠ على مهاجمة القوات وحائط الصواريخ في جبهة القتال بل هاجم المطارات الأمامية في المنصورة - طنطا - جناكليس - كذا مطاري القطامية والصالحية. لقد كان العدو يتمنى في ضربته الجوية الوقائية أن ينال من القوات الجوية المصرية، إما بتدمير الطائرات داخل الدشم - وكان قد سبق أن أعلن أنه وجد خلالها نوعا معينا من القنابل ضدها - أو تدمير الممرات لتعطيلها لأكبر فترة ممكنة حتى يتم إصلاحها، وبهذا يحرم القوات البرية المهاجمة من معاونة القوات الجوية لها وهو أمر ضروري. لقد وجه العدو إلى كل مطار عددا يتراوح بين ٤ - ٦ طائرات، ولكن لماذا اختار العدو هذه المطارات دون غيرها ؟ الواقع أن هذه المطارات هي المطارات الأمامية التي تخدم جبهة القتال، والتي تتمركز فيها معظم القوات الجوية المصرية، فمطار المنصورة يتمركز به أحد اللواءات المقاتلة من طراز ميج ٢١، ويقوم بمهمة توفير الوقاية عن الأغراض الحيوية في منطقة شمال الدلتا بالتعاون مع الدفاع الجوي. أما مطار طنطا فكان يتمركز به طائرات الميراج الليبية والتي تعتبر أكبر خطر يهدد العدو، فعلاوة على أنها مقاتلة ممتازة يمكنها أن تنازل طائراته الفانتوم في المعارك الجوية المدبرة فهي تعمل كقاذفة مقاتلة قادرة على حمل حمولة معقولة من القنابل والصواريخ، وييسر لها مداها الكبير القدرة على مهاجمة أي أغراض في عمق إسرائيل وهذا هو الأهم، أما مطار جانكليس فكانت تتمركز به بعض الطائرات من طرازات ي-١٦، أما مطار القطامية فكانت تتمركز به بعض أسراب الميج ٢١، في حين أن مطار الصالحية يتمركز به لواء من طائرات ميج ١٧، وكلاهما يقوم بمهمة تقديم المعونة للقوات البرية.



البحر الأبيض
بحيرة البردويل
العريش
رفح
مطار العريش
العوجة
ج المغارة
ج الحلال
فلسطين
"اسرائيل"
الحسنة
ج يلق
مطار تمادة
نخل
ايلات
خليج العقبة
جنوب سيناء


بورسعيد
بحيرة المنزلة
قوات قطاع بورسعيد
الفرقة الثامنة عشر المشاة
القنطرة
مطار الصالحية
الجيش الثاني الميداني
الفرقة الثانية المشاة
الزقازيق
الإسماعيلية
مطار أبو صوير
الدفرسوار
الفرقة السادسة عشر المشاة
٢
٣
ج الشهابي
جنيفة
الفرقة السابعة المشاة
الجيش الثالث الميداني
القاهرة
الفرقة التاسعة عشر المشاة
السويس
ج عتاقة
مطار القطامية
رأس سدر
خليج السويس
اقتحام قناة السويس عنوة

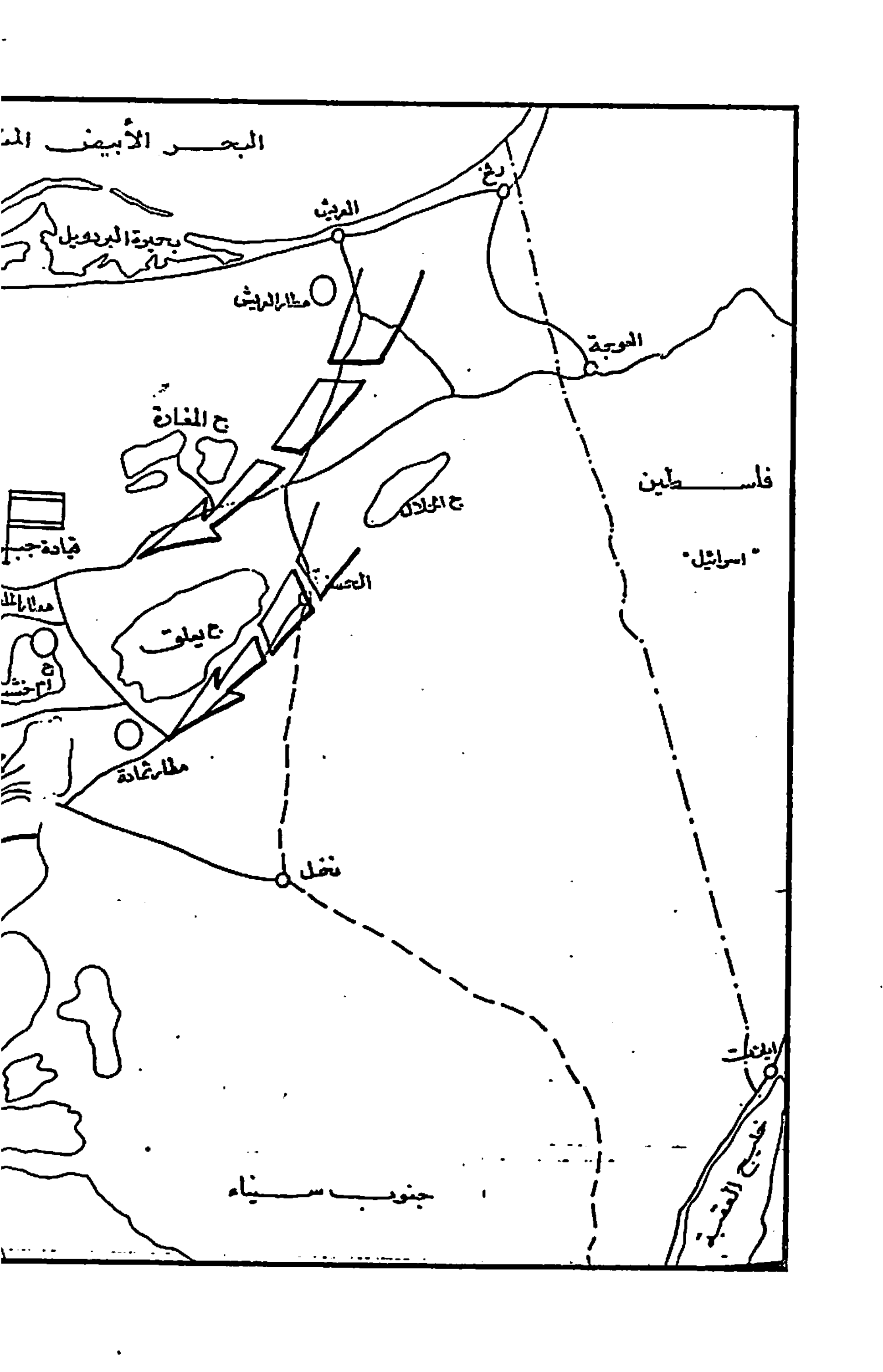
لكـن لماذا قام العدو بهذا العدد الكبير من الطلعـات. الواقع أن القوات الإسرائيلية قامت منذ صباح يوم ٧ / ١٠ بأول هجوم مضاد على القوات المصرية التي عبرت القناة مسـتخدمة الاحتياطيـات التكتيكية بأمل تحطيم الهجوم المـصري، وكانت خطة القيادة الإسرائيليـة - كما صرح الجنرال «ماتيتيا هوبليـد» في تحليله لحرب أكتوبر -تتلخص في القيـام بهجوم مضاد قوي باسـتخدام هـذه الاحتياطيات الموجـودة، وكانت عبارة عن لـواء مـدرع تقريبـا في كل قطاع من قطاعـات الجبهة الثلاثـة، على أن يتـم الهجوم على المحـاور بالتـوالي بـدءا بمحور القنطرة ثم المحور الأوسـط ثم المحـور الجنوبي، على أن يخصـص لهـذا الهجوم مجهودا جويا كبيرا، وكانت النتيجة فشـل هـذه الهجمات المضادة كلهـا، ولم يكـن السـبب في ذلك سـوى أن القوات الجويـة الإسرائيلية فشـلت تماما في تقديم أي معاونة للقوات القائمة بالهجوم المضاد، لقد أرسـلت أول طلعة من طائرات المـيراج لمعاونة المدرعات القائمـة بالهجوم على محور القنطرة صباح هـذا اليوم، ولم تعد مـن هـذه الطلعة ولا طائرة، كارثة وأي كارثة - كيـف تقوم القوات البرية بهجوم دون معاونة القوات الجوية لها، لقد تكرر الهجوم على المحاور الأخرى ولم يكن نصيبه بأوفر حظ مما سـبق، وفشـل الهجوم وتسـاقطت عدة طائرات للقوات الجوية وأصبح الموقف رهيبا.

لكـن هل كانت الضربـة الجوية المضادة التي قام بها العدو سـليمة مـن وجهة النظر العسكرية ؟ أو كان الأولى به أن يستيقظ بمجهوده الجوي يعاون به المعركة البرية الدائرة وفقا لتطورات الموقف أولا بأول ؟ وللتعرف على الإجابة الصحيحة يجب أن - نتعرف عـلى مـا كان يـدور في فكر القيادة الإسرائيلية مسـاء يـوم ٦ أكتوبـر ١٩٧٣ م. لقد هال القيادة الإسرائيلية عامة وقيادة القوات الجوية الإسرائيلية خاصة ما لحق بها من فشل في إيقاف تدفق هذا المد البشرى الزاحف إلى سـيناء باسـتخدام القوات الجوية الإسرائيلية - كـما كان مخططا من قبل وفي ضوء الموقف والنتائج رأى رئيس الأركان الإسرائيلي أنه لا توجـد أي جدوى في ضرب المعابر والقوات التي تعبر عليها قبل إسـكات بطاريات

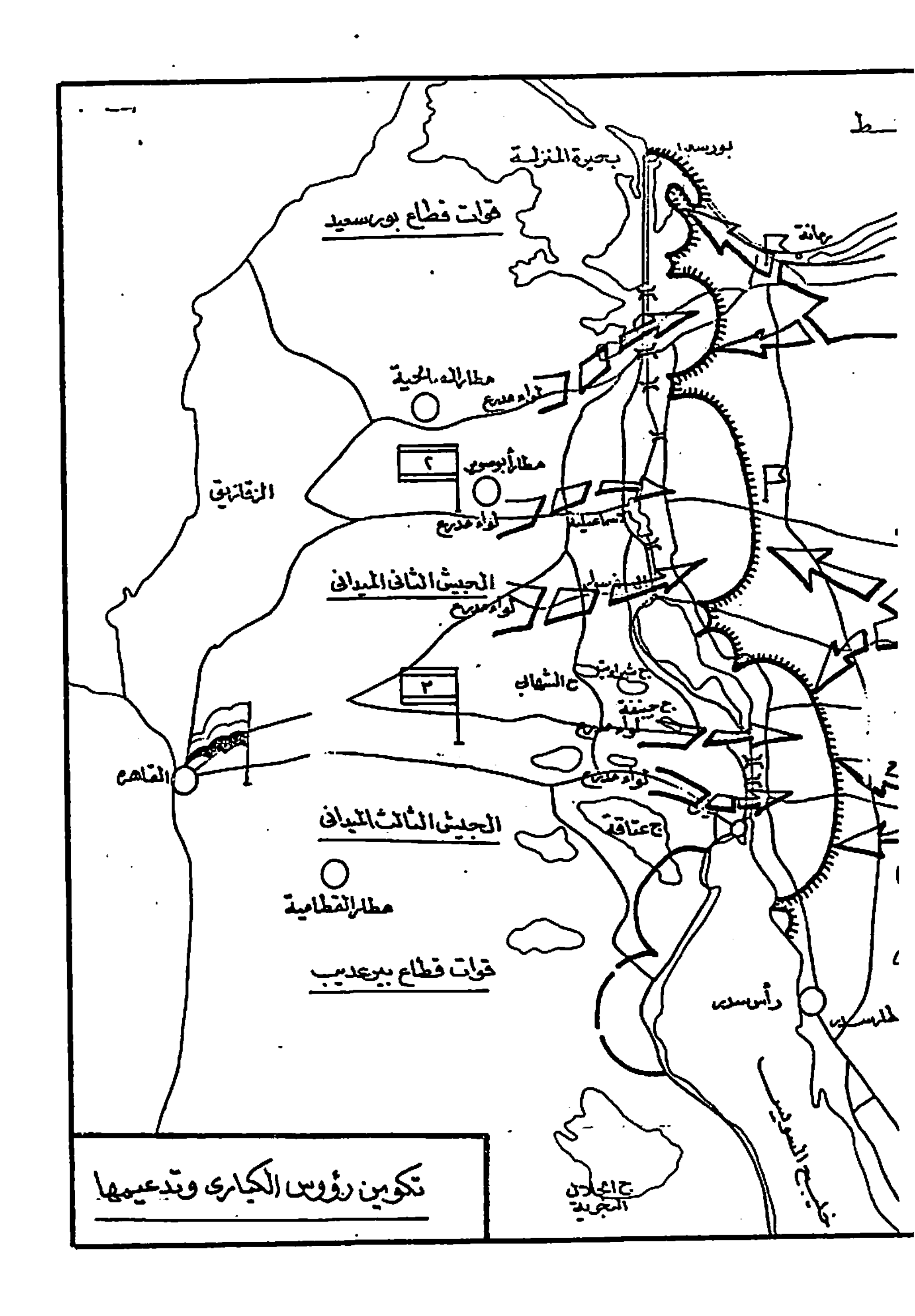
المدفعية - وقواعد الصواريخ أرض - جو مبررا ذلك بفشل كل المحاولات للوصول إلى الكباري، مما أدى إلى تدمير الطائرات بسبب تعرضها لنيران الصواريخ، وأكبر شاهد على ذلك تزايد حجم القوات المصرية المهاجمة ساعة بعد أخرى، وطلب فى ابده رأى قادة القوات الجوية الإسرائيلية الذى رأى فى ضوء خسائره التى تتزايد ساعة بعد أخرى أن ذلك الاتجاه قد يكون هو الحل الأمثل لإيقاف الاستنزاف الذى يتم فى القوات الجوية الإسرائيلية، فوافق على رأى رئيس الأركان، بل أخبر وزير الدفاع الجنرال « ديان» بأن مهمة القوات الجوية يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ م، ستكون مهاجمة جبهة القتال، واضعا فى الأسبقية الأولى مهاجمة قواعد الصواريخ و المطارات الأمامية، إذ أنه من خلال نجاحه فى مهاجمتها يمكنه العمل بحرية لمهاجمة القوات على جانبى القناة، غير أن رأى وزير الدفاع كان مخالفا لذلك على طول الخط، وكان رأيه هو توجيه كل المجهود الجوى لإيقاف تقدم القوات المصرية عبر سيناء موضحا أنه لو فشل الهجوم على المطارات و قواعد الصواريخ فمعنى ذلك أن الإسرائيليين أصيبوا بفشلين الأول تحطيم طائراتهم المهاجمة، و الثانى بقاء المطارات و قواعد الصواريخ سليمة مع استمرار تقدم المصريين فى سيناء دون أن يعوق تقدمهم شىء، و لما كان القرار العسكرى فى يد رئيس الأركان لذا لم يعارضه، و كان بالنسبة له قرارا سيئا إذ أن العبرة فى القتال هى بمدى الخسائر فى الطائرات.

قامت القوات الجوية الإسرائيلية بمهاجمة حائط الصواريخ، و كانت النتيجة كما أسلفت مزيدا من الخسائر دون أن تتمكن من تدمير أى كتيبة صواريخ، كما أن الهجوم على المطارات الأمامية لم يجانبه التوفيق، إذ لا يمكن اعتبار مطاري طنطا - جانكليس - مطارات أمامية بأي حال من الأحوال، وعلى ذلك فمهاجمتها لا يخدم القرار ولا عزل ميدان المعركة اللهم إلا إذا كان الغرض هو شد انتباه القوات الجوية المصرية إلى هذه المطارات لسحب مقاتلاتها المتمركزة في مطار المنصورة لاعتراض الطائرات الإسرائيلية عند اقترابها إلى هذه المطارات حتى يتيسر لها مهاجمة مطار المنصورة بنجاح.

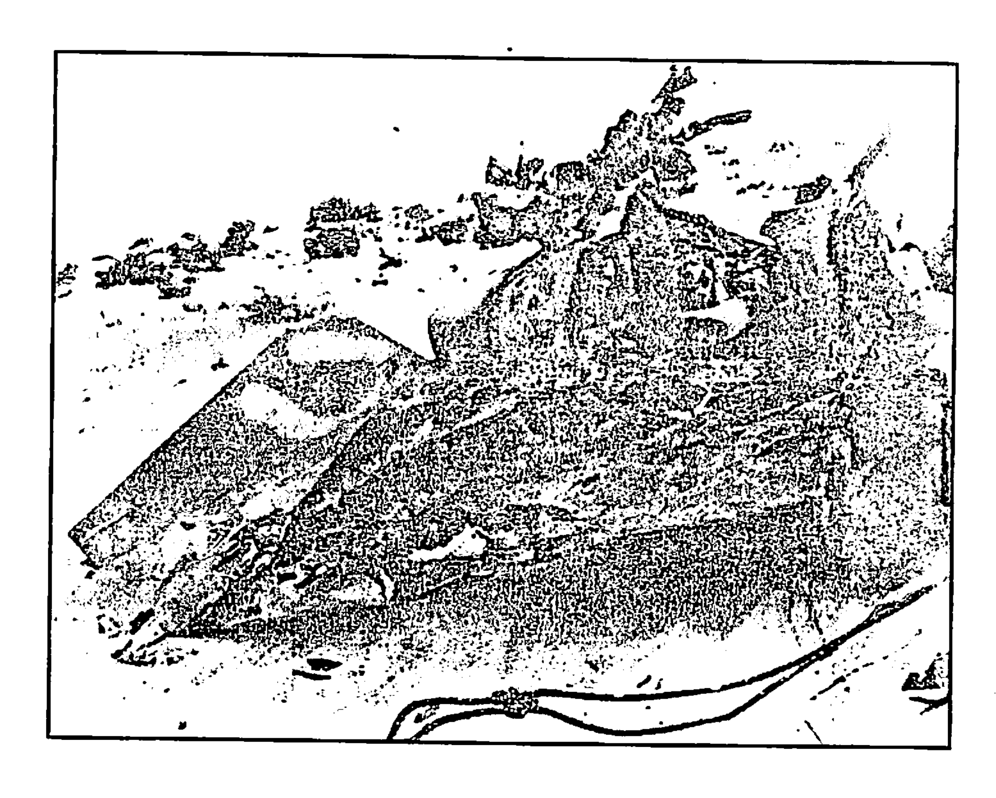
مما سبق يتضح أن قرار رئيس الأركان الإسرائيلي وقرار قائد القوات الجوية الإسرائيلية لم يكونا سليمين، فقد استمر حائط الصواريخ واقفًا كالطود الشامخ، يكيل الضربات للقوات الجوية الإسرائيلية وتعطلت بعض المطارات لفترات وجيزة.



البحـــر الأبيض
رفح
العريش
بحيرة البردويل
مطار العريش
العوجة
ج المغارة
فلســـطين
ج الحلال
"اسرائيل"
الحسنة
ج يعلق
مطار تمادة
نخل
ايلات
خليج العقبة
جنوب سـيناء



تكوين رؤوس الكبارى وتدعيمها



لقـد حـاول العـدو خلال الضربة الجويـة المضادة التـي قام بها الاقـتراب من المعابر لمهاجمتها ولكن باءت جميع محاولاته بالفشـل، ورغم ذلك عادت الشـكوى من ضرب المعابـر إلى الظهور ثانية، ولكن هذه المرة في قطاع الجيش الثالث الميداني فقط. وبولغ في تصويـر الموقف، ورغم أن هناك لواءً كاملا يحمي هذا القطاع وأعطى له من الأوامر ما يكفـل تدمـير أي طائرة معادية تقترب من قطـاع الجيش الثالث الميـداني، بالإضافة إلى أن هناك لواء سـام ٦ معه أيضا علاوة على حشـد هائل من المدفعية والصواريخ قصيرة المدى، فإن الشـكوى لم تتوقف، مما جعلنا نبحث وندقق في أسـبابها فاتضح أن ضرب المعابـر لم تقـم به القوات الجوية المعاديـة نهائيا، وإنما تقوم به مدفعيـة العدو بتركيز كبير وبدقة، وقد أدى هذا الزعم وتلك الشكوى إلى إعطاء الأوامر الصارمة للوحدات التي تدافع عن المعابر، مما أدى إلى قيام الأخيرة بالاشـتباك مع طائراتنا عند عودتها من تأدية مهامها تمشيًا مع المبدأ المعروف «الحذر يولد الخطر».

تدعيم الوقاية عن رءوس الكباري

كان من المقرر وفقا للتخطيط الموضوع للعملية الهجومية أن ينتقل حائط الصواريخ للأمام بنهاية قتال يوم ٧/ ١٠ لتتواجد وحداته غرب القناة على مسافات تتراوح بين ١/٢ -٣ كم، وكان من المفروض أنه بنهاية يوم ٧/ ١٠ تكون قوات الجيوش الميدانية قد حققت المهمة المباشرة المحددة في الخطة الموضوعة، والتي تتلخص في إنشاء رأس كوبري جيش في قطاع الجيش الثالث الميداني، وآخر في قطاع الجيش الثاني الميداني بعمق ١٠-١٢كم وإنشاء رأس كوبري فرقة في منطقة القنطرة بعمق ٨ - ١٠ كم. وكان من الضروري قبل إجراء عملية الانتقال معرفة موقف القوات البرية بالتدفق، ذلك الموقف الذي كنا نتابعه أولا بأول منذ مساء يوم ٦ أكتوبر للتأكيد من وجودهم تحت مظلة الصواريخ أو اتخاذ ما يلزم من قرارات لتعديل أوضاع حائط الصواريخ لضمان الوقاية المطلوبة، لقد كان موقف الجيوش الميدانية (سعت ١٨٠٠) يوم ٦ / ١٠ حسب ما تبلغ لنا هو أن القوات وصلت في تقدمها إلى مسافة ٦ كم شرقا. وقد كان هذا التقدم كفيلا بأن يديررءوسنا، إذ يعني أنها بتقدمها باكر ٧ / ١٠ بنفس المعدل ستخرج خارج نطاق الوقاية لحائط الصواريخ على الارتفاعات المنخفضة جدا، وتعتمد في وقايتها إزاء الهجمات المنخفضة جدا - وهي أسلوب العدو المألوف نهارا - على المدفعيات والصواريخ الفردية المحمولة على الكتف سام ٧ ، ولا شك أنها تعتبر غير كافية، وعلى ذلك طلبت صباح يوم ٧ / ١٠ التعرف على الموقف البري للجيوش الميدانية على مستوى الفرق واللواءات وبدقة حتى يمكن تحديد المناورة، وكانت أوضاع القوات بشكل عام على النحو التالي :

في قطاع الجيش الثاني الميداني الفرقة ١٦ مشاة على مسافة ٥ كم شرقا والفرقة الثانية والفرقة ١٨ مشاة على مسافة ٨ كم شرقا، علمًا بأنه سيتم التقدم أكثر خلال الساعات الباقية من النهار، أما في قطاع الجيش الثالث الميداني، فقد أبلغ فرع عمليات الجيش بأن الموقف عامة لا يسمح بانتقال وحدات الصواريخ خلفه، ولكني اتخذت قرار الانتقال خلف كل من الجيشين في ضوء عدة اعتبارات.

فبالنسبة لقطاع الجيش الثاني ينتظر تماما الاستيلاء على رأس الكوبري وفقا للخطة، ومعنى ذلك الوصول إلى الطريق العرضي الأول شرق القناة أو على مقربة منه، مما

يبعد مدفعية العدو عن استخدام هذا - الطريق، وبذا يتم إزاحتها للخلف لتعمل على الطريق العرضي الثاني الذي يمتد من الشمال للجنوب شرق القناة ممتدا من بالوظة إلى الطاسة جنوبا بعمق ٣٠ كم شرقا، وفي ذلك تأمين كامل لكتائبنا من قصف مدفعية العدو، وعلى أسوأ الفروض إن لم تتمكن قوات الجيش الثاني الميداني من إحراز أي تقدم خلاف ما أحرزته فإن خروجنا وانتقالنا للأمام سيبعد الطيران الإسرائيلي نهائيا للاقتراب لمسافة ٣٠ كم من القناة وبذا نخلق لقوات الجيش ظروفا للقتال أفضل، تمكنها في النهاية من تحقيق المهمة المباشرة للجيش، وإن كنا ستتعرض لبعض القصف من مدفعية العدو إلا أنه سيكون محدودا من ناحية القوة، ومن ناحية الفترة الزمنية، إذ أن خلق ظروف أفضل لقوات الجيش سيمكنها متابعة تقدمها صباح يوم ٨ / ١٠ بنجاح، وما هي إلا ساعات محدودة حتى تبتعد مدفعية العدو نهائيا عن مواقعنا.

ولكن هل كان ذلك التقدير صحيحا، الواقع يخالف ذلك تماما، فالمعلومات التي وصلت إلينا عن أوضاع قواتنا كانت مبالغا فيها تماما، وبالتالي كانت تقديراتنا هي الأخرى مبنية على أرضية غير سليمة مما أدى إلى مجابهة مدفعية العدو اعتبارا من أول ضوء يوم ٨ / ١٠ أما قطاع الجيش الثالث الميداني، فقد كان من المفروض في ضوء ما أبداه فرع عمليات الجيش من عدم سماح الموقف بالانتقال لاحتلال مواقع غرب القناة ألا ننتقل عملا بنصيحته، ولكن كان قراري الانتقال أيضا للأسباب الآتية :

أ - كثرة الشكوى طول يوم ٧ / ١٠ من أن القوات الجوية الإسرائيلية تقوم بضرب المعابر التي يقيمها الجيش وهي بمثابة الشريان الرئيسي له، وانتقال كتائب الصواريخ خلف المعابر ييسر وقاية أكثر وأبعد.

ب - عدم وضوح الموقف البري في قطاع الجيش الثالث الميداني قد يكون سببه أنه يواجه ضغطا بريا من العدو، وأن استمرار هذا الضغط يستلزم من العدو معاونة قواته معاونة جوية كبيرة؛ لذا يجب أن نقاوم هذا التدخل الجوي.

ج - إن انتقال وحدات الصواريخ للأمام سيخلق حاجزا من النيران على مسافة أبعد داخل سيناء، و سيؤدى إلى تدمير طائرات العدو من بعد ولا شك أن ذلك سيكون له أثر كبير فى القوات البرية القائمة بالهجوم.

تـم إبلاغ قرارى لقيادة قوات الدفاع الجوى و فى انتظار وصول التصديق، ثم البدء فى التنفيذ أرسـلت مجموعات المهندسـين لإتمام أي أعمال هندسية لازمة لتجهيز المواقع من الناحية الهندسـية للاحتلال، وفى (سـعت ١١٥٥) وصل التصديق بالنسـبة لقطاع الجيـش الثانـى و (سـعت ١٨٢٥) بالنسـبة لقطاع الجيـش الثالث، وكانـت الوحدات جاهزة لتنفيذ المهمة بمجرد وصول التصديق وفى التوقيتات المحددة لها.

كان الانتقال للأمام يهدف إلى نقل تسع كتائب صواريخ من سام ٢، سام٣ لتتواجد فى مواقع على بعد يتراوح ما بين عدة مئات من الأمتار فى بعض القطاعات إلى ثلاثة كيلو مـترات فى قطاعات أخرى، و نظرا لكثرة الشـكوى مـن ضرب المعابر فى قطاع الجيش الثالـث رأيـت زيادة دعم قطاعه عما هو مقرر بكتائب أخـرى حتى تهيأ له نفس الموقف الجـوى الـذى يعمـل فيه الجيش الثانـى و تنعدم الشـكوى من ضرب المعابر اسـتمرت الهجـمات الجويـة الإسرائيلية على عنفها حتى (سـعت ٢٠٠٠)، ثم أخذ الموقف الجوى فى الهـدوء، فقد حاول العـدو القيام بهجمات جوية بطائرات فردية على القوات و المعابر ورغم ما عليه العدو من مسـتوى تدريبى جيد فإن نتائجه فى قصف القوات ليلا سـواء باستخدام المشاعل أو أجهزة الرادار لم تنجح إطلاقا، وقد تميز نشاط العدو قيامه بطلعة استطلاع إلكترونى أكثر من ساعة تمت على مسافة ٥٠ كم شرق القناة.

أدى إحبـاط الضربة الجويـة الإسرائيلية المضادة خلال يـوم ٧/ ١٠ إلى تمكين قواتنا البريـة من إتمام إقامه الكبارى و إتمام عبور الوحدات المدرعة و أسـلحة الدعم اللازمة للقوات فى الشرق، مما جعل الموقف يزداد سـوءا بالنسـبة للقيادة الإسرائيلية، و الدليل على ذلك ما أذاعته محطة الإذاعه البريطانية (سعت ٢٢٠٠) بناء على ما أعلنه قائد القوات الإسرائيليـة فى سـيناء بأن أكثر من ٤٠٠ دبابة مصريـة تمكنت من عبور القناة و التواجد فى الضفة الشرقية، وأن السـيادة الجوية للقوات الجوية الإسرائيلية قد تخلخلت بمنطقة القنـاة بفضل شـبكة الصواريخ المصرية. لقـد يسر حائط الصواريـخ بنهاية يوم ٧/ ١٠ عبور خمس فرق مشاة وعدة مئات من الدبابات و الأسلحة المعاونة على كبارى محدودة أمـام قـوة جوية لها وزنها وثقلها العالمى، فكان ـ فى حـد ذاتة نجاحًا أيما نجاح، مما حدا بوزير الجيش الأمريكى إلى أن يصرح تصريحه المشـهور الذى قال فيه " إن عبور الجيش

المصرى للقناة رغم التفوق الجوى الإسرائيلي يعتبر نقطة تحول فى الحرب الحديثة، سيكون من شأنها إحداث تغيرات جذرية فى الاستراتيجيات العسكرية فى العالم، لقد عبر المصريون فى مواجهة سلاح جوى حديث أكبر مانع مائى دون أن يخسروا طائرة واحدة، وإنما عبورها فى حماية الصواريخ الموجة أرض-جو.

تحييد القوات الجوية الإسرائيلية

فشلت الهجمات المضادة التى قامت بها القوات الإسرائيلية يوم٧/ ١٠ فى إيقاف الهجوم المصرى، و تزايد خسائر القوات الإسرائيلية فى البر و الجو، وبات الموقف ينذر بأوخم العواقب، و كان لابد من حل لإيقاف الهجوم المصرى، وكان الحل هو القيام بهجوم مضاد كبير يوم ٨/ ١٠ على أن يحشد له كل ما تيسر من القوات البرية، و أن يخصص له أكبر مجهود جوى ممكن لمعاونته.

لقد أعلنت إسرائيل التعبئة الجزئية لقواتها يوم ٥/ ١٠، ثم أعلنت التعبئة العامة ٦/ ١٠ ومن المعروف وفقا لأسلوب التعبئة الاسرائيلي أن الاحتياطي الإسرائيلي والذي يزيد على ٢٠٠,٠٠٠ جندي يتم تعبئة في مدة تتراوح بين ٤٨ - ٧٢ ساعة، وعلي ذلك يمكن القول إن اتزان الموقف التكتيكي علي الجبهة المصرية هو الذي حدا بالقيادة الإسرائيلية إلى التفكير في القيام بهجوم مضاد قوي آخر يوم ٨/ ١٠، فقد أدت تعبئة الاحتياطي الى توفير قوات كبيرة نسبيًا لها في سيناء وخاصة في الدبابات .

كانت الخطة الإسرائيلية تقضي بالهجوم على الجيش الثاني في الشمال مع تثبيت الجيش الثالث فى الجنوب، و فى حالة نجاح الهجوم تقوم القوات الإسرائيلية باختراق مواقع القوات المصرية والوصول إلى المعابر المصرية والعبور عليها للغرب، بشرط أن تدور المعركة بعيدا عن مواقع الصواريخ المصرية بالضفة الغربية.

بدأ الهجوم الإسرائيلى صباح يوم ٨/ ١٠ حسب الخطة الموضوعة وفشل الهجوم، وتكررت الهجمات طول النهار ولكنها باءت بالفشل، وإزاء الإصرار الإسرائيلي على النجاح تم سحب بعض القوات من مواجهة الجيش الثالث الميداني لتعزيز الهجوم

ولكن فشلت كل الهجمات، بل اضطرت القوات الإسرائيلية إلى التراجع للخلف أكثر، وازداد الموقف سوءًا وانتهت الهجمات المتعددة التي تمت بأسر قائد اللواء ١٩٠ مدرع العقيد عساف ياجوري مسا يوم ٨ / ١٠، لقد حاولت القوات الإسرائيلية أن تمسك بزمزم المبادأة مرة ثانية يوم ٩ / ١٠، وذلك بالقيام ببعض الهجمات المضادة إلا أنها وجدت نفسها عاجزة عن وقف تقدم القوات المصرية، كما وجدت أن محاولة إيقافها تكلفتها الكثير من الخسائر؛ ولذا لم يكن أمامها سوى التراجع وترك الأرض، وهنا ظهرت بوادر الكارثة التي تحيق بإسرائيل، تلك الكارثة التي صورها وزير دفاعها موسى ديان بأنها نهاية العالم.

لقد حشد العدو كل إمكاناته الجوية لتدعيم هجماته المضادة يومي ٨، ٩ أكتوبر فلقد وجهت القوات الجوية الإسرائيلية ١٢٣٤ طلعة / طائرة إلى جبهة القتال يوم ٨ / ١٠، منها ٦٧٨ طلعة / طائرة نهارا، ٥٥٦ طلعة / طائرة ليلا في حين وجهت يوم ٩ أكتوبر ١٥٥٧ طلعة / طائرة منها ١١٠٥ طلعة / طائرة نهارًا والباقي ليلا، وقد اتسمت هجمات القوات الجوية الإسرائلية خلال اليومين بالعنف والرغبة المستميتة في مهاجمة القوات والمعابر، ومهاجمة حائط الصواريخ، وخاصة يوم ٩ / ١٠ وليس أدل على ذلك من أن مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم كان أكبر ما يمكن. إن ما تم من مجهود خلال نهار يوم ٩ / ١٠ يعتبر ذروة النشاط النهاري الذي تم خلال المعركة كلها.

لقد تميز من مجهود العدو يوم ٨ / ١٠ قيامه بأربعة هجمات مركزة على مواجهة القتال تخللتها هجمات متفرقة، بالإضافة إلى قيام العدو بمهاجمة مدينة بورسعيد. لقد بلغ إجمالي ما وجهه العدو إلى مواجهة القتال خلال هجماته المركزة ما يتراوح بين ١٦٩ – ٢٣٤ طلعة/ طائرة خص القطاع الشمالي منها ما بين ١٠٢ – ١١٤ طلعة / طائرة والقطاع الأوسط ما بين ٥٠ – ٦٨ طلعة / طائرة، والقطاع الجنوبي ما بين ٤٤ – ٥٠ طلعة / طائرة، أما على بورسعيد فقد قام العدو بهجمتين جويتين بالإضافة إلى بعض الهجمات بطائرات مفردة أو أزواج.

لقد كانت آمال العدو يوم ٨ / ١٠ في النيل من حائط الصواريخ لا تزال قائمة، لقد حاول العدو ذلك منذ ساعات الصباح الأولى، فحاول الاقتراب من حائط الصواريخ ومهاجمة كتائبه، ولكن كان طمعا سائغا لصواريخه، لقد كرر العدو ذلك في هجماته الأربع الرئيسية طول اليوم ولكن دون جدوى. لقد اعتمد العدو في هجومه على كتائب الصواريخ على وسائل استطلاعه وذلك في تحديد الكتائب المراد مهاجمتها وخاصة معلومات الاستطلاع الإلكتروني، والظاهر أن العدو خرج من كل ذلك بنتيجة مؤكدة وهي بقاء حائط الصواريخ على أوضاعه، وهذا عكس ما حدث تماما ـ فقد كانت - هناك تسع كتائب على مقربة من القناة وقامت بالاشتباك معه منذ ساعات الصباح الأولى ودمرت له عدة طائرات وحوالي (سعت ١٠٠٠) فطن العدو لما حدث وابتعد تماما عن مناطق تدمير كتائب الصواريخ الأمامية وهي في ذلك الوقت تمد وقايتها شرقا لمسافة ٢٢ كم فأكثر.

في ضوء ذلك الفشل المتكرر قام العدو بمهاجمة موقع رادار العين السخنة (جنوب السويس بنحو ٣٠ كم) منتزها - فرصة وجوده خارج التغطية بالصواريخ وذلك بعدد ٤ طائرات على ارتفاع أكبر من ٢ كم حتى يتجنب الاشتباك مع عناصر الدفاع عن الموقع، وقد تمكن من إلحاق خسائر محدودة بالمعدات الموجودة في العراء بالإضافة إلى ذلك حاول العدو إتمام مهامه سواء بالهجوم على القوات أوالمعابر أو كتائب الصواريخ بأسلوب الفرصة السانحة، مع عدم المخاطرة، ولكن لم تمكنه وحدات الصواريخ من النجاح واستخدمت معه أساليب متعددة كي تعتقد له أسلوب التعرف على ما يتم وكانت النتيجة لذلك تدمير طائرات أخرى للعدو.

لكن هل قبل العدو أن يكون فريسة لصواريخنا دون أن ينال منها، لم يقبل العدو ذلك ولم يخلد إلى الواقع الجديد الذي يراه لأول مرة، فقد كان واقعا مرا أن يرى أمام عينيه قواته الجوية تتهاوى كما تتهاوى أوراق الخريف وهي القوات التي كان يفاخر بها العالم أجمع، ويبذل في إعدادها ما يفوق الوصف، إلاأن الصلف الإسرائيلي والغطرسة المتوارثة فيهم جعلتهم يتعامون عن ذلك ويدفعون بطائراتهم في محاولات فاشلة للهجوم، ورغم أساليب العدو من مناورة واستخدام للصواريخ شرايك والإعاقة

الإلكترونيـة بأنواعها فلم يفلت من تدمير طائراته بواسـطة صواريخنا. لقد تمكن حائط الصواريخ خلال هذا اليوم من تدمير ٣٣ طائرة للعدو، منها ٢٨ طائرة مؤكدة.

العدو يهاجم بورسعيد

قامت وحدات الصواريخ ببورسعيد بحكم أوضاعهاالقتالية بالاشتباك المحدود مع العـدو يومـي ٦، ٧ / ١٠ وذلك لمنع طائرات العدو من مهاجمة قواتنا المتقدمة بحذاء سـاحل البحر الأبيض المتوسـط للاسـتيلاء على النقطـة الحصينة للعـدو الواقعة شرق بورفـؤاد والمتقدمة بحذاء الضفة الشرقية للقناة للاسـتيلاء على النقطة الحصينة المعروفة باسـم الكيلو ١١، وخلال هذين اليومين لم تحـاول الطائرات الإسرائيلية مهاجمة مدينة بورسـعيد ولا وحـدات الصواريخ القائمة بالدفاع عنهـا. ولكن جاء يوم ٨ / ١٠ وهو يحمل بين طياته الكثير لوحدات الصواريخ، فلقد هاجم العدو تجميع الصواريخ القائم بالدفاع عن بورسعيد وذلك لأول مرة. تمت الهجمة الأولى حوالي (سعت ١١٣٠) بقوة ١٦ طائرة، واسـتمرت نحو نصف سـاعة في حين تمت الهجمة الثانية (سـعت ١٥٣٠) بقـوة ٢٤ طائـرة عـلى موجتـين تخللها بعض الهجـمات الفرديـة، وقد تمكـن العدو من إسـكات عـدة كتائب صواريـخ في هجومه هـذا، وتمكنت الوحدات مـن تدمير بعض الطائرات للعدو.

وهنا يقفز السـؤال الآتي، لماذا هاجم العدو بورسـعيد خلال هذا اليوم – ولم يهاجمها خـلال يومـي ٦، ٧ ؟ الواقـع أن العـدو هالـه – خسـائره في قواتـه الجوية يومـي ٦، ٧ أكتوبـر، تلك الخسـائر التـي بلغت ٥٤ طائرة بـين مؤكدة وغير مؤكدة بواسـطة حائط الصواريـخ فقـط، مما أذهل القيادة الإسرائيلية. لقد أدت هذه الخسـائر في الطائرات إلى فقـدان عدد كبير من الطيارين المحترفين، مما أصـاب العدو بالذهول من هول الصدمة خسـائر في الطائرات وخسـائر في أكفأ الطيارين لديه، فأراد أن ينتقم مما حدث فلم يجد أمامه سوى بورسعيد فيقوم بمهاجمتها لتحقيق الآتي :

أ – محاولة تدمير وحدات الصواريخ أرض– جو التي تدافع عن بورسعيد.

ب– رفع معنويات طياريه التي انهارت نتيجة خسائر الأيام السابقة مما أدى إلى إضراب طيـاري الطائرات سـكاي هوك عن الطـيران، وقيام القيـادة الإسرائيلية بمحاكمة

بعـض الطيارين وإعدام بعضهم، وربطهم بعد ذلك بالسلاسـل في الطائرات حتى لا يهبطوا بالمظلات فرارا من الصواريخ.

ج - محاولة استنزاف وسائل الدفاع الجوي في حالة محاولة الإصرار على استمرار الدفاع عن بورسـعيد بغرض استهلاك الاحتياطي المتيسر، وبالتالي يقلل أو يحد من إمكان استخدامه على مواجهة القتال الرئيسية.

لقـد بلغت خسـائر القوات الجويـة الإسرائيليـة بانتهاء قتال يـوم ٨ / ١٠ نحو ٧٢ طائرة؛ أي ما يقرب من ١٧ ٪ من قواته الجوية، وكان من المفروض أن تنكمش القوات الجوية الإسرائيلية ويقل مجهودها الجوي إلا أن ماحدث كان هو العكس، فمع تباشـير نهـار يـوم ٩ / ١٠ وضح تصميم العدو عـلى النيل من حائط الصواريـخ وتقديم أقصى معاونـة ممكنة لقواته البرية، فحشـد لذلك كل مـا يمكن من قواته الجوية حتى بلغ عدد طلعاتها ذلك العدد الذي سبق توضيحه. ولكن لماذا هذا الحشد من الطائرات، ومن أين أمكن تدبيره ؟ لقد ظنت القيادة الإسرائيلية في ضوء ما أحرزته من نجاح ضد وحدات الصواريخ في بورسـعيد يـوم ٨ / ١٠ أنها وجدت حلا للتعامل مـع حائط الصواريخ، فلـو أضفنا إلى ذلك أن نجاح هجمات العـدو المضادة ضد قواتنا المهاجمة تتوقف إلى حد كبـير على مدى ماتقدمه القـوات الجوية الإسرائيلية من معاونـة صادقة لوضح لنا تماما لماذا هذا الحشـد من الطائرات الذي يعتبر أكبر ما اسـتخدمه العدو خلال حرب أكتوبر كلها نهارا، أما من أين له ذلك العدد، فالواقع أن العدو سحب جزءا من مجهوده الجوي على الجبهة السـورية ليستخدمه خلال هذا اليوم على الجبهة المصرية. لقد بدأت القوات الجويـة الإسرائيلية هجومها هذا اليوم مبكرا عـن المعتاد، وقد تميز من قتالها خلال نهار يـوم ٩ / ١٠ قيامهـا بهجمتين جويتـين مركزتين، بدأت أولاهما (سـعت ٠٥٣٠) بعد بزوغ فجر ذلك اليوم استمرت نحو ساعة واستخدم العدو فيها ٦٠ طلعة / طائرة، أما الهجمة الثانية فقد تمت (سـعت ٠٧٠٠) واسـتمرت هي الأخرى نحو سـاعة استخدم العدو فيها نحو ٧٠ طلعة / طائرة، خص قطاع الجيش الثاني الميداني منهما ٨٠ طلعة / طائرة، وبالباقي لقطاع الجيش الثالث الميداني، بجانب ذلك قام العدو (سعت ٠٧٠٠) بمهاجمـة مطـاري القطاميـة والمنصورة بغـرض قفلهما لمنـع القوات الجويـة المصرية من تقديم معاونتها للقوات.

لقد قاتلت وحدات حائط الصواريخ خلال هذا اليوم قتالا بارعا ولم يتمكن العدو من تحقيق مهامه، بل مدت وقايتها شمالا في اتجاه بورسعيد وتمكنت من اصطياد طائرات العدو التي تقترب من اتجاه الجنوب الشرقي لمدينة بورسعيد وخسر العدو عددا كبيرا من طائراته في الهجمات الجوية المركزة التي كان يبغي من ورائها الكثير، مما جعله يحجم عن تقديم المعاونة الجوية لقواته بالأسلوب المطلوب خشية تزايد خسائره، ورغم ذلك استمرت خسائر العدو تتزايد ساعة بعد أخرى، .وليس أدل على ذلك من استمرار ازدياد موقفه البري سوءًا هو الآخر، وفي آخر ضوء أفادت معلومات الاستطلاع اللاسلكي باحتمال قيام العدو بهجمة جوية على جبهة القتال بغرض ضرب المعابر والقوات المتقدمة، وفعلا تمت الهجمة وألحقنا بالعدو المزيد من الخسائر، لقد بلغ ما تم تدميره من طائرات العدو خلال هذا اليوم ٣١ طائرة منها ٢٩ طائرة مؤكدة.

إن ما فعله العدو في بورسعيد يوم ٨ / ١٠ وما كان يستهدفه من رفع معنويات طياريه سواء نجح في ذلك أم خسر قد أحلناه اعتبارا من أول ضوء يوم ٩ / ١٠ إلى سراب مرة أخرى، لقد ردته الخسائر المتتالية في طائراته إلى صوابه أفهمته حجمه الحقيقي. فبدأ يمارس نشاطه في مهاجمة القوات في حالة من الذعر والهلع، لقد سجلت وحدات استطلاعنا بعض ما كان يدور بين الطيارين من محادثات كلها توضح مدى الفزع الذي يصيب الطيارين عند دخولهم مناطق تدمير حائط الصواريخ. إن أحسن ما فيها ماقاله أحد قادة التشكيلات الجوية الإسرائيلية لأفراد تشكيله « ارمي الحمولة وانجو بحياتك » وهبط أحد الطيارين الإسرائيلين خلال هذا اليوم، وعند استجوابه بعد أن فاق من هول الصدمة لفظ جملة واحدة وكانت الأخيرة في حياته، إذ قال عندما سُئل عن سبب سقوطه : «أنا شفت صاروخ أنا مت».

أمام فشل القوات الإسرائيلية خلال يوم ٩ / ١٠ في إيقاف تقدم القوات المصرية انهارت آمال القيادة الإسرائيلية في المصرية تماما وكان رد الفعل المباشر لذلك هو تصريحات الكثير من القادة الإسرائيليين بتدهور الموقف مما جعل الجنرال ديان يعمل على مقابلة رئيسة الوزراء ويشرح لها الموقف ويعلل لها أسباب انتصار العرب، ويرجعها أساسا إلى عاملي التفوق في العدد والسلاح مطالبا إياها بالمزيد من السلاح وخاصة الطائرات لاستعواض ما تم من خسائر، ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، بل إن الجنرال ديان صرح تصريحه المعروف في ذلك اليوم الذي نقلته الصحافة العالمية ومنع

نشره كاملا في إسرائيل. لقد جعل هذا التصريح الشعب في إسرائيل يعتقد أن الأمل في النصر الذي سبق أن أعلنه ديان قد ازداد بعدا، وأصبح سرابا. لقد ذكر الجنرال ديان من ضمن ما ذكر «أن هالة التفوق الإسرائيلي قد انتهت، فلقد تم تحييد القوات الجوية الإسرائيلية بواسطة الصواريخ المصرية، لقد بلغت الخسائر فيها في اليومين الأولين للحرب ٦٠ طائرة، منها ٣٦ طائرة فانتوم، ٢٤ طائرة سكاي هوك، أنه في ضوء الموقف العسكري القائم متشائم، وأنه لا يمكنه أن يكتم بوادر الكارثة المقبلة عليها إسرائيل، أن الحرب أثبتت أن إسرائيل ليست أقوى من العرب».

إحباط أول محاولة لإقامة رأس كوبري في الغرب

تضمنت خطة الهجوم المضاد التي قام بها العدو يوم ٨ / ١٠ العبور للغرب بعد اختراق للمواقع المصرية، وفي سبيل إنجاح ذلك قام العدو (سعت ٠٩٠٠) بإبرار جوي في المنطقة الشجرية جنوب القلاح بواسطة طائرتين هليوكبتر تسللتا على ارتفاع منخفض جدا وبمجرد أن أبلغت عنها نقط المراقبة وكتائب الصواريخ المجاورة لمنطقة القناة كان من الضروري القضاء على هذه المحاولة لوقوعها على مقربة من كتائب الصواريخ لتفوت على العدو الغرض الذي من أجله تم الإبرار، وعلى الفور صدرت الأوامر إلى بعض كتائب الصواريخ المجاورة بتحريك أطقم الرشاشات المضادة للطائرات على ناقلات مدرعة إلى منطقة الإبرار وقتال العدو بمجرد وصولها، وبدء اشتباكها معه ولى الأدبار عائدا إلى الضفة الشرقية.

ولكن ما الغرض من هذه العملية، هل كان الغرض استطلاعا تفصيليا للمنطقة لتحديد أماكن مناسبة لتكوين رأس كوبري غرب القناة في حالة نجاح هجومهم المضاد الكبير ؟ أو كان الغرض اتخاذ قاعدة يقوم منها بأسلحة خفيفة بقصف كتائب الصواريخ وتدميرها متخذا من أشجار الحدائق المنتشرة في المنطقة ستارا للاختفاء ؟ وواقع الأمر يدل أن الاحتمال الأول - برغم وروده في الخطة الإسرائيلية للهجوم المضاد - احتمال بعيد عن التفكير الصحيح، ويوضح بجلاء كيف كانت القيادة الإسرائيلية تتخبط، فكيف يعقل أن يتم عبور للغرب والأنساق الثانية للجيوش الميدانية لاتزال غرب القناة، وكيف يتم التواجد غرب القناة بعيدا عن مواقع الصواريخ، ومواقع الصواريخ منتشرة غرب القناة وبامتدادها ؟ إنه الغرور الإسرائيلي وما رسخ في عقولهم

مـن الجولات الثلاث السـابقة من أن أنسـب أسـلوب لإحداث الخلل وعـدم التوازن المطلـوب في القـوات المصرية هـو التواجد خلف هـذه القوات، وبـذا يصبح الاحتمال الثاني القائم وفي حالة نجاحه ونجاح الهجوم المضاد يمكن نجاح الاحتمال الأول.

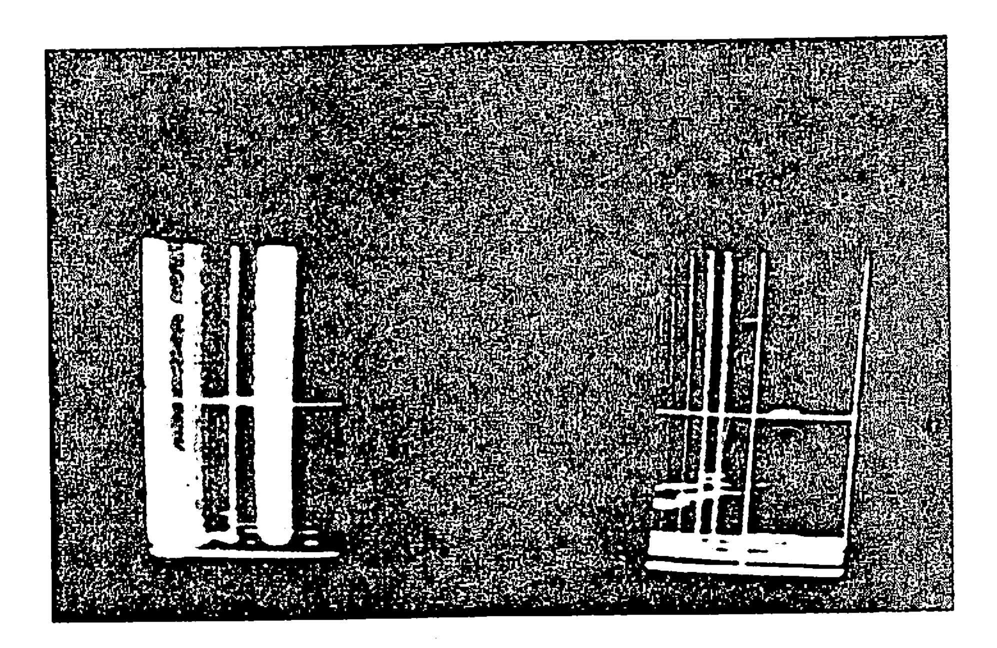
استخدام الطائرات الموجهة لا سلكيا :

بدأ العدو يستخدم هذا النوع من الطائرات عندما زادت خسائر وأحس بفشله أمام حائط الصواريخ وشهد يوم ٨ / ١٠ أول استخدام لها خلال هذه المرحلة من القتال، لقد استخدمها العدو بعد أن طاشت تقديراته عن أوضاع حائط الصواريخ، تلك الأوضاع الجديـدة التـي كان عليها يوم ٨ / ١٠، والتـي أدت - رغم حذره وتقديراته - إلى مزيد مـن الخسـائر، ولما فطن إلى ذلك بدأ في اسـتخدام الطائـرات الموجهة من طـراز «ريان فيربي» بغرض اسـتطلاع تشـكيل قتال حائـط الصواريخ بالطيران فوقـه مباشرة وذلك للحصول على معلومات دقيقة عن أوضاعه وأنواعه الحقيقية منها من الهيكلي وقرن هذا الاسـتخدام باسـتخدام بعض أنواع التداخل السلبي إلا أننا اكتشـفنا هذا التداخل فور استخدامه. أما استخدام الطائرات الموجهة، فقد خلق لنا مشكلة فلم يكن يدر بخاطرنا أن العدو سـيدفعها في المعركة مبكرا، ولكن كثرة خسـائرهم هي التي ألجأتهم إلى ذلك، لقـد أدى اسـتخدامها إلى تضارب في المعلومات عنها، لقـد التقطنا وحدات الرادار بل كتائـب الصواريخ أيضا، ولكن نظرا لتشـابهه شـكل هذه الطائـرات والظواهر الجوية عـلى مبينات الـرادار، كان من الـضروري التأكيد منهـا بالأجهزة البصرية أو الوسـائل التلفزيونية مع تحقق سرعتها، ولكن نظرا لصغر حجم هذا النوع من الطائرات وما بذل فيـه من تمويه جيد أصبحت رؤيته بهذه الوسـائل أمرا صعبـا، ونظرًا لعدم تأكيد رؤيتها رأيت عدم الاشتباك بها إلا إذا كانت مؤكدة الرؤية أو مسموعة الصوت حتى لا ننساق وراء مـا يبغيـة العدو من اسـتعمالها من قيامنا بالاشـتباك معها لاسـتنزاف عدد كبير من الصواريـخ عليها. لقد أدى اسـتخدامها إلى بلبلة في المناطق الخلفيـة، فكثرت بلاغاتهم عـن أهداف كثيرة بعضها فوق تشـكيل القتال، وبعضهـا في الشرق، وبعضها يتفق مع معلومـات وحـدات الـرادار، وأغلبها غير موجود نهائيا، وقد شـدت هـذه الأهداف انتبـاه قيادة الدفاع الجـوي والتي طالبت بتدميرها، ولكن ثقتـي في وحداتي جعلتني لا أولى هذه الأهداف كل هذا الاهتمام، واسـتمر عملنا يسير مع العدو بنفس الوتيرة التي حدتها منذ اليوم الأول، فالمعركة أولا وأخيرا في أعناقنا ونحن المسئولون عنها.

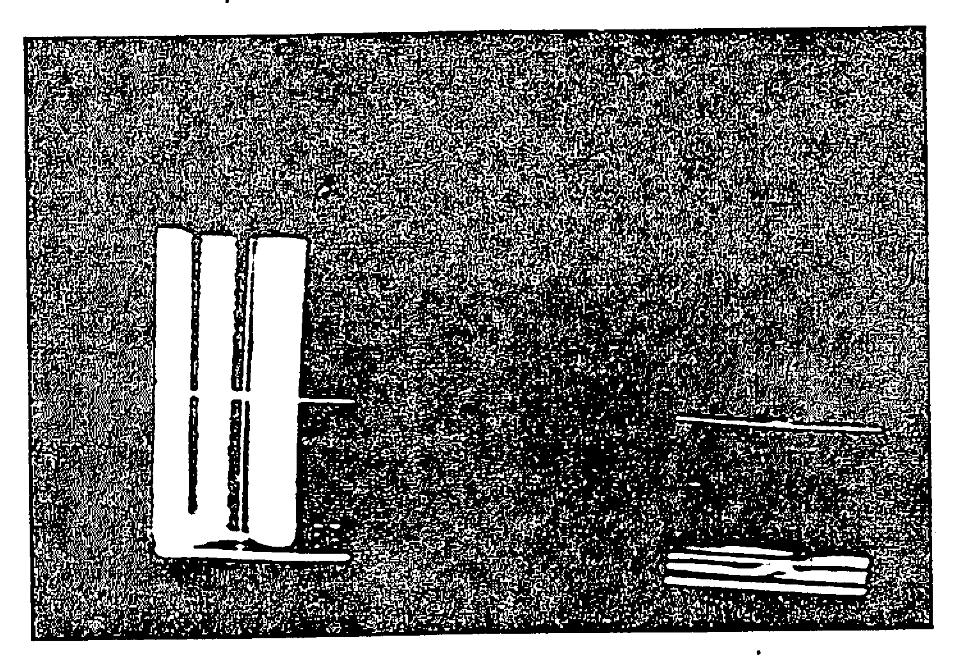
العدو يزيد من فاعلية الإعاقة الإلكترونية :

تم قصف مركز الإعاقة الإلكترونية في أم خشيب بواسطة الضربة الجوية المصرية، وبدأ حائط الصواريخ الاشتباك مع طائرات العدو، وكانت الإعاقة الإلكترونية التي يستخدمها العدو محدودة الشدة، وكانت غالبا من الطائرات المهاجمة أو من تلك الحاملة لأجهزة الإعاقة الإلكترونية، وتتواجد في الأماكن المخصصة لدوريات الإعاقة، وقد استمر الأمر على ذلك حتى (١٨٥٥) يوم ٦ / ١٠ حين بدأ العدو أول هجمة جوية ليلية في اتجاه الإسماعيلية، وهنا بدأت وحدات عديدة في الإبلاغ عن استخدام الأهداف الكاذبة في الوقت نفسه. ولقد ظهرت الأهداف الأخيرة راداريا، ولكن كنا من اليقظة لدرجة اكتشفنا معها منذ البداية حيل العدو، فلم تعن هذه الأهداف أي اهتمام، وبالتالي ضيعنا على العدو ما كان يبغيه من استخدامها، وهنا تطرق إلى خاطري مدى الأثر الذي أحدثه الهجوم الجوي الذي تم بعد ظهر يوم ٦ / ١٠ على مركزة الإعاقة الرئيسي للعدو في أم خشيب واحتمال قيام العدو بسرعة استعادة موقفة كله أو بعضه هذا بجانب ما أمكن رصده خلال هذه الهجمة من وجود مصادر جديدة للتداخل في اتجاهات جديدة لم يسبق تحديدها، تقوم فعلا بمعاونةأم خشيب في القيام بالإعاقة على كتائب الصواريخ، كل ذلك بالإضافة إلى طائرات التداخل التي كانت تطير شرقا.

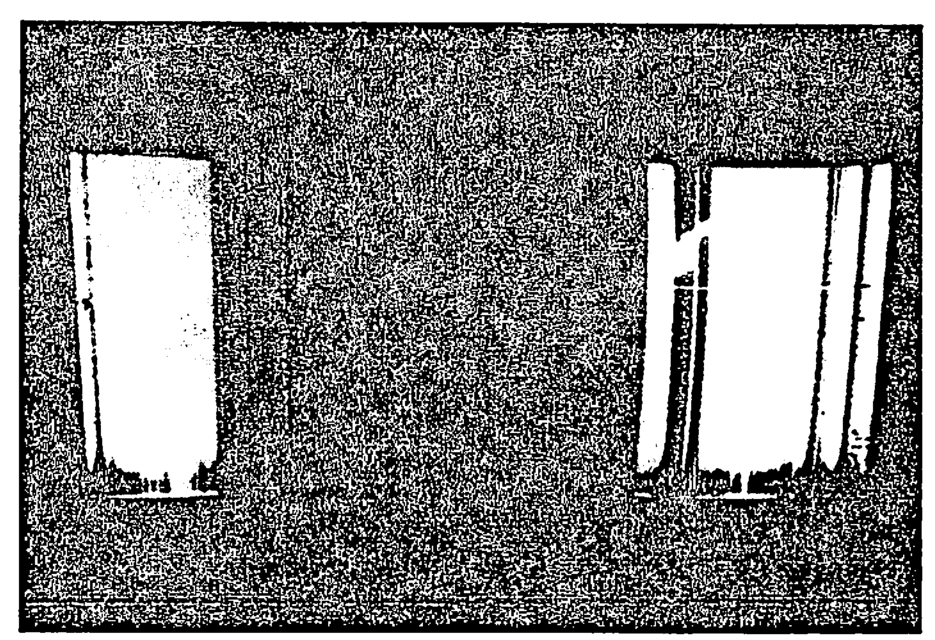
لقد أدت هذه الوسائل أثناء تنفيذ الهجمة الليلية إلى وجود إعاقة قوية في عدة اتجاهات مما جعلنا نلجأ إلى طلب معاونة القوات الجوية في تدمير طائرات التداخل الموجودة في الشرق ولكن لم يتيسر ذلك لظروف خاصة، كذا لم يتيسر قصف المراكز الجديدة للإعاقة التي أبلغنا عنها صباح يوم ٧ / ١٠ لنفس الظروف، واستمر الموقف على ذلك الحال حتى كان يوم ٩ / ١٠ وإذا بنا نفاجأ بزيادة شدة الإعاقة الإلكترونية على كتائب الصواريخ على طول مواجهة القتال وتعدد اتجاهات مصادرها، لدرجة أن بعض كتائب الصواريخ أبلغتنا أنها غير قادرة على اكتشاف الطائرات المعادية الموجودة، في الوقت نفسه الذي وصلت فيه معلومات من وسائل استطلاع الجيوش الميدانية تؤكد قيام العدو بفتح محطات رادار جديدة في بالوظة - الطاسة - أم سمارا - الجدى، واتضح من مراقبة هذه الاتجاهات أن هذه المحطات الرادارية التي تم الإبلاغ عنها ما هي إلا محطات إعاقة إلكترونية جديدة.



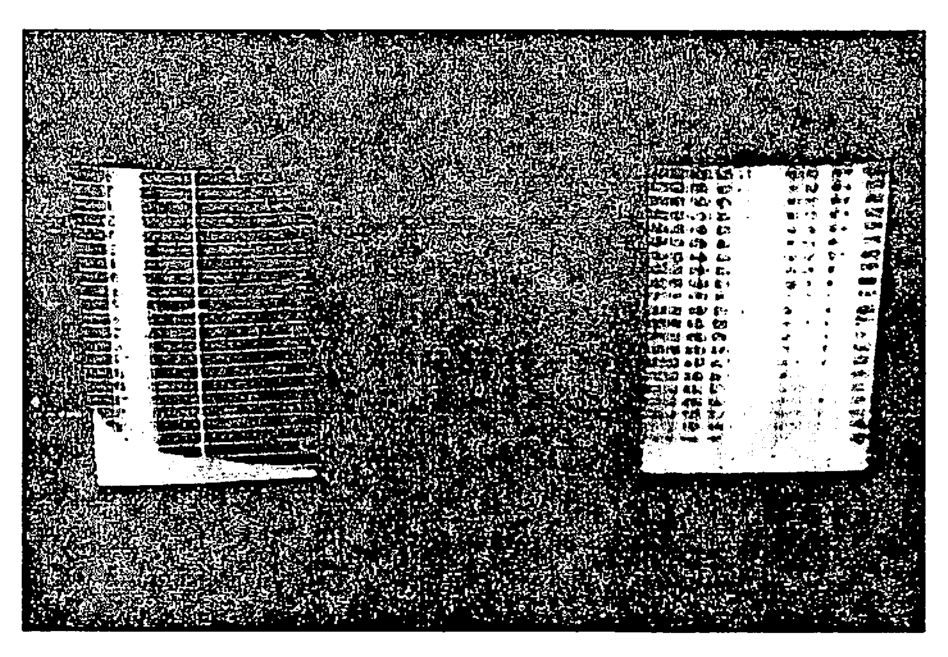
تداخل إيجابي بالشوشرة الطائرة تظهر على أحد المبينات قبل يوم ٦/ ١٠



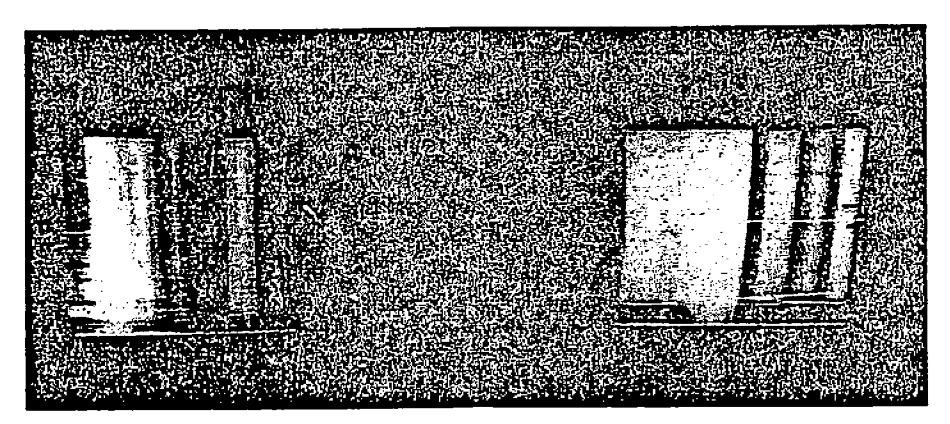
تداخل إيجابي بالشوشرة التداخل على مبين واحد. الطائرة تظهر على أحد المبينات قبل يوم ٦/ ١٠



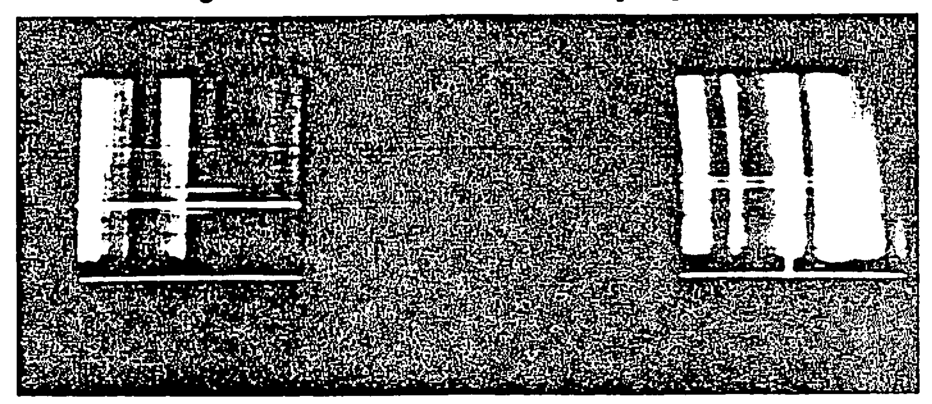
تداخل إيجابي بالشوشرة الطائرة/ الطائرات غير واضحة بعد يوم ٦/ ١٠



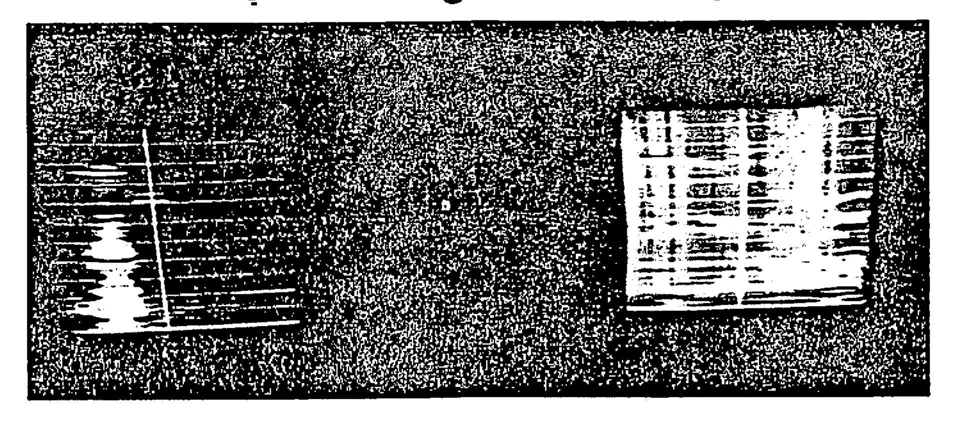
تداخل إيجابي بالشوشرة الطائرة واضحة على مبين دون الآخر بعد يوم ٦/ ١٠



تداخل إيجابي بالشوشرة الطائرة غير واضحة وسط التداخل



تداخل إيجابي بالشوشرة من طائرة استطلاع – االطائرة ظاهرة علي أحد المبينات



تداخل إيجابي بالشوشرة من طائرة هليوكبتر ـ الطائرة ظاهرة على مبين دون الآخر

لقد توفرت المعلومات أمام قوات الدفاع الجوي وهي تعلم سلفا مدى تأثير الإعاقة الإلكترونية على كتائب الصواريخ، ونصرا لما أحاط الموقف من سلبية طلبت منهم اتخاذ أي إجراء يهدف إلى إسكات عمل هذه المحطات أو تدميرها، وإزاء استمرار الموقف وتأثيره الشديد على الوحدات - ذلك التأثير الذي أضحى كالكابوس يثقل كاهل جميع القيادات، وخوفا على أن ينال ذلك من عزيمة المقاتلين وإصرارهم - دفعتهم دفعا بأساليب مختلفة معنوية، فنية، وتكتيكية للتغلب على تلك الإعاقة الإلكترونية فكان النجاح رائدهم، وتيسر لعديد من اشتباكاتهم النجاح.

لما فشل استخدام الإعاقة الإلكترونية الإيجابية ضد وحدات الصواريخ لجأ العدو اعتبارا من يوم ٨ / ١٠ إلى استخدام محدود للتداخل السلبي لم يكن له تأثير يذكر - إلا أنه عاد يوم ٩ / ١٠ إلى استخدام نوع جديد من هذا التداخل، وذلك بإلقاء العديد من الرقائق المعدنية ليتقدم تحت سترها دون أن - يميزه باغيا من وراء ذلك السلامة أولا واستنزاف الصواريخ على أهداف غير حقيقية ثانيا، لقد استخدم الأمريكيون ذلك النوع من التداخل السلبي في فيتنام خلال الهجوم الجوي الاستراتيجي الكبير الذي تم في ديسمبر ١٩٧٢، وقد أدى استخدام هذا النوع من الإعاقة إلى استنزاف مئات من الصواريخ إلا أننا كنا من الذكاء بحيث لم نقع فريسة لهذا الفخ إلا لكنا قد أطلقنا صواريخنا في الهواء دون أي نتيجة ملموسة، وموقف بعض أنواع الصواريخ منذ يوم ٨/ ١٠ بات شائكا.

هزيمة القوات الجوية الإسرائيلية

كان من الواجب أن نعمل على هزيمة القوات الجوية بعد تحييدها وتدميرها ٩٨ طائرة مؤكدة، منها خلال الأيام الأربعة الماضية، وكان نجاحنا في تحقيق ذلك يتوقف على استمرار الإصرار والعناد في قتال العدو مع الاحتفاظ على الكفاءة القتالية العالية للوحدات وتوفر القدر المناسب من الصواريخ من أنواع سام ٢ معدل، أما من جانب القوات الجوية الإسرائيلية، فكان الموقف يتوقف على مدى إصرار العدو على استمرار دفعه لقواته الجوية لمعاونة قواته بعد أن وصلت خسائره فيها ما يقرب من ٢٠ ٪.

نلاحظ كثرة قيام العدو بالاستطلاع الجوي يومي ٨، ٩ أكتوبر، سواء أكان استطلاعا بالتصوير أم استطلاعا إلكترونيا، ولاشك أن لهذا الاستطلاع دلالته فيما يهدف إليه العدو من ناحية التعرف على أوضاع كتائب حائط الصواريخ، وكان لابد من عمل ما استعدادا لقتال يوم ١٠ / ١٠ إلا أن العدو قام بمفاجأة جديدة خلال ساعات بعد ظهر يوم ٩ / ١٠، إذ قام بطلعتين استطلاعيتين بطائرات الفانتوم على ارتفاع يتراوح بين ١٨ - ٢٠ كم، مركزا ذلك على قطاع الجيش الثاني الميداني فقط. وكان تحليلنا لذلك هو احتمال قيام العدو بمهاجمة القطاع الشمالي لحائط الصواريخ بين الإسماعيلية والقنطرة بغرض النيل منه، وخاصة أن الدفاع عن بورسعيد متوقف منذ يوم ٨ / ١٠ واحتمال استعادة موقفه قبل يومين أمر مشكوك فيه، كما أن صموده للقتال أمام القوات الجوية الإسرائيلية احتمال ضعيف، وعلى ذلك كان قراري هو القيام بمناورة واسعة على مواجهة حائط الصواريخ وفي عمقه لتغيير تشكيل القتال بغرض جعل المعلومات التي تحصل عليها العدو عن حائط الصواريخ غير حقيقية.

تم تحديد المناورة وأخطرت بها الوحدات للتنفيذ، وأخطرت بها قيادة قوات الدفاع الجوي. التي طلبت إرجاء التنفيذ انتظارا لوصول تعليمات جديدة، وفعلا وصلت التعليمات مع مندوبي شعبة العمليات (سعت ١٨٠٠) يوم ٩ / ١٠، وكانت تتلخص في الآتي :

أ - احتلال أكبر قدر من المواقع التامة التحصين لتلافي الخسائر من أي ضربة جوية.

ب - تنفيذ العبور لشرق القناة ليلة ١٠ / ١١ أكتوبر وفقا للخطة الموضوعة من قبل.

بلغ المجهود الذي وجهته القوات الجوية الإسرائيلية إلى جبهة القتال يوم ١٠ أكتوبر ١٢٣٣ طلعة / طائرة، منها ٨٥٦ طلعة / طائرة نهارا والباقي ليلا، رغم كبر المجهود الجوي الذي قام به العدو، فإن العدو قد هزته خسائر تماما مع عدم وصول إمدادات إليه حتى ذلك الوقت من الولايات المتحدة الأمريكية. تلك الإمدادات التي تم طلبها يوم ٨ / ١٠ وزاد عليها الطلب بإلحاح يوم ٩ / ١٠ لم يجد أمامه من سبيل سوى عدم دخول مناطق الصواريخ وترك قواته البرية تقاتل في معركة ارتداد تعطيلي مع القيام ببعض الهجمات المضادة المحدودة.

قامت ١٢ كتيبة صواريخ بالمناورة إلى مواقع جديدة حسب الخطة التي وضعت لذلك، كذا قامت عدة فصائل من الصواريخ الفردية سام ٢ - بالمناورة لتتفق أوضاعها مع الأوضاع الجديدة لحائط الصواريخ بعد المناورة.

لقد بلغت الكتائب غير الجاهزة (سعت ٧٠٠) يوم ١٠ أكتوبر، نحو ٣٥٪ من قوة حائط الصواريخ، بعضها يقع في الخط الأول ويواجه العدو مباشرة ويقدم أعماق وقاية للقوات والبعض الآخر يقع في العمق ويقدم الوقاية أيضا إلى رءوس الكباري، ومعنى ذلك هو أن كثافة النيران التي تغطي المواجهة قد قلت وكان لابد من بذل مجهود خارق لرفع نسبة استعداد الوحدات للقتال. لقد وصلت صلاحية بعض اللواءات في ذلك اليوم إلى نسبة تتراوح بين ٣٠ - ٤٥ ٪ رغم ما بذل من طاقات ومجهودات. لقد بذل مجموعات مهندسي الإصلاح كل ما في طاقاتها، ولكن الموقف لا يتحرك، وكان من الضروري دعم عناصر الإصلاح بالفرقة لعناصر من الاحتياط بالقاهرة، وطلبنا ذلك أكثر من مرة، ولكن لم يتم أي دعم لأن كل ما كان متيسرا من هذه العناصر تم دفعه إلى بورسعيد للمعاونة في إصلاح المعدات. لقد كان من المقدر استعادة الموقف في بورسعيد خلال ٢٤ ساعة؛ أي خلال ٩ / ١٠، ولكن لم يتم ذلك رغم ما حشد من إمكانات لذلك الغرض. إن السبب في انخفاض الكفاءة الفنية للوحدات يوم ١٠ / ١٠ يرجع إلى الأسباب الآتية :

أ - الإجهاد الذي حل بالوحدات وبمجموعات مهندسي الإصلاح لعملهم المتواصل أربعة أيام متوالية تقريبا دون قسط كافٍ من الراحة أو النوم.

ب - النقص الكبير في مجموعات مهندسي الإصلاح من بداية الحرب، إذ أن الموجود كان لا يتفق مع ما هو مخطط إليه.

ج - حالة عدم الثبات التي وصلت إليها بعض المعدات نتيجة لكثرة ساعات تشغيلها خلال أيام القتال السابقة.

إزاء ذلك كان لابد من إيجاد حل للخروج من هذا المأزق؛ لذا وضعت أسبقية لإصلاح بعض الوحدات على حساب البعض الآخر، وتبعا لذلك تم توزيع مجموعات مهندسي الإصلاح ووضعت أسبقيات إصلاح معدة على حساب معدة أخرى، وفي

ضوء ذلك بدأت الوحدات اعتبارا من (سعت ٩٠٠) تبلغ عن تمام استعدادها للقتال على التوالي، ولكن بعد أن مرت فترة من أحرج الفترات في القتال قام خلالها العدو بهجمته المركزة الأولى والأخيرة خلال هذا اليوم. لقد سعدنا بارتفاع مستوى الكفاءة القتالية لحائط الصواريخ تدريجيا وأصبحنا في شوق للقاء طيران العدو. ولكن للأسف رغم نشاطه الواضح خلال النهار على مواجهة القتال لم يحاول التداخل في أعمال قتال القوات المهاجمة بشكل جدي مؤثرا السلامة عن الوقوع فريسة لصواريخنا، لقد استخدم العدو في هجمته المركزة ٣٢ طلعة / طائرة، واستمرت ٢٠ دقيقة، ركزها أساسا على القطاع شمال الإسماعيلية، وقد تلاحظ خلال هذه الهجمة محاولات الطيارين الإسرائيليين في مهاجمة القوات من بعد، مؤثرين العودة إلى قواعدهم سالمين.

انتهى يوم ١٠ / ١٠ وقد أسقطنا للعدو ٥ طائرات مؤكدة ويرجع سبب قلة خسائر العدو إلى إحجامه التام عن دخول مناطق تدمير الصواريخ، لقد كان يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٧٣ هو بداية انحسار وابتعاد العدو فعلا عن معاونة قواته، ذلك الانحسار الذي استمر حتى يوم ١٤ / ١٠ / ١٩٧٣ والذي كان سببه هو خوف العدو من أن ينزل به خسائر أكثر من ذلك، والدعم الأمريكي الذي تقرر له لم يصل، وإن كان على وشك الوصول بالإضافة إلى حاجته إلى توفير ما يمكن من مجهود قواته الجوية لاستخدامها - كما ظهر بعد - على الجبهة السورية.

كان تقديري لأعمال العدو في ضوء ما سبق هو ضعف المجهود الجوي عن يوم ١١/ ١٠، رغم كثرة قيامه بالاستطلاع الإلكتروني طول الليل ورغم ما شوهد ليلة ١٠/ ١١ من نشاط غير عادي لطائرات النقل بين مطارات إسرائيل ومطارات المليز وتمادا ورأس سدر.

بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية يوم ١١ أكتوبر ٨٦٨ طلعة / طائرة، منها ٦٣٣ طلعة / طائرة نهارا، ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا الضعف في مجهود القوات الجوية الإسرائيلية هو السمة المميزة لأعمال هذه القوات حتى يوم ١٤ / ١٠، ورغم قيامها بالعديد من طلعات الاستطلاع الإلكتروني فإنها عززتها بأخرى تمت (سعت ٠٥٤٠) يوم ١١ / ١٠، واتضح منها ومما تم قبلها أن الغرض من كل ذلك الاستطلاع

هو التعرف على أوضاع حائط الصواريخ، والتأكد من أن وحداته لم تعبر إلى الشرق. لقد لاحظ العدو ـ بلا شك ـ الأعمال التي تجري في الشرق من تجهيز هندسي للمواقع، إلى إقامة مواقع هيكلية، وكان استنتاجه هو توقع عبور وحدات الصواريخ ليلة ١٠ / ١١، لذا كان استطلاعه الإلكتروني خلال هذه الليلة مكثفا للغاية.

لم تحاول القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم مهاجمة حائط الصواريخ ولا مهاجمة القوات بتأثير يذكر لنفس الأسباب التي سبق أن أوضحتها، والتي ستستمر سمة لأعمال قتال القوات الجوية الإسرائيلية حتى يوم ١٦ / ١٠.

لقد تميز من أعمال قتال القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم مهاجمة وحدات الصواريخ في بورسعيد، كذا وحدات الجيش الثالث المتقدمة على محور سدر بتركيز كبير، بالإضافة إلى مهاجمة مطار الصالحية، لقد تميز من مجهود العدو عند مهاجمته القوات البرية قيامه بهجمة جوية مركزة واحدة تمت في الفترة من (سعت ٨٥٥ إلى سعت ٩٢٠) بنحو ٤٠ – ٤٨ طلعة / طائرة.

كان هجوم القوات الجوية الإسرائيلية على القوات خلال الهجمة الجوية المركزة التي قامت بها محدودة في الأغراض التي وجهت إليها، فقد تركزت أساسا في اتجاه البلاح والسويس أي على كل من الفرقة الثانية المشاة والفرقة الثانية عشرة المشاة في محاولات يائسة لإنجاح هجماته المضادة المحدودة أو معاونة قواته في صد هجمات قواتنا وباءت كلها بالفشل.

لقد أولى العدو الوحدات التي تتقدم على محور سدر عناية كبيرة، نظرا لخطورة هذا المحور على طبيعة العمليات الدائرة والمستقبلة، وانتهز العدو فرصة ابتعاد هذه الوحدات عن حائط الصواريخ – كما اعتقد – وأخذ يصب عليها جام غضبه في هجمات متلاحقة كثيفة لم تجد عناصر المدفعية م / ط معها شيئا، لقد فطن العدو لذلك وأخذ يهاجم الوحدات من ارتفاعات ما بين ٤ – ٦ كم بغرض إيقاف تقدمها، وكان من المفروض إيجاد أسلوب للحد من نشاط العدو على هذا المحور، لقد كان لنا في قتاله عدة أساليب متنوعة، كلها تؤدي إلى تدميره بنسبة احتمال عالية، وقد تعارضت هذه الأساليب مع حاجة هذا المحور للوقاية، ولكن أمكن بتغيير في بعض الأساليب إمكان

توفير الوقاية إلى حد ما بثمن مكلف لا تتعادل تكلفته مع نتائجه، لقد أدت الحاجة إلى المحافظة على القوات وعلى المعنويات إلى التضحية ببعض الصواريخ، والتغاضي عن سلامة أسلوب القتال مع العدو في هذا الاتجاه.

قام العدو خلال باقي يوم ١١ / ١٠ بهجمات جوية متفرقة أغلبها سيطر عليه الجبن والذعر والخوف مما تقلل من فاعلية هذه الهجمات، لقد كانت القوات الجوية الإسرائيلية أمام حائط الصواريخ صورة حية للجبن الإسرائيلي، فقد كان لنجاح قتال حائط الصواريخ معها منذ بدء الحرب وإفقادها اتزانها، ثم تحييدها وإخراجها من المعركة بعد ذلك أثر في زيادة خسائرها يوما بعد يوم، ثم إتمام هزيمتها بعد ذلك، وليس أدل على إتمام هزيمتها سوى انسحاب العدو كلية من المعركة يوم ١١ / ١٠ فلم يكد ينتصف نهار يوم ١١ / ١٠ حتى انحسر نشاط القوات الجوية الإسرائيلية واقتصر نشاطها على العمل خارج مناطق تدمير الصواريخ ولجوئها إلى أسلوب الهجمات المتفرقة الطائشة. وبدأنا نعتقد أن السيادة الجوية أصبحت لنا، وبنهاية قتال هذا اليوم تمكن حائط الصواريخ من تدمير ٨ طائرات منهم ٥ طائرات مؤكدة، وبانتهاء هذه المرحلة من القتال تم تدمير ١٣١ طائرة منهم ١٠٨ طائرات مؤكدة.

مهمة العبور للشرق

سبق أن أوضحت أن مهمة العبور للشرق ظهرت لأول مرة على السطح ليلة ٩/ ١٠ أكتوبر، حيث طلب مني تنفيذ الانتقال للشرق وفقا للخطة الموضوعة على أن يتم ذلك ليلة ١٠ / ١١ أكتوبر.

لقد كان الانتقال للشرق واردا ضمن خطة العملية الهجومية، إذ كان من المخطط تواجد وحدات الصواريخ في الشرق بعد بدء التطوير (أي ليلة ي ١ / ي ٢ تطوير) وإن كنت قد طلبت أن يكون ذلك في الليلة السابقة للتطوير طالما أن رءوس الكباري ستكون بالأعماق المحددة ١٠ – ١٢ كم، وكانت حجتي في ذلك هي الرغبة في توفير الوقاية السليمة في اليوم الأول للتطوير لأبعد مسافة ممكنة، وذلك لاحتمال وجود القوات القائمة بالتطوير خارج مدى الوقاية بالصواريخ إن لم يكن طول اليوم فسيكون ذلك واقعا فعلا بعد ظهر ذلك اليوم، وخاصة على الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة

جـدا ٥٠٠ مـتر فأقل، إذ أن الوحدات سـتعتمد خـارج مدى الوقايـة بالصواريخ على الصواريخ الفردية سام ٧ والمدفعية م/ ط، وكانت ثقتي في الأخيرة تكاد تكون معدومة بالنسـبة لغالبيتهـا، أمـا الأولى فكانـت هذه المعركة عمـلي في مسرح قتالنـا تختبر فيه ولم يوافق على هذا الطلب.

في ضـوء ذلك أصدرت الأوامر لكي يأخذ التنفيذ سـبيله، وحددت أماكن التمركز الجديـدة للكتائب وقيادات الألوية، وقد تم اختيـار بعضها شرق القناة بعدة مئات من الأمتار فقط، وذلك لأن رءوس الكباري التي تم الاسـتيلاء عليها، كان عمقها محدودا إلى حد كبير، وبالأخص في منطقة القنطرة – جبل مريم – الشلوفة.

في صبـاح يـوم ١٠ / ١٠ كان الموقـف التكتيكي بالنسـبة لرءوس الكبـاري لايزال كـما هو عليـه من ناحية عدم اتسـاع عمقها، ممـا جعلني أعمل على تأكيـد مهمة العبور للـشرق، لاأعرف مـدى التصميم القائم على اسـتمرار الغبور رغـم الموقف التكتيكي السـائد، وفعلا تم تأكيد المهمة حوالي (سعت ١٠٠٠) يوم ١٠ / ١٠ وبعد مضي وقت قليل أخطرت بتأجيل التنفيذ لمدة ٢٤ ساعة.

تـم عمل خطة تحرك الوحدات على ضوء موقف المعابر الموجودة فعلا في كل قطاع، وأرسـلت التعليمات لقدة الأولوية، وقـد أدى تأخير العبور إلى وجود مزيد من الوقت تلتقط فيه الوحدات أنفاسها وتعيد مراجعة موقفنا والتأكد من سلامة المعدات والحملة والنواحـي الإدارية وأسـلوب التأمـين الفني، وإلى ذلك من النواحـي المختلفة اللازمة لسـلامة وتأمـين عملية عبـور الوحدات مـع قدراتها عـلى أدائها مهامهـا بنجاح شرقا، بالإضافـة إلى تحديـد الوحدات الفرعية التي سـتعبر كل ليلة، وقد اسـتدعى ذلك – في ضـوء قتال الأيـام الماضية – تعديلا كبيرا اسـتدعى ترك بعض الوحـدات ذات القدرة القتالية المحدودة أو تلك الوحدات التي أثبتت معداتها عدم كفاءتها، فمعنى دفع النوع الأول للقتال شرقا في معركة دموية يعني قدرة محدودة على تدمير العدو، أما دفع النوع الثاني – وهو من نوع سـام ٢ – فمعنى ذلك إنقاص القدرة القتالية للوحدات، وإلقاء عـبء كبـير على عاتق قادة اللواءات من ناحية إصلاحها وإمدادها بقطع الغيار وهم في غنى عن هذا الحمل.

في الوقت نفسه أتمت جماعات استطلاع الوحدات استطلاع المواقع الجديدة في الشرق، كما أتمت جماعات استطلاع المهندسين استطلاع الطرق، وبدأت في إنشاء المواقع التبادلية والهيكلية، كل ذلك تحت قصف مدفعية العدو. لقد أوضحت تقارير جماعات الاستطلاع ووحدات المهندسين مدى ما تعرضت إليه من قصف المدفعية في الشرق أثناء قيامها بتنفيذ مهامها، وإزاء تلك المعلومات بدأ النقاش يدور مع قادة اللواءات عن مدى تقدير خطر مدفعية العدو على كتائب الصواريخ عند احتلالها لمواقعها في الشرق، ولم يكن هناك من جواب سوى أنه بتطوير الهجوم سيرتد العدو للخلف عدة كيلو مترات، مما يبعد خطر المدفعية أو يقلله إلى حد كبير هذا هو التصور لتطوير الهجوم واحتمالاته على كتائب الصواريخ التي ستتواجد في الشرق، ولكن رغم هذا التصور فإن المخاوف على موقف الوحدات شرقا كانت لاتزال قائمة في أذهان قادة اللواءات والكتائب.

مهاجمة بورسعيد للمرة الثانية

بعد أن تمكن العدو في هجومه على وحدات الصواريخ أرض - جو في بورسعيد من إسكات عدة كتائب - بدأت عملية استعادة موقف الوحدات تأخذ طريقها اعتبارا من ليلية ٨ / ٩ أكتوبر لسرعة عودة الدفاع بالصواريخ إلى ما كان عليه، وكان مقدرا لهذه العملية التي حشدت لها كل الجهود والإمكانات أن تتم خلال ٢٤ ساعة على الأكثر.

وبرغم تأكد العدو من إسكات الدفاع بالصواريخ فإنه استمر في قصف المواقع يومي ٩، ١٠ أكتوبر وذلك نهارا بأعداد محدودة من الطائرات، واستمرت وحدات المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ الفردية سام ٧ تؤدي دورها دون فاعلية تذكر، وهنا يجدرينا أن نتعرف على الغرض الذي كان يسعى العدو إليه من استمرار قصف مواقع الصواريخ في بورسعيد يومين متتالين رغم تأكده من إسكاتها عقب هجوم يوم ٨، ١٠، لقد كانت هذه الأسباب منحصرة في سببين لا ثالث لهما :

أ - عرقلة عملية موقف وحدات الصواريخ الموجهة ببورسعيد سواء بإصلاح ما يمكن إصلاحه منها أو دعمها بوحدات جديدة

ب - إيهامنا إلى درجة اليقين أنه سيوجه مجهود بري لعزل بورسعيد، وقد كان ذلك الاحتمال واردا في الحسبان حتى نعمل من جانبنا على تعزيز الدفاع عنها بالصواريخ الموجهة مرة أخرى، مما يؤدي إلى استنزاف عناصر جديدة في وحدات الصواريخ الموجهة، لاشك أنها ستؤثر على سير المعركة في مواجهة القتال وهي اتجاه العمليات الرئيسي، ولنناقش كلا السببين للتعرف على أيهما كان العدو يرمي إلى تحقيقه.

إن رغبة العدو في عرقلة عملية استعادة موقف وحدات بورسعيد تخالف تماما ما كان يرمي إليه من مهاجمة بورسعيد بقواته الجوية، فعملية استعادة الموقف لا تحتاج إلى مجهود جوي كبير ومستمر، فإنما بعض الطلعات الفردية التي تحول دون إصلاح المعدات أو عرقلة عملية الإصلاح وجعلها تستغرق وقتا كبيرا. لقد كان تجميع بورسعيد تجميعا منعزلا مكونا من لواء صواريخ من خمس كتائب تقوم بالدفاع حول مدينة بورسعيد، وقد وجد العدو أنه من الضروري - بعد انهيار معنويات طياريه إزاء خسائره أمام حائط الصواريخ، وامتناعهم عن الطيران ولجوئه إلى إعدام بعضهم وتقيدهم بالسلاسل أثناء الطيران - أن يعمل على رفع معنويات طياريه وأن يثبت لهم فاعلة الطائرة أمام الصاروخ الموجه وأنها لم تفقد قدرتها على تدمير كتائب الصواريخ أو إيقافها وشلها عن العمل، فلم يكن أمامه سوى بورسعيد، وكان النجاح حليفه في ذلك، فتمكن في هجمتين متتاليتين يوم ٨ / ١٠ من أن يحقق ما يريد، وكان عليه أن يستمر في ممارسة هوايته في قصف مواقع بورسعيد لتأكيد سيادته الجوية فوقها بالإضافة إلى خلق موقف جوي يجبر فيه القوات الجوية على القيام بمهمة الدفاع عن بورسعيد بعد توقف الدفاع بالصواريخ عنها، وهنا يتم استدراجها في قتال جوي مدبر سبق له التمرس عليه خلال حرب الاستنزاف ويوقع بها خسائر وهي لاتزال حتى الآن محتفظة بكل قواتها تقريبا، ولاشك أن مثل ذلك الموقف سيؤدي تلقائيا إلى منع استعادة موقف وحدات الصواريخ الموجهة وستظل بورسيد شركا لاصطياد القوات الجوية المصرية فوقها.

أما الاحتمال الثاني - ولوأنه وارد في الحسبان - فإن قدرة العدو على الإبرار البحري غرب بورسعيد لاتتعدى كتيبة مشاة مدعمة بسرية دبابات يضاف إليها احتمال من كتيبة إلى اثنين يتم إبرارهم جوا، قوة محدودة تحتاج إلى مجهود جوي ضخم لإبرارها

وإمدادها، يقابلها من جانبنا قوات ذات حجم كبير قائمة بالدفاع عن بورسعيد، قادرة على منع العدو من أن يستولى على بورسعيد، حقيقة أن العدو كان قادرًا على عزل بورسعيد من الغرب والجنوب بعمليات الإبرار السابقة، ولكن ما جدوى ذلك وما تأثيره على مسرح القتال والعمليات الدائرة فيه، إذ أن استخدام القوات يخضع لمبدأ ثابت هو أن أي عمليات في اتجاهات ثانوية يجب أن تعود بطريقة غير مباشرة بأثرها على المعركة الدائرة في الاتجاه الرئيسي وعلى قدر هذا الأثر يتقرر استخدام القوات في اتجاه المجهود الثانوي، إن عملية العزل تمنع الإمداد، وذلك الحصار يحتاج إلى قوات وحتى ذلك الوقت كانت الأنساق الثانية للجيوش الميدانية واحتياطيات القيادة العامة لم تدفع للمعركة، وكانت هذه القوات كبيرة الحجم إذ تبلغ نحو أربعة فرق ما بين مدرعة ومشاة ميكانيكية غير بعض اللواءات المدرعة المستقلة، بالإضافة إلى أن قواتنا الجوية لاتزال قوية، فالخسائر التي لحقت بها حتى الآن محدودة، وعلى ذلك فلا يمكن العدو أن يخاطر بمثل هذه العملية، والعمليات البرية ليست في صالحه، فهجماته المضادة فشلت كلها، والقوات تعمق رأس الكوبرى رويدا رويدا، وسلاحه الجوي ومنى بالهزيمة تماما فخسائره حتى ذلك الوقت بلغت أكثر من ١٠٠ طائرة من الأنواع المختلفة، يؤكد ذلك ما أذاعته الدوائر الرسمية في البنتاجون من أن القوات الجوية الإسرائيلية خسرت ما لا يقل عن ١/٣ قواتها، وهي كما أسلفنا كانت ٤٤٨ طائرة قاذفة، وقاذفة مقاتلة من مختلف الأنواع.

الواقع أن العدو كان يهدف إلى تحقيق الإحتمال الأول جريا وراء منع استعادة الموقف، وسحب القوات الجوية إلى معارك قتال جوي ينال منها، وهذا ما أثبتته الأيام خلال حرب رمضان، فلم يحاول العدو خلال هجومه المضاد باحتياطياته التعبوية يوم ١٤، ١٥ أكتوبر - والدفاع بالصواريخ عن بورسعيد متوقف للمرة الثانية اعتبارا من يوم ١١ / ١٠ - لم يحاول العدو أن يعزل بورسعيد إلا أن تقديراتنا بكل أسف جرت وراء الاحتمال الثاني، وكان أن ذفعت بعض كتائب صواريخ أخرى من العمق لاستعادة موقف بورسعيد، وعودة الدفاع الجوي إلى حجمه الصحيح.

تم استعادة موقف الدفاع بالصواريخ وعاد إلى حجمه الأصلى وذلك بنهاية يوم ١٠/ ١٠، وفى صباح يوم ١١/ ١٠ عاود العدو هجومه على بور سعيد للمرة الثانية بغرض إسكات وحدات الصواريخ الموجهة، ورغم كثافة الهجوم الجوى الإسرائيلى،

فـإن وحـدات الدفاع الجوى قاتلـت العدو خلال هذا اليوم و تمكنت من إنزال خسـائر بالعدو، ورغم خسائرة فإنه استمر فى صب حقده على الوحدات وذلك بإلقاء عشرات القنابـل مـن مختلـف الأوزان عـلى مواقـع الصواريـخ، ممـا أدى إلى أن تفقـد وحدات الصواريخ قدرتها القتالية مرة ثانية نتيجة طبيعية لما ألحقه العدو من خسـائر فى المعدات بل وفى المواقع الخرسانية المقامة لها.

لقـد كان لمعظم الخسـائر فى وحـدات الصواريخ وتمكن العدو من إسـكاتها مرتين متتاليتـين إلى أن يتبنـى البعض سـببا بعيدا عن الواقع لتبرير ما حـدث، وكان أن ذكروا أو أذاعوا أن السـبب الذى يكمن وراء تركيز العدو بهذا الشـكل على بور سعيد إنما كان الغرض منه إقامة قواعد للصواريخ المصرية ذات المدى الطويل التى قد تواجه إلى العمق الإسرائيلى، وفاتهم أن أسـلحة الردع سـلاح ذو حدين، و أن البدء بالاسـتخدام يعنى المعاملـة بالمثـل، وحتـى ذلك الوقت، بـل إلى أن انتهت حرب أكتوبـر لم تحاول القوات الجويـة الإسرائيليـة ضرب أى أغـراض فى العمـق، فلـو أضفنا إلى ذلك عـدم ملاءمة بورسـعيد كمدينـة لدفع مثـل هذا النوع من الأسـلحة بها ووجود العديـد من الأماكن فى جبهـة القتـال الصالحة لذلك و تيسـير الإخفاء المطلوب لهذه الأسـلحة بالإضافة إلى طـول المـدى المتيسر لهـا لوضح لنا أن هذا التبرير لم يكن إلا وسـيلة لإخفاء كل ما تم فى بور سعيد.

أعمال العدو ضد المطارات الأمامية

كان حائط الصواريخ بحكم المهمة الموكلة إليه يقوم بالدفاع عن المطارات الأمامية فى القطاميـة، أبلـو حمـاد ـ الصالحيـة وذلـك بعناصر مـن المدفعيـة المضـادة للطائرات وعناصر من الصواريخ الفردية سام ٧.

بالإضافـة إلى الدفـاع بوحـدات الصواريـخ الموجهـة أرض ـ جـو. وكانـت هـذه المطـارات بحكم قربها من جبهة القتال هـى المطارات التى تتمركز فيها أسراب القوات الجوية المخصصة للمعاونة المباشرة للقوات البرية، وكان من الضرورى المحافظة عليها سـليمة دائما لضمان سرعة تلبية مطالب القـوات البرية، وعلى النقيض كان العدو يبغى قفلهـا و تدمير ما بها من طائرات وإخراجها من المعركة. إن أمكن ليحرم القوات البرية من معاونة القوات الجوية.

بدأ أول هجوم للعدو على المطارات الأمامية يوم ٧/ ١٠، إذ وجه العدو إلى مطاري القطامية والصالحية أول هجوم عليهما وذلك أثناء قيامه بضربته الجوية المضادة، ففي مطار القطامية استغل العدو عودة طائراتنا من الشرق، فتعقبها بغرض تدميرها قبل نزولها أو مهاجمة المطار وتدمير الممرات ليحول دون نزولها مما يعرضها للسقوط في حالة نقص الوقود، ولكن اللواء ١١٣ صواريخ بقيادة العقيد علوي، والفوج ٨٤ مدفعية بقيادة المقدم فاروق كانا بالمرصاد لتلك الهجمة، فبمجرد أن أبلغت راداراتنا البصرية على ساحل خليج السويس باقتراب العدو قام مركز القيادة بوضع خطة تتلخص في إنزال طائراتنا والتصدي للعدو المقترب خلفها وفعلا نجحت الخطة وأمكن نزول طائراتنا بسلام ومقابلة العدو بجميع الأسلحة من صواريخ متوسطة وقصيرة ومدفعية مضادة للطائرات، وكم كان ذلك مفاجأة له مما جعله يولي الفرار وتدمرت له طائرات سقطت قرب خليج السويس.

أما مطار الصالحية فقد وجه العدو للمطار والجانب الأيسر لحائط الصواريخ نحو ٨ طلعة / طائرة في مجموعتين، كل من أربع طائرات، وأخذ من بحيرة المنزلة ومصرف بحر البقر طريقا لاقترابه وقد كان توقعنا المسبق لاتجاه الهجوم سببا في صد الهجمة قبل الوصول للمطار. لقد تم وضع بعض وحدات الصواريخ سام ٧ في طريق الاقتراب في المناطق الزراعية المجاورة للمطار قامت بفتح النيران على العدو من اتجاهات لم يتوقعها مما أدى إلى أن يحل ارتباك بالتشكيل المهاجم مما حدا به إلى أن يلقي بحمولته بعيدا عن المطار وكتائب الصواريخ المجاورة له ويلوذ بالفرار في اتجاه الشرق.

هاجم العدو مطار القطامية للمرة الثانية يوم ٩ / ١٠ وذلك (سعت ٠٧١٧) بعدد ١٦ طلعة/ طائرة في مجموعتين كل من ٨ (طلعة / طائرة) خليط من الفانتوم والميراج اقتربت من اتجـ ، خليج السويس متخذة المنطقة الجبلية الممتدة من خليج السويس حتى المطار ساترا لها، ومن الأودية المتعددة التي تخترقها من الشرق - للغرب اتجاها محددا وواضحا للوصول إلى المطار، وبمجرد ظهورها على خليج السويس قامت وحدات الرادار البصرية المتمركزة على طول الخليج بالإبلاغ عن العدو وهو لايزال فوق مياه الخليج، بل تمكنت من تحديد قوته ونوع طائراته مما أعطى فرصة طيبة للوحدات القائمة بالدفاع عن المطار للاستعداد لملاقاة العدو ورغم استخدام العدو للقنابل

الزمنيـة وقنابل البلي والصواريخ أرض - جو بغرض تدمير الممرات والدشـم وإلحاق خسـائر بطاريات الاسـتعداد الموجودة على الممـرات فإن هجومه باء بالفشـل وتمكنت وحـدات الفرقة الثامنة (دفـاع جوي) بالقطامية من تدمير ٦ طائرات للعدو وسـقطت إحداهـا - من طـراز فانتوم - بمنطقة السـخنة وهبط طيارها وملاحهـا بالمظلات وتم أسرهمـا، وأخـرى سـقطت في منتصف خليج السـويس وهبط طيارهـا بالمظلات، أما الباقي فقد احتضنته المنطقة الجبلية لهضبة الجلالة البحرية لقد تم خلال هذا الهجوم أسر خمسة طيارين بمنطقة القطامية.

أمـا مطـار أبى حمـاد فقد هاجمه العـدو يـوم ١٠ / ١٠ وذلك ضمـن هجمته الجوية التـي وجههـا إلى المطـارات الموجـودة في شـمال الدلتا. لقد هاجـم العدو في هـذا اليوم بجانـب مطار أبى حماد مطاري المنصورة وقويسـنا، لقـد اقتربت مجموعة من الطائرات مـن اتجاه البحر البيض المتوسـط تقدر بنحو ٨ طائـرات فانتوم وميراج وهاجمت المطار، وقد طاشـت هجمة العدو تماما على المطار إلا من بعض أضرار محدودة في أحد الممرات أمكن إصلاحها وإعادته إلى حالته في وقت محدود جدا، لقد تم ضرب مطار «أبو حماد» في وقت كانت الوحدات قائمة فيه بتأمين إحدى طلعات قواتنا الجوية التي ستقلع بعد قليل من المطار، ذلك الوقت الذى عادة ما تكون فيه الوحدات غير جاهزة نفسيًا لصد أي هجمـة جويـة، إذ أن الشـواهد كلها تشـير إلى قيام قواتنا الجوية بالاسـتعداد داخل المطار لتنفيذ مهامها، وما يستتبع هذا الموقف من حذر شديد للوحدات القائمة بالدفاع عـن المطار لضمان سـلامة طائراتنا عند إقلاعها حتى لاتشـتبك معهـا، ولقد كان ذلك العمل الهجومي في ذلك الوقت من قبيل المصادفة المحضة.

عـاودت القوات الجويـة الإسرائيلية مهاجمـة مطار الصالحية (سـعت ٠٨٠٠) يوم ١١/ ١٠، وقـد هاجمـه العدو بطريقة جديدة لجأ فيها إلى سـحب قواتنـا الجوية إلى قتال جـوي معه ليخلق فرصة يتم خلالها مهاجمة مطـار الصالحية، لقد كان العدو على معرفة تامـة بموقف المظـلات الجوية التي تدفع بعـد أول ضوء توفير الوقايـة لمطار المنصورة، وفعلا تقدم العدو من اتجاه الشرق في اتجاه مطار المنصورة مارا على بحيرة المنزلة متحاشيا مناطـق الصواريـخ، وعلى ضوء ذلك تم دفع مقاتلات المنصورة لاعتراضه، ودار قتال جـوي بين الاثنين فوق بحيرة المنزلة هزم فيها العدو وأسـقط له طائـرة، إلا أنه خلال

هـذا القتال الجوي اقتربت أربع طائرات فانتوم وسـكاي هوك من اتجاه البحر مسـتغلة الانشغال بالمعركة الجوية الدائرة، واقتربت من مطار الصالحية في محاولة لتدمير الممرات أو الدشـم، ولكن كانت وحدات الدفاع الجوي عن المطار لها بالمرصاد سـواء وحدات المدفعيـة المضـادة للطائرات أو وحـدات الصواريخ المتوسـطة أو وحـدات الصواريخ الفردية سام ٧ التي كانت تحتل أوضاعها في الأراضي الزراعية وعلى مصرف بحر البقر – ممـا أدى إلى سـقوط طائرة وابتعاد الباقي في اتجاه الـشرق بعد أن ألقت بحمولتها على أحد الممرات وأصابته، ولكن تم إصلاحه بعد مدة وجيزة.

موقف المعدات

لقـد بـدأت متاعبنا مـع المعـدات تظهر على السـطح لأول مـرة عند انتقـال كتائب الصواريـخ ليلـة ٧/ ٨ أكتوبـر، وقد ظهرت بالنسـبة لنوع من كتائـب الصواريخ هي كتائـب الصواريخ سـام ٢، فلقـد كانت بعض كتائب الصواريخ مـن هذا النوع عاطلة منـذ بدايـة الحرب ولم تفلح الوسـائل المختلفـة في إصلاحها، كما أن البعـض الذي قام منها بالانتقال حسـب الخطة لم يتمكن من الاسـتعداد للقتال في التوقيتات المحدودة له، بل اسـتمر عاطلاً طول يوم ٨ / ١٠ برغم ما بذل فيه من محاولات للإصلاح بواسـطة مجموعة مهندسي الإصلاح، ولكن ما أسباب ذلك التعطل، هل هو عيب في المعدات؟ أو عـدم قـدرة مجموعـة الإصلاح على إتمام الإصـلاح ؟ الواقع أن العيـب كان كامنا في المعدات فهذه المعدات قديمة جدا وسلمت لنا من الاتحاد السوفيتي من ضمن صفقات الأسـلحة التي سـلمت لنا عقب قيام العدو بمهاجمة الأغراض الحيوية في العمق، ولا نـدري السـبب الذي حدا به لتسـليمنا سـلاحا متخلفا، بل إن شـئت قلـت قاتلا، لأن السلاح الذي لا يعمل في المعركة ضد العدو بكفاءة – فكأنما يوجه إلى صاحبه، فلاشك أن عـدم صلاحيتـه لها تأثير معنوي خطيرعـلى أطقم القتال، ومـن المفارقات أن معظم أطقم هذه الكتائب كانت على مسـتوى قتالي عالٍ، ولكن ما حيلتها ومعداتها لا تريد أن تسـتجيب لعمليات الإصلاح والضبط – وقد يتبادر إلى الذهن لماذا لم يتم تعديل الخطة ودفـع كتائـب أخرى للأمام بدلا منهـا، الواقع أن تجاور الوحدات مـن ناحية نوعياتها يخضع لمعايير فنية ومقاييس – تكتيكية تستلزم مراعاتها، كما أن النفس في صواريخ سام ٢ معدل الذي بدأ يظهر كمشكلة لم ييسر دفع بدل منها للأمام كل ذلك بالإضافة إلى أن

هذا النوع من الكتائب يكون نحو ٢٥ ٪ من قوة حائط الصواريخ أدى تشغيل المعدات بصفة مستمرة إلى بدء ظهور كثير من الأعطال في المعدات اعتبارا من يوم ٩ / ١٠، وقامت مجموعات مهندسي الإصلاح وعناصر قتال الوحدات خلال هذا اليوم ببذل مجهود ضخم للمحافظة على صلاحية عالية للمعدات، لقد وفقوا في كثير من الحالات وصادفتهم العقبات في بعض الحالات ولم يكن ذلك نابعا من جهد قصروا فيه أو علم لم يدرسوه أو خبرة لم يمارسوها، وإنما كان نابعا من المعدات التي كانت تصل لنا من الاحتياطي العام، كانت في حالة سيئة فهي إما غير سليمة أو ناقصة لبعض مكوناتها مما ألقى على قيادة التشكيل وعلى مجموعات مهندسي الإصلاح عبئا كبيرا، كان الأولى بذله في القتال أو الاحتفاظ به إلى أوقات الشدة ولا تخلو معركة من أيام شدة، فالمعارك لا تسير على وتيرة واحدة، وإنما هي مزيج من الجذب والشد، مزيج من الحركة والتوقف مزيج من البساطة والتعقيد، مزيج من التروي والتسرع، مزيج من الهدوء والعنف.

استمر موقف المعدات يتذبذب بين الصلاحية وعدم الصلاحية، وزادت المناورة التي قامت بها الكتائب متأخرة إلى زيادة نسبة الكتائب غير الجاهزة للقتال، وببزوغ صباح يوم ١٠ / ١٠ كانت نسبة الكتائب غير الجاهزة نحو ٣٥٪ من قوة حائط الصواريخ.

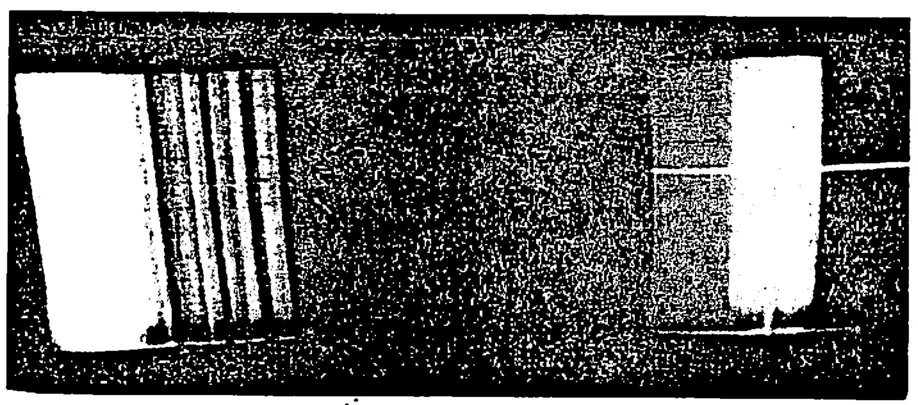
موقف الصواريخ

لم يأت يوم ٨ / ١٠ إلا وكان موقف الصواريخ من نوع سام ٢ معدل قد بدأ يهتز في القطاع الشمالي، وقد كان ذلك راجعا إلى تركيز العدو لهجماته الجوية على هذا القطاع وقيام وحدات سام ٢ معدل بدور كبير في الاشتباك مع العدو مما استدعى إعادة التوازن في عدد الصواريخ بوحدات هذا القطاع وذلك بالمناورة بالصواريخ من قطاعات أخرى، وكان من الضروري دراسة أسباب هذه الظاهرة، وفي ضوء تحليل ما تم من اشتباكات توصلت إلى حقيقة واضحة في أن وحدات سام ٢ معدل قد أثبتت قدرتها على تدمير العدو بكفاءة منقطعة النظير، تلك الكفاءة النابعة من قدرة الأطقم على سيادة المعدات أثناء الاشتباك، هذا بالإضافة إلى طول مدى اشتباكها عن وحدات سام ٣، وخاصة بالنسبة للأهداف المنخفضة، وهي الأهداف السائدة في هجمات العدو، لذا أصدرت أوامري للحد من استهلاك صواريخ سام ٢ معدل وبمعنى آخر قيدت

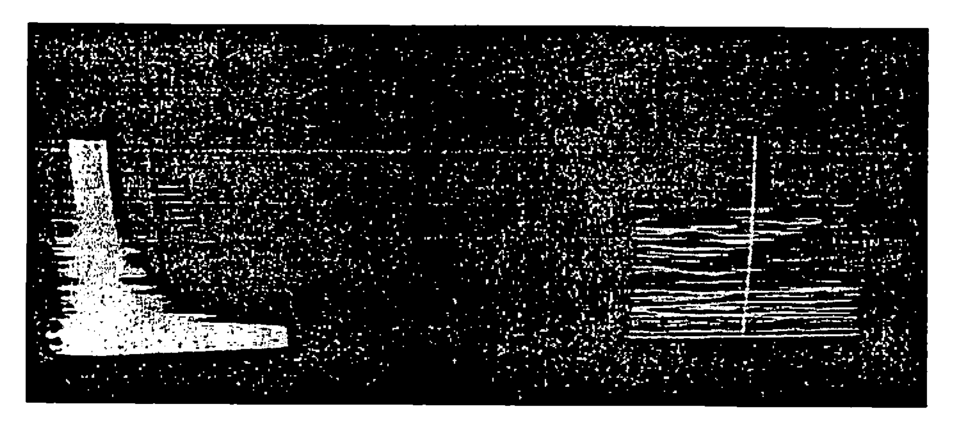
الاشتباك بها وأصدرت أسلوبا جديدا للتعامل مع الطائرات المعدية، وإزاء استمرار الموقف طول يوم ٨ / ١٠ مع كثرة ما تم من اشتباكات أدت إلى نقص أكثر في صورايخ سام ٢ معدل، إذ بلغ ما استهلك منها حتى نهاية يوم ٨ / ١٠ ما يقرب من ٤٥،٤ ٪من جملة المتيسر منها قبل بدء الحرب. اتصلت بقيادة الدفاع الجوي وطلبت منها بإلحاح أن تمدنا بقدر من صواريخ سام ٢ معدل، حيث إن الموجود منها في ضوء معدلات الاستهلاك اليومية لن ييسر القتال لأكثر من ستة أيام أخرى إذا استمر مجهود العدو على ذلك المعدل، ولو أن ذلك الأمر غير مضمون وخاصة أن العمليات ستتطور فيما بعد، وكان الرفض أمرا غير متوقع إلا أن الموقف ازداد سوءا يوم ٩ / ١٠ في ضوء ما تم من اشتباكات، وبلغت مشكلة نقص الصواريخ سام ٢ معدل درجة الحدية وتكررت طلباتنا من هذه النوعية ولكن لم تظهر قيادة الدفاع الجوي من البوادر ما يوحي بأن هناك شيئا ما سيتم اتخاذه لحل هذه المشكلة، وكان علينا أن ندبر الأمر داخليا ولكم كان ذلك عبئا ثقيلا أثناء المعركة، إلى أن تم توقف الدفاع بالصواريخ في بورسعيد للمرة الثانية بدأ إمدادنا بعدد محدود من الصواريخ وللأسف كانت في حالة فنية سيئة استنزفت مجهودا كبيرا في الإصلاح وعددا كبيرا من قطاع الغيار.

أساليب العدو

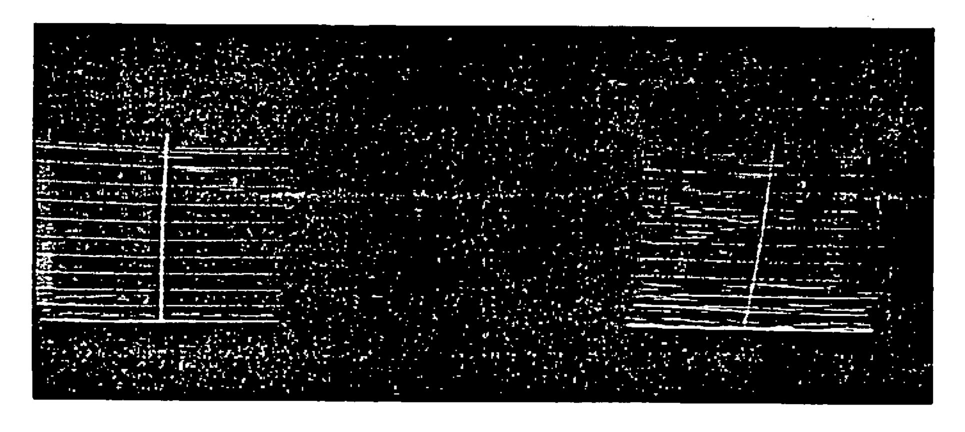
لقد استخدمت القوات الجوية الإسرائيلية بمجرد بدء القتال معها المناورة الحادة للإفلات من الصواريخ، وفعلا تمكنت في بعض الحالات من النجاح في حين فشل في الغالبية العظمى من محاولاتها، ولقد كان الغرض من ذلك هو استنزاف أكبر قدر من الصواريخ حتى يقل ما هو موجود منها لدينا، مما يقلل من اشتباكنا معها وهنا تتاح لها الفرصة لتدمير حائط الصواريخ، أسلوب مشتق مما حدث في فيتنام استخدمت القوات الجوية الأمريكية خلال الهجوم الجوي الاستراتيجي، واستمر هذا أحد أساليبه ولكن بزيادة الخسائر في الطيارين المحترفين أضحت المناورة غير مجدية أمام وحدات الصواريخ، مما جعل العدو يلجأ إلى استخدام الإعاقة السلبية بجانب الإعاقة الإيجابية التي زاد من شدتها وعمل على تعدد مصادرها على طول المواجهة.



تداخل بالشوشرة موجه، يصعب رؤية أي طائرات فيه



تداخل بالشوشرة محدود، وتداخل سلبي تظهر سحابته بوضوح



. تداخل سلبى ـ الرقائق المعدنية ظاهرة في الجو

بجانب ذلك استخدم العدو الصواريخ الشرايك. لقد استخدم هذا الصاروخ لأول مرة ضد حائط الصواريخ في القطاع الشمالي شمال الإسماعيلية وذلك ضد كتائب هذا القطاع، وقد كان لأساليبنا المتبعة أثر في عدم إصابة أي كتيبة مما أدى إلى سقوط الصواريخ على مسافات تتراوح بين ٣٠٠ - ٥٠٠ متر من كتائب الصواريخ، لقد كانت هجمة الشرايك هذه ضمن هجمة ليلية قام بها العدو في اتجاه الإسماعيلية، لقد تزايد استخدام الشرايك بعد ذلك ضد حائط الصواريخ وعلى قطاعات مواجهة القتال كلها.

لقد شهد يوم ٩/ ١٠ استهدافًا مكثفًا للصواريخ شرايك ضد كتائب الصواريخ أرض جو في قطاع الجيش الثالث واستخدم العدو في أسلوب طائرات الاستطلاع طعمًا لذلك. تطير طائرات الاستطلاع علي ارتفاع ١٢كم إلي ١٦كم شرق القناة وداخل منطقة التدمير قريبة من الحد البعيد للمنطقة لإجبار الوحدات للاشتباك معها، وهنا تقوم دوريات الشرايك في الشرق بإطلاق صواريخها. لم يخدعنا هذا الأسلوب واتبعت إزاؤه أسلوبًا مضادًا أجبرنا فيه طائرات الاستطلاع إلى الفرار والابتعاد تارة بإطلاق صاروخ هيكلي، وأخرى بإطلاق صاروخ حقيقي من إحدى الكتائب التي تقع خارج مسافة الإصابة بالصاروخ الشرايك رغم معرفتنا المسبقة بعدم تأثيره، ولكن بغرض إزعاج وإرهاب طائرات الاستطلاع، وقد حقق الأسلوبين نجاحًا كاملا.

ولم ينجح خلال هذه الفترة في إصابة أي كتيبة صواريخ.

أدى نجاح وحدات الردار والإنذار في استطلاع الفضاء الجوي، والإنذار عن اقتراب الطائرات المعادية عددا ومكانا رغم قيام العدو باستخدام جميع وسائل الإعاقة السلبية والإيجابية على أجهزة الرادار لتعميتها إلى قيام العدو بإجراء إعاقة لاسلكية على شبكات الإنذار بغرض إعاقة المعلومات المذاعة عن مجهوده الجوي لحجب المعلومات عن المستفيدين منها أوجعلهم في شك من سلامة أوضاعه، ولكن لم يتيسر لهذا الأسلوب النجاح، فلقد أدت الشبكات المخفاة دورها في القتال، كما أدت سرعة الانتقال من شبكة إلى أخرى جعل العدو يلهث وراء الشبكات اللاسلكية العاملة في الإنذار ليقوم بالإعاقة عليها.

لقد استخدم العدو مدفعية بعيدة المدى في ضرب كتائب الصواريخ اعتبارا من يوم ٧/ ١٠، وقد تركز ذلك الضرب شمال الإسماعيلية، ولكنه لم يكن مؤثرا بأي حال، وفي يوم ٨/ ١٠ أضحى حائط الصواريخ بانتقاله إلى الأمام لمواقعه غرب القناة أكثر قربا لمدفعية العدو، مما جعل العدو يوجه نيران مدفعيته إلى كتائبه فمركزها على إحدى الكتائب الموجودة بمنطقة الشلوفة وأخرى شمال الإسماعيلية مما أدى إلى توقفها عن القتال لفترة ساعات حرمت فيها الوحدات المهاجمة أمامها من مجهودها ومنذ ذلك الوقت وإلى أن انتهت حرب أكتوبر ١٩٧٣، صبحت مدفعية العدو هي السلاح الوحيد الموجود في يده للتعامل مع كتائب الصواريخ الموجهة أرض - جو.

الفصل الرابع عشر
المرحلة الثانية للقتال من ١٢-١٥ أكتوبر

تعتبر هذه المرحلة تطورًا كبيرًا فى قتال حائط الصواريخ، فلقد تم فيها انتقال عدة كتائب من الصواريخ الموجهة أرض - جو إلى الضفة الشرقية للقناة، وتواجدت فى رءوس الكبارى التى استولت عليها القوات، ومن مواقعها الجديدة تمكنت بعض الكتائب من أن تمد وقايتها للقوات فى اتجاه الشرق بقدر محدود، على حين لم يتمكن البعض الآخر من تحقيق مهمته، ويرجع ذلك إلى عاملين أولهما قلة عمق رءوس الكبارى، وثانيهما تركيز العدو لمدفعيته من الأعيرة المختلفة عليها، وقد كان تقدمها للأمام فرصة ثمينة له وصيدًا مغريًا للانتقام منها بعد أن فشلت هجماته الجوية حتى هذه المرحلة فى أن ينال من أية كتيبة من كتائب حائط الصواريخ.

الفكر الحائر

انتهت المرحلة الأولى للقتال بهزيمة القوات الجوية الإسرائيلية وانحسار نشاطها وابتعادها عن مهاجمة القوات الموجودة فى رءوس الكبارى إلا فى حدود ضيقة، وقد ظهر ذلك بوضوح اعتبارًا من يوم ١٠/ ١٠، ولم يكن ذلك متوقعًا من العدو، ولكن كان للخسائر الكبيرة مع عدم وصول الدعم الأمريكى أثر فى ذلك الانحسار بجانب ظهور فكر إسرائيلى جديد مؤداه عدم جدوى القتال مع القوات المصرية دون معاونة القوات الجوية للقوات البرية معاونة فعالة فى القتال، أى العودة بالقتال الدائر إلى الصورة التقليدية للعقيدة الإسرائيلية فى القتال.

لقد أدى قتال الأيام الماضية إلى ازدياد اليقين لدى جميع القادة الإسرائيليين بعدم الأمل فى المعركة دون القضاء على حائط الصواريخ، وهنا تزاحمت الأفكار، ولم يكن من بين هذه الأفكار فكر يعطى بريقًا من الأمل يتعلق به الجميع إلا ذلك الفكر الذى تبناه الجنرال شارون، ذلك الفكر الذى يقضى بالعبور إلى الغرب لتدمير قواعد الصواريخ، ومن ثم تستعيد القوات الجوية الإسرائيلية حريتها ومعاونتها للمعركة البرية، ومن ثم يتم القضاء على القوات المصرية الموجودة فى الشرق أو على الأقل إحداث ارتباك فى صفوفها وإيقاف تقدمها، لقد راقت الفكرة للقادة الإسرائيليين؛ لأنه لم يكن هناك من وسيلة للتعامل مع حائط الصواريخ سوى هذه الوسيلة، فلقد فشلت القوات الجوية الإسرائيلية ولا يمكن استخدام قوات الإبرار الجوى، نظرًا لما سيصيبها من كارثة سواء فى الأفراد أو الطائرات النقل، ولكن كانت نصيحة الجميع هى الانتظار، فالوقت للقيام بمثل هذا العمل يعتبر مبكرًا وإن كان من الواجب وضعه فى الاعتبار عند ما تحين الفرصة لذلك.

خطط العمليات

كانت خطة العمليات للقوات المصرية فى هذه المرحلة تهدف إلى تطوير الهجوم شرقًا بغرض تحقيق المهمة النهائية للقوات المسلحة بالاستيلاء على منطقة المضايق وتأمينها وسيؤدى ذلك إلى تحقيق الآتى:

أ - تدمير قوات العدو واحتياطاته التعبوية

ب - الاستيلاء على دفاعات العدو التى أقامها خلال الأيام القليلة الماضية بغرض وقف الهجوم المصرى.

لقد كان فكر القيادة المصرية يهدف إلى تخفيف الضغط على الجبهة السورية، فلقد تمكنت القوات الإسرائيلية حشد مجهودها الجوى والبرى خلال يومى ١٠، ١١ أكتوبر من احتواء الهجوم السورى فى هضبة الجولان والتحول إلى الهجوم، مما مكنها من تخطى خطوط وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧ والتقدم شرقًا إلى أن وصلت إلى قرية سعسع على بعد نحو ٣٨ كم من دمشق، ولم يكن هناك من وسيلة لتخفيف الضغط على القوات السورية سوى تطوير الهجوم بواسطة القوات المصرية وذلك بمتابعة تقدمها شرقًا مما

يجبر إسرائيل على تحويل قواتها بسرعة لإيقاف التقدم المصرى - وكانت المشكلة التى تؤرق فكر القيادة المصرية هى اختيار التوقيت المناسب لتطوير الهجوم، ذلك التوقيت الذى يتم تحديده فى ضوء موقف العمليات الدائرة على الجبهة السورية، وكان ذلك الاختيار فى حد ذاته أول عوامل النجاح، وفى الوقت نفسه من أصعب الأمور لتباعد كلتا الجبهتين وميوعة الموقف على الجبهة السورية.

كان من المقرر لإتمام التطوير أن تتمسك الفرق المشاة الخمسة برءوس الكبارى التى استولت عليها على أن تندفع من خلالها التشكيلات المخصصة للتطوير فى اتجاه وسط سيناء وشمالها وتخصصت لذلك الغرض عدة لواءات مدرعة وميكانيكية يدعمها وتشد أزرها فى العملية القوات الجوية، أما دور حائط الصواريخ فى هذه العملية فكان يتلخص فى الانتقال للشرق خلف القوات بأربعة لواءات صواريخ وذلك بوثبات تكتيكية معينة على أن يتم الانتقال يوميًا لعدد من كتائب الصواريخ يتراوح ما بين ٩ - ١٢ كتيبة صواريخ وذلك حتى انتهاء القوات المهاجمة من تحقيق مهمتها بنجاح.

أما فى الجانب الآخر فلقد لجأت القيادة الإسرائيلية إلى اتخاذ أسلوب الدفاع كوجه من أوجه القتال للأسباب الآتية :

أ - عدم جدوى الهجمات المضادة على الجبهة المصرية بعد فشل هجمات يومى ٨ - ٩ أكتوبر.

ب - كثرة الخسائر فى المعدات وخاصة فى الطائرات وتزايد هذه الخسائر يومًا بعد يوم والدعم الأمريكى الذى تقرر لم يصل حتى الآن.

جـ - الحاجة إلى تثبيت الجبهة المصرية لحين الانتهاء من الجبهة السورية إذ لا يمكن للقوات الإسرائيلية إتمام عمليات هجومية على كلتا الجبهتين فى وقت واحد مخالفًا لعقيدتهم العسكرية فى ضرورة الانتهاء من إحدى الجبهات ثم الانتقال للجبهة الأخرى، وكانت سوريا فى نظرهم هى الجبهة التى يجب الانتهاء منها أولًا.

د - التضارب القائم بين القادة الإسرائيليين فى أفضل الطرق وأنجح الوسائل التى يجب اتخاذها لإيقاف الهجوم المصرى ودحره وعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه إن أمكن.

هـ - الإجهاد الذى حل بالقوات الجوية الإسرائيلية بعد المجهود الجوى الكبير الذى قامت به، والذى لا يمكن الأستمرار فيه بنفس المعدل.

فى ضوء ذلك بدأت القوات الإسرائيلية فى سيناء فى اتخاذ مواقع دفاعية عملت على تقويتها وتعزيزها يومًا بعد يوم وذلك باستخدام حقول الألغام وموانع الأسلاك وخنادق الدبابات، واكتفت فى قتالها بصد الهجمات المحدودة التى كانت تقوم بها القوات المصرية.

لقد ظهر من خلال أعمال قتال القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذه الفترة أن المهام التى أوكلت إليها تتلخص فيما يلى :

أ- خلخلة الدفاع الجوى بالصواريخ، وذلك بمهاجمة أجناب تشكيل القتال لحائط الصواريخ، وفى حالة عدم النجاح يتم مهاجمة هذه الأجناب بالمدفعية بعيدة المدى لإحداث أكبر خسائر ممكنة بالمعدات لإيقافها عن العمل.

ب- استنزاف حائط الصواريخ على طول المواجهة بالهجمات الجوية المحدودة تعاونها المدفعية فى ذلك الغرض.

جـ- تقديم معاونة جوية محدودة للقوات البرية الإسرائيلية وذلك بمهاجمة القوات المصرية دون الدخول فى مناطق الصواريخ أو محاولة تنفيذ المهمة على وجه السرعة للإفلات من الصواريخ.

د- محاولة فتح ثغرة فى نطاق الكشف الرادارى لإمكان النفاذ منها.

هـ- العمل على قفل مطارى الصالحية والقطامية لحرمان القوات الجوية من حرية العمل وإمكان تقديم المعاونة للقوات البرية.

عبور الصواريخ للشرق بين التأجيل والتفيذ

سبق أن ذكرت أن عبور كتائب الصواريخ للشرق كان من ضمن التعليمات الصادرة ليلة ٩/ ١٠ أكتوبر على أن يتم العبور ليلة ١٠/ ١١ أكتوبر، وفى ضوء الموقف التعبوى والتكتيكى لقوات الجيش الثالث والثانى رفضت فكرة العبور المبكر دون مبرر، وفى ضوء الإصرار أصدرت الأوامر لبدء التنفيذ.

وفى صباح يوم ١١/ ١٠ وفى ضوء عدم اقتناعي النابع من عدم ملاءمة الموقف فى رءوس الكبارى لتواجد كتائب الصواريخ بها رأيت من الضرورى تأكيد المهمة قبل التنفيذ، وعند تأكيدها (سعت ١٠٠٠) يوم ١٠/ ١٠ أبلغت بتأجيل العبور ٢٤ ساعة أى إلى يوم ١١/ ١٠ ولكن هل تم التنفيذ فى ذلك التوقيت، لم يتم نظرًا لعدم سلامة الموقف التكتيكى فى الشرق.

لقد كان تقديرى للموقف أن هناك عبورًا للصواريخ سيتم للشرق، وأن لحظة إتمامه ستحدد على ضوء موقف القوات البرية فى الشرق، وأنه بعد مضى نحو ستة أيام على القتال فلا شك أن هذه اللحظة قد حانت، وفى ضوء استعداد الوحدات وتأجيل العبور أكثر من مرة رأيت تأكيد المهمة صباح يوم ١٢/ ١٠ ولم أجد جوابًا شافيًا لذلك وإن كنت قد فوجئت بالتنفيذ (سعت ١٦٣٠) يوم ١٢/ ١٠ على أن يتم العبور ليلة ١٢/ ١٣، ولا شك أن صدور مثل هذا الأمر متأخرًا يؤثر تمامًا على استعداد الوحدات للقتال فى اليوم التالى.

كان فى الوقت الذى تيسر لنا نتيجة لتأجيل العبور للشرق ـ فرصة عظيمة لتقدير الموقف الإدارى والفنى بروية وإمعان فى ضوء الموقف التكتيكى الحالى وما ينتظر أن يكون عليه من تطور، وفى ضوء ذلك وضعت خطة إدارية فتحت بمقتضاها مناطق تأمين إدارى فى قطاعات الفرقة الثلاثة، وذلك بغرض تقديم المعاونة الإدارية والفنية للوحدات التى ستعبر للشرق.

لقد تم الفتح فى مناطق القنطرة غرب، شمال الإسماعيلية، وجنوب الإسماعيلية، والشلوفة، لقد كان من المفروض أن نعتمد إداريًا وفنيًا عدا الإمداد بالصواريخ على مناطق الشئون الإدارية للجيوش الميدانية، ولكن خوفًا من ابتعاد الوحدات عن مناطق إمدادها بالإضافة إلى تقديرنا لتطوير المعركة، وما ينتظر أن يتم فيها من معدلات تقدم عالية، وبالتالى الحاجة إلى الحفاظ على ديناميكية حائط الصواريخ أثناء المعركة ـ تواجدت هذه النقط الإدارية واحتوت كل نقطة على جميع احتياجات الوحدات من تعيينات، وقود تشغيل عربات ومعدات، مياه، ذخائر، صواريخ موجهة من الأنواع المختلفة بالإضافة إلى ورش متحركة لإصلاح المركبات والمدرعات، كل ذلك بجانب

مجموعـات المهندسـين اللازمين لإصـلاح المعـدات الصاروخية ومنهم مـا يلزمهم من مجموعـات قطع الغيار لجميع أنواع الصواريخ لقـد تواجد فى النقطة الواحدة ما حمولته ١٠٩ أطنان من مختلف الأصناف عدا الصواريخ، ونظرًا لكبر عدد العربات فى كل نقطة فقـد كان من الـضرورى اختفاؤها وقد يسرت الأرض غرب القناة ذلك بسـهولة، لقد أدى هذا الأسـلوب خدمات ممتازة للوحـدات خلال تواجدها فى الشرق، واعتبر مثالا وأسـلوبًا يجب العمل على اتباعه دائمًا بعد التخطيط السليم له، لقد مكن هذا الأسلوب مـن سرعـة تلبية احتياجات الوحـدات ولم يتم التقدم شرقًا أكثر ممـا حدث لكان نجاح هذا الأسلوب أمثل.

كان مـن الضرورى العمل عـلى إذكاء معنويات مقاتلى التشـكيل ونحن على أبواب مرحلة جديدة من القتال، مرحلة تتسـم بالعنف والشراسـة، مرحلة تتميز بالديناميكية العالية وما تستلزمه هذه الديناميكية من شجاعة وعمل متواصل واندفاع لتحقيق المهام، وعـلى ذلـك أصـدرت لهم توجيهًـا أوضحت فيه مدى مـا ألحقوه من خسـائر بالقوات الجوية الإسرائيلية بتدميرهم أكثر من ١٠٠ طائرة، وأنهم بذلك أحالوا أسـطورة الذراع الطويلة لإسرائيل إلى خرافة، مطالبًا إياهم بالمزيد من الجهد والتضحية، فالنصر يستلزم الكثـير مـن البذل والعطـاء، وعليهم أن يبذلـوا ولا يتوانوا فى تحقيق المهـام التى تطلب منهم. لقد كان هذا التوجيه نبراسًـا وضعه جميـع مقاتلى الفرقة أمامهم فلقد قاتل حائط الصواريـخ منذ ذلك اليوم قتالا عنيفًا فى شـكله، وفريدًا فى نوعـه، قاتل القوات الجوية الإسرائيليـة والدعم الأمريكى بدأ يتقاطر عليها، وقاتل دبابات العدو وثبت وصمد فى مواقعـه أمـام هجوم دبابات العدو وتقـدر بالمئات غير عابئ بكل هذا بـل متوثبًا لقتالها متشوقًا إلى البذل والعطاء.

كان صدور التعليمات بالعبور فى مثل هذا الموقف يعتبر متأخرًا إذ لم يتبق من ساعات النهـار إلا القليل، وقد سـبب هذا التأخير بعض الارتباك المحـدود لبعض القيادات فى النواحـى الإدارية سرعان ما تـم التغلب عليه، ودارت عملية عبـور كتائب الصواريخ للشرق فى هدوء تام وفقًا للتخطيط الموضوع.

كان الغـرض مـن عبور وحـدات الصواريخ الموجهـة إلى الشرق هو توفـير الوقاية للقـوات البرية أثنـاء تنفيذها لتطوير الهجوم شرقًا، ولضمان السـيطرة على الوحدات فى

الوثبـة الأولى قررت أن يتحرك قـادة اللواءات مع وحداتهـم، وفى التوقيتات المحدودة للعبـور تواجـدت الوحدات على المعابر المحـددة لها، ولم يكن العبور أمرًا سـهلا . ففى قطـاع الجيـش الثالث الميدانى كان موقف المعابر شـائكًا، فلقد صـادف إقامتها فى اليوم الثانـى للقتال مشـكلات عـدة، أهمها طبيعـة القناة ومـا يعتريها من مد وجـزر فى ذلك القطاع، كذلك مشـكلة طبيعة التربة فى هذا القطاع وأثر اسـتخدام المياه عليها وتحويلها إلى مناطـق مؤهلـة، فلو أضفنا إلى ذلك تدرج الأرض كلما اتجهنا شرقًا، لوضح لنا كيف أن مدفعية العدو كانت مسـيطرة تمامًا على المعابر مما أدى إلى اسـتمرار قصفها من وقت إلى آخر مما كان له أثر فى عدم تنفيذ خطة العبور كما يجب، لقد كانت ميول المعابر فى هذا القطاع حادة تمامًا، وكان من الصعب على المعدات الصاروخية الثقيلة من عبورها دون مخاطرة؛ لذا تم تحسـين هذة الميول وأسـندت تلك المهمة إلى وحدات مهندسـى الفرقة، أما فى قطاع الجيش الثانى فلقد كانت المعابر فى قطاع الفرقة ٢ مشاة والفرقة ١٦ مشاة لا تكتنفها مشكلات تذكر فى حين تم العبور فى قطاع الفرقة ١٨ مشاة فى قطاع القنطرة على معديات حمولة ٩٦ طنًا، وقد سبب نقص عدد المعديات عما هو مخطط للعبور بالإضافة إلى حجـم وطول المعدات إلى مصاعب أدت إلى أن تسـتغرق الوحـدات فى هذا القطاع وقتًا كبيرًا فى العبور عما كان مقدرًا فعبرت فى ٨ ساعات بدلا من أربعة لقد أدى التأخير فى صـدور التعليـمات مع المصاعب التـى قابلتها الوحدات فى العبور إلى عدم اسـتعداد الوحـدات للقتـال فى الوقت المحدد لها، مما جعل عبء وقاية القوات تسـتمر قائمة على عاتـق وحـدات الصواريـخ الموجودة غـرب القناة، بـل إن وقاية الكتائـب الموجودة فى الـشرق ضـد هجمات العدو الموجهة إليها كان أيضًا يقع عـل عاتق كتائب الغرب، وقد استمر كلا الواجبين قائمين نظرًا لما تعرضت له بعض كتائب الشرق من قصف المدفعية المستمر عليها.

بـدأت الوحـدات تحركها من مواقعها، وفى (سـعت ٢٠٠٠) اتصل بـى قائد قوات الدفـاع الجـوى وعلم بما تـم، وفى (سـعت ٢٢٣٠) علمت قيـادة الجيـش الثانى بعبور الوحـدات، وهنا علمت لخطورة العبور المبكر، وإن الوحدات سـتكون عرضة لمدفعية العـدو، وإن قيـادة الجيش تـرى أن موضوع بـدء عملية التطوير للـشرق باكر ١٣/ ١٠

يعتبر أمرًا متعذرًا، وأن الوقت المناسب لبدء التطوير لم يحن بعد، وإزاء هذه المعلومات بدأ القلق يساورنى على الوحدات عند تواجدها فى الشرق من مدفعية العدو، طالما أن عملية التطوير لم تتم. ولم يأت منتصف ليلة ١٢/ ١٣ أكتوبر إلا وكان أكثر من ٥٠ ٪ من الوحدات قد أتمت عبورها، إلا أنه فى ضوء قرار تأجيل عملية التطوير ٢٤ ساعة أخرى الذى لم ننتظر به بدأ الإرباك والارتباك، فبينما أتمت وحدات الصواريخ فى قطاع الجيش الثالث الثانى عبورها عادت الوحدات التى عبرت فى قطاع الجيش الثالث إلى غرب القناة مرة ثانية، وفى (سعت ٤٣٠) يوم ١٣ أكتوبر أى بعد ثلاث ساعات من قرار تأجيل تطوير الهجوم، اتصل بى قائد الدفاع الجوى ثانية مستفسرًا عن موقف الوحدات، وبعد توضيح الموقف طلب عودة الوحدات للغرب ثانية ولكن كان هناك استحالة لتنفيذ ذلك، حيث إن بعضها جارى احتلاله لمواقع فى حين أن بعضها الآخر فى طريقه من المعابر إلى مواقعه، والبعض الآخر على وشك الانتهاء من العبور.

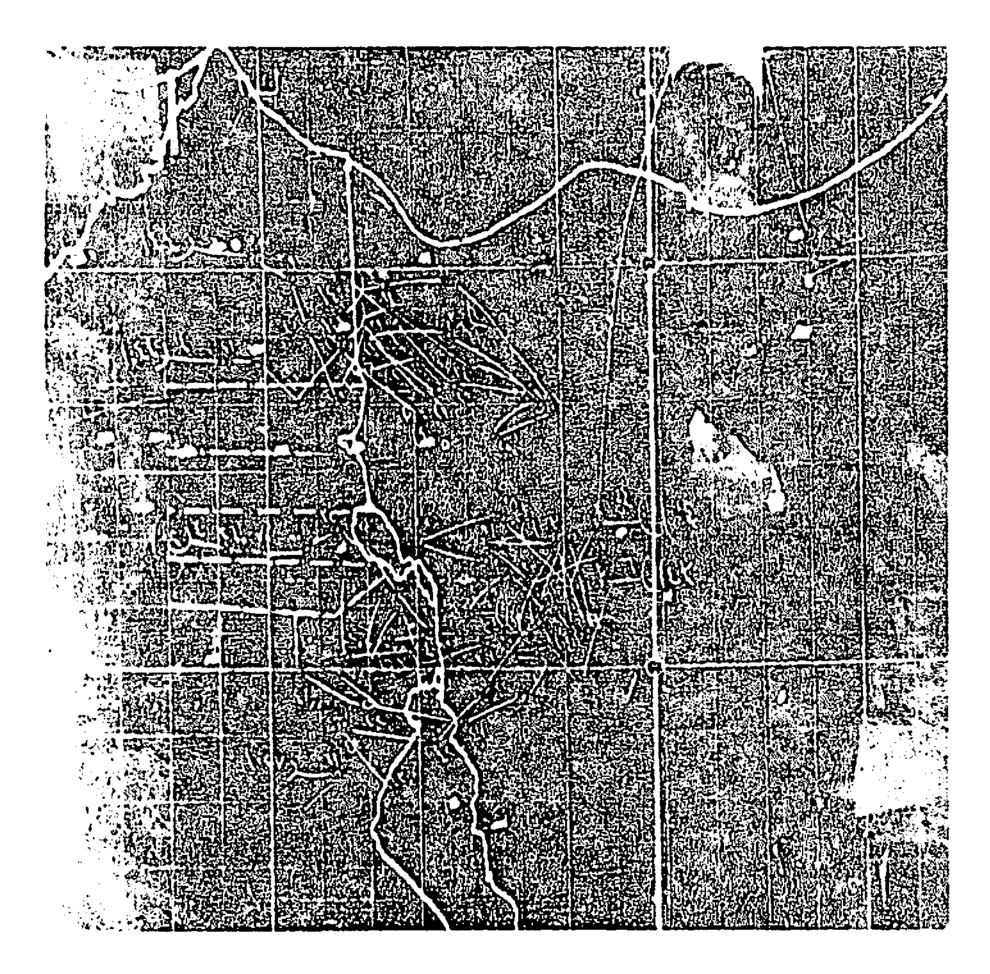
لقد كانت نتيجة العبور المبكر قبل بدء تطوير الهجوم هى وقوع الوحدات التى عبرت تحت قصف مركز لمدفعية العدو خلال يوم ١٣/ ١٠ وقد أدى ضعف التجهيز الهندسى الميدانى المقام شرقًا إلى أن بدأت الخسائر فى الأفراد والمعدات تتوالى. ففى بعض القطاعات أدى القصف إلى تأخير استعداد الوحدات للقتال نحو سبع ساعات فى حين أدى القصف فى قطاعات أخرى إلى إصابة بعض المعدات مما أدى إلى عدم إمكان استعداد الوحدات إلا بعد توفير معدات جديدة أو القيام بإصلاح يحتاج إلى وقت طويل لا يتيسر إتمامه تحت قصف مدفعية العدو إلا بصعوبة بالغة، وعلى ذلك لم يكن منتظرًا أن تزيد نسبة الوحدات القادرة على القتال مع العدو عن ٥٠٪ من الوحدات التى عبرت إلى الشرق.

وفى يوم ١٣ أكتوبر أصدرت الأوامر مرة أخرى للوحدات المحددة بالعبور فى قطاع الجيش الثالث الميدانى بمعاودة العبور، ولم تأت ليلة ١٣/ ١٤ أكتوبر حتى كانت جميع الوحدات متحركة فى اتجاه القناة، وكلها عزم وتصميم على تعويض ما فاتها من قتال العدو فى اليوم السابق، ذلك القتال الذى كانت فى شوق إليه.

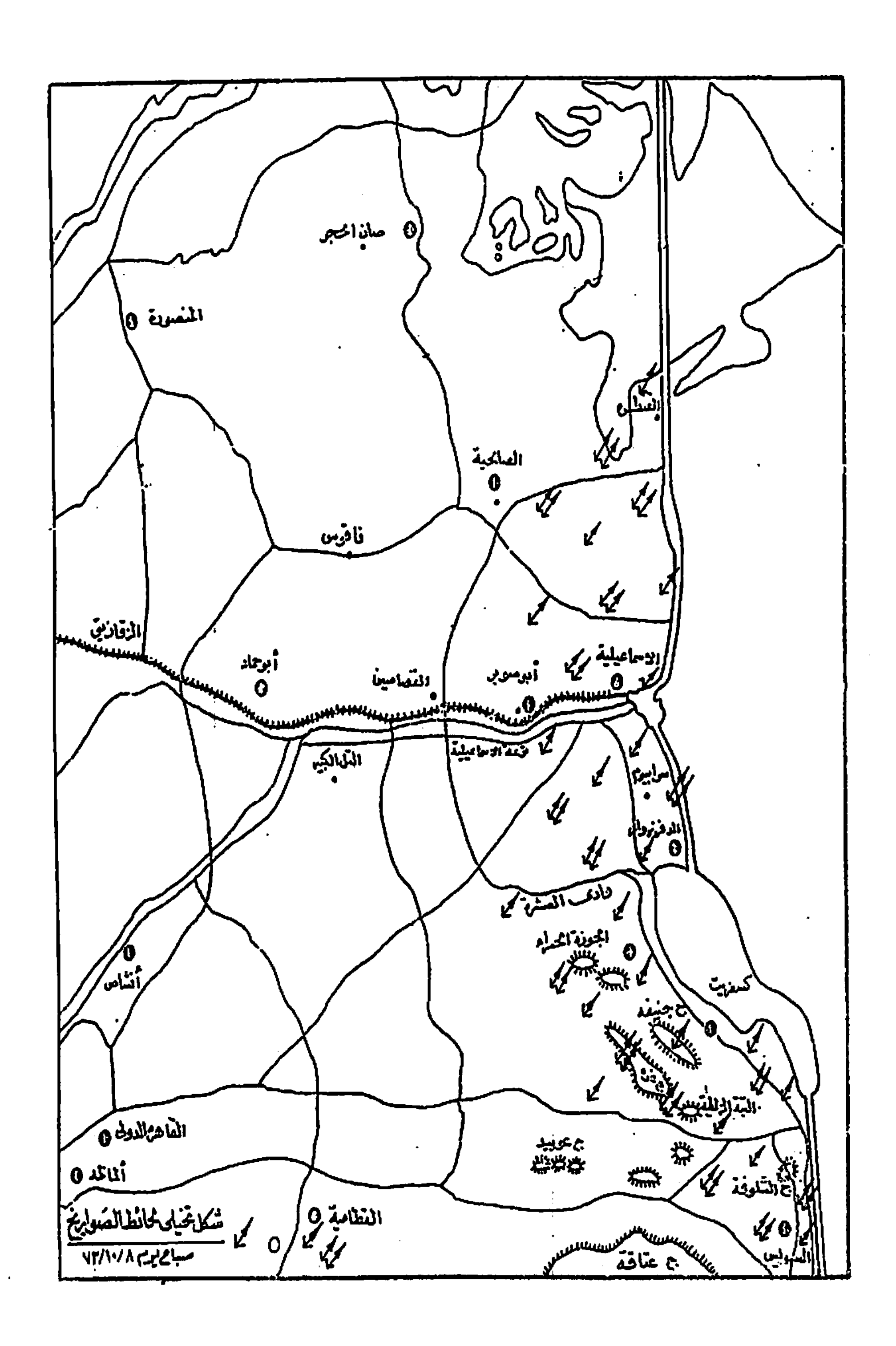
إحجام القوات الجوية الإسرائيلية عن القتال

وجهت القوات الجوية الإسرائيلية إلى جبهة القتال يوم ١٢ أكتوبر ٨١٦ طلعة / طائرة منها ٥٥٤ طلعة / طائرة نهارًا، ويعتبر هذا المجهود أقل مجهود وجهته القوات الجوية الإسرائيلية منذ بدء القتال، كما كان أقل مجهود جوى نهارى قام به العدو حتى الآن، بل أقل مجهود جوى نهارى قام به حتى وقف إطلاق النار فى ٢٢/ ١٠ / ٧٣ وفقًا لقرار مجلس الأمن وحتى وقف إطلاق النار الفعلى يوم ٢٥/ ١٠/ ٧٣، ولكن ما هى الأسباب التى تكمن وراء هذا الضعف النسبى فى عدد الطلعات بالإضافة إلى ابتعادها كاليومين السابقين عن الدخول فى مناطق الصواريخ مؤثرة السلامة ومحققة أقل الخسائر، وتاركة القوات البرية الإسرائيلية تحت رحمة قواتنا سواء البرية أو الجوية لتنال منها القصاص جزاءً عادلا للغطرسة والزهو الإسرائيلى إن أسباب الضعف النسبى فى مجهود القوات الجوية الإسرائلية إنما يرجع إلى عوامل عدة أهمها العقيدة العسكرية الإسرائيلية، ونتائج قتال الأيام السابقة، والموقف العسكرى السائد على كلتا جبهتى القتال ـ القناة والجولان.

فمن ناحية العقيدة العسكرية تعتنق إسرائيل أسلوب الحرب الخاطفة، ذلك النوع من الحرب الذى يهدف إلى القيام بعملية الاختراق والتطويق والنفاذ بسرعة فى العدو، ومثل هذا النوع من الحرب يتوقف نجاحه على عاملين أساسيين : الأول استخدام الطائرة والدبابة فى حشد كبير لضمان النجاح ـ هذا من ناحية أداة الحرب، أما الثانى فهو الحاجة إلى إنهاء الحرب فى فترة زمنية قصيرة، وكما قدرتها إسرائيل بمدة لا تزيد عن أسبوع، فمن ناحية أداة الحرب التى تعتمد عليها لتحقيق عقيدتها عجزت القوات الإسرائيلية الجوية عن أداء دورها، أو بمعنى أصح أصبح التفوق الجوى الإسرائيلى ـ الذى كان حقيقة مسلمًا بها من وجهة نظر إسرائيل ـ غير ذى موضوع، وذلك راجع إلى القتال الرائع الذى قام به حائط الصواريخ ضد القوات الجوية الإسرئيلية منذ الساعات الأولى، والتى أدت خلال اليوم الأول إلى إفقاد العدو اتزانه وفقده الثقة فى قواته الجوية، وتوالى خسائره بمعدلات عاليه خلال قتال الأيام التالية والتى وصلت حتى الآن أكثر من ١٠٠ طائرة مؤكدة، لقد كان معنى هذه الخسائر هو تدمير ما يقرب من ربع



القوات الجوية المصرية تهاجم مطاري المليز وتمادا وطائرات العدو تتحرك شرقًا بعيدًا عنها وفقًا لأوامر مركز قيادة القوات الجوية. وذلك يوم ١٢/ ١٠/ ١٩٧٣



صان الحجر
المنصورة
البلاح
الصالحية
فاقوس
الزقازيق
أبوحماد
القصاصين
أبوصوير
الإسماعيلية
ترعة الإسماعيلية
التل الكبير
سرابيوم
الدفرسوار
الجوزة الحمراء
كسفريت
ج جنيفة
ج عويبد
ج الشلوفة
السويس
ج عتاقة
القاهرة الدولى
ألماظة
القطامية
شكل تخيلى لحائط الصواريخ
صباح يوم ٨/١٠/٧٣

القوات الجوية الإسرائيلية، فكيف تدفع إسرائيل بقواتها الجوية بعد ذلك وقد تدمر لها ما يقرب من ربعها، لقد تعالت صيحات المسئولين الإسرائيليين منذ يوم ٨ أكتوبر إزاء خسائرهم المتزايدة يومًا بعد يوم، وقد كانت الطائرات من أنواع فانتوم وسكاى هوك على قمة طلباتهم العاجلة من الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن عدم الاستجابة السريعة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية لا ستعواض هذه الخسائر ألجأ القيادة الإسرائيلية إلى عدم الزج بقواتها الجوية فى المعركة بالكثافة المطلوبة، ولكن نظرًا لما للقوات الجوية الإسرائيلية من أثر على معنويات جيش الدفاع ذلك الجيش الذى بنى زهوه وصلفه على أن طياريه قادرون على الإتيان بالخوارق هو الذى أدى إلى القيام ببعض الهجمات المحدودة لمعاونة قواته فى المعركة.

حقيقة لقد قام العدو بتوجيه جزء كبير من مجهود قواته الجوية إلى الجبهة السورية لمعاونة قواته البرية خلال هجومه العام الذى قام به ضد القوات السورية فى هضبة الجولان، ولكن المتتبع لأعمال قتال القوات الجوية الإسرئيلية اعتبارًا من يوم ١١/ ١٠ مع الإلمام بخواص طائرته وقدراتها على المناورة نجد أن العدو بدأ يستخدم طائرات بطيئة من أنواع مستير وفوجا ماجستر اعتبارًا من ذلك اليوم، وبالتأكيد لم يلجأ العدو لاستخدام نوعيات مختلفة فى عملياته الجوية إلا تعويضًا لخسائره الفادحة، وهذا هو السبب فى عدم دفعه لقواته الجوية بصورة جديدة يوم ١٠/ ١٠ والأيام التالية لمعاونة قواته البرية حفاظًا على البقية الباقية من القوات الجوية الإسرائيلية، خاصة أن تقديرات القيادة الإسرائيلية فيما يختص بإنهاء الحرب فى فترة زمنية لا تزيد عن أسبوع بدء الحرب ولم يتم حسمها، واحتمالات النجاح المصرى قائمة بعد أن ثبتت أوضاع رءوس الكبارى وتم دعمها بالأسلحة المختلفة، وبعد أن تواجدت فى شرق القناة عدة مئات من الدبابات وعشرات الآلاف من المقاتلين، وظهرت مفاجآت الحرب والتى تمثلت فى الصواريخ الموجهة أرض ـ جو والصواريخ المضادة للدبابات، كل ذلك قلب حسابات القيادة العسكرية الإسرائيلية من ناحية فترة إنهاء الحرب رأسًا على عقب، وأصبح من الضرورى الاقتصاد فى القوات استعدادًا لمراحل القتال القادمة، ولا شك أن مفاجأة

نجاح القوات المصرية فى عبورها وفى قتالها أو فى تدميرها للعديد من الطائرات والدبابات أحال نظرية الأمن الإسرائيلى إلى مجرد ألفاظ جوفاء، وأصبحت إسرائيل تواجه خطرًا يدق أبوابها لأول مرة منذ نشأتها.

لقد تميز من مجهود العدو خلال هذا اليوم قيامه بثلاث هجمات جوية مركزة تمت الهجمة الأولى قرابة (سعت ٧٢٠) بقوة ٤٦ ـ ٥٠ طلعة / طائرة، خص قطاع الجيش الثالث ٥٠٪ منها، أما الهجمة الثانية فقد تمت قرابة (سعت ١٠٢٠) بقوة ٤٢ ـ ٤٨ طلعة / طائرة وزعها العدو بالتساوى على كل من قطاع الجيش الثالث الميدانى وقطاع الجيش الثانى شمال الأوسط من الجبهة، أما الهجمة الثالثة فتمت قرابة (سعت ١٥٣٠) بقوة ٣٠ـ ٣٢ طلعة / طائرة موزعة بالتساوى على كل من القطاع الأوسط والجنوبى من الجبهة، أما بالنسبة إلى محور سدر فلقد ركز العدو هجومه عليه لليوم الثالث على التوالى، وكان علينا أن نتبع معه نفس الأسلوب لإبعاد تأثيره على تقدم القوات.

قاتل حائط الصواريخ خلال هذا اليوم بنجاح وتمكن من إسقاط عشر طائرات للعدو ٦ منها مؤكدة، وفى الوقت الذى كانت تعبر فيه الوحدات للشرق كانت هناك بعض الوحدات الأخرى التى تقوم بالمناورة الداخلية لإكساب تشكيل القتال قوة وتماسكًا أكبر، ولخداع العدو عن التحركات التى تجرى مع الاستعداد لأى تحركات جديدة للشرق قد يستلزمها الموقف، ومن المفارقات العجيبة أنه فى الوقت الذى كنا نعبر فيه للشرق كانت جولد مائير رئيسة وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت تعلن على الشعب الإسرائيلى بأنه قد تم القضاء على حائط الصواريخ المصرى.

بدأ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية يزداد زيادة محسوسة اعتبارًا من يوم ١٣ أكتوبر، ولا شك أن ذلك كان راجعًا إلى عاملين أولهما وصول الدعم الأمريكى الذى تقرر يوم ١٠ أكتوبر والذى أعلن عنه رئيس أركان القوات الجوية الأمريكية الجنرال جورج براون فيما بعد من أن الطيارين الأمريكيين توجهوا بطائراتهم الفانتوم إلى مطارات إسرائيل بدون توقف خلال ساعات من القرار الأمريكى لتعويض إسرائيل عن خسائرها، إذ لا يمكن أن يتم إقدام القيادة الإسرائيلية على زيادة مجهود القوات الجوية الإسرائيلية على جبهة القناة إلا إذا كانت قد ضمنت مزيدًا من الدعم الأمريكى

يعوضها عن أى خسائر متوقعة، أما ثانيها فإن نجاح الهجوم الإسرائيلى الجوى فى الجولان يسر تخفيف المجهود الجوى ونقله إلى جبهة القناة. لقد بلغ المجهود الجوى الذى وجهه العدو إلى جبهة القتال فى ذلك اليوم ١٠٨١ طلعة / طائرة أى بزيادة ٢٦٥ طلعة / طائرة منها ٦٢٨ طلعة / طائرة نهارًا وبرغم زيادة مجهود القوات الجوية الإسرائيلية الذى يعتبر مرتفعًا نسبيًا فإنها لم تحاول دخول مناطق تدمير الصواريخ، خاصة أنها عرفت عن طريق الاستطلاع الجوى والأرضى بعبور وحدات الصواريخ إلى الشرق؛ لذا آثرت الطائرات الإسرائيلية السلامة كالمعتاد، ومحاولة الطيران فوق القوات الإسرائيلية فى مواقعها الدفاعية وأماكن تجمعها لرفع معنوياتها.

لقد كان هذا اليوم هو اليوم الثامن للقتال مع العدو، وكان الإرهاق بطياريه قد وصل إلى الذروة وجعلهم يمتنعون عن القيام بالطلعات المطلوبة منهم نظرًا لما أصابهم من الإرهاق، لقد تمكنت وحدات استطلاعنا الإلكترونية من التقاط ما يوضح ذلك من رفض الطيارين للطيران وطلبهم تأجيل الطلعات إلى يوم ١٤ أكتوبر وما ذلك إلا للإجهاد الذى أصاب الطيارين من كثرة عدد الطلعات التى قاموا بها خلال الأيام الماضية، ويعتبر ذلك متماشيًا مع القاعدة العالمية من عدم قدرة الطيارين على إتمام طلعات أكثر من المعدل العادى بعد سبعة أيام من القتال دون الحصول على قدر من الراحة الإجبارية لتعويضهم عن الإرهاق الذى يعتريهم.

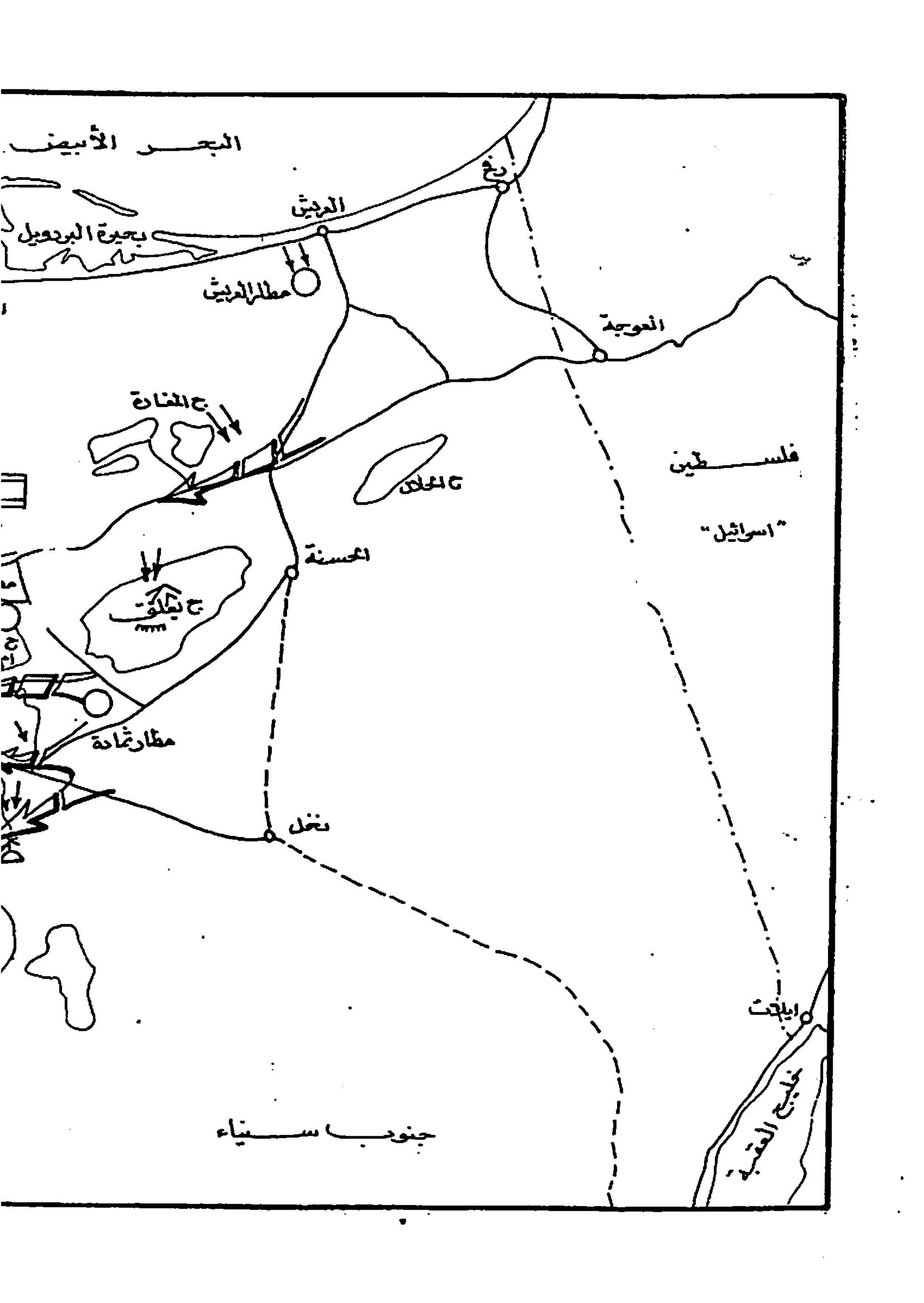
لقد تميز من مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم أربع هجمات جوية مركزة : الأولى تمت (سعت ٠٥٣٠) لمدة ربع ساعة بقوة ٢٠ طلعة / طائرة على كل من القطاع الأوسط والجنوبى، أما الثانية فتمت قرابة (سعت ٠٧٢٠) بقوة ٢٠ طلعة / طائرة على كل من القطاع الأوسط والشمالى، أما الثالثة فتمت حوالى (سعت ١٢١٠) على القطاع الشمالى والجنوبى بنفس العدد من الطائرات على كل منهما إما الهجمة الرابعة المركزة والأخيرة فقد تمت (سعت ١٣٤٥) على القطاع الشمالى ولمدة ربع ساعة بقوة ٣٠ طلعة / طائرة. لقد نشطت القوات الجوية الإسرائيلية منذ الصباح فى القيام بالاستطلاع فبلغت طلعات استطلاعها منذ الصباح حتى (سعت

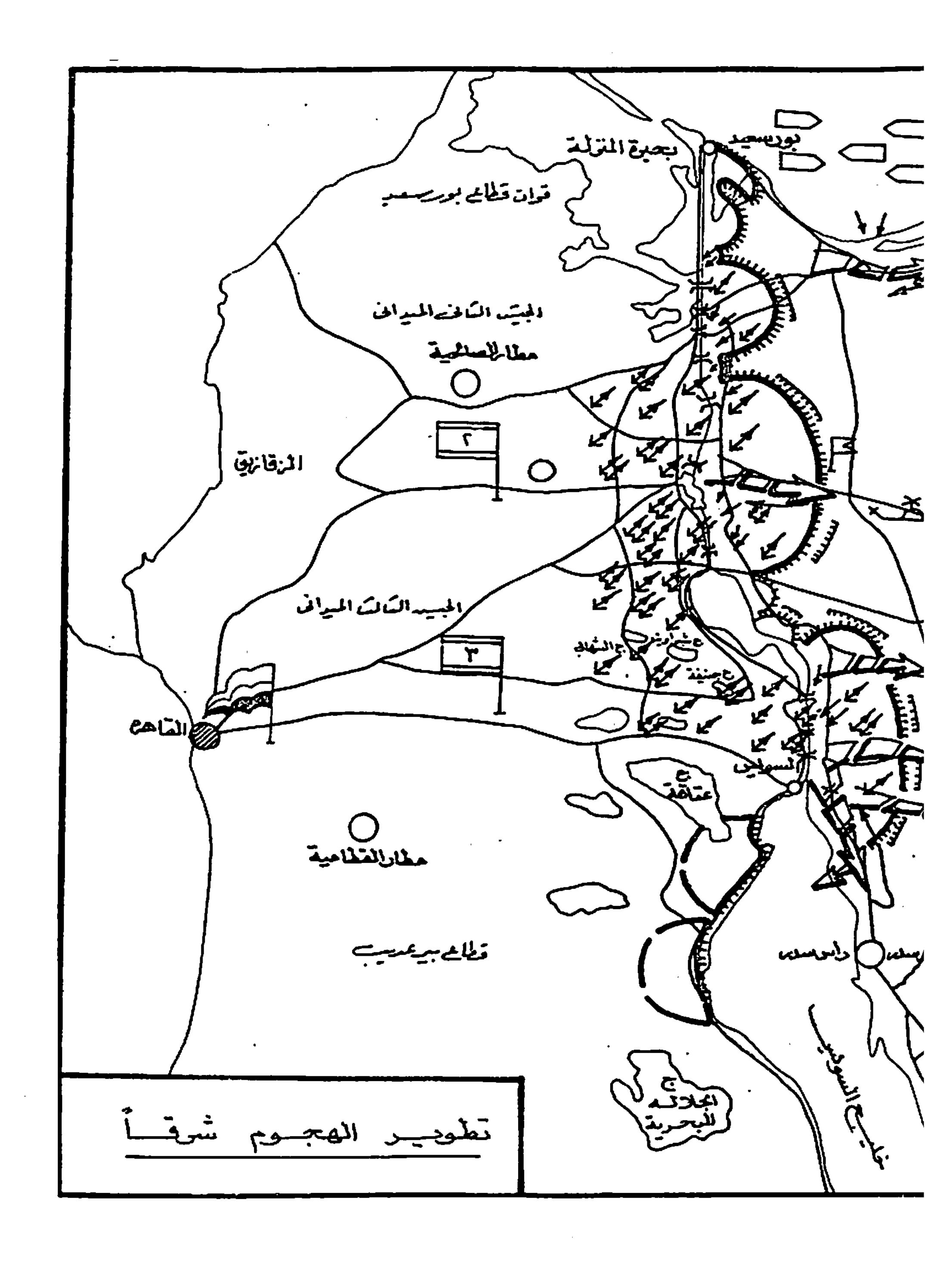
١٣١٠) ثلاث طلعات استطلاع، ولا شك أن هذه الطلعات يسرت للعدو معرفة أوضاع وحدات الصواريخ فى الشرق، مما جعله يحجم ويبتعد عن مناطق تدمير الصواريخ. أما من ناحية النشاط الليلى للعدو فلم يغير العدو من أسلوبه فى استخدام الطلعات الفردية والهجمات المحدودة، لذا كانت غير مؤثرة هى الأخرى مثل ما كانت عليه الطلعات النهارية، فالطيارون الإسرائيليون حتى الآن فى خوف ورعب من حائط الصواريخ الذى أذاقهم الأمرين فى الأيام الأولى للقتال.

قاتلت الوحدات التى عبرت إلى الشرق القوات الجوية الإسرائيلية بكفاءة محدودة لا تتماثل مع قتالها وهى فى الغرب، ويرجع ذلك إلى أن استعداد الوحدات الناتج أساسًا من صلاحية وسلامة المعدات تمكن العدو من التأثير عليه بواسطة مدفعيته بعيدة المدى.

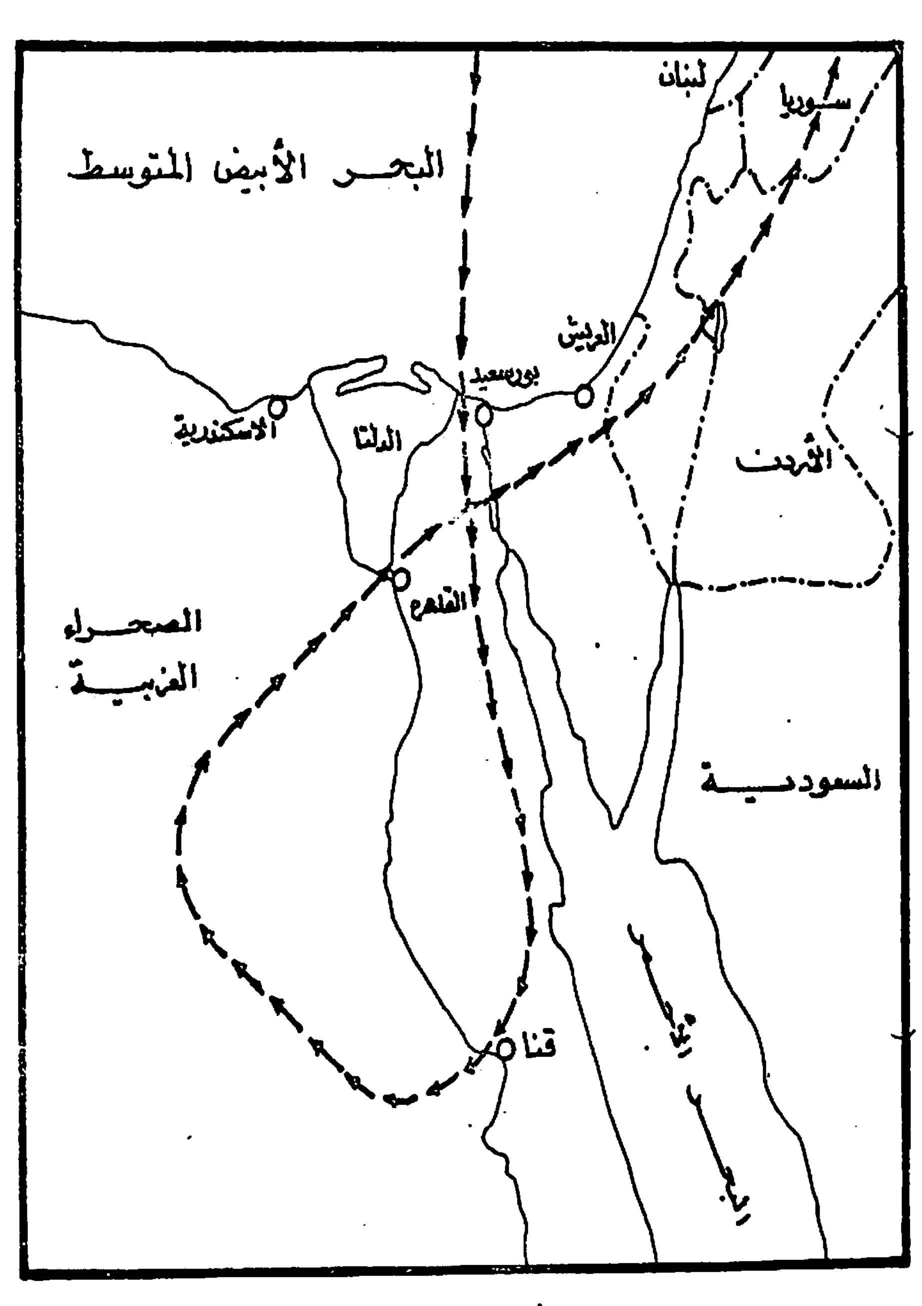
الاستطلاع الأمريكى المفاجئ

فى سعت (١٣٠٤) يوم ١٣/ ١٠ اقتربت طائرة مجهولة الجنسية تطير بسرعة عالية جدًا بلغت ٥٠ كم فى الدقيقة وعلى ارتفاع ٢٠ كم، وذلك من شمال غرب بور سعيد، وكان خط سيرها يحاذى القناة ويبتعد عنها غربًا بمسافة تتراوح بين ١٠-١٥ كم، ثم ما لبثت أن اقتربت من وحدات حائط الصواريخ فى القطاع الشمالى وزادت من ارتفاعها إلى أن وصل الارتفاع الذى تطير عليه إلى ٢٦ كم، لقد كان هذا الهدف عجيبًا ومخيفًا، لقد حاولت الوحدات الاشتباك معها إلا أن المفاجأة فى اقترابها بالإضافة إلى سرعتها وارتفاعها حال دون ذلك، لقد استمرت هذه الطائرة فى طيرانها بهذه السرعة وعلى ذلك الارتفاع حتى وصلت إلى غرب مدينة السويس ثم تابعت طيرانها جنوبًا بمحاذاة خليج السويس إلى مصر الوسطى، فالقاهرة، ثم إلى سيناء، فإسرائيل، وكانت هذه أول مرة تطير فيها هذه الطائرة فى سماء منطقة الشرق الأوسط ومن دراسة خصائصها اتضح أنها طائرة استطلاع من نوع SR- ٧١ ولاحتمال تكرار هذه الظاهرة بدأنا نفكر فى الأسلوب الأمثل للتعامل مع مثل هذا النوع من الطائرات.


البحر الأبيض
بحيرة البردويل
العريش
رفح
مطار العريش
العوجة
ج المغارة
ج الحلال
فلسطين
"اسرائيل"
الحسنة
ج يلق
مطار تمادة
نخل
ايلات
خليج العقبة
جنوب سيناء



تطوير الهجوم شرقاً



مسار طائرة الاستطلاع الأمريكية من طراز SR-7/A ←

تطوير الهجوم

مع فجر يوم ١٤ أكتوبر بدأت القوات المصرية عملية تطوير الهجوم شرقًا بغرض تحقيق مهمة الاستيلاء على منطقة المضايق، وكانت مهمة اليوم الأول للقوات القائمة بعملية التطوير محددة بالاستيلاء على الطريق العرضى رقم ٢ والممتد من رأس سدر جنوبًا حتى بالوظة شمالا مارًا بالطاسة على طريق الإسماعيلية ـ العوجة، ذلك الطريق الذى يمتد شرق القناة بنحو ٣٠ كم، وفى سبيل ذلك اندفعت عدة لواءات: لواء مدرع فى اتجاه مضيق مقلا، ولواء مشاة ميكانيكى فى اتجاه مضيق الجدى، ولواء مدرع وآخر ميكانيكى فى اتجاه طريق الإسماعيلية ـ العوجة، ولواء مدرع فى اتجاه بالوظة على الطريق الشمالى.

كان توقعى أن تزيد القوات الجوية الإسرائيلية من مجهودها خلال هذا اليوم زيادة كبيرة، وكان علينا إزاء هذا التوقع أن نراقب الموقف الجوى بكل دقة، وأن نعمل على تدمير أى طائرة للعدو تدخل مناطق الصواريخ وألا نيسر له حرية العمل فوق سماء المعركة الدائرة فى الشرق، واضعين فى الاعتبار تقبل بعض الخسائر فى الأفراد والمعدات من مدفعية العدو. ومع بزوغ فجر يوم ١٤/ ١٠ بدأ العدو يدفع بقواته الجوية إلى المعركة بكثافة أكبر من اليوم السابق، وإزاء ذلك بدأت الوحدات فى الاشتباك مع العدو، وقد حالت بعض الصعاب فى قطاع الجيش الثالث من التعرف على موقف الوحدات فى حين كانت بعض الوحدات الموجودة فى قطاع الجيش الثانى قائمة بالاشتباك بنجاح، والبعض الآخر حال قصف مدفعية العدو عليها من إمكان القيام بأى اشتباك، وقد كان ذلك بالنسبة لى خسارة كبيرة، فخيرة كتائب الصواريخ هى التى دفعت للشرق لتتمكن من سحق العدو، ولتعمل كقاعدة وطيدة مع استمرار العملية الهجومية، وللتواجد خلال تقدمها للأمام خلف القوات فى المواقف التكتيكية الحاسمة لتؤدى دورها بكل جسارة وقدرة.

لقد لوحظ فى هجمات العدو التى تمت خلال الساعات الأولى من النهار تركيز العدو على القوات القائمة بتطوير الهجوم على محورى سدر ومتلا، مما استلزم العمل على سرعة السيطرة على الوحدات الموجودة فى قطاع الجيش الثالث للتعرف على موقفها،

واستخدامها فى القتال بالأسلوب الأمثل أو إيجاد البدائل من وحدات الغرب للتعامل مع العدو، وفعلا تم تخصيص المهام لوحدات الصواريخ غرب القناة بتغير أسلوب اشتباكها مع العدو بما يحقق تدمير طائرات العدو ويوفر الوقاية لكتائب الصواريخ الموجودة شرقًا من أى هجوم جوى يقع عليها، وفعلا نجح أسلوبنا فدمرنا طائرات العدو ولم يتمكن من الاقتراب من أية كتيبة صواريخ حتى المتوقف منها عن العمل.

بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم ١٠٩٢ طلعة / طائرة، منها ٨١٥ طلعة / طائرة خلال النهار، ومن هذا نلمس زيادة محسوسة فى مجهود العدو عن اليوم السابق، كما أن مجهوده النهارى عاد إلى الزيادة بعد أن انحسر منذ يوم ١١/ ١٠ ولا شك أن ذلك وضع طبيعى ومنتظر؛ لأن نجاح عملية تطوير الهجوم شرقًا وتحقيق المزيد من الأرض المكتسبة يؤدى إلى تحطيم الجيش الإسرائيلى بالإضافة إلى أن الدعم الأمريكى الذى بدأ كقطرة بدأ يفهم، وكان لابد ما دفعه فى المعركة لإيقاف هزيمة الجيش الأمريكى تميز من مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٤/ ١٠.قيامه بهجمتين جويتين مركزتين تمت قرابة (سعت ٧٢٠) بواسطة ٦٠ طلعة، طائرة على قطاعات الجبلة الثلاثة، خص القطاع الشمالى منها ٢٦ طلعة/ طائرة، والقطاع الأوسط ١٦ طلعة/ طائرة، والقطاع الجنوبى ١٨ طلعة/ طائرة، منها ٣٢ طلعة طائرة على القطاع الجنوبي، بقوة وجهه العدو إلى قوات الفرقة ١٦ مشاة الموجودة شرق الدفرسوار أما محور العمليات الممتد تجاه خليج السويس في اتجاه رأس سدر فقد استحوذ على اهتمام العدو نظرًا لأهميته التعبوية إذ إن النجاح فيه يعرض الجنب الأيسر للقوات الإسرائيلية لأى عمليات التفاف، كما يؤدى إلى تحرير جنوب سيناء كلها وييسر استرداد حقول البترول فى سدر وأبى رديس مما جعل العدو ويوجه للقوات البرية التى كانت تعمل على هذا المحور مجهودًا كبيرًا خلال هذا اليوم، إلا ان الرائد نادر تمكن من حرمان العدو مما كان يبغيه ودمر له عدة طائرات على هذا الاتجاه.

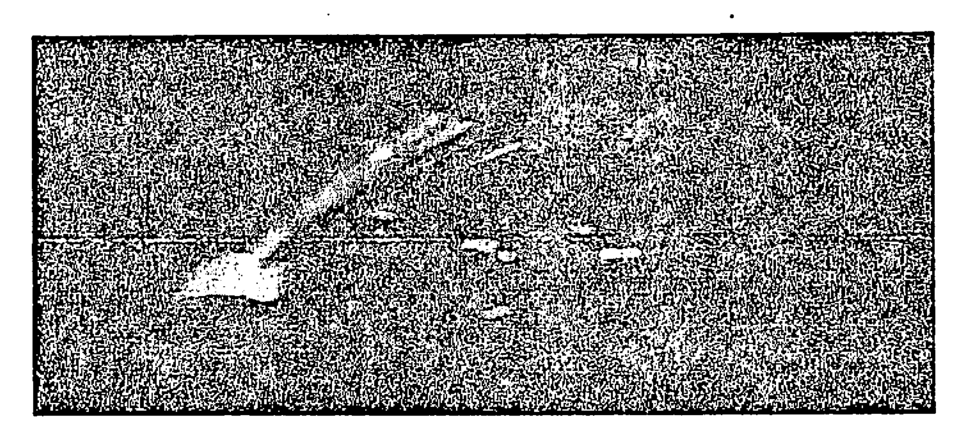
لقد حاول العدو (سعت ٧٠٠) يوم ١٤/ ١٠ القيام بهجوم جوى على حائط الصواريخ بغرض استنزاف حائط الصواريخ بتدمير أكبر عدد ممكن من كتائب الصواريخ حتى يوقف وقايته للقوات القائمة بتطوير الهجوم، وتحقيقًا لذلك وجه مجهوده الجوى فى

اتجاه الجنب الأيمن لحائط الصواريخ فى المنطقة بين السويس والشلوفة، وذلك بقوة ١٦ طائرة، وكذا فى اتجاه القطاع الأوسط ما بين الدفرسوار والإسماعيلية بقوة ٢٠ طائرة، مدعمًا هجومه الجوى بالمدفعية بعيدة المدى، وفعلا تمكن العدو من النجاح المحدود، وذلك بإصابة بعض هوائيات الكتائب وذلك بواسطة المدفعية، كما تمكن من إيقاف بعض الكتائب الموجودة فى الشرق عن الاشتباك لمدة محدودة، أما هجوم العدو الجوى فلقد أمكن صده ولم تتمكن القوات الجوية الإسرائيلية من مهاجمة أية كتيبة صواريخ أو إلحاق أى إصابات بها وإنما نجحت فى إصابة أحد مواقع الحرب الإلكترونية التى تعمل معنا، تلك العناصر التى أعاقت عمل القوات الجوية الإسرائيلية وجعلت من الصعب عليها إصابة أهدافها.

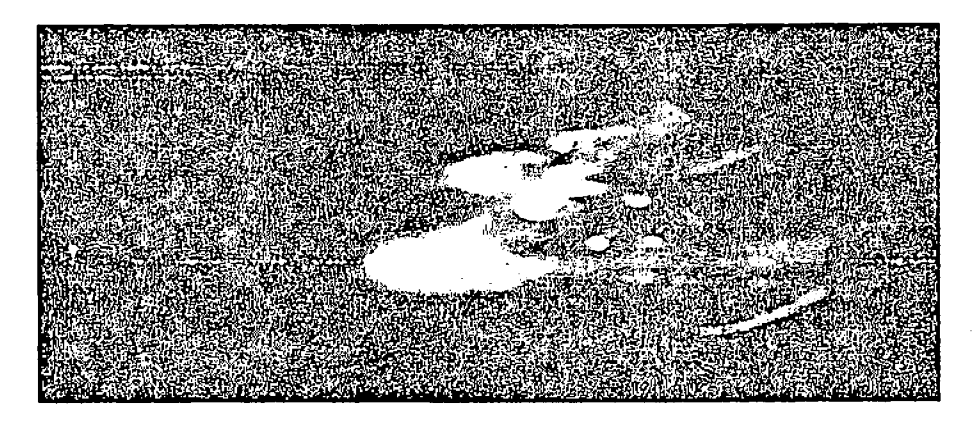
لقد استخدم العدو فى هجومه هذا كل ما يمتلك من أسلحة وما يجيد من أساليب، فلقد استخدم الإعاقة الرادارية بشدة كالمعتاد، وقد كان للمحطات الأرضية العديدة التى أنشأها العدو - سواء الثابتة - أو المتحركة، وخصوصًا الموجودة فى أم خشيب ويعلق - أثر كبير على جميع الوحدات بالإضافة إلى أسلحة الخمد كالشرايك، كما غير العدو من أسلوبه فى مهاجمة كتائب الصواريخ، فبدلا من مهاجمة الكتيبةالواحدة بأربع طائرات بدأ بتخصيص أضعاف هذا العدد وبرغم كل ذلك لم تجد محاولات العدو، ويكفى أن نعلم أن كتيبة واحدة خلال قتال ساعات الصباح الأولى وبالتحديد من (سعت ٧٠٠) إلى (سعت ١٠٠٠) تمكنت من تدمير ثمانى طائرات للعدو برغم هذه الظروف ولم تصب إلا ببعض الشظايا فى هوائيات رادار التوجيه، ولم تكن هذه الكتيبة سوى كتيبة الرائد نادر التى أحالت منطقة جبل الراحة إلى جحيم للقوات الجوية الإسرائيلية.

بدأ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية فى الانحسار تمامًا بعد الظهر، وكان هذا الأمر فى حد ذاته غريبًا وفى ضوء احتياجات معركة التطوير للشرق بدأت قواتنا الجوية فى تقديم معاونتها لقواتنا البرية، وكانت فى أدائها لمهمتها تصول وتجول فوق أغراضها دون معارضة من قوات العدو الجوية، بل إن قيادة القوات الجوية الإسرائيلية أعطت من التعليمات لطائراتها فوق سيناء ما يقضى بعدم التعرض لطائراتنا المهاجمة مطالبة إياها بالتواجد شرق العريش.

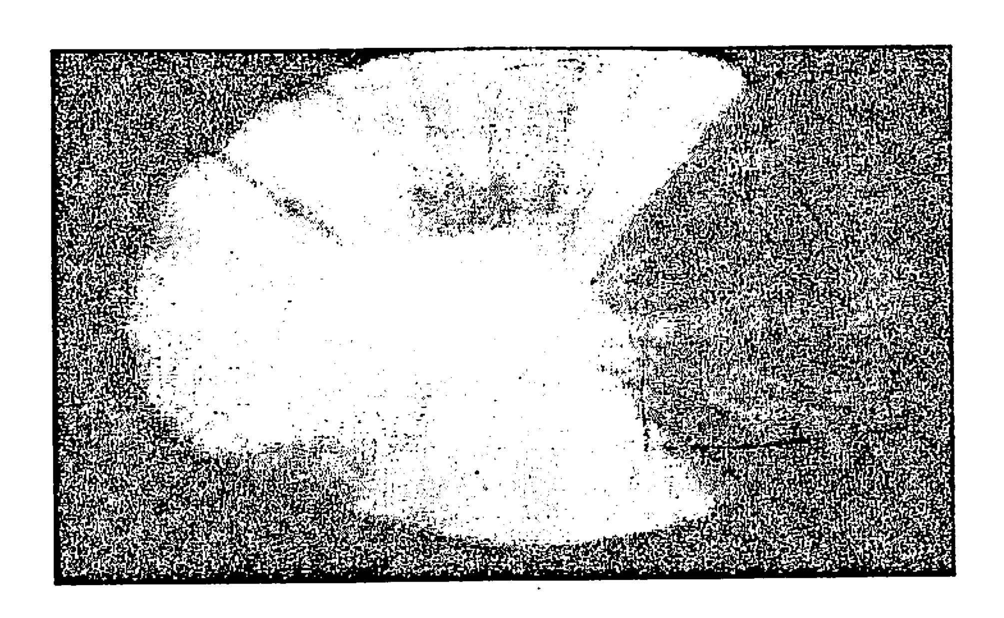
ضعف نشـاط القوات الجويـة الإسرائيلية ليلا كالمعتاد، واقتـصر على مهاجمة القوات المتقدمة بطائرات فردية باسـتخدام المشـاعل، إلا أنه لوحظ خلال هذه الليلة نشـاط زائد للطائرات الهليوكوبتر، وذلك فى المنطقة الواقعة شرق البحيرات وشرق طوسـون، ولكنه كان خارج مدى الصواريخ، وكان هذا النشـاط مثار تسـاؤل كثـير، ولكن بدأ يتضح فيما بعد، فلم يكن ذلك إلا إعداد للهجوم المضاد العام الذى كان يعد العدو له وينتظر الوقت المناسب لتنفيذه ـ ذلك الهجوم الذى أدى فى النهاية إلى عبور العدو إلى غرب القناة.



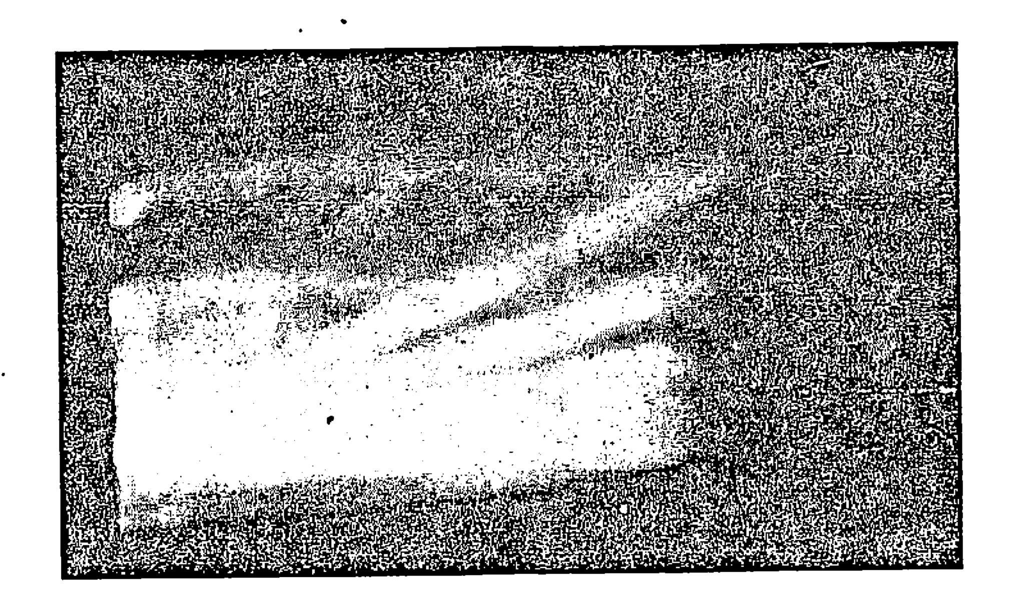
تداخل سلبي وإيجابي بالشوشرة خفيف على جهاز رادار



تداخل بالشوشرة ضعيف وتداخل سلبى قوي تظهر كراته على جهاز رادار



إعاقة ضوضائية شديدة موجهة من محطات أرضية ومن طائرات استطلاع،
الطائرات لا ترى إلا في القطاع الخالي فقط

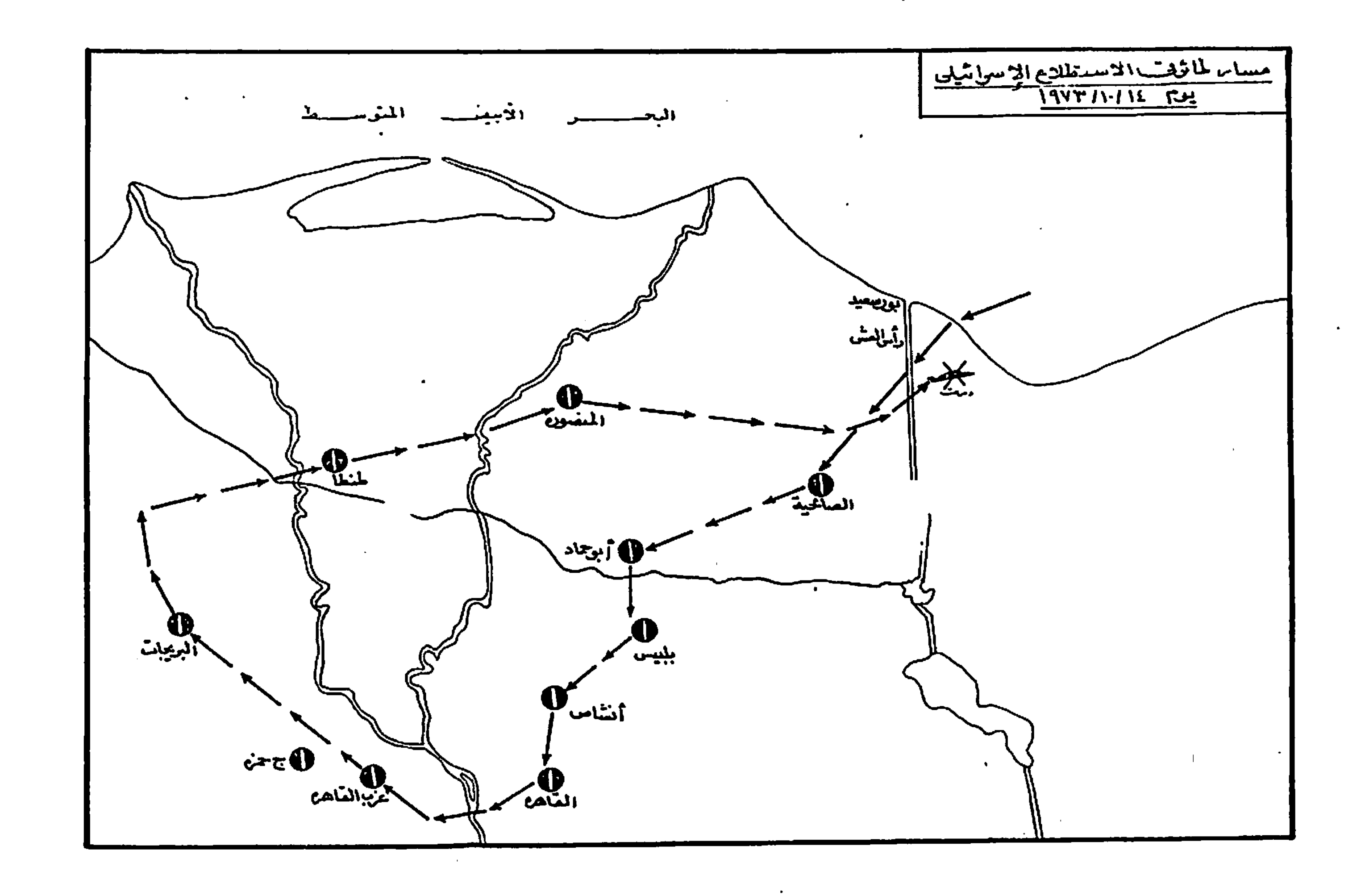


تداخل بالشوشرة شديد على رادار قياس الارتفاعات

استمرت القوات الجوية الإسرائيلية على نشاطها الاستطلاعى الزائد، وقد تم هذا الاستطلاع على ارتفاعات عالية تتراوح بين ١١-١٤ كم وغطى به العدو مواجهة القناة كلها هادفًا من ورائه إلى تحديد الأغراض المراد مهاجمتها والتعرف على نتائج هجماته أو يتخذها ستارًا يخفى نواياه فى توجيه هجماته بأسلحة الخمد أو تختفى تحتها طائراته المتسللة على ارتفاعات منخفضة جدًا لمهاجمة أهدافها، إلا أن وحدات الصواريخ لم تمكن لأى أسلوب من هذه الأساليب من النجاح، وقد كان ما حدث يوم ١٣/ ١٠ درسًا لابد أن نعيه وأن نوضح الأساليب الفنية والتكتيكية الواجب اتباعها لتلافى الإصابة بأسلحة الخمد.

الاستطلاع الجريء والانتقام السريع

قامت القوات الجوية الإسرائيلية بأهم وأخطر عملية استطلاع قامت بها خلال حرب أكتوبر كلها، ويرجع أهميتها إلى أنها وجهت للعمق المصرى إلى عمق جبهة القتال ذلك شمل الدلتا كلها بما فيه من تجميعات من القوات البرية والجوية والدفاع الجوى، وأما خطورتها فترجع إلى أن نسبة النجاح فى مثل هذا النوع من الاستطلاع يعتبر ضئيلا، وأما الجرأة فيها فترجع إلى المجازفة بإتمامها. ففى (سعت ١١٤٥) اقتربت طائرتا فانتوم على ارتفاع ١٦ كم واخترقت المجال الجوى جنوب بور سعيد متجهتان نحو الصالحية، وعندما حاولت إحدى كتائبنا الموجود بمنطقة جسر الحرش الاشتباك معهما تمكنتا بما لديهما من أجهزة استشعار من تحاشى الدخول فى منطقة الصواريخ، لقد اتخذت الطائرتان مسارًا يسر لهما استطلاع جميع مطارات الجمهورية القائمة فى الدلتا وحولها فى الصالحية ـ أبو حماد ـ بلبيس ـ أنشاص ـ مطارات القاهرة البريجات ـ طنطا ثم المنصورة، ومن المنصورة حاولتا الاتجاه إلى شرق القناة عائدتين إلى قاعدتها وخلال فترة الطيران التى استغرقت أكثر من نصف ساعة لم تتمكن الصواريخ ولا المقاتلات فى جميع المناطق التى مرت عليها من التعامل معهما، ولكن حائط الصواريخ تمكن بأسلوبه المتميز ودهائه من الاشتباك بهما وتدميرهما، ولقد شوهدت الطائرتان وهما تحترقان تمامًا فى الجو، وتنفجران فى لحظات، صيد ثمين بثمن زهيد، طائرتان بطياريهم وملاحيهم تم تدميرهما بثلاثة صواريخ ثمنهم ٦٠ ألف جنيه، لقد كانت الخسارة على العدو كبيرة


مسار طائرات الاستطلاع الإسرائيلي
يوم ١٩٧٣/١٠/١٤
البحر الأبيض المتوسط
بورسعيد
رأس العش
المنصورة
طنطا
الصالحية
أبو حماد
بلبيس
أنشاص
القاهرة
غرب القاهرة
ج حمزة
البريجات

فعلاوة على الخسـائر المادية والبشرية تم حرمان العدو من المعلومـات التى كان يجازف للحصـول عليهـا لقـد كانت هـذه المعلومـات ذات أثر مباشر عـلى القتـال الدائر وغير مباشر على الحرب الدائرة. كما كانت فى الوقت نفسـه للمعلومات التى أمكن لإسرائيل الحصـول عليها من الاسـتطلاع الأمريكى الذى تم فى اليوم السـابق لقد عمت الفرحة التشكيل كله نتيجة لنجاحه وحده فى مباراة دخلت فيها جميع الأسلحة فى جميع المناطق، وهنا يبرز السؤال التالى لماذا قام العدو بالاستطلاع بهذا الأسلوب ؟ أليست هذه مخاطرة تمامًا أن يدفع العدو بطائرتى فانتوم تقومان بجولة استغرقت أكثر من نصف ساعة فوق جميع المطارات وفوق عدة مناطق مدافع عنها بالصواريخ فى القاهرة وطنطا والمنصورة؟ هل كانت هذه المخاطرة محسـوبة بمعنى هل كان العدو يشـك تمامًا فى إمكان عودة هذه الطائرات بعد قيامها بالاسـتطلاع سليمة أو كان هذا العمل مجرد إظهار عضلات يبغى العـدو مـن ورائه هز الثقـة التى اكتسـبناها من قتالنا معـه خلال الأيـام الماضية وهزها بإثبات عجزنا عن الاشـتباك معه سواء بالصواريخ أو المقاتلات ؟ الواقع أن العدو كان يبغـى الغرضـين الاسـتطلاع وإظهار العضلات لهز الثقة ـ لا شـك أن هذا الاسـتطلاع كان مجازفة محسـوبة تمامًا لقد كانت السرعة والارتفاع هما العاملين اللذين تعتمد عليهما المجازفة واللذين يشكلان مشكلة أمام الاشتباك مع العدو بالصواريخ والمقاتلات.

لم يقـف العـدو مكتـوف الأيـدى إزاء ذلـك الحـدث الذى أضـاع عليـه فى اللحظة الأخيرة كل ما كان يهدف إليه من هذه الطلعة، لقد بدأ رد فعل العدو مباشرة، واسـتمر لفترة طويلة خلال النهار وبوسـائل عديدة ـ فقد بدأ (سـعت ١٢٥٨) فى قصف كتائب الصواريـخ ومركـز قيـادة اللـواء المتمركـز فى منطقة القنطـرة شرق، ذلك اللـواء الذى اشتبكت إحدى كتائبه بطائرات العدو ودمرتها.

تـلى ذلك المحاولة الثانية للعدو للانتقـام، فقام العدو بهجوم جوى بعدد ٨ طائرات عـلى الجانب الأيسر لحائط الصواريخ والذى تتركز كتائبـه فى منطقة القنطرة غرب، إلا أن اسـتعداد الوحـدات وبـدء اشـتباكها معه جعلته يستشـعر ذلك ويفضـل الفرار عن دخول مناطق تدمير الصواريخ.

لكـن هل اكتفى العدو بذلـك، لا، ولم يترك الموقف يمر دون محاولـة ثالثة للانتقام، وكانـت هـذه المرة موجهة إلى مركز قيادة حائط الصواريـخ بغرض تدمير الرأس المفكر الذى يقود ويدير حائط الصواريخ كى يكون فى شـله ما يؤدى إلى تحقيق ما يبغيه العدو مـن عمليات ضد حائط الصواريخ، ففى (سـعت ١٦١٠) اقتربـت طائرتان فانتوم من اتجاه البحر الأبيض المتوسط شرق دمياط، واتجهت فى اتجاه مطار (أبو حماد) ومنه غيرتا اتجاههـما نحـو مركز القيادة بغرض مهاجمتـه بالقنابل، وفى الوقت الـذى تم فيه الإبلاغ عن اقتراب هذه الطائرات وأنها متجهة نحونا مباشرة كانت فعلا تمر فوق رءوسنا ومن صوتها كان واضحًا أنها تسـتعد لبدء تنفيذ مهمتها إلا أنها ضلت غرضها وقامت بإلقاء حمولتها على منطقة ظنتها هى مركز قيادة حائط الصواريخ، لقد ألقت كل طائرة بقنبلتين زنة (٤٠٠٠ رطل) أدت إحداهما إلى نزع جسر سكة حديد الإسماعيلية الزقازيق لمسافة ٥٠ مـترًا مع إصابة بعض المواطنـين الأبرياء بالمنطقة فى حين سـقطت القنابل الباقية فى الأرض الزراعيـة، لقـد أعلنـت القيـادة الإسرائيلية بعد ذلـك أنها دمرت قيـادة حائط الصواريخ والواقع أننا جميعًا أحياء.

لقـد كان النجـاح مرده إلى الإخفاء الجيد لمركز القيادة، كما كان أحد أسـباب تعرف العــدو عـلى موقـع مركز قيـادة الفرقة يعـود إلى عـدم اتباع قواعـد الأمن فى اسـتخدام المواصلات اللاسلكية.

لقـد تمكـن حائط الصواريخ خلال هذا اليوم من تدمير ٣٧ طائرة للعدو، ومنها ٣٣ طائرة مؤكدة.

الضربة الجوية غير المتوقعة :

فى ضوء الاسـتطلاع الأمريكى الذى تم يوم ١٣/ ١٠ والاسـتطلاع الفاشـل الذى قامـت به القوات الجويـة الإسرائيلية يوم ١٤/ ١٠ توقعت قيـادة الدفاع الجوى احتمال قيـام العدو بضربة جوية توجه إلى حائط الصواريخ بقصد إجهاضه، ولم أشـاركهم هذا التقديـر، فليس هناك داع لأن تدخـل القوات الجوية الإسرائيلية مـع حائط الصواريخ فى معركـة هى الخاسرة فيها ـ ولا شـك ـ وقد هجمت خـلال الأيام الماضية عدة مرات

وليس أدل على ذلك من أن خسائر العدو حتى اليوم زادت عن ١٥٠ طائرة، ولماذا يخاطر العدو بهذا الأسلوب وفى يده سلاح آخر هو مدفعيته، وللأسف تم تأكيد هذا الاحتمال بواسطة الاستطلاع الإلكترونى (سعت ٣٣٠) يوم ١٥/ ١٠، واستعدت الوحدات لذلك الاحتمال، وبدلا من أن تفاجأ الوحدات بهجوم القوات الجوية الإسرائيلية إذ بها تفاجأ بقصف مركز لمدفعية العدو عليها.

كان مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٥/ ١٠ مجهودًا عاديًا ويلاحظ عليه أنه عاد للانخفاض مرة ثانية، لقد بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال اليوم ٨٠٠ طلعة / طائرة، منها ٥٨٨ طلعة / طائرة نهارًا، وقد تميز من هذا المجهود قيام العدو بثلاث هجمات جوية مركزة محدودة فى قوتها، فقد تمت الأولى قرابة (سعت ٧٤٥) على قطاع الجيش الثالث الميدانى بقوة ٣٢ طلعة / طائرة أما الثانية فتمت حوالى (سعت ١٢٠٠) على نفس القطاع بقوة ٢٦ طلعة / طائرة، أما الهجمة الثالثة فقد تمت قرابة (سعت ١٧٠٠) وتمت على القطاع الأوسط بقوة ٢٤ طلعة / طائرة، وفى جميع الهجمات الثلاث المركزة لم يغفل العدو توجيه هجمات محدودة لباقى قطاعات الجبهة كالعادة، بالإضافة إلى توجيه مجهود محترم للقوات التى تعمل على محور سدر فى محاولة لإيقاف التقدم لقواتنا، وبرغم هذا النشاط المحدود للعدو فإنه كان لا يجسر على دخول مناطق تدمير الصواريخ.

برغم قلة مجهود القوات الجوية الإسرائيلية فى هذا اليوم فإنه لوحظ أن هذا المجهود قد تركز فى الفترة من (سعت ٧٠٠ إلى سعت ١٣٠٠) من هذا اليوم، وكان مركزًا بشكل واضح فى اتجاه القطاع الممتد من الإسماعيلية إلى الدفرسوار والذى تعمل فيه الفرقة ١٦ المشاة الفرقة ٢١ مدرعة. لقد بدأ تركيز العدو على هذا القطاع مع بدء هجومه البرى المضاد الذى قام به صباح ذلك اليوم وانتهى بعد الظهر بمهاجمتين جويتين على كتائب الصواريخ الموجودة فى الشرق بعدد ١٢ طائرة فى كل هجمة، إلا أنه لم يكتب لها النجاح ولم تتمكن إلا من إحداث أضرار محدودة ببعض المعدات التكتيكية، وكان جزاؤه تدمير بعض طائراته وفرار البعض الآخر ملقيًا بحمولته بعيدًا ومؤثرًا السلامة، أما نشاط الاستطلاع الجوى فقد تركز على نفس القطاع وعلى ارتفاعات عالية، وأما ليلا

فقد اقتصر نشـاط العدو على بعـض الطلعات الفردية ولم يحـاول التدخل بقواته الجوية فى المعركـة البرية الدائرة فى الشرق والتى اسـتمرت حتى (سـعت ٠٠ : ٢) ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبـر والتـى أدت فى النهايـة إلى تواجد العدو فى الغرب بتكويـن رأس كوبرى محدود بواسطة عناصر محدودة من المدرعات والمظلين.

قام العدو بهجومه المضاد العام منذ سـاعات الصبـاح الأولى ووجه ثقل هجومه إلى الفرقة ١٦ مشاة مستغلا الثغرة القائمة بين الجيشين الثالث والثانى والتى كانت تصل إلى أكثر من ثلاثين كيلو مترًا وفى سبيل النجاح حشد العدو على مواجهة وجنب الفرقة ١٦ ما يقرب من فرقتين مدرعتين وأخذ يدفع بلواءاته الواحد تلو الآخر فى محاولات يائسة لإرجاع الجنب الأيمن للفرقة إلى الوراء تجاه الشمال بغرض الوصول إلى القناة فى منطقة الدفرسوار، وفى أثناء هذا الهجوم تعرضت وحدات الصواريخ فى قطاع الفرقة لقصف مدفعـى عنيف عليها وكان علينـا أن نقتنص بعض الوقت لإتمام عمليات الإصلاح إلا أن اسـتمرار القصـف جعلنا نجرى الإصلاح غـير عابئين بأية خسـائر فى الأرواح وما ذلك إلا رغبة فى توفير الوقاية بالشكل الذى نرتأيه إلا أنه مع تقدم القتال وزيادة عنف قصف المدفعية بدأ القلق يسـاورنى على هـذه الوحدات، ولقد كانت كتائب الصواريخ الموجـودة فى الشرق من أكفأ وحدات الصواريخ مثل كتيبة الرائد / نادر المقدم، نصار، عفت، ونزيه، وبدر، ومصطفى ستة من القادة كل منهم يزن الكثير.

لقـد كان هؤلاء القـادة جزءا محدودًا من قادة كتائب حائـط الصواريخ وما أكثرهـم هـؤلاء الذيـن أحالـو نهار إسرائيل إلى ليل أسـود حالـك وأنهوا خرافة القـوات الجوية الإسرائيلية وكان لابد من الإبقاء عليهم وعلى معداتهم سليمة، فالمعركة طويلة مصيرها لم يتحدد بعد.

وفى الوقـت الذى كان يقوم فيه العدو بهجومـه المضاد العام حاولت القوات الجوية الإسرائيليـة مهاجمة أجناب حائط الصواريـخ، وذلك بمهاجمة كل منها بعدد ٨ طلعة / طنًـا هنـا منه إنه بنجاحه فى قصف الكتائب الأمامية الموجودة فى الغرب وتوقف بعضها عـن العمل ييسر له النجاح ضد حائط الصواريخ يقى أجنابه إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل تمامًا وفى ضوء موقف المعدات والحالة الفنية التى وصلت إليها المعدات قررت

إتمام مناورة على نطاق واسع بالنسبة إلى الوحدات الموجودة بالغرب، لقد كنت أهدف من وراء هذه المناورات ذات الديناميكية العالية جعل العدو عاجزًا عن التعامل معنا بالنجاح، لقد وفقت فى ذلك أيما توفيق، وللتدليل على أثر ذلك ما قالته مسز مائير " إن حائط الصواريخ المصرى أشبه بعش الغراب كلما اقتلعنا كتيبة نبتت محلها كتيبة أخرى "

كانت المناورة تهدف إلى سد بعض الثغرات التى ظهرت خلال هذا اليوم بالإضافة إلى تماسك حائط الصواريخ وإعطائه مزيدًا من الصلابة والقدرة القتالية كي يكون مستعدًا لمقابلة أى هجوم جوى تقوم به القوات الجوية الإسرائيلية واضعًا فى الاعتبار ضمان استمرار الوقاية للقوات الموجودة فى الشرق.

عودة الصواريخ من الشرق :

إن بدء التفكير فى عودة كتائب الصواريخ الموجودة فى الشرق ظهر إلى حيز التفكير منذ انبلج فجر يوم ١٥ أكتوبر ٧٣ وإن كانت أحداث هذا اليوم قد عجلت بعودتها، فلقد بدأ العدو منذ فجر هذا اليوم يقصف بعنف مواقع كتائب الصواريخ الموجودة فى الشرق وتلك الموجودة فى الغرب بشكل لم يسبق له مثيل بل فاق كل ما قام به من هذا القبيل فى الأيام السابقة.

ولم يكن حظ المواقع الهيكلية فى الشرق بأوفر حظ من المواقع الحقيقة فلم يتركها العدو دون أن يوجه إليها نيرانه، والواقع أن هذه المواقع مع عدم دقة مدفعية العدو جنت المواقع الحقيقية الخسائر المميتة التى كان يتوقعها العدو، لقد كان للعديد من بطاريات المدفعية التى وصلت إلى إسرائيل كدعم عبر الجسر الأمريكى أثر كبير فى عنف القصف الجارى على الوحدات، لقد أدى هذا القصف إلى خسائر فى بعض المعدات التى بذل فى إصلاحها من قبل مجهود كبير استمر طوال الليل، وفى ضوء تزايد الخسائر مع عدم توفر قطع الغيار اللازمة للإصلاح بالإضافة إلى عدم إمكان الوحدات تحقيق المهمة المطلوبة من اليوم بل منذ أن تواجدت فى الشرق (سعت ٧٤٠) يوم ١٥/ ١٠ من قيادة الدفاع الجوى ضرورة عودة الوحدات خلال ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر ولكنها لم تصدق على هذا القرار.

أعمال العدو ضد المطارات الأمامية

قام العدو سعت (٧٠٥) يوم ١٥/ ١٠ بهجمة جوية واخذة على مطار القطامية وذلك بعدد ٢٤ طلعة / طائرة على موجتين، ورغم كبر القوة المهاجمة قياما لعدد الوحدات القائمة بالدفاع عن المطار، وهذا ما وضعه العدو فى تخطيطه لإنجاح هجومه إلا أن وحداتنا كانت له بالمرصاد فألهبت ظهره بنيران مؤثرة فاقت فى دقتها وسرعتها كل تقديرات العدو ومما كبده خسائر كبيرة جعلته يلجأ إلى الانتقام السريع فقام بهجمة جوية أخرى على المطار من سعت (٧٣٠) الى سعت (٧٤٥) بعدد ٨ طلعة/ طائرة وذلك بغرض ضرب كتيبة الرادار القائمة بالإنذار كذا مركز قيادة لواء الصواريخ القائم بالدفاع عن المطار، إلا أن هجمته لم تصب الوحدات إلا بخسائر خفيفة ولكن رغم تدمير عدة طائرات أخرى له، لقد بلغت خسائر العدو فى هجماته الثلاث ٧ طائرات مؤكدة، ٤ طائرات غير مؤكدة وتم أسر عدد محدود من طيارى العدو، لقد تناثر العدو فى المنطقة الجبلية المجاورة للمطار وحاول العدو إنقاذ طياريه بواسطة طائرات الهليوكوبتر ولكنه عاود أدراجه، فلقد كانت طائراته المحطمة أبلغت مظلاتنا الجوية فوق المنطقة عبارة عن كتل مشتعلة من النيران تنفجر فى ومعها القنابل التى تحملها.

لقد ذكر أحد الطيارين الأسرى أنه عند مهاجمته لإحدى كتائب الصواريخ وبعد انقضاضه عليها من فوق المنطقة الجبلية المجاورة للمطار إذ به يشاهد صاروخًا متجها إليه فأراد أن يتلافاه فاذا بآخر يفاجئه وماهى إلا لحظات إلا والطائرة تهتز بشدة فأيقن أنها أصيبت، فعمل على الابتعاد بها فى اتجاه الشرق الا انه لم يتمكن من السيرة عليها فقفز هو وملاحها قبل الوصول إلى خليج السويس.

السلاح الذهبى ضد الصواريخ :

لقد كان العدو يحلم عندما كان يخطط للقتال قبل حرب رمضان ١٣٩٣ هـ أكتوبر ٧٣ فى أن تتواجد وحدات الصواريخ فى مدى مدفعيته بعيدة المدى، حتى يمكنه أن ينال منها، وفى بدء القتال تمكن من احراز بعض النجاح ولكن بتقدم قواتنا فى سيناء وانسحاب العدو شرقًا زال هذا الوضع وابتعد خطر المدفعية فى كثير من قطاعات القتال

إلا أن تواجد كتائب الصواريخ فى الشرق اعتبارا من يوم ١٣/ ١٠ : ٧٣ أدى إلى وقوعها ثانية فى مدى مدفعيته، التى بدأت فى التأثير عليها، وكانت فرصة ثمينة للعدو استغلها استغلالا حسنا، لقد أبلغت مراكز قيادة اللواءات وكتائب الصواريخ التى تواجدت فى الشرق سواء يوم ١٣/ ١٠ أو يوم ١٤/ ١٠ عن قصف مدفعية العدو لها، مما أثر على استعدادها الدائم للقتال، وقد استمر هذا التأثير قائما طوال تواجد هذه الوحدات فى الشرق، بل استمرت آثارة قائمة حتى بعد عودة الوحدات غرب القناة.

لقد وجد العدو بعد أن مارس القتال معنا خلال الأيام الماضية عدم جدوى القوات الجوية الإسرائيلية فى التعامل مع حائط الصواريخ؛ لذا لم يكن لديه من سلاح - يستخدمه سوى مدفعيته بعيدة المدى، وقد أدى الدعم الأمريكي فى هذا المجال دورا كبيرا - لقد أدى قصف العدو المستمر للوحدات إلى تذبذبها بين الصلاحية وعدم الصلاحية وألقى عبئا على الوحدات الموجودة فى الغرب لتوفير الوقاية للوحدات فى الشرق ضد أية هجمات منخفضة مفاجئة يقوم بها العدو على هذه الوحدات كذا القيام أساسا بمهمة تدمير طائرات العدو حتى تحرمه من فرصة التعامل مع قواتنا المهاجمة وتوفر لها حرية العمل فى عملياتها، وقد نجحت فى ذلك كما نجحت من قبل إلا أن الموقف تغير يوم ١٥/ ١٠ عند قيام العدو بهجومه المضاد العام إذ لم يقتصر قصف المدفعية للكتائب الموجودة فى الشرق بل تعدى الأمر ذلك وشمل بعض الكتائب الموجودة غرب القناة أيضًا.

لم يكن أمامنا من وسيلة لإيقاف مدفعية العدو سوى أن نطلب من قيادات الجيوش الميدانية إسكاتها إلا أن أسلوب العدو فى سرعة المناورة بمدفعيته جعل من الصعب إسكاته لقد استدعى ذلك الموقف ضرورة حشد كل عناصر الإصلاح لإزالة الأعطال الناشئة من مدفعية العدو قد برهنت هذه العناصر كما برهنت من قبل على قدرتها الفائقة على إزالة الأعطال فى أزمنة وجيزة.

موقف المعدات :

أدت مدفعية العدو دورًا مهمًا فى إلحاق خسائر ببعض معدات كتائب الصواريخ الموجودة فى الشرق، كما أدت إلى تعطيل البعض الآخر عن العمل، وكان من الضرورى

العمل بكل الوسائل للاحتفاظ بنسبة صلاحية للمعدات كافية لمواجهة متطلبات القتال ورغم ما بذلته مجموعات مهندسى الإصلاح فى ذلك المجال يعاونها أفراد الوحدات - لم يتحرك الموقف كثيرًا وظل يتمرجح إلى أعلى وإلى أسفل طوال يومى ١٣/ ١٠، ١٤ أكتوبر إلا أن هذا تحسن خلال ليلة ١٤/ ١٥ أكتوبر وذلك بفضل الجهود الموفقة الى بذلها الجميع ولم يأت اول ضوء يوم ١٥/ ١٠ إلا وعادت لحائط الصواريخ قدرته العالية على القتال فلم تتجاوز نسبة الوحدات غير الجاهزة ١٠٪ وبينما نستعد لقتال القوات الجوية الإسرائيلية إذا بنا نفاجأ بقيام العدو بتوجيه نيران مدفعيته على معظم الكتائب الموجودة فى الشرق وهنا صدرت الأوامر باستخدام ستائر الدخان فى المواقع الحقيقية والهيكلية لتمويه مدفعية العدو والامتصاص مما يمكن من نيرانه - إن نجاح العدو فى توجيه نيرانه فى هذا اليوم لا يعود إلى درجة دقة العدو فى استخدام مدفعيته أو حسن مستواها التدريبى بقصد ما يرجع إلى حالة الثبات التى أصبحت عليها الوحدات منذ دخولها للشرق، فلقد مضى على بعضها ما يقرب من ٤٨ ساعة فى الشرق ولم يسمح الموقف التكتيكى فى الشرق بإتمام اية مناورة لاتخاذ تشكيل قتال جديد يحد من مهمة مدفعية العدو دقة.

موقف الصواريخ :

أدت كثرة الاشتباكات فى طائرات العدو إلى استهلاك الكثير من الصواريخ وخاصة صواريخ سام ٣ معدل، ووصل الأمر فى يوم ١٥/ ١٠ إلى مرحلة حرجة.

ولم يكن هناك من حل سوى المناورة بالصواريخ بين القطاعات المختلفة للتضليل تلك المناورة التى امتدت مسافاتها لتصل أكثر من ١٠٠ كم. لقد قاتلت وحداتنا خلال اليوم قتالا مشرفًا رغم الظروف المختلفة التى أحاطت بها فرغم قصف المدفعية المعادى الذى تركز بصورة متقطعة طوال النهار على كتائب الصواريخ التى كانت موجودة فى الشرق، ورغم زيادة مجهود القوات الجوية الإسرائيلية وتكثيفها لهجماتها الجوية باستخدام أعداد أكبر من الطائرات فى مهاجمة الغرب بالإضافة إلى زسلحة الخمد.

المختلفة والتى زاد استخدامها بصورة كبيرة إلا أن الوحدات قاتلت تماما رغم ما وجه إليها من إتمام عدة اشتباكات ناجحة، لقد كان لجهد الوحدات والقيادات على جميع المستويات أثر كبير فى تحويل ما كان يهدف إليه العدو من نجاح إلى هزيمة ولم

نسمح لنسى الخوف والرهبة الذى غرسناه فى العدو الذى مرجعة إلى دقة صواريخنا من أن يغادر فكرة فى أى لحظة، فاستمر اتزانه يسود، لقد تغلبنا بأساليبنا المتعددة والمتغيرة على أساليب العدو وتغلبنا بمجموعات مهندسى الإصلاح وكفاءتهم على مدفعية العدو وما كانت تهدف إليه من تعطيل المعدات أو إتلافها، وقد بذلوا فى سبيل ذلك جهدًا رائعًا وبذلك يسروا لكثير من الوحدات صلاحية قد تكون غير دائمة، ولكنها يسرت لها أن تشارك باقى الوحدات فى الغرب فى تأدية مهمة الوقاية.

أدت المعركة الضارية التى كانت قائمة فى الشرق فى منطقة المزرعة الصينية طوال يوم ١٥/ ١٠ وامتدادها شمالا فى اتجاه الدفرسوار مع تركيز العدو إلى ما يقرب من فرقتين مدرعتين على جانب الفرقة ١٦ مشاة إلى إصابة بعض المعدات الصاروخية التى كانت تعمل فى هذا القطاع، وكانت بداية خسارة من الصعب استعواضها فى زمن قصير، لقد تمكن حائط الصواريخ خلال قتال هذا اليوم من تدمير ٣١ طائرة للعدو مؤكدة منها طائرتان هليوكبتر.

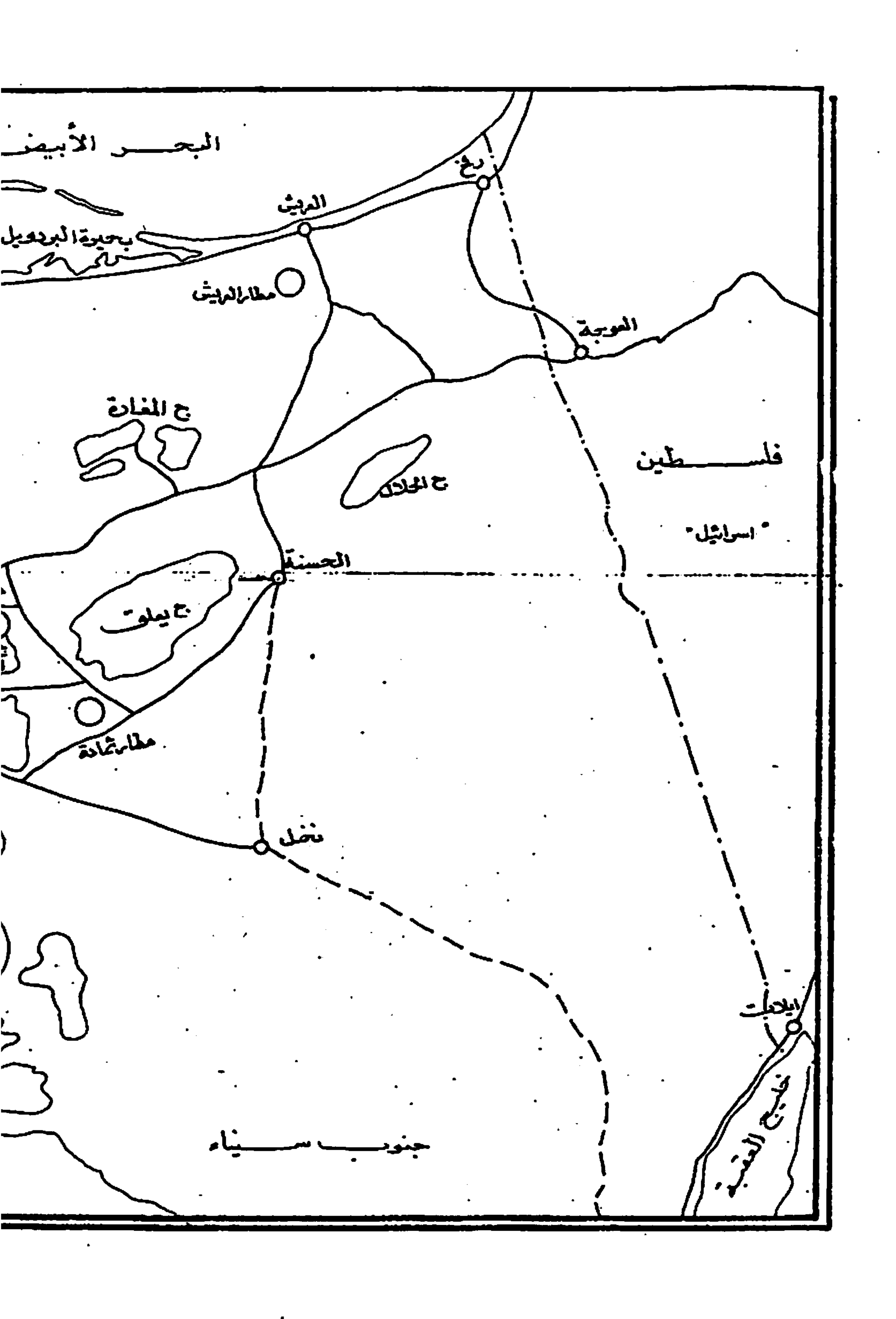
الفصل السادس عشر

أعمال قتال حائط الصواريخ الفترة من ١٦ - ٢٥ أكتوبر

تعتبر هذه المرحلة من مراحل القتال مرحلة المواجهة الكاملة بين القوات المصرية والاسرائيلية، فلقد قامت إسرائيل بعد أن فرغت من الجبهة السورية بحشد معظم قواتها تجاه الجبهة المصرية، بغرض تحقيق الفكر الإسرائيلي الذى أشرت إليه سابقًا من ضرورة تثبيت القوات المصرية، ثم النفاذ بينهما والتواجد خلفها لإحداث الخلل المطلوب لإجبارها على ترك رءوس الكبارى التى أقامتها فى الشرق.

لقد اتسمت هذه المرحلة بسمات مختلفة عن المراحل السابقة، فلقد خيم عليها منذ البداية ضباب المعركة، فبدأت المعلومات عن العدو ضئيلة ومتضاربة مما أدى إلى ميوعة الموقف وتشتت القوات وفقد السيطرة فى بعض الأحيان وانعكاس ذلك كله على القرارات فجاءت متأخرة وغير حاسمة، بجانب ذلك فقد كان هناك التحرك السياسى الذى كان يتم فى ردها ت الأمم المتحدة وبين عواصم الدول الكبرى بغرض إيقاف إطلاق النار، ذلك التحرك الذى سيطرت اتجاهاته السياسية واحتمالاته، والرغبة فى سرعة إنجازه على سير العمليات فى هذه المرحلة، وخاصة بالنسبة إلى إسرائيل.

لقد تمكنت القوات البرية الإسرائيلية خلال هذه المرحلة من تثبيت معظم قطاعات الجبهة المصرية، ثم التركيز على أضعف نقطة فيها بغرض اختراقها والنفاذ منها، وقد تمكنت من ذلك فى المنطقة الواقعة شرق القناة فى المنطقة الممتدة بين المزرعة الصينية والديفرسوار وقد أدى نجاحها فى ذلك إلى إمكان عبورها للغرب وتكوين رأس كوبرى محدود سرعان ما اتسع نتيجة لعدم القضاء عليه فى مهده.


البحر الأبيض
رفح
العريش
بحيرة البردويل
مطار العريش
العوجة
ج المغارة
ج الحلال
فلسطين
"اسرائيل"
الحسنة
ج يعلق
مطار تمادة
نخل
ايلات
خليج العقبة
جنوب سيناء

أوضاع حائط الصواريخ

صباح يوم ٧٣/١٠/١٦

بورسعيد

بحيرة المنزلة

قوات قطاع بورسعيد

مطار الصالحية

الزقازيق

الجيش الثانى الميدانى

ج الشهابي

ج جنيفة

القاهرة

الجيش الثالث الميدانى

ج عتاقة

مطار القطامية

رأس سدر

قوات قطاع بيرعديب

ج الجلالة البحرية

خليج السويس

أدى هـذا الاتسـاع إلى تدفق عـدة وحدات إسرائيليـة للغرب حاولـت أولا محاولة النفـاذ فى اتجاه الغرب بغرض الوصول إلى طريق الإسـماعيلية القاهرة الصحراوى فلم تتمكن فغيرت وجهتها تجاه مدينة الإسـماعيلية بغرض الاستيلاء عليها، ولكنها فشلت مـرة أخرى فوجهت وجهتها بعـد أن زاد حجمها زيادة هائلة تجاه مدينة السـويس فلم تصل إليها حتى يوم ٢٢/ ١٠/ ١٩٧٣ وما كل ذلك الفشل والتعثر إلا نتيجة للمقاومة التى قوبلت بها.

لقـد قاتـل حائط الصواريخ خـلال هذه المرحلـة القوات الجويـة الإسرائيلية بنفس العزيمـة والإصرار والقـدرة والكفاءة التى قاتل بها خلال المراحل السـابقة كما تصدى لدبابـات العـدو، ولم يمكنها من النفاذ بين وحداته بـل أحاط بها من كل جانب قاتل فى الشرق وقاتل فى الغرب، وتعرضت وحداته للعديد من الهجمات البرية والجوية وصمد كالطود الشامخ أمام كل ذلك، وأنزل بالقوات الجوية الإسرائيلية خسائر كبيرة وأحاط بالعدو إحاطة السوار بالمعصم.

خطط العمليـــات

اتجهت الخطة المصرية بعد أن تأكد حسـم الموقف على الجبهة السـورية لصالح العدو إلى اتخاذ موقف دفاعى فى الشرق وذلك بعد أن قام العدو بتحريك معظم قواته فى اتجاه جبهة سـيناء، كان معنى ذلك هو قيام القوات بتحسـين أوضاعها، وتعزيزها والتمسك تمامًا بها وصد أية هجمات يقوم بها العدو بغرض إزالة رءوس الكبارى أو اختراقها.

كان دور حائـط الصواريـخ فى ضـوء هذه الخطة هـو اسـتمرار توفير الوقاية لقوات الجيـش الثالث والثانى الميدانيين فى رءوس الكبارى بالشرق مع اسـتمرار توفير الوقاية للمعابر والمطارات الأمامية والقواعد والمنشآت الإدارية المختلفة فى الغرب.

أمـا الخطة الإسرائيلية، ففى ضوء توفير القوات لديها فى جبهة سـيناء بدأت تتحول إلى الهجـوم بعـد أن التزمت بالدفاع الفترة من ١٠-١٤ أكتوبر، وكانت فى جملتها تهدف إلى إزالـة رءوس الكبـارى أو تقليصهـا. وعـلى ذلـك أصبحـت مهمة القـوات الجوية الإسرائيلية كما وضح من عملياتها خلال هذه الفترة كما يلى :

أ- محاولة استعادة السيطرة الجوية المحلية فوق القوات لرفع معنوياتها.

ب- خلق الظروف الجوية لاستدراج القوات الجوية المصرية لعمليات القتال الجوى.

ج - مهاجمة حائط الصواريخ مع العمل على تقليصه من الأجناب.

د - استمرار مهاجمة المطارات الأمامية بغرض نقلها لحرمان القوات البرية من معاونة القوات الجوية.

ه - تركيز عمليات الاستطلاع الجوى بأنواعه وتقديم المعاونة الفعالة للقوات البرية فى عملياتها الهجومية دون التعرض لنيران الصواريخ.

و - المعاونة فى عمليات النقل والإمداد والإخلاء.

نشأة فكرة العبور للغرب

كانت المشكلة التى اعترضت القوات البرية الإسرائيلية فى تنفيذ أسلوبها فى الحرب الخاطفة هو تخلى القوات الجوية الإسرائيلية عن معاونتها، إذ لم تتمكن الأخيرة من أن تعمل كرأس حربة تدك المواقع التى تجابهها لتأتى المدرعات والمنشاة الميكانيكية لتسحقها دون مقاومة تذكر. لقد تخبط الفكر الإسرائيلى وحار أمام عبور القوات المصرية وهزيمتها للقوات الإسرائيلية وخاصة بعد أن فشلت هجماته المضادة العديدة هنا برز إلى الظهور الحاجة إلى عبور القوات الإسرائيلية للغرب للقضاء على مواقع الصواريخ ومن ثم تمسك القوات الجوية الإسرائيلية بزمام الأمور.

لم يكن ذلك الفكر الإسرائيلى فكرًا جديدًا فى حد ذاته، فلقد قامت القوات الأمريكية فى حرب فيتنام بمهاجمة مواقع الصواريخ بواسطة قوات الإبرار الجوى - القوات المحمولة فى طائرات الهليوكبتر وتمكنت من تدمير عدة كتائب صواريخ موجهة. وبذلك تمكنت أن توفر للقوات الجوية الأمريكية حرية العمل فى مسرح القتال. لم يكن هذا الفكر جديدًا فى جوهره وإنما كان جديدًا فى أسلوبه، لقد أدى عدم إمكان استخدام قوات الإبرار الجوى الإسرائيلى فى مثل هذه العملية خوفًا من أن ينالها نفس الجزاء إلى لجوء إسرائيل إلى استخدام القوات البرية. لقد كان ذلك الفكر فكرًا طارئًا أوجدته

ظـروف القتال يـوم ٩/ ١٠/ ٧٣ ولم يمكن الموقـف التعبوى والتكتيكى السـائد وقتئذ مكان تنفيذ ذلك.

إن فكـرة العبـور للغرب للقضاء عـلى حائط الصواريخ كما سـبق أن أوضحت كان الفكـر الوحيد الذى راود أحـلام القادة الإسرائيليين بعد أن باتـوا يتخبطون فى الظلام بعـد فشـل الهجمات المضـادة التى قام بهـا جيش الدفـاع الإسرائيلى، لقد فشـل الهجوم المضاد الذى قام به الجنرال شـارون يومى ٨، ١٠/٧ / كما فشل الهجوم المضاد الذى وقع يوم ٩/ ١٠ وإزاء هذا الفشل المتكرر بدأ الصدام يحتدم بين القادة الإسرائيليين، فالجنرال جونين قائد جبهة سيناء يرى الاستمرار فى الهجوم المضاد لإنهاء القوات المصرية وإيقاف تقدمهـا والجنـرال شـارون يرى أن ذلك العمل لن يوصل إلى اى شـىء سـوى الرقص على أنغام المصريين وأن الحل الأمثل هو الإمسـاك بزمام المبادأة ثم العبور إلى الغرب وتنفيـذ خطتـه القديمة المعروفة باسـم الغزالـة كل ذلك على مرأى مـن رئيس الأركان الجنرال اليعازر الذى راقت له الفكرة وإن كان لم يعلن تأييدها أو شجبها.

لقـد أدى سـوء موقف القوات الإسرائيلية فى جبهة سـيناء، بالإضافة إلى التشـاحن القائم بين القادة الإسرائيليين فى سـيناء إلى تواجـد وزير الدفاع الإسرائيلى ليتعرف على الموقف بنفسه وهنا استمع إلى رأى الجنرال شارون الذى رأى أنه لاجدوى من أى قتال دون أن يتم إسـكات حائـط الصواريخ حتى يمكن توفير حريـة العمل للقوات الجوية الإسرائيليـة. ليتحقـق ذلك لابد من عبور القنـاة والوصول إلى مؤخـرة الجيش الثالث والثانـى الميدانيـين، لكن لم يحبذ وزير الدفاع هذه الفكرة ولم يرفضها وترك البت فى هذه المسـائل العسـكرية إلى رئيس الأركان وعاد من حيث أتى لتقديم تقرير لرئيسة الوزراء وليعلن تصريحة المشهور والذى أدلى به يوم ٩/ ١٠/ ١٩٧٣م.

لقـد التقط الجنرال أليعاوز الفكـرة وإن كان قد اقتنع بعدم إمكان تنفيذها فى الوقت الحـالى، إلا أن رد الفعـل للهزائـم المتلاحقة التى منيـت بها القـوات الإسرائيلية فى البر والجـو جعلـت هذه الفكـرة لاتبارح مخيلة رئيـس الأركان، بل استمرت تتراقص أمام عينيـه مـن وقت إلى آخر، لقد وعد الجنرال أليعازر الشـعب الإسرائيلى منذ اليوم الأول للحرب بأنه سيسحق عظام المصريين وأنه سيلقى بهم فى القناة إلى آخر ذلك من عبارات

الزهو الجوفاء ولما لم يتحقق أى شىء من ذلك، بل زاد موقف جيش الدفاع الإسرائيلى أمامه سوءًا انهار تماما وتبعًا لذلك انهارت حالته النفسية ولم يجد أمامه من مخرج سوى تبنى فكرة العبور لقناة السويس.

لقد بات أليعازر يحلم بهذه الفكرة، يحلم بعبور قواته للغرب كى تعمل بحرية تامةوهو كضابط مدرعات يعلم جيدًا أن الأرض غرب القناة تعتبر أكثر ملاءمة لعمل المدرعات عنها شرق القناة كان يبنى احلامه كلها على قدرة شارون وفكرته فى أسلوب تنفيذ العملية من أنها حركة سريعة تقوم بها بعض القوات الخفيفة الحركة، فى قفزة واحدة تعبر القناة وتجرى هنا وهناك، ثم تقفز عائدة من حيث أتت بعد أن تكون أتمت تنفيذ مهمتها، قبل أن يلحق بها الصياد فيصيبها فى مقتل وبعد أن تكون قد نجحت فى عمل ثغرة فى سماء جهة القتال بتدمير عدة كتائب صواريخ.

لقد عرض رئيس الأركان الفكرة على الجنرال ديان وزير الدفاع الإسرائيلى يوم ١٠/ ١٠ ولم يوافق عليها، لأنها لا تحقق أى غرض من أغراض الحرب وتبعًا لاختلاف الرأى بين وزير الدفاع ورئيس الأركان تم عقد مؤتمر حضره المسئولون السياسيون والعسكريون وحضرته رئيسة الوزراء، دارفيه نقاش حاد حول فكرة رئيس الأركان ووضح للجميع أنها أشبه بالسراب فى مثل ذلك الموقف، فكيف يتم أى عبور للغرب وما زال للقوات المصرية عدة فرق موجودة فى الغرب قادرة على القضاء على أية قوة تنجح فى العبور وليس هناك من نتائج منتظرة سوى مزيد من الهزيمة والخسائر فى تلك الأثناء وردت معلومات المخابرات تؤكد قرب عبور القوات المدرعة المصرية إلى الشرق، فكان ذلك إيذانًا بانفجار المناقشة مرة أخرى، وهنا تدخل الجنرال بارليف ورأى أن تقوم قيادة جبهة سيناء بتجهيز عملية هجومية لكسر الهجوم المصرى المدرع المنتظر صباح يوم ١٤ أكتوبر ٧٣ على أن ينظر فى أى تحركات تجاه الغرب بعد ذلك على ضوء الموقف وقد وافق الجميع على هذا الرأى. من ذلك يتضح أن القيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية لم توافق الجنرال اليعازر على فكرته، بل حددت هدفًا آخر هو كسر الهجوم المصرى وقبل أن تسترسل فى سرد الأحداث يجب أن نقف وقفة قصيرة لنتعرف على شخصية الجنرال شارون ذلك الجنرال الذى قاد القوات الإسرائيلية فى

هذه العملية، لقد كان الجنرال شارون قبل يوليو ١٩٧٣ قائدًا لجبهة سيناء، وكان يطمع في أن يكون رئيسًا لأركان جيش الدفاع الإسرائيلي نظرًا لكفاءته، ولكن لم يتم اختياره فأحيل إلى التقاعد، عندما قامت حرب أكتوبر استدعى الجنرال شارون فلبى النداء مسرعًا عسى أن تيسر له الحرب وهو فى اعتقادة رجل موهوب أن يصل إلى ماكان يصبو إليه ورأى فى التفكك الذى أصاب قيادة جبهة سيناء وانهيار الجنرال جونين قائد الجبهة وعدم قدرته على السيطرة على قواته واتخاذ قرار سليم، فرصة جعلته وهو ذو شخصية قوية من أن يبدأ فى فرض آرائه عليه ساعده على ذلك ضعف شخصية جونين وقلة خبرته بجبهة سيناء لحداثة خدمته بها. لقد وجدت القيادة الإسرائيلية فى تلك الأيام العصيبة فى الجنرال شارون الورقة الرابحة التى يمكن أن تلعب بها. فقادتها فى سيناء جونين ومندلر ما بين منهار ومنهزم، كما أن سابق قيادته للقوات الإسرائيلية هناك وما قام به من تدريب لقواته على هذه الأرض وحصيلة ما تجمع لديه من خبرات، كل ذلك جعلتهما تستمع إلى آرائة ولكن دون أن تجرى وراءها، لقد كان الجنرال شارون يحلم بالوصول إلى القناة وعبورها للغرب ومن ثم يبدأ فى تحقيق الخطة الهجومية الإسرائيلية التى كانت قائمة قبل أكتوبر ١٩٧٣ والمعروفة باسم «الغزالة»، والتى كان طول خدمته فى سيناء بعد قواته ويدربها لتنفيذها عندما يحين الوقت لذلك، هنا يبدأ نجمه فى الصعود فملامح الطريق واضحة والأمل كبير وفى نهايته تحقيق ما يرنو إليه من الوثوب إلى منصب رئيس الأركان الإسرائيلى. لقد كانت آراء الجنرال شارون هذه هى الخلفية التى بنى عليها الجنرال اليعازر فكره الذى فرضه على القيادة الإسرائيلية.

خلال يوم ١٤ أكتوبر نشبت أكبر معارك للدبابات على رمال سيناء وتدخلت القوات الجوية الإسرائيلية لتمد يد العون لقواتها المدرعة لكن لم تكد تدخل المعركة حتى كانت على موعد مع كتائب صواريخنا الموجودة شرق القناة وغربها. كان قتال هذا اليوم يحمل بين طياته خسائر عظيمة للعدو سواء فى الدبابات أو الطائرات. هنا جن جنون قيادة سيناء وطار صواب الجنرال شارون فرأيا أن يستغلا ليلة ١٤/ ١٥ أكتوبر فى حشد ما يمكن من القوات أمام وعلى الجانب الايمن للفرقة ١٦ مشاة.

وفى صباح يوم ١٥/ ١٠ أمكن حشد نحو ٤٠٠ دبابة، وبدأت إسرائيل هجومها العام ذلك الهجوم الذى كان يقضى بتثبيت مواجهة القتال كلها بهجمات ثانوية وتوجيه ضربة قوية إلى الجنب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة.

العدو يحاول الإمساك بزمام المبادأة

لقد تميز قتال القوات البرية الإسرائيلية خلال يوم ١٥ أكتوبر بكثرة الهجمات المضادة خاصة على قطاع الفرقة ١٦ مشاة. لقد صمدت هذه الفرقة لهجمات العدو العديدة سواء تلك التى وقعت على مواجهتها أو على جنبها الأيمن؛ حيث يعمل اللواء ١٦ مشاة، إلا أن طموح العدو وإصراره من ناحية مع وصول الإمدادات إليه من المدرعات ومن الطائرات التى بدأ مراقبتها فى الجو اعتبارًا من يوم ١٣ أكتوبر ٧٣ جعل العدو لا يحيد عن غرضه رغم كثرة خسائره فى المعدات والأفراد. دار قتال رهيب بين فرقة الجنرال شارون والفرقة ١٦ مشاة خسرت فيه القوات الإسرائيلية مزيدًا من الخسائر مما أجبر القيادة الإسرائيلية على دفع فرقة الجنرال بيرين لتعاون فى الهجوم على الجنب الايمن للفرقة ١٦ مشاة، وانتهى هذا القتال الرهيب قرابة سعت ٢٠٠ ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر بعد أن تمكن العدو من الوصول إلى القناة فى منطقة النقطة القوية فى الديفرسوار وما حولها ومن هنا أطلت فكرة العبور للغرب مرة ثانية أمام الجنرال شارون فهو أمام القناة مرة أخرى وفى الديفرسوار بالذات تلك المنطقة التى كان يعدها للعبور للغرب فى حالة قيامه بأية عملية هجومية، وهنا تراقصت أمامه أحلام المجد وتاج الشهرة فقرر المغامرة بالعبور.

لكن هل كان عبور العد وغربًا أمرًا متوقعًا أو غير متوقع. هل توقعه القائد المحلى أم لم يتوقعه، الواقع أن تقرير الموقف لقائد الفرقة ١٦ مشاة، والذى أرسل فى صباح يوم ١٥/ ١٠ لقيادة الجيش الثانى يحدد بجلاء احتمالات العدو فى قطاع الفرقة فمن الحشود المدرعة التى حشدها العدو على جنب الفرقة الأيمن أو الموجودة فى مواجهته أو المتجمعة فى منطقة الطاسة قدر قائد الفرقة احتمالات الموقف كالآتى:

أ- أما أن يقوم العدو بمهاجمة مواجهة، وجنب الفرقة الأيمن كل بقوة لواء مدرع بقصد القضاء على رأس الكوبرى الذى استولت عليه الفرقة.

ب- أو يقوم بتثبيت مواجهة الفرقة بقوة لواء مدرع أو أقل، ثم المناورة بقواته ومهاجمة الجنب الأيمن للفرقة بقوة لواءين مدرغين، فى هذه الحالة سيكون غرض العدو

أما دفع الجنب الأيمن للفرقة بقصد الوصول إلى الضفة الشرقية للقناة واحتلاله لإجبار الفرقة على الارتداد نحو الشمال أو للوثوب منه للغرب فى ضوء هذا التقدير الذى كان معروفًا صباح يوم ١٥/ ١٠ كان من الواجب على قيادة الجيش الثانى الميدانى أن تتخذ من الاحتياطيات ما يلزم لإحباط أية محاولة للعدو للعبور غربًا. لقد كان واضحًا على مستوى الجيش الثانى الميدانى منذ يوم ١٤/ ١٠ أن العدو يحشد قواته ويعد نفسه للقيام بهجوم مضاد عام بغرض إزالة رءوس الكبارى التى تم إقامتها ومحاولة عودة الموقف إلى ما كان عليه يوم ٥ أكتوبر ٧٣.

وكان من الواجب فى هذه الحالة أن يعاد النظر فى إعادة توزيع النسق الثانى واحتياطيات الجيش على ضوء هذه المعلومات أو مبكرًا عن ذلك ولو تم ذلك ما تمكن العدو من العبور غربا ولما فكر فى مهاجمة جنب الفرقة ١٦ مشاة؛ لأن معنى ذلك انه سيتعرض إن عاجلا أو آجلا إلى نيران حامية من الضفة الغربية.

لقد شهدت ليلة ١٥ أكتوبر أحداثًا جسام توالت ببطء، ثم تلاحقت بسرعة وانتهت فى النهاية إلى ما عرف بالثغرة وخط ٢٢ وخط ٢٥ أكتوبر، وفى كل هذه المواقف كانت الفرقة الثامنة دفاع جوى هى الصخرة التى تحطم أمامها العدو، أقولها بصراحة وإصرار، فهى التى قاتلت العدو فى الثغرة وهى التى لم تمكنه من احتلال الأرض أو التقدم غربًا متحملة فى ذلك الخسائر فى الافراد والمعدات غير عابئة بشىء إلا بالحفاظ على تراب مصر الطاهر مهما كان الثمن.

بعد أن صدرت الأوامر للوحدات الموجودة فى الشرق بالعودة إلى الغرب رأيت من الضرورى معاونتها على العبور حتى يمكن أن تجرى عملية العبور بسرعة وبذا يتيسر لها احتلال مواقعها والاستعداد بسرعة للقتال، وعلى ذلك أرسلت كل معاونى فى القيادة العميد على شكرى، العميد شفيق، العميد منتصر كل إلى قطاع لمراقبة ومعاونة الوحدات فى عبورها للغرب، فى الوقت نفسه وضعت خطة للمناورة محدودة لتقوية بعض الاتجاهات من ناحية ولتغيير شكل تجميع القتال من ناحية أخرى.

خلال هجوم العدو على جنب الفرقة ١٦ مشاة تمكن العدو من تدمير بعض معدات إحدى كتائب الصواريخ بدباباته، بالإضافة إلى ما أحدثه هجومه فى القطاعات الأخرى من إصابة هوائيات رادار لتوجيه فى بعض كتائب الصواريخ الأخرى ورغم ما كان

يقوم به الاتحاد السوفيتى من إمدادات عاجلة عبر الجسر الجوى الذى تم إقامته لم يصل شىء من هذه الهوائيات أو المعدات ورغم علمهم تمامًا بأن الخسائر فى هذه الهوائيات هى الأمر الغالب ورغم تقديرهم السابق لخسائرنا فى الحرب بما يقرب من ٣٠ كتيبة صواريخ مدمرة تمامًا إلا أن ذلك لم يحدث. لقد حققت القوات البرية مهمتها المباشرة وصدت ضربات العدو المضادة، وقامت بتطوير هجومها شرقًا، ثم تحولت إلى تثبيت رءوس الكبارى وحتى الآن لم تدمر كتيبة صواريخ واحدة مما يؤدى إلى خروجها من المعركة فقط تدمر هوائى رادار توجيه كتيبة صواريخ واحدة وبتدبير آخر بدلا منه يمكنها العمل فورًا.

قمت من مركز القيادة بالسيطرة على الوحدات القائمة بالمناورة فى الغرب وتلك العائدة من الشرف، لقد تعثرت عدة وحدات عند عودتها أما نتيجة لقصف مدفعية العدو عليها عند العبور أو عند توجيهها لمواقعها فى الغرب نتيجة لصعوبة التحرك على الطريق لوجود شبورة مائية كثيفة وقتئذ.

العبور المخادع وأزمة الثقة

قام العدو قبل منتصف ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر بقليل بهجوم خداعى على موقع كتيبة رادار الإنذار الموجودة على ساحل خليج السويس بمنطقة العين السخنة.

لقد أبلغت كتيبة الرادار بذلت واورت فى الوقت نفسه أنها قائمة بالاشتباك مع العدو الذى يقوم بفتح النيران عليها من اتجاه خليج السويس. فى ضوء ذلك أصدرت من الأوامر ما يلزم وتم إبلاغ جميع المستويات القيادية التى يهمها الأمر. ان احتمال قيام العدو بإبرار جوى أو بحرى فى منطقة العين السخنه كان واردًا فى الاعتبار وأى معلومات عن العدو ولو محدودة القيمة يجب إبلاغها إلى المستويات التى يهمها الأمر وما على الأخيرة إلا إتمام تصفية المعلومات ومعرفة الطالح من الصالح وإرسال الأخيرة للقيادات المعنية. لقد كان بلاغ الموقع مقرونًا بفتح النيران عليه، أى أن هناك عملا عدائيًا تؤكده النيران المفتوحة ويعنى ذلك أن الحدث صحيح وما تم حياله من اجراءات يعتبر كافيًا جدًا لحسم الموقف، ولكن إبلاغ المعلومات للمستويات القيادية

التى يهمها الأمر أمر ضرورى بغرض وضعها فى الصورة لأعمال العدو وإن كانت تافهة وليس بغرض الاستخفاف بقدرة العدو.

العبور الرئيسى والإفراط فى الثقة

سعت ٥٥ يوم ١٦/ ١٠ بدأت نقط المراقبة الجوية بالنظر الواقعة غرب القناة بين قريةسرابيوم وأبى سلطان تبلغ عن وجود قصف مدفعى عنيف عليها وكان تقديرى الأولى لذلك هو أن عنف المعركة البرية فى الشرق على جنب الفرقة ١٦ مشاة هو سبب ذلك. بعد مضى وقت قليل أبلغت إحدى النقط الواقعة على شاطئ البحيرات المرة الكبرى عن مشاهدتها لعدد ١٣ قطعة مجنزرات للعدو حددتها بعدد ٧ دبابة، ٦ عربة نصف جنزير قادمين من اتجاه البحيرات المرة الكبرى متجهين للغرب.

بمرور الوقت كثرت البلاغات عن نشاط العدو شرق القناة، إذ شوهدت دبابات العدو على الضفة الشرقية للقناة وظهرت أصوات لنشات معادية فوق سطح المياه فى البحيرة المرة الكبرى. لقد كان من الضرورى فى ضوء هذا السيل من المعلومات رغم ما شاب ابلاغنا عنها من تكذيب - أن يستمر الإبلاغ عن أية معلومات تحصل عليها نقط المراقبة الجوية بالنظر. ان واجب هذه النقط الأساسى هو الإبلاغ عن العدو الجوى أساسا إلا أن ذلك لا يمنع من قيامها بالإبلاغ عن أى أعمال قتالية تتم بجوارها وهنا تعتبر وسيلة ثانوية للمعلومات عن العدو الأرضى.

استمر سيل المعلومات عن العدو فى شرق القناة وعبوره للغرب يزداد فترة بعد أخري وقد لاحظ العدو نشاط شبكة المراقبةالجوية بالنظر فى ذلك الصدد فقام بالتشويش على أجهزتها اللاسلكية ولكن دون جدوى. فى ضوء نشاط العد ويوم ١٥/ ١٠، فى قطاع الجيش الثانى الميدانى وفى ضوء المعارك الضارية التى خاضها الجيش خلال قتال يوم ١٥/ ١٠ والذى لم تهدأ أحداثه حتى قرب فجر يوم ١٦/ ١٠/ ١٩٧٣ وما تجمع إليه من معلومات أبلغتنا قيادة الجيش سعت ٤٤٥ عن وجود قوات إبرار جوى كبيرة للعدو ومحتشدة فى مطار المليز وينتظر أن يستخدمها العدو للقيام بعمليات إبرار على نطاق واسع سواء على الأغراض الحيوية فى الخلف أو على كتائب صواريخ

حائط الصواريخ وفى ضوء كل ما سبق عن نشاط العدو واحتمالاته أصدرت تعليمات للوحدات باتخاذ أوضاع للدفاع عن نفسها بكل قوتها وأن تمنع أى فرد من الاقتراب منها. فى سعت ٠٥٤٠ أبلغتنا قيادة الجيش الثانى الميدانى أن العدو تمكن من الضغط على جانب الفرقة ١٦ مشاه الأيمن وأن هناك احتمالا بأن تكون بعض عناصر العدو قد تمكنت من عبور القناة كمتسللين.

لقد لعب القدر دورًا كبيرًا ومهمًا أعتبارًا من صباح يوم ١٦/ ١٠ فما كاد النهار يبزغ حتى ساد الجو شبورة مائية ثقيلة جعلت الرؤية محدودة لاتكاد تصل بضع عشرات من الأمتار وكما أدت هذه الشبورة المائية الى تأخر وصول كتائب الصواريخ إلى مواقعها الجديدة، فقد حدث من نشاط القوات الجوية الإسرائيلية فى الساعات الأولى من الصباح، إلا أنها كانت أكبر عامل مساعد للعدو للتواجد فى الضفة الغربية. لقد عاونت فى إمكان عبوره دون مراقبة اللهم إلا من بعض نقط المراقبة الجوية بالنظر كما عاونت فى إخفاء تحركاته فى الضفة الغربية حتى اختبأ تمامًا داخل المنطقة الشجرية الكثيفة التى تمتد كشريط ضيق يتراوح عرضه بين مئات من الأمتار إلى نحو كيلو متر أو أكثر قليلا غرب القناة؛ حيث تكثر حدائق الفاكهة من أشجار الموالح والمانجو بشكل خاص فلو أضفنا إلى ذلك السياجات الشجرية المقامة لحماية هذه الحدائق لتصورنا مدى الإخفاء الهائل الذى تقدمه هذه المنطقة لأى قوات تحاول الاستتار فيها.

إنشاء رأس الكوبرى بين الاندفاع والحذر

تمكن العدو من إتمام عبور بعض وحداته المدرعة التى تقدر فى حجمها الكلى بما يقرب من كتيبة دبابات ٣٠-٤٠ دبابة وبعض عناصر قواته الخاصة التى تقدر بما يقرب من كتيبة مظلات وأمكنه تكوين رأس كوبرى فى البر الغربى للقناة يمتد من منطقة الديفرسوار جنوبًا حتى ٢كم متر شمالا وظل قابعًا به لا يدرى ماذا يفعل، ولا يناوش ولا يقاتل. لم يحاول العدو التعرض للوحدات المجاورة له وما أكثرها من كتائب الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات بأى عمل - ماذا نسمى ذلك فى العلم العسكرى. حرب دائرة ونيرانها مستعرة منذ عشرة أيام وعد ويتلقى الهزيمة يومًا بعد يوم، ثم يقوم بعبور محدود إلى غرب القناة ويلتمس الصمت والهدوء مختبأ فى حدائق

الفاكهـة الكثيفة. الوضع الطبيعى هو توسـيع رأس الكوبـرى وتعميقه ومحاولة القضاء علـى القوات الموجـودة فيه وتهيأة ظروف أفضل لعبور قـوات أخرى لم يحدث من ذلك شىء منذ عبر العدو سعت ١٣٠٠ . ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر، كل ما فعله هو إيجادة الاختفاء داخـل الحدائق مثله مثل السـارق الذى يختبىء بسرعة بعد سـحب ضحيته من فرط ما ألم بـه من خـوف وللتدليل على ذلـك أن إحدى وحداتنـا كانت فى طريقهـا إلى موقعها بجـوار العـدو فى رأس- الكوبرى ولم يتعرض لها وهنايبرز سـؤال محـير، لماذا لم ينقض العـدو عليها وعلى غيرها من كتائب صواريخ الخط الأول غرب القناة مباشرة وعددها كتيبتـا صواريخ سـام ٣ طالما عبر إلى الغرب وطالما يذيـع منذ ١٠/ ١٠/ ٧٣ بضرورة - تدمـير حائـط الصواريخ بأى ثمن حتى يمكنـه أن يؤثر على المعركة البريـة الدائرة. هل العـدو غير مصـدق لنجاحه،واقع الامر أنه نجح فعلا فكيف لا يصدق. هل قوة العدو قليلـة لدرجـة جعلته لا يتحرك. الواقع أنه فى هذه اللحظة لم يكن أمامه سـوى وحدات حائط الصواريخ وبعض وحدات محدودة من المدفعية المضادة للطائرات. أم أن الخوف الذى كان مسيطرًا عليه ولا يزال مسيطرًا عليه صرفه عن القيام بأى عمل عسكرى ضد وحـدات الصواريـخ وأيا كان التقديـر فلقد تقوقع العدو تمامًا ولم يقم بأى نشـاط حتى ظهر يوم ١٦/ ١٠.

تمكنـت قواتنا البرية من تحديد شـكل وأوضاع العدو سـعت ١٠٠٠ يوم ١٦/ ١٠. وكان تقديرهـا للموقـف ـ وقتئذ ـ هو وجـود إبرار محدود للعدو فى مطار الديفرسـوار وبنفـس العدد من الدبابات التى سـبق أن حددناه ليلا .بعد زمن قصير تخصصت مهمة القضـاء على العدو فى الغـرب لبعض الوحدات المجاورة لمنطقـة الإبرار، وكان من بين هذه القوات بعض قوات الدول العربية الصديقة المشـاركة فى الحرب. الواقع أن القرار وإن كان قد تم فى وقته إلا أنه بنى على أساس غير واقعى، فالعدو لم يتم تحديد أوضاعه بالضبط حتى الآن لم تعرف قوته الحقيقية الموجودة فى المغرب وكان هذا هو الخطأ الثانى.

قامـت القوات المكلفـة بالقضاء على العدو بتنفيذ المهمـة المكلفة بها، وكان الواجب عليهـا تحديـد حجمه وأوضاعه، ثم التعامـل معه ولكن لم يحدث ذلك تمامًا، بل سـيطر عامـل السرعـة على عمليـة التنفيذ فقامـت بإطلاق نيرانها عشـوائيًا ممـا أدى إلى اختفاء

العدو فى المناطق الشجرية وكان هذا هو الخطأ الثالث، والقاتل فى الوقت نفسه، إذ أبلغ قائد القوة المكلفة بتنفيذ المهمة بأنه تم القضاء على العدو.

لقد كانت قوة العدو فى رأس الكوبرى صباح يوم ١٦/ ١٠ تقارب كتيبة دبابات وكتيبة مظلات، وهذه القوة تمكنت من النجاح المؤقت؛ لأنه لم يكن أمامها أى قوات سوى مؤخرات الوحدات بالإضافة إلى كتائب حائط الصواريخ المنتشرة هنا وهناك كما أن القوات التى خصصت للتعامل مع العدو لم تكن بالقوات السليمة الواجب دفعها لإيقاف العدو غربًا وتدميره؛ لذا فقد فشلت فى إيقاف انتشار العدو ولو كانت هذه القوات من القوة بحيث تتناسب مع العدو حجمًا ونوعًا لتمكنت من القضاء على العدو والواقع أن العدو رغم استيلائه على رأس الكوبرى فى الغرب فإنه كان من الضعف بمكان، فقوته غربًا لم تزد على ٤٠ دبابة وعربة نصف جنزير ونحو ٢٠٠-٣٠٠ جندى مظليين وإزاء هذا الضعف ورغبة منه فى تثبيت رأس الكوبرى احتل العدو رأس الكوبرى المحدد غربًا والذي لم يزد اتساعه على ٢كم ممتدًا من مطار الديفرسوار الى جنوب قرية سرابيوم بنحو ٣ كم وبعمق لا يتعدى ١ كم. عندما أيقن العدو أن القوات المهاجمه قد عادت أدراجها تقدم سعت ١٢٠٠ ببعض دبابته فى اتجاه الغرب، قامت القوات الجوية بمهاجمته وأنزلت به بعض الخسائر وكان من الضرورى أن يتقوقع العدو فى مكانه بين الأشجار إلا أن ما حدث هو العكس، فقد خرج العدو وتسرب ببعض دباباته تجاه الغرب وقام بقصف أول كتيبة صواريخ، كانت تقع غرب مطار الديفرسوار بنحو ٤كم تقريبًا وفى هذه اللحظة بدأ أول تعامل أرضى للعدو ومع حائط الصواريخ ورغم أن العدو وتمكن من إسكات هذه الكتيبة وتدمير بعض المعدات فإنه لم يحاول أن يهاجمها وإنما لجأ إلى اتباع أسلوب غريب - أضرب - أهرب اختبئ وأبحث عن قرية أخرى واستخدم معها نفس الأسلوب وإزاء ذلك كان لا بد لنا أن نراقب العدو وتحركاته وفعلا كان لوسائلنا البصرية والتلفزيونية خير عون فى ذلك بالإضافة إلى ما استلزمه الموقف من ضرورة وجود أسلوب جديد يتفق مع أسلوب العدو بحيث لا يتمكن من أن يفاجئ أن كتيبة صواريخ أخرى ويقصفها بمدفعية دباباته مع وضع الحاجة إلى وقاية القوات فى الشرق فى ذلك القطاع فى الاعتبار، فعلا وجدنا الأسلوب

المناسب إلا أن العدو تقوقع مرة أخرى فى المنطقة الشجرية وخلف السواتر الترابية التى كانت قواتنا قد أقامتها من قبل لإخفاء تحضيرات الهجوم.

فى ضوء انتشار العدو شمالا وجنوبًا وتطوير أسلوبه القتالى واتجاهه إلى العمل فى مجموعات صغيرة ٦-١٠ دبابات وتحركه بسرعة من مكان إلى مكان قامت القوات الجوية بالبحث عنه وتحديده باستخدام الطائرات الهليوكبتر، كما تحددت مهمة تدمير العدو فى الغرب إلى الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى احتياط الجيش الثانى الميدانى فى ذلك الوقت وكانت مكونة من لواء مدرع ولواء ميكانيكى وتتواجد وحداتها بين الشرق والغرب وفى ضوء المعلومات عن العدو المتسرب سواء من المصادر الأرضية رغم تضاربها أو القوات الجوية، قامت القوات الجوية اعتبارًا من سعت ١٦٠٠ بأكثرة من طلعة ضاربة من مطارات الصالحية بلبيس القطامية مجهود ضخم ولكنه فى جميع الأحوال لا يتماشى مع اسلوب استخدم القوات الجوية الاستخدام الصحيح.

لقد أدى هذا المجهود الضخم إلى خسائر فى قوات العدو، هذا مما لا شك فيه إلا أن محاولات العدو ولتوسيع رأس الكوبرى كانت لا تزال مستمرة فلم يكد يفيق من ضربات القوات الجوية حتى بدأ له أن الأفضل هو التحرك خارج المناطق الشجرية والاستتار فى الأرض مستغلا طبيعة الأرض والحفر المنتشرة هنا وهناك ولتحقيق ذلك بدأ العدو وتقدمه فى اتجاه قرية سرابيوم بقوة تقدر بنحو ٢٠ دبابة وذلك فى اتجاه الغرب وحاولت قواته الجوية معاونته فى هذا التقدم ولكن كان حائط الصواريخ لهابالمرصاد مما حدا بالعدو إلى أن يوجه نيران مدفعيته ودباباته تجاه إحدى كتائب الصواريخ الامامية الأخرى من بعد ولكن كان لأسلوبنا الذى حددناه للتغلب على نيران دبابات العدو وأثر فى عدم إصابتها إلا - بخسائر طفيفة ولم يأت آخر ضوء يوم ١٦/ ١٠ حتى توقف نشاط العدو تمامًا وعاد أدراجه لرأس الكوبرى ليختبئ داخل المنطقة الشجرية.

كان لتقدم العدو غربًا كما أسلفت مفاجأه غير متوقعة، إذ أنه يتنافى مع كل المعلومات المبلغة لنا بأن العدو محاصر وجارى التعامل معه أو قامت قواتنا الجوية بتدميره كلية. لقد قام العدو وخلال أربع ساعات بتوسيع رأس الكوبرى والعمل على تأمينه، وكان من الواجب أن يتم حصاره فيه ولا يسمح له بالنفاذ منه.

لقد كان هناك خطان دفاعيان يجب منع العدو من تخطيهما والتسرب غربًا وتوسيع رأس الكوبرى أولهما هو خط ترعة السويس ذلك المانع المائى الذى يبعد عن القناة فى منطقة رأس الكوبرى بنحو ١ كم، وثانيهما هو ذلك الساتر الترابى الممتد بجوار طريق الإسماعيلية السويس من سرابيوم إلى أبى سلطان ولو كان العدو قد تمكن من اجتياز الاول ببعض عناصر المحدودة خلال عبور ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر كان من الواجب التمسك بالخط الثانى؛ لأنه بعد ذلك تنعدم الهيئات الأرضية التى يمكن الاستناد إليها لتكوين خط دفاعى لحصار العدو أولا، ثم تدميره ثانيًا، ولكن خطة القضاء على العدو اتخذت الطابع الهجومى فكان مصيرها الفشل.

العدو يعمل على تثبيت رأس الكوبرى

فى مساء يوم ١٦/ ١٠ وصلت معلومات تؤكد أن الهجوم على جنب الفرقة ١٦ مشاة فى الشرق قد أمكن صده وإيقافه وأن قوات الصاعقة والمشاة الميكانيكية تقوم فى الغرب بالضغط على العدو الذى يحاول الانسحاب فى الديفرسوار وساحل البحيرة المرة الكبرى وتحاول قواتنا فى ضغطها عليه منعه من الانسحاب بغرض وقوعه فى الأسر. أدت هذه المعلومات إلى زيادة الثقة والتنبؤ بأن الموقف فى الغرب بدأ ينجلى لصالحنا وأن ما قام به العدو اليوم ضد كتيبتين صواريخ لا يعنى شيئًا بالنسبة إلى حائط الصواريخ فالمناورة بالوحدات والمعدات يمكن استعادة الموقف تمامًا.

لم تلبث هذه الثقة طويلا فقرابة منتصف ليلة ١٦/ ١٧ أبلغت نقط المراقبة الجوية فى منطقة سرابيوم عن عبور جديد لدبابات العدو من الشرق للغرب وهنا قفز إلى الذهن ماذا يبغى العدو من العبور الجديد هل حائط الصواريخ أو تنفيذ خطته الغزالة للرد على ذلك لا بد من عودة للسنوات التى سبقت حرب أكتوبر.

لقد كانت القيادة الإسرائيلية تعد لعملية هجومية، وكان فكرها لتلك العملية يتخلص فى الآتى :

تقوم القوات الجوية الإسرائيلية بتوجيه ضربة جوية شاملة إلى جمهورية مصر العربية توجه إلى الأغراض السياسية والاقتصادية والعسكرية المهمة بقصد إحداث أكبر خسائر

بها وذلك لإجبارها على قبول الشروط المناسبة لإسرائيل أو القيام بعملية هجومية ضد جمهورية مصر العربية على تثبيت باقى الجبهات فى سوريا والأردن وذلك للحصول على نفس الشروط المناسبة.لقد كان الاحتمال الثانى هو أكثر الاحتمالات توقعًا، وكان يهدف العدو من ورائه على تحقيق الأهداف الآتية:

أ- تدمير القوات المسلحة.

ب- الاستيلاء على القاهرة وبعض الأغراض المهمة فى شرق الدلتا ولتحقيق هذه الفكرة كان من المنتظر أن يبدأ العدو قبل يوم الهجوم بسبعة أيام تجميع قواته وبعد أن ينتهى من ذلك يقوم بهجمات جوية مركزة ضد وحدات الدفاع الجوى مراكز القيادة، عقد المواصلات، التجميع الرئيسى للقوات البرية بغرض إحداث أكبر خسائر بها فى اليوم السابق للهجوم يقوم العدو بضربة جوية مركزة لإحداث أكبر خسائر ضد الأغراض الحيوية فى العمق مع دفع قوات الإبرار الجوى ليلا لاحتلال رءوس الكبارى على الضفة الغربية للقناة تحت ستار نيران المدفعية وذلك فى كل من القنطرة، افردان، الإسماعيلية، الديفرسوار والشط.

فى أول ضوء يوم الهجوم يقوم العدو بدفع مجموعات عملياته (فرقة) تحت ستار الطيران والمدفعية وبالتعاون مع الابرار الجوى بغرض اختراق النطاق الدفاعى للقوات المصرية غرب القناة وتحقيق المهمة المباشرة خلال ثلاثة أيام والوصول إلى الخط الصالحية، أبو صوير- جبل عويبد بعد ذلك يقوم العدو بدفع احتياطياته الاستراتيجية من وسط سيناء مستغلا نجاحه للتقدم تجاه القاهرة والدلتا بالتعاون مع قواته الجوية بغرض الوصول إلى مشارف القاهرة.

ولو أمعنا النظر فى فكر القيادة الإسرائيلية دون الدخول فى تفاصيل نجد أن غرضها النهائى فى حالة النجاح هو الوصول إلى مشارف القاهرة وإذا درسنا أقرب المحاور من القناة للقاهرة نجد أنها إما محور الشلوفة- القاهرة أو محور الديفرسوار – القاهرة فعلاوة على قرب هذه المحاور للقاهرة نجد أنها لاتعترضها أى موانع مائية ولا تؤدى إلى الدخول فى الدلتا والتورط فى قتال مرير فيها وإذا قارنا بين المحورين نجد المحور

الأول الشلوفة – القاهرة تكتنفة كثير من الهيئات الحاكمة والمضايق التى يمكن للعدو و اجتيازها أو التغلب على أية مقاومة تتولى الدفاع عنها وذلك على العكس تمامًا من محور الديفرسوار– القاهرة الذى تعتبر طبيعة أرضه غرب القناة مفتوحة تمامًا ومثالية لعمل المدرعات، ولا توجد عليه أن هيئات طبيعية قوية تيسر للمدافع احتلال موقع دفاعى قوى عليه.

مما سبق يتضح أن العبور الجديد للعدو يتنافى مع فكر العدو فى تدمير بعض كتائب الصواريخ، لقد كان فكر الجنرال شارون فى ذلك يهدف إلى العبور وفى قفزة واحدة سريعة يقوم بتدمير عدة كتائب صواريخ يعود بعدها للغرب. وقد حقق ما كان يبغيه. وأوجد مجالا للقوات الجوية الإسرائيلية تعمل فيه بحرية بعيدًا عن تأثير وحدات الصواريخ. وعلى ذلك يمكن القول إن نجاح الجنرال شارون يوم ١٦/ ١٠ فى التمسك برأس الكوبرى أطاح برأسه وأسكره تمامًا وفكر فى المزيد ولذا طالب بعبور قوات جديدة إليه.

كان من الواجب عدم ترك العدو خلال ليلة ١٦/ ١٧ يعمل فى حرية يعود إلى رأس الكوبرى ويقبع فيه ويؤمن عبور قوات جديدة للغرب، بل كان الواجب وقد مضى نهار طويل والقتال مع العدو غربًا لم ينته، أن نكون أكثر حرصًا وتصميمًا على تدميره بسرعة أما خلال ليلة ١٦/ ١٧ أكتوبر أو يوم ١٧/ ١٠ على الأكثر حتى لا تتأثر المعركة شرقًا وغربًا وتنتقل المبادأة كاملة ليد العدو كان فى الضرورى وقد قبع العدو فى رأس الكوبرى أن نحيل ليله إلى جحيم بمعرفة القوات الخاصة وأن نبنى فى الوقت نفسه وبسرعة نظامًا دفاعيًا فى الاتجاهات المهمة يعتمد على حقول ألغام خلال وأن نسرع فى حشد القوات فى مواجهة العدو ونعمل على تثبيته مع إعداد ضربة مضادة قوية للقضاء عليه نهائيًا صباح يوم ١٧/ ١٠. لقد كان موقف العدو خلال ليلة ١٦/ ١٧ أكتوبر حرجًا، فدباباته كانت فى حاجة إلى وقود وقواته فى حاجة ماسة إلى الذخائر خلاف حاجتها لمواد الإعاشة الأخرى، لقد حاول العدو التغلب على ذلك الموقف فأرسل العديد من طائرات الهليوكبتر لإمداد قواته بالوقود ومختلف أصناف الإعاشة وقررت ألا نسمح له بأى إمداد ووقفت له الوحدات بالمرصاد، لقد تمكنا خلال هذه – الليلة

من تدمير ٩ طائرات هليوكبتر منها ٧ طائرات مؤكدة مما جعل العدو إزاء هذه الخسائر الباهظة يقرر التوقف عن إمداد قواته بالطائرات.

إن عبور قوات جديدة للغرب فى ضوء الموقف السالف الذكر يعتبر مخاطرة جسيمة ولا يعـرف مداهـا. لقـد كان لـدى العـدو قوات كبـيرة متوفـرة شرقًا فهنـاك غير فرقة الجنرال شـارون، والتى تتكون من لواءين مدرع ولواء مشاة ميكانيكى وبعض القوات الخاصـة من المظـلات، والتى لم يعبر منهـا للغرب حتى الآن إلا عنـاصر محدودة توجد أيضـا فرقة الجنرال بيرين وتماثل سـابقتها ومتجمعة شرق البحيرات المرة الكبرى شرق المزرعة الصينية. ولكن لماذا أحجم العدو رغم توفر فرصة العبور وتوافر القوات بالقدر الذى أسـلفنا ذكره. هل أحجمت القيادة الإسرائيلية كما ادعت عن الجرى وراء مطامع الجنرال شارون - وآرائه أم أن هناك عوامل أخرى.

الواقـع أن العمليـة كلهـا ـ فى حـد ذاتهـا، كـما أوضحت ـ كانـت جريًـا وراء غرور شـخصى للجنرال شـارون ولذا لم توافق القيـادة الإسرائيلية على عمليـة العبور - نظرًا لأنهـا لا تؤدى إلى أى غرض من اغـراض الحرب. إلا أن الواقع الآن رغم عدم الموافقة هـو أن القوات الإسرائيلية تمكنت من دفع الجنب الأيمن للفرقة ١٦ مشـاة شرق القناة ومن ثم العبور بقوات محدودة للغرب، ثم تمكنت القوات من الانتشـار وإلحاق خسائر بالوحـدات غـرب القناة ولدى القيـادة الإسرائيلية احتياطيات ضخمـة من القوات فى الشرق على مقربه من منطقة رأس الكوبرى تبلغ نحو فرقتين مدرعتين كاملتين فلماذا لم تدفع بقواتها للغرب والنجاح أمامها ماثل تمامًا لتحقيق حلمها القديم فى إملاء شروطها كما كانت تحلم ولتوضيح ذلك هناك عدة عوامل يجب إبرازها :

الغرض من الحرب :

إن الغرض السياسـى الذى قامت من أجله مصر بالحرب هو تحرير الأرض المحتلة عـام ١٩٦٧ وعلى ضـوء ذلك أصبح الغرض العسـكرى للقوات المسـلحة المصرية هو القيام بعملية هجومية تقتحم فيها قناة السـويس وتدمر فيها التجميع الرئيسـى للقوات الإسرائيلية فى سيناء وذلك وفقًا للمراحل التى وضعت للعملية الهجومية - أما إسرائيل

فقد كان غرضها السياسى والذى أعلنت عنه مرارًا هو استمرار احتلالها للأرض المحتلة عقب حرب ١٩٦٧ وتبعًا لذلك كان عليها أن تبنى خطًا دفاعيًا منيعًا ألا وهو خط بارليف ذلك الخط الذى ارتكز على أكبر مانع عرفه التاريخ وهو قناة السويس. وفى ضوء كلا الغرضين وقيام القوات المصرية بعملياتها الهجومية ونجاحها فى اقتحام قناة السويس واستيلائها على رءوس الكبارى شرق القناة وتدعيمها، ثم الالتقاء فى معارك تصادمية مع احتياطيات العدو التكتيكية وهزيمتها وتدمير العديد من دبابات العدو بالإضافة للكارثة التى حلت بالقوات الجوية الإسرائيلية من جراء خسائرها التى بلغت حتى يوم ١٥/ ١٠ نحو ١٩٠ طائرة مؤكدة بين قاذفة مقاتلة وهليوكبتر ونحو ٣٠ طائرة بين قاذفة مقاتلة وهليوكبتر غير مؤكدة ماذا كان ينبغى على القيادة الإسرائيلية اتخاذه ؟.
كان من الواجب المحافظة على الغرض السياسى والعسكرى ويعنى ذلك العمل على هزيمة القوات المصرية فى الشرق وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل يوم ٦/ ١٠ هذا هو العلم العسكرى الذى ينص على ضرورة الحفاظ على الغرض العسكرى فى جميع الأوقات وحشد جميع الجهود والطاقات لتحقيقه وفى سبيل ذلك كان على القيادة الإسرائيلية أن تقوم بهجومها المضاد فى الشرق لهزيمة القوات المصرية وإجبارها على الانسحاب من الشرق. إن نجاح العدو فى العبور إلى الغرب ايا كانت قوته لا يؤثر على سير القتال الدائر فى الشرق ولا يؤثر على موقف القوات الموجودة فى رءوس الكبارى والتى كانت بلغت فى ذلك الوقت عدة فرق مشاة ومدرعة وميكانيكية وتمكنت فى قتالها من تحطيم هجمات العدو المضادة العديدة مما جعل زحزحتها عن الأراضى التى احتلتها أمرًا بالغ الصعوبة هو أقرب إلى الخيال.

شكل المعركة الدائرة

هناك مبادئ لفن القتال بمستوياته المختلفة تم اكتسابها وصقلها خلال الحروب السابقة وتلك المبادئ تقضى أن يقوم كل طرف بوجه القتال الذى يناسب الموقف وبما يحقق الغرض من الحرب ولو طبقنا ذلك مع ما كان يدور نجد أن القوات المسلحة المصرية كانت قائمة بتطوير الهجوم شرقًا يوم ١٤/ ١٠ ومعنى التطوير هو التقدم إلى الأمام والالتفاء بقوات العدو الرئيسية وتدميرها والوصول بالقوات إلى خطوط

تكتيكية واستراتيجية آمنة تمهيدًا لاستخدامها كنقط انطلاق للعمليات فيما بعد وفى ضوء ذلك نجد أن مهمة القوات الإسرائيلية كما ينبغى أن تكون هو إيقاف الهجوم المصرى أولا - ثم تدميره وخلق أفضل الظروف للقوات الإسرائيلية للقيام بهجوم مضاد قوى بالاحتياطيات التعبوية لهزيمة القوات المصرية المسلحة وإرجاعها للخلف هذا هو المنطق العسكرى الذى كان يجب أن تسير عليه المعركة فهل تم ذلك لقد تمكنت القوات الإسرائيلية من إيقاف الهجوم المدرع المصرى، ولكن لم تتمكن من تدميره وفى سبيل تدميره قامت بعدة هجمات مضادة قوية أفقدته بعض الخسائر وتكبدت هى خسائر فادحة، ولكن نظرًا للتفوق العددى للعدو على قواتنا فى قطاع الفرقة ١٦ مشاة فقط تمكن العدو من النجاح والضغط على أحد لواءات الفرقة مما أدى إلى ارتداده للخلف بعد معارك عديدة وعنيفة من الارتداد والتقدم ولا يعنى نجاح العدو فى الوصول إلى القناة عقب ارتداد اللواء ١٦ مشاة الموجود فى الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة ضرورة العبور إلى الغرب بل إن الواجب هو تهيئة الظرف المناسب للقيام بهجوم شامل على مواجهة القتال لتحقيق الغرض من الحرب. إن موضوع ارتداد القوات فى الدفاع أمر مسلم به كما أن اختراق العدو للموقع الدفاعى أمر ممكن ومسلم به، ولكن غير المسلم به هو أن يتحول - الاختراق إلى انطلاق يهز كيان الدفاع ويلقى به فى فكى العدو وما قام به العدو وأمام اللواء ١٦ مشاة لم يكن العدو واختراق موقع اللواء فقط تمكن من إرجاعه للخلف فى اتجاه الشمال - إذا فليس هناك اختراق للموقع الدفاعى لتحويله إلى أنطلاق وتصور إقامة الفك الأيسر للكماشة بعبور القناة للغرب والتواجد خلف تشكيلات الجيش الثانى الميدانى ولا تزال معابر الجيش سليمة وإن كانت قد هددت فى قطاع عبور العدو إلا أنها فى باقى القطاعات فى الإسماعيلية والفردان والقنطرة سليمة ويمكن تلبية القوات بكل احتياجاتها من خلال هذه المعابر.

موقف القوات

كان للعدو فى المنطقة التكتيكية شرق القناة أربع فرق تقريبًا حشد العدو منها فرقتين فى المنطقة شرق البحيرات المرة الكبرى ويعنى ذلك أن العدو قام بتثبيت مواجهة الجيش الثالث الميدانى بلواء فى مواجهة ما يقرب من ثلاث فرق وقام بتثبيت مواجهة الجيش

الثانى بلواءين فى مواجهة ما يقرب من ٤ فرق وكان للقوات المسلحة المصرية فى الغرب حشد هائل من القوات فهناك الفرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى عدا لواء، عدة كتائب من الصاعقة والمظلات. لواء مدرع من الفرقة الرابعة المدرعة. كل ذلك فى الغرب، فهل يعقل والموقف بهذه الصورة أن يجازف العدو بالعبور للغرب، فلو فرضنا أن القوات التى فى الغرب تمكنت من إيقافه متخذة الدفاع كوجه من أوجه القتال وقامت القوات الموجودة فى الشرق ولا يوجد أمامها سوى قوات هزيلة من العدو باستئناف الهجوم لتمكنت من النجاح وتحقيق مزيد من الأرض المكتسبة.

الموقف الإدارى

لقد كان الموقف الإدارى للقوات المسلحة المصرية فى الشرق ممتازًا للغاية، فقد تمكنت القوات من خلال الكبارى العديدة التى أقامتها، وعدم إمكان القوات الجوية الإسرائيلية التدخل نهائيًا ضد المعابر أو القولات من تكديس الكثير من النواحى الإدارية اللازمة لها وخاصة الذخائر وفى ضوء ذلك يمكن القول إن موقفها ييسر لها استمرارها فى القتال لأيام عديدة بينما العدو فى محاولة عبوره للغرب لم يتمكن من إقامة أى كبارى تيسر له تكديس احتياجاته ولجأ الى الإمداد الجوى بالطائرات الهليوكبتر وكانت صواريخنا لها بالمرصاد فدمرتها تمامًا. وإزاء ذلك الموقف ساء موقف قوات العدو المحدودة فى الغرب يوم ١٧/ ١٠، بل إنها قبعت خلال النهار متخذة الدفاع لعدم قدرة العدو على إمدادها ليلا - مما ألجأه إلى القيام بإمدادها عبر البحيرات المرة الكبرى بواسطة بعض اللنشات الصغيرة فى ساعات الصباح الاولى، ولكن مهما كانت طاقاتها فهى غير كاملة، أمام كل تلك الاعتبارات يمكن الحكم على سلامة عبور العدو للغرب ومدى أهميته للمعركة الدائرة ومدى نجاحه المنتظر هذه هى بداية الثغرة، والتى تطورت كما سنرى بعد إلى حركة التفاف واسعة تجاه السويس فى ضوء كل هذه الاحتمالات لم تقتنع القيادة الإسرائيلية خلال يوم ١٦ ولا يوم ١٧/ ١٠ بجدواها ولا بقدرتها على النجاح، ولذا لم تحاول إمدادها بالقوات الكافية وهى كثيرة ومتجمعة على مقربة منها خوفًا من أن تلقى بها فى فم الأسد، فالموقف كله ليس فى صالحها إلا أن بعض الأخطاء التى صاحبت عملية القضاء على الثغرة بالإضافة إلى النشاط السياسى الدولى،

والـذى بدأ مع الحرب وبلغ قمته خلال الأسـبوع الثانى منهـا بغرض وقف القتال كانا العاملين الأساسـيين اللذين دفعا إسرائيل إلى المجازفة بعبور قوات كبيرة يوم ٢٠/ ١٠ ومـا بعـد ذلك ولم يكن ذلك إلا بغرض قبول وقف إطلاق النار المتوقع بين وقت وآخر من موقف القوة.

العدو يرفض القتال

لقـد حمـل يـوم ١٧/ ١٠ بين طياتـه كثيرًا مـن التفاؤل ذلـك التفاؤل الـذى زاد من الإصرار عـلى القتـال مـع العدو وبشراسـة بكل الوسـائل المتيسرة مهـما كان الثمن فلم يكـد يبزغ الصباح حتى تأكد لنا من المعلومات الـواردة من قيادة الجيش الثانى الميدانى أن العدو محاصر فى الديفرسـوار وأن الأوامر صدرت الى اللواء ١١٦ مشـاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشـاة ميكانيكى تعاونه كتيبة صاعقة بحصار العدو وتدميره. لقد حاول العدو الانتشار غربًا صباح يوم ١٧/ ١٠ كما فعل فى اليوم السابق - فتصدت له القوات البريـة المكلفـة بمهاجمته تعاونها القوات الجوية إلا أن - العدو آثر السـلامة وانسـحب سـعت ١٠٠٠ مـن المعركة عائـدًا إلى رأس - الكوبـرى وهنا تقع فى خطـأ جديد أملاه عامـل الزهـو والصلف وإن كان قـد بنى على تقدير خاطئ للموقف لقـد أبدت القيادة المسئولة رغبتهـا فى القبض عـلى قوات العـدو إحيـاء كأسرى والابتعاد عـن الاصول العسكرية للفن العسكرى وهو تدمير العدو وإزاء ذلك بدأت تصرفاتنا أما العدو فمن جانبـه لم يقـم بأى تحـركات أو بأى أعمال ضـد الوحدات كما فعل يـوم ١٦/ ١٠ ووفقًا للمعلومـات التى وردت بحصاره وسـوء موقفه العسـكرى انتـشرت الآمال عندى فى إمكان عودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عبور العدو للغرب، وفعلا قررت استعادة موقـف بعـض كتائب الصواريـخ فى مواقعها وذلك بالنسـبة إلى الكتائب التى تتيسر لها معدات كما تقرر اسـتبدال الكتائـب التى لحقتها أضرار يـوم ١٦/ ١٠ بكتيبتين آخريين تقرر إرسـالهما لنا يوم ١٧/ ١٠- وفى سـعت ١٥٢٠ يـوم ١٧/ ١٠ أكدت قيادة الجيش الثانى الميدانى لنا أن العدو محاصر تمامًا بواسطة عناصر الصاعقة وأنه سيتم القضاء عليه فى أول ضـوء يـوم ١٨/ ١٠ مما دفعنا الى عدم المجازفة بالوحدات الجديدة ولا سـيما أنها ليس لديها خبرة قتالية وليسـت فى مسـتوى تدريب كتائب حائط الصواريخ ولذا رؤى

احتلالها لمواقع متأخرة يمكنها منها أن تقفل الثغرة على القناة سواء على ارتفاع ١٠٠ متر أو أكثر من ذلك.

لقد كانت قواتنا التى تواجه العدو وتحاصره مكونة من اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى مدعم بكتيبة صاعقة هذا بالإضافة إلى لواء مظلات كلف بمسح المنطقة الممتدة على طريق الإسماعيلية - السويس الصحراوى قوات كبيرة كافية لحصار العدو والاشتباك معه، ولكنها غير كافية لتدميره، فالعدو كان لديه ما يقرب من كتيبة ونصف دبابات أى ما يقرب من ٨٠ دبابة؛ أى أن العدو لديه التفوق فى الدبابات على قواتنا الموجودة امامه فى الغرب ورغم هذا التفوق قبع العدو فى رأس الكوبرى كما ذكرت اعتبارًا من سعت ١٠٠٠ يوم ١٧/ ١٠ ولم يكن ذلك راجعًا.

إلا للأسباب الآتية:

أ- عدم تصديق القيادة الإسرائيلية على عبور جديد لقوات كبيرة لعدم ثقتها فى نجاح العملية رغم توفر القوات لديها.

ب- عدم القدرة على إمداد القوات الموجودة بالغرب باحتياجاتها لعرقلة ذلك سواء بالمدفعية أو الصواريخ أرض/ جو التى دمرت كل محاولات العدو للإمداد بواسطة طائرات الهليوكبتر

ج- تحرك اللواء ٢٣ مدرع من الفرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى من مكانه فى الشرق شمال الإسماعيلية إلى الغرب فى اتجاه الثغرة ورصد ذلك بواسطة طائرات الاستطلاع للعدو.

د- عدم نجاح العدو فى تحقيق مهمته فى التعامل مع وحدات الصواريخ فى الغرب حتى يخلو الجو للقوات الجوية الإسرائيلية تصول وتجول فيه سواء شرق أو غرب القناة ورغم إصابة كتيبتين فإن هناك عددًا آخر يقوم بنفس المهمة يوفر الوقاية للقوات شرقًا وغربًا.

لقد كان العدو يعلق آمالا كبيرة على وجوده فى الغرب - لقد كان العدو يفكر فى عمل ما ضد حائط الصواريخ منذ يوم ١٠/ ١٠ حتى يمكنه أن يوقف الهجوم المصرى

شرق القناة ولما كانت قواته الجوية قد فشلت فى هذا الواجب وآصبح له وجود برى فى الغرب وجد أن الفرص سانحة لقصف كتائب الصواريخ، وكان تقدير العدوان وحدات الصواريخ بمجرد قصفها بمدفعية الدبابات ستترك له المعركة وتخلى له الأرض وهنا يتغير الموقف تمامًا وتصبح قواتنا فى الشرق تحت رحمة قواته الجوية وهى قد بدأت فى استعواض خسائرها بسرعة غير معهودة ومن ثم يبدأ فى استخدامها بعنف ضد القوات فى رءوس - الكبارى التى أصبحت عارية من الوقاية بالصواريخ أرض/ جو ومن ثم يتمكن من تدميرها.

لقد كان من ضمن فكر العدو للعملية الهجومية هو أنه بمجرد ارتداد وحدات الصواريخ للخلف وخلو الجو تمامًا لقواته الجوية أن يدعم عمل قواته البرية فى الغرب بعملية ابرار على نطاق واسع للسيطرة على طريق الإسماعيلية - القاهرة الصحراوى. فى المنطقة حول الكيلو ٦٠ - ٦٥ طريق القاهرة / الإسماعيلية. ومن ثم يصبح على مشارف القاهرة - لقد كانت المعلومات المتوفرة سعت ٤٤٥ يوم ١٦/ ١٠ تؤكد قيام العدو بحشد لواء ابرار جوى فى مطار المليز ولواء مظلين فى مطار العريش وكلا اللوائين جاهزين لاستخدامها عندما يحين الوقت المناسب، وكان علينا ألا تيسر للعدو هذا الموقف وإزاء ذلك قررت عدم ارتداد أى وحدة من الوحدات إطلاقًا مهما كانت خسائرها واستعادة موقفها فى موقعها واستمرار القتال مع القوات الإسرائيلية لتوفير .لوقاية للقوات فى الشرق. بالإضافة إلى قتال عناصر العدو البرية فى الغرب بكل ما نملك من أسلحة واضعين أمامنا الأهداف التى يرمى إليها من عبوره للغرب سواء بالنسبة للقوات الموجودة فى الشرق أو بالنسبة للغرض من عبوره إلى الغرب وإزاء إصرارى على الثبات فى قتال العدو طلبت من قيادة قوات الدفاع الجوى إمدادنا بأكبر عدد من القواذف المضادة للدبابات (ر ب.ج) وقمنا بتوزيع القليل المتوفر منها لدينا على كتائب الصواريخ أرض - جو التى تقع فى اتجاه العدو.

أدى الدعم الأمريكى بالعديد من بطاريات المدفعية بعيدة المدى إلى زيادة قصف مدفعية العدو على كتائب الصواريخ الموجودة غرب القناة مباشرة وإزاء عدم إمكان تحاشى هذا الموقف وخطره على صلاحية معدات كتائب الصواريخ بالإضافة إلى العديد

مـن العوامل الفنيـة الأخرى وصلت إلى قـرار يقضى بضرورة إبعـاد كتائب الصواريخ الموجـودة غـرب القناة مبـاشرة إلى مواقع أخرى طالمـا أن الوقاية المطلوبـة ممكن إتمامها وتيسرهـا للقوات فى الـشرق من مواقع أخرى بأمـان أكثر ورغم ما أبديته من أسـباب عديدة لها وزنها إلا أن طلبى لم يوافق عليه خلال هذا اليوم إلا أنه أصبح ضرورة ملحة يـوم ١٨/ ١٠ واتخذته عـلى عاتقى ولو كان هذا القرار قد تم اتخاذه يوم ١٧/ ١٠ لعاون كثيرًا فى قتال يوم ١٨/ ١٠

العدو يدفع بقواته الجوية

لم يستمر مجهود القوات الجوية الإسرائيلية على انحساره كما كان فى الأيام الماضية من يوم ١١-١٥ أكتوبر وإنما ازداد نشاطه وبلغ معدل الأيام الأولى للقتال والسبب فى ذلك يرجـع إلى الدعـم الأمريكى من الطائـرات والطيارين الذى بـدأ فى الزيادة ذلك الدعم الذى بدأ يوم ١١/ ١٠ وظهر فى الجو يوم ١٣/ ١٠ ووصل إلى ذروته يوم ١٤/ ١٠. لقد وجهـت القوات الجوية الإسرائيلية يوم ١٦/ ١٠/ ٧٣ مجهودًا قدره ١١٤٠ طلعة طائرة منها ٩٦٤ طلعة طائرة نهارًا، وقد تلاحظ قلة مجهود العدو ليلا ويرجع ذلك إلى الإجهاد ومسـتوى الطيارين الجدد الذين وصلـوا إلى إسرائيل كمتطوعين. لقد ذكرت الصحف الإسـبانية يـوم ١٢/ ١٠ نبأ وصـول ١٥٠ طيار أمريكى من طيـارى الفانتوم من الذين اشتركوا فى حرب فيتنام إلى مدريد كسياح فى طريقهم إلى إسرائيل.

لقد تميز من مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم قيامها بأربع هجمات جوية مركزة تمت بقوة ٢١٦ طلعة الأولى قرابة سـعت ٧٢٠ بقوة ٧٦ طلعة طائرة وجه العـدو الجنوبى منها ٥٨ طلعة طائرة إلى القطاع الجنوبى والباقى إلى قطاع الجيش الثانى الميدانـى، والثانية قرابة سـعت ٨٣٠ بقوة ٣٤ طلعة طائرة وجـه العدو ومنها ٢٠ طلعة طائـرة لقطاع الجيش الثالث الميدانـى، والباقى لقطاع الجيش الثانى الميدانى، أما الهجمة الثالثـة، وكانت أقواها فقد تمت قرابة سـعت ١٢٢٠ بقوة ٨٢ طلعـة طائرة وجه العدو منهـا ٣٨ طلعـة طائرة إلى القطاع الجنوبى و ٣٢ طلعة طائرة إلى القطاع الأوسـط و ١٢ طلعة طائرة للقطاع الشـمالى أما الهجمة الرابعة، فقد تمت قرابة سـعت ١٥٣٠ بقوة ٢٦

طلعـة طائـرة منها ١٢ طلعـة طائرة وجهها للقطاع الأوسـط، ١٤ طلعـة طائرة للقطاع الجنوبـى لم تحـاول القـوات الجويـة الإسرائيلية خـلال يـوم ١٦/ ١٠ مهاجمـة أى كتيبة صواريـخ، وكان علينـا وقد عادت معظم كتائب الصواريخ من الشرق عاطلة أن تعمل فورًا على سرعة إصلاحها وإعادتها إلى أوضاعها القتالية، ولكن واجهتنا فى سبيل ذلك الكثـير من العقبـات التى كانت خارج نطاق تقديرنا وإمكاناتنا. لقد نشـط اسـتطلاع العدو الجوى نهارًا وخاصة فى قطاع الجيش الثانى الميدانى وذلك بغرض تحديد أوضاع القـوات المصريـة أولا بأول فى الـشرق والغرب بجانب الاحتياطيـات؛ حيث إن رأس الكوبرى الذى أقامه العدو فى الغرب كان من الضعف بمكان وأى إجراء سليم حاسم ضـده كان كفيلا بإنهائه تمامًا، أما خلال الليل فقـد تلاحظ كثرة عمليات النقل الجوى، وكانـت تهـدف إلى إمـداد قواته غـرب القنـاة بالذخيرة والوقـود ومتطلبات الإعاشـة الأخـرى بالإضافـة إلى إخـلاء جرحاه وقتلاه بل ونقـل قواته وهنا كانـت صواريخنا له بالمرصاد، فلقد تصدت لكل محاولات العدو، ودمرت له عدة طائرات هليوكبتر وتشهد مياه البحيرات المرة الكبرى والأرض شرقها على ذلك. ورغم ما أصاب وحدات حائط الصواريـخ من هجوم دبابات العدو ورغم عودة معظم الكتائب للشرق فى حالة سـيئة ورغـم القيود التى وضعـت على النيران لمدد طويلة تمكن حائط الصواريخ من إسـقاط ١٣ طائرة منها ٤ طائرة مؤكدة إحداها ريان فيربى.

لقـد أدى تصـدى وحـدات الصواريـخ لعمليات النقل الجـوى التى قـام بها العدو ليلـة ١٦/ ١٠ أكتوبر الى تعثر عمليات العدو غرب القناة فبـدأت خلال يوم ١٧/ ١٠ وتـكاد تكون متعثرة ومقضى عليها بالفشـل وعلى ذلـك كان توقعنا لمجهوده الجوى أن يبدأ مبكرًا وأن يكون كبيرًا وفعلا بدأ قتالنا مع القوات الجوية الإسرائيلية منذ سـاعات الصباح الأولى يوم ١٧/ ١٠ وكان قتالا ساخنًا مشجع العدو على البدء به رغبته الجامحة فى إمداد قواته الموجودة فى غرب القناة.

بلـغ مجهودًا القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٧ أكتوبر ٩٨١ طلعة طائرة منها ٨٣٩ طلعـة طائـرة نهارًا، وهذا المجهود يعتبر أقل مما تم فى اليوم السـابق بقدر ملموس وكان الأجدر بالعدو وقد أصبح له تواجد محدود فى الغرب أن يعمل على معاونة قواته

الجويـة مما يؤدى إلى زيـادة طبيعية فى مجهوده الجوى، ولكـن العكس هو ما حدث رغم سيل الإمدادات التى تتدفق عليه ويرجع ذلك إلى عاملين :

أ- لم ييسر حائط الصواريخ الفرصة للقوات الجوية الإسرائيلية لتصول وتجول كما كان يتوقع العدو بل وقفت له بأسـاليب جديدة جعلته يخشـى حائط الصواريخ ويؤثر الابتعـاد عنـه رغم قيامه بمهاجمـة إحدى كتائبه جـوًا ونجاحه فى إصابـة معداتها، ورغـم ما ركز من نيران مدفعيته فى الشرق عـلى كتائب الصواريخ الموجودة غرب القناة مباشرة.

ب- ميوعة الموقف نتيجة الاستخدام المكثف للقوات الجوية المصرية ذلك الاستخدام – الذى كان يستمر لمدد طويلة سواء فى مهاجمة القوات الإسرائيلية فى الشرق والغرب أو فى قتال القوات الجوية الإسرائيلية.

تميز من مجهود القـوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٧/ ١٠ ثلاث هجمات جوية مركزة تمت كلها على القطاع الأوسط والجنوبى من جهة القتال الأولى تمت قرابة سعت ٦٣٠ . بقـوة ٥٢ طلعـة طائـرة مناصفة بين القطاعـين، أما الثانية فقد تمت قرابة سـعت ٠٨٣٠ بقـوة ٤٢ طلعـة ١٤ طلعـة طائرة عـلى القطاع الأوسـط، ٢٨ طلعـة طائرة على القطاع الجنوبى، أما الثالثة فقد تمت قرابة سعت ١١٠٠ بقوة ٣٦ طلعة طائرة وجه منها ٢٩ طلعة طائرة على القطاع الجنوبى – والباقى على القطاع الأوسط.

لقـد بدأ العدو مجهوده. ضد حائط الصواريخ سـعت ٧١٧ بذكاء وأسـلوب جديد اسـتغل فيـه الوديان العميقـة الموجودة فى المنطقـة الجبلية التى تقع جنـوب طريق مصر – السـويس إذا اقتربت ٨ طائرات فانتـوم وموتور وتمكنت من مهاجمة إحدى الكتائب الأمامية واحدثت بها خسائر جسيمة ولاذت بالفرار لقد كان العدو ذكيًا فى اقترابه لهذه الكتيبة إذ سلك طريقًا طويلا للوصول إليها بل تعدى فى اقترابه كتائب صواريخ أخرى كانـت فى طريـق طيرانـه دون أن يحـاول مهاجمتهـا، إلا أنه لم يفلت مـن عقاب وحدات صواريخ سام ٧ التى دمرت له طائرتين.

لقـد بـدأ العـدو فى اسـتخدام الصـاروخ شرايـك بكثرة وظهـر يـوم ١٧/ ١٠ أول اسـتخدام لهذا الصـاروخ على الارتفاعات المنخفضة، وقد كان هـذا الأمر جديدًا علينا

وقد تمكنت طائرة سكاى هوك من إطلاقه وتدمير هوائى رادار توجيه إحدى الكتائب إلا أن الطائرة لم تنج من القصاص السريع فتم تدميرها بصاروخ واحد من كتيبة أخرى وأسر طيارها بجانب ذلك استخدام العدو ونفس الوسائل الخداعية المشابهة لها.

لم يكن نجاح العدو فى تدمير هوائى رادار توجيه كتيبة الصواريخ راجعًا إلى سلامة الأسلوب الجديد بقدر ما كان نابعًا من خطأ فى تطبيق التعليمات الماضية بالتعامل مع العدو ولتجنب الإصابة بالشرايك. وإزاء الرغبة الجامحة فى التعامل مع طائرات الاستطلاع العالى التى يرسلها العدو ولتعمل طعمًا لدوريات الشرايك أو - الطائرات الحاملة للشرايك فرضت قيود على الوحدات فى الاشتباك مع طائرات الاستطلاع وقد أدى هذا التحديد إلى تجنبنا عدة عشرات من الصواريخ الشرايك كان كل واحد منها كفيلا بتدمير هوائى رادار توجيه إحدى الكتائب مما يؤدى إلى توقف الكتيبة عن العمل والى الابد لعدم وجود احتياطى يتم الاستعواض منه.

لقد قامت قواتنا الجوية خلال اليومين السابقين بمجهود طيب لقتال العدو فى منطقة رأس الكوبرى وفى مناطق تجمع قواته فى الشرق ولقد أدى إلى استخدام القوات الجوية فى الثغرة شرقًا وغربًا والرغبة فى تأمينها إلى استخدام أسلوب التقييد الكامل للنيران فى قطاع ما أو أكثر وإزاء هذا الأسلوب وعدم الموافقة على طلبنا بحرية النيران واستمرار نشاط القوات الجوية الإسرائيلية فوق قطاع الفرقة ١٦ مشاة فى الشرق، أصدرت الأوامر للوحدات بالتعامل مع القوات الجوية الإسرائيلية بحرية تامة عدا قطاع الثغرة فتم تحديده بدقة تامة للوحدات وتم تركيز عدد من الوحدات لوقاية هذا القطاع وليس التركيز فى وحدات الصواريخ هو تواجد الوحدات داخل القطاع وإنما هو إعطاء قطاع ما استبقيه عن غيره من القطاعات وهو ما حدث فعلا.

لقد أدى هذا التحديد إلى خلق مرونة فى الوقف كان لا بد منها حتى لا نعطى للقوات الجوية الإسرائيلية حرية العمل دون تدخل، إلا أن خروج العديد من الطلعات الجوية عاق هذا النظام لاستخدام القوات الجوية جبهة القتال كلها فى الطيران دون قيود ورغم كل ذلك قاتل حائط الصواريخ، قاتل دبابات العدو فى الغرب بالأسلحة التى يمتلكها أو المناورة الطولية والعرضية الرائعة التى قام بها وقاتل القوات الجوية

الإسرائيلية غربًا وشرقًا رغم القيود التى فرضت طائرة صد هجوم العدو يوم ١٧/ ١٠ على مطار القطامية ووفر الوقاية لقوات الجيوش الميدانية فى الشرق وتمكن من تدمير ٢١ طائر للعدو منها ٦ طائرات هليوكبتر.

لم نترك ما دار يوم ١٧/ ١٠ من قتال يمر دون استعراض للموقف من كافة جوانبه فى ضوء المعلومات المتيسرة عن العدو شرقًا وغربًا وفى ضوء ما دار من مناقشات خرجت بالاستنتاجات التالية :

أ- إن الوجـود الاسرائيلى فى الغرب بعد انكماش القوات وتفوقها فى رأس الكوبرى بالإضافة إلى حرمان العدو من إمداد قواته بواسـطة طائرات النقل مع تخصيص مهمته العدو للفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى ووحدات الصاعقة والمظلات كان الاستنتاج المنطقى لذلك هو أن القضاء على رأس الكوبرى فى الغرب أمر حتمى لا جدال فيه.

ب - فى ضـوء سـلامة تقديرنـا لأعمال القـوات الجوية الإسرائيلية يـوم ١٧/ ١٠ كان تقديرنا المحتمل لأعمالها يوم ١٨/ ١٠ - تتلخص فى أن الجانب الأيسر لحائط الصواريخ سيشـهد قتالا مريرا علينا أن نسـتعد له من الآن - وفعلا وفى ضوء الحالة التى وصلت إليهـا المعـدات لم يتيسر إتمام أيـة مناورة بواسـطة كتائب الصواريـخ إلى الجانب الأيسر لحائـط الصواريـخ وإنما تم حشـد أكبر عدد ممكن من وحدات سـام ٧ واسـتخدامنا فى توزيـع هذه الوحدات لأول مرة نظامًا جديدًا هو النظـام الصندوقى وكم كان رائعًا أن يثبت نجاحه التام من أول تجربة يدخلها.

بدء التحول فى المعركة

رغـم أن العـدو تمكن ليلة ١٥/ ١٦ من تكوين رأس كوبـرى فى الغرب، تمكن بعده مـن التعامل مـع مؤخرة القـوات التى عبرت وكتائـب حائط الصواريـخ التى تواجهه ورغـم أن النجـاح كان حليفه فـإن - القيادة الإسرائيلية لم تجـازف يوم ١٦/ ١٠ بإمداد رأس الكوبرى بإمدادات كبيرة رغم الإلحاح فى طلبها نظرًا لأن الموقف كان ميئوسًا منه تمامًا وذلك تماشيًا مع مبدأ عدم تعزيز الفشل.

لقـد قام العدو ويعبور ضخم ليلـة ١٧/ ١٨ أكتوبر ٧٣ رغم التأكيدات بأنه محاصر وإن الوحـدات القائمـة بالحصار تقـوم بالتعاون مع القوات الموجـودة فى الشرق يمنع

العـدو مـن العبـور من الشرق الى الغـرب إلا أن العدو تمكن قرابـة ٣٠٠ يوم ١٨/ ١٠ من اختراق جديد للجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة والوصول إلى خط المغذى الرئيسى (خط المياه الموجود تحت قناة السويس) فى الشرق وفى ضوء ذلك النجاح بدأ العدو وفى عبور جديد فى اتجاه الغرب بقوة تقدر تقريبا بلواء ميكانيكى وكتيبتين دبابات. وفى سبيل إيقاف هذا العبور قامت المدفعية بقصف نيران لمدة ١٠ دقائق مدعمة ببعض الصواريخ أرض - أرض لتدمـير العـدو إيقاف عبورة ورغم ذلـك تمكن العدو من العبور رغم ما تكبده من خسـائر وذلك فى محاولة مستميتة لإنقـاذ قواته الموجـودة فى رأس الكوبرى والتى كان مصيرها واضحًا منذ أمس ذلك المصير الذى ازداد وضوحًا بعد حشد الفرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى حول الثغرة انتظارًا للمعركة الفاصلة يوم ١٨/ ١٠.

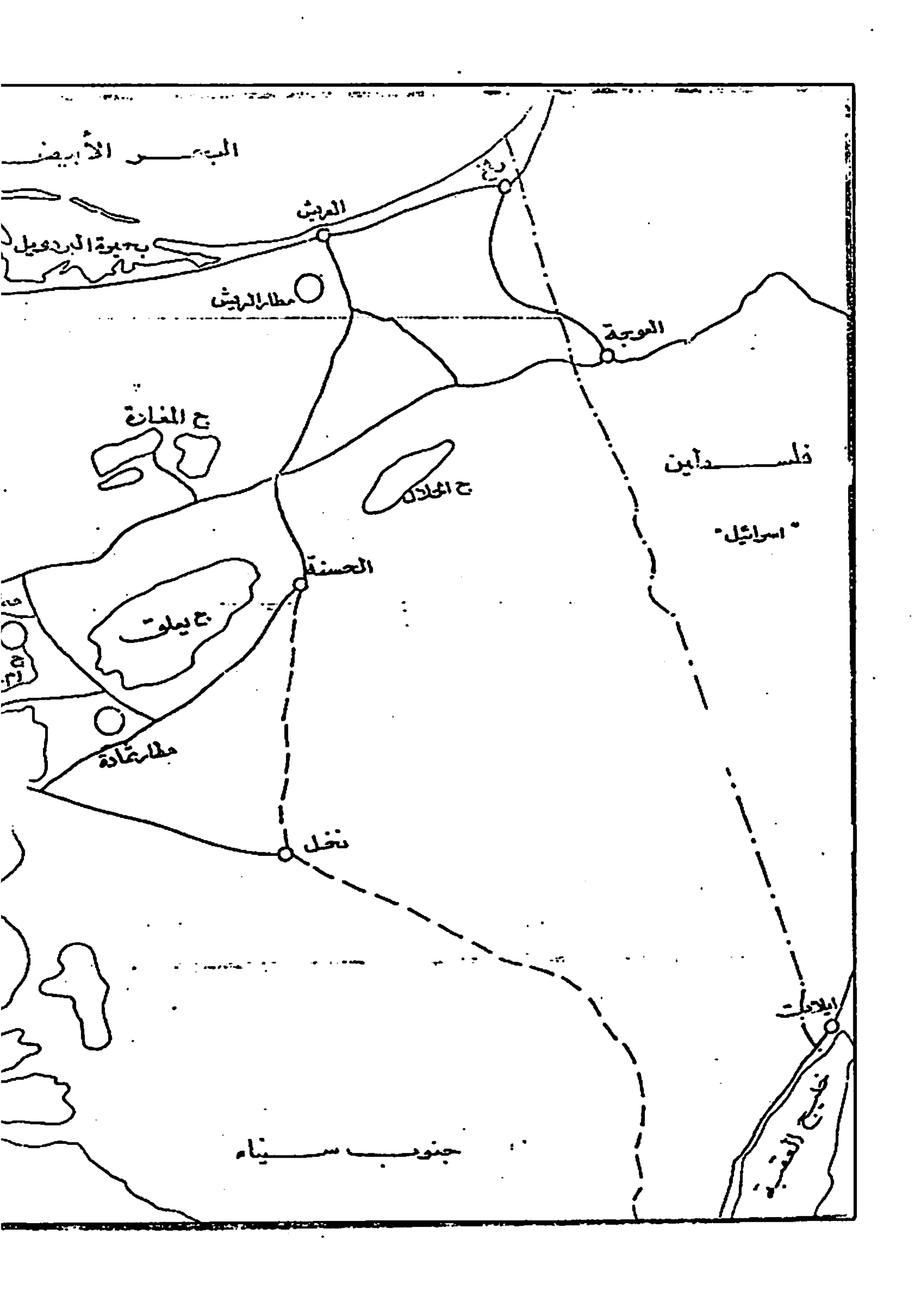
بـدأت المعركة سـعت ١٠٣٠ يـوم ١٨/ ١٠ وانتهـت بنجاح العـدو، وكان نجاحه راجعًا لأخطاء قاتله سواء فى السيطرة على القوات أو أسلوب إدارة المعركة قرابة سعت ١٥٠٠ بدأ العدو فى الانتشـار شـمالا وجنوبـا وغربًا ببعض الدبابـات المفردة ففى اتجاه الشـمال وصل العدو إلى أطراف المنطقة الزراعية الواقعة جنوب ترعة المنايف أما جنوبًا فقـد وصـل إلى قرب مطار فايـد بينما غربًا فقد تمكـن من تعميق رأس الكوبرى لمسـافة ٧ كـم مـن القناة وخلال انتشـار هـذا لم يتوقف عن اسـتخدام مدفعيته بعيـدة المدى فى ضرب كتائب الصواريخ التى كانت تقابله. لقد اسـتنفد ذلك منه جهدًا كبيرًا، فقد كان فى مواجهـة العدو عدة مواقع هيكلية من أنواع سـام ٢، ٣ مفردة ومتداخلة مخبأة بعناية تامة يصعب تفرقتها عن مثيلتها الحقيقية لدرجة صعب على العدو عندما وقعت فى يده أن يميزها عن الحقيقية من بعد وبمجرد وقوعها فى يده أعلن عن اسـتيلائه على أحدث المعـدات الإلكترونية المعقدة وأسرع بدعوة المراسـلين الصحفيين الأجانب لرؤية ذلك الحـدث وإذا بالصحفيـين يفاجئون بأن أحدث المعـدات الإلكترونية ما هى إلا معدات مقلدة من الخشب والمعدن لاحياة فيها. ورغم ما وجهه العدو إلى كتائب الصواريخ من نـيران مدفعيتـه بقصد إجبارها على ترك مواقعها إلا أننـا لم نيسر له ذلك رغم ما أصاب الوحـدات من خسـائر تعتبر ليسـت ذات قيمـة فى ضـوء المعركة القائمة وكـذا لم تترك الوحدات مواقعها. بل صممت على قتال العدو بما لديها من أسلحة فوقفت كالصخرة

العتيـدة التـى تحطمت عليها آمـال القيادة الإسرائيليـة وهذا ما لم نكـن نتوقعه لقد كان انتشار العدو بهذا الأسلوب الذى سبق توضيحه مفاجأة لنا تمامًا فجميع البلاغات التى كانت تبلغ لنا من القيادة المسئولة عن إدارة المعركة تؤكد أن العدو أن العدو محاصر وإن الموقـف مسـيطر عليه إلا أن الواقع يخالـف ذلك تمامًا، وإزاء الموقـف الجديد كان لا بد من قرار سريع وفى سـبيل الوصول إلى هذا القرار دارت المناقشـات الساخنة. وهذا أمر طبيعى فى مثل هذه المواقف المعقدة.

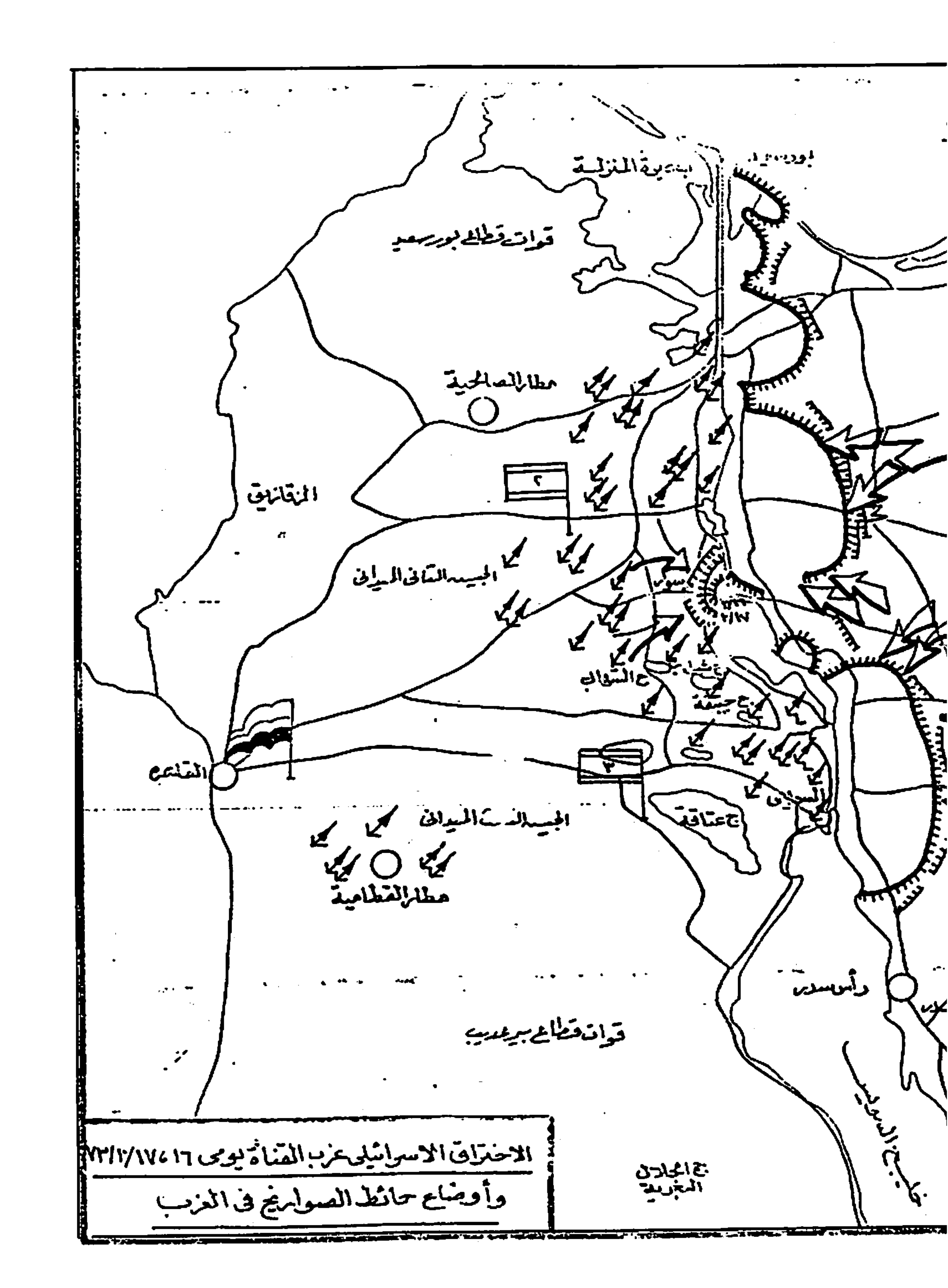
كانـت كل الآراء تميـل إلى اتباع مبدأ السـلامة للقوات قبل كل شـىء وكان ذلك فى نظـرى معنـاه ترك القوات الموجـودة فى الـشرق دون أى وقاية وكان عـلى أن أضع كل ماذكـر من اعتبارات أمامى بالدراسـة الواعية والتمحيص البعيـد عن الانفعال واضعًا الغرض من الحرب والمعركة الدائرة أمامى فكان أن خرجت بقرار مخالف لكل ما أبدى مـن آراء، وقـررت عدم تـرك الوقاية عن القـوات الموجودة فى الشرق مهـما كان الثمن الذى سندفعه، بل أخبرت القادة على كل المستويات بأننا لن نترك الأرض إلا على جثث الرجـال وان عـلى كل مقاتـل أن يحفر لنفسـه قبرًا بجـواره، قرار غريـب ولكن هذا هو منطـق الحرب، لقد اتخذت قرارًا تم بمقتضاه إخـلاء بعض الكتائب الموجودة فى الثغرة إلى الخلف وإخلاء بعض الكتائب التى تنتظر بعد سـاعات قليلة أن تكون هى الأخرى مهـددة بالعدو. وأبلغـت قرارى هذا إلى القيادة المسـئولة وعلى ذلك أصبحت وحدات حائـط الصواريـخ تحيط بـرأس الكوبرى الذى اسـتولى عليه العـدو وفى الغرب وتحتل مواقعهـا عـلى قوس دائـرة يمتد من جنوب نفيشـة إلى فايد ومركزها نقطـة عبور العدو للغرب وذلك اعتبارًا من أخر ضوء يوم ١٨/ ١٠/ ١٩٧٣م.

لقد الصق بعض من كتب عن حرب أكتوبر السبب فى نجاح العدو فى الثغرة غرب

قنـاة السـويس إلى حـدوث ثغرة فى حائـط الصواريـخ؛ مثل هؤلاء الكتـاب يلقون الكلام جزافًا ولا يحسـنون من العلم العسكرى إلا الطنطنة- فكيف يكتبون عن حائط الصواريـخ أو أسـلوب الدفاع الجوى بواسـطة حائط الصواريخ وهم لايعرفون شـيئًا عنـه فنيًا أو تكتيكيًا. إن معركة الدفاع الجوى التى خاضها حائط الصواريخ فى مواجهة القـوات الجوية الإسرائيلية شرقًـا وغربًا تعتبر من أروع وأحـدث معارك التاريخ وهى



البحـــر الأبيض
رفح
العريش
بحيرة البردويل
مطار العريش
العوجة
ج المغارة
فلســـطين
ج الحلال
"اسرائيل"
الحسنة
ج يعلق
مطار تمادة
نخل
ايلات
خليج العقبة
جنوب ســـيناء



الاختراق الإسرائيلي غرب القناة يومي ١٦، ١٧/١٠/٧٣
وأوضاع حائط الصواريخ في الغرب

المعركـة الأولى بين الصواريخ أرض/ جو والطائرة التـى انهزمت فيها الأخيرة؛ ويكفى أن نعلم دون الخوض فى تفاصيل فنية أن كتيبة صواريخ من طراز سـام٢ تغطى المنطقة حولهـا مـن جميـع الاتجاهات بنصـف قطر ٣٠ كيلـو متر، فكيـف يتجنـون أو يلصقون بحائط الصواريخ؛تلك الخزعبلات التى لاتسـتند إلى أى أسـاس. إن أقصى ما وصلت إليـه الفرقة١٦ مشـاة فى الشرق يصـل إلى نحو ١٠كيلو مترات ووفقًـا لمتطلبات الوقاية المطلوبة كان من الممكن أن تكون كتائب الصواريخ فى قطاع الفرقة١٦ مشاة على عمق يـتراوح مابـين١٧-٢٠ كيلو مـترًا غربًا فما بالنـا- وكتائب حائط الصواريـخ حتى يوم ١٨/ ١٠ كانـت غـرب القناة مبـاشرة وأن ما أحدثه العدو من تدميرمـن معدات كتيبة صواريـخ وإصابـة هوائى رادار كتيبـة أخرى يوم ١٦/ ١٠ لايخـل بالوقاية، إذ أن قطاع الفرقـة١٦ مشـاة كان خلفـه٢ كتيبة سـام٣؛٢ كتيبة سـام ٢ وتتمركز غـرب القناة على مسـافات ما بين ١-٨-١٢ كيلو مترًا حسـب نوعها والمتطلبات الفنية للاسـتخدام هذا يعتـبر كافيًا لتفنيد المزاعم الباطلة التى ألصقها هؤلاء الكتاب جزافًا بحائط الصواريخ؛ وإذا أضفنـا إلى حائـط الصواريخ ما قامت به القوات الجوية من مجهود فى الثغرة سـواء قتـال قوات العدو الجوية أو مهاجمة قوات العـدو البرية لوجدنا أن الوقاية ضد القوات الجويـة الإسرائيلية كانت فى أحسـن حال. إن نجاح العدو لم يكـن ناتجًا من القصور فى الوقايـة مـن الهجمات الجويـة الإسرائيلية، بل كان ناتجًا بالاستهانة بالعـدو مما أدى إلى اتساع الثغرة فيما بعد لتشمل منطقة أوسع بكثير مماحدث، إن أوضاع حائط الصواريخ وموقعه حتى مسـاء يوم ١٨/ ١٠ يعتبر سـلميًا للغاية وقادرًا على توفير الوقاية المطلوبة للقـوات فى الـشرق؛ إلا أن محاولة العدو للانطلاق بعـد نجاحه فى معركة الدبابات يوم ١٨/ ١٠ خلـق موقفًـا غريبًا لم يكن فى الحسـبان ولم يكن فى الخيال ممـا جعلنا نوازن بين الخسائر المتوقع أن يحدثها العدو فى كتائب الصواريخ ومدى الوقاية الممكنة وتتخذ من الموازنة بينهما الأسلوب الذى يتلاءم مع الموقف.

العدو يعزز قواته بعبور جديد

لقد أدى نجاح العدو فى معركة الدبابات يوم ١٨/ ١٠ بالإضافة إلى التحرك الدولى السريـع فى اتجـاه وقف إطـلاق النار إلى تغيير فـورى فى فكر القيـادة الإسرائيلية، فبعد

إن كانت تعارض فى إمداد قواتها فى الغرب بأية قوات جديدة خوفًا من الفشل الذى ينتظرها رأت وقد لاحت امامها فرصة النجاح ان تدفع بقوات جديدة إلى الغرب ليلة ١٨/ ١٩ أكتوبر كى تعزز وجودها فى الغرب بأمل إجبار القيادة المصرية على سحب قواتها من الشرق أوأن- يكون لها وجود فى الغرب يعاونها ويساندها عند التفاوض فى شروط وقف إطلاق النار ذلك الأمر الذى بدأ تتحدد معالمه بشكل جدى اعتبارًا من يوم ١٧/ ١٠ فهى بقرارها هذا تكون كالمقام الذى يلعب على المكشوف يرمى كل ما فى جعبته وهو يعلم تمامًا أوراق خصمه وما تحققه له من مكسب ففى سعت ١٣٠ ليلة ١٨/ ١٩ اكتوبر أبلغت نقط المراقبة الجوية بالنظر أن العدو يقوم بعبور جديد بلواء مدرع كامل فى اتجاه الغرب وتم إبلاغ القيادات المسئولة عن إدارة المعركة وقد تأكد لها ذلك سعت ٣٠٠ بواسطة مصادر استطلاعها وفى ضوء ذلك العبور الجديد يمكن القول إن فرقة الجنرال شارون قد أصبحت موجودة بالكامل فى الغرب وأصبح للعدو تفوق ملموس.

ومع ساعات الصباح الأولى يوم ١٩/ ١٠ بدأ العدو فى ضوء الموقف التعبوى شرقًا وغربًا وفى ضوء النجاح التكتيكى الذى أحرزه يحدد لنفسه أهدافًا معينة للاستيلاء عليها لتحقيق ما يهدف إليه فبدأ فى الانتشار شمالا فى اتجاه الإسماعيلية ثم انطلق بدباباته فى الأرض الزراعية المجاورة لترعة الاسماعيلية فى هيئة مجموعات صغيرة محاولا عبور ترعة الاسماعيلية ولكن أمكن صده وتدميره لقد أدى خفض منسوب المياه فى ترعة الإسماعيلية وسحب جميع الكبارى العائمة المقامة عليها وما قامت به وحدات الصاعقة والمظلات من قتال صد العدو أثر كبير فى إحباط نوايا العدو يوم ١٩ أكتوبر، أما فى اتجاه الجنوب فقد بدأ العدو وفى محاولة السيطرة على مشارف المنطقة الجبلية فبدأ بجبل الجوزة الحمراء وجبل شبراويت وجبل القط وفعلا تمكن العدو سعت ٨٠٠ يوم ١٩/ ١٠ من الاستيلاء على هذه المناطق بنحو سريتين دبابات. وهنا أوضحت للمسئولين عن إدارة المعركة مدى خطر تواجد العدو فى هذه المناطق وأثر ذلك على حائط الصواريخ وطالبتهم بالقضاء على العدو فى هذه المنطقة، ولكن ذهبت مطالبنا أدراج الرياح. وهنا يقفز السؤال التالى - ما الذى جعل العدو يحيد عن خطته الأصلية

فى الدخول إلى مشارف القاهرة وقد أصبح له وجود قوى فى الغرب اعتبارًا من يوم ١٩/ ١٠ الواقع أن العدو ولا يزال يواجه حائط الصواريخ فى القطاع الأوسط بكامل قوته فهو لم يتمكن إلا من تدمير كتيبة وتعطيل أخرى وتم استعواضهما ويعنى ذلك أن قوة حائط الصواريخ فى القطاع الأوسط لاتزال كما هى منذ بدء المعركة اللهم من بعض الكتائب العاطلة والجارى إصلاحها وهذا أمر طبيعى وللانطلاق غربًا لتنفيذ الخطة الاصلية الغزالة يجب وجود ثغرة كبيرة لا تقل عن ٥٠ كيلو مترًا خالية من الصواريخ ليمكن للعدو استخدام قوات الابرار الجوى وابرارها خلف حائط الصواريخ على طريق القاهرة - الإسماعيلية دون أن تصاب بأى خسائر، ثم تنطلق قواته المدرعة فى الغرب معززة بقواته الجوية التى أصبح لها مطلق الحرية فى العمل غربًا للاتصال بقوات الابرار التى تم أسقاطها الا أن المناورة الواعية بحائط الصواريخ فى ذلك القطاع والمناورة من داخل حائط الصواريخ إلى هذا القطاع لتعزيزه واتخاذ الدفاع بالصواريخ شكل قوى حول العدو لاحتوائه واستمرار تضييق الخناق عليه ومنع قواته الجوية من تقديم أى معونة جوية له فى الثغرة لجعل العدو يحيد عن غرضه فى اتجاه الغرب تمامًا ومن ثم بدأ يتجه شمالا نحو الإسماعيلية لعل وعسى أن يتمكن من إحراز نجاح فى هذا الاتجاه أما جنوبًا فلم يكن العدو يبغى من انتشاره جنوبًا حتى ذلك اليوم سوى السيطرة على جزء من المنطقة الجبلية حماية لجنبه الأيسر خوفًا من أن تنقض عليه أية قوات مصرية من هذا الاتجاه وخاصة أن أحد اللواءات المدرعة كان متمركزًا على مقربة من هذا الاتجاه وتبعًا لذلك لم يحاول العدو خلال القتال الذى دار يوم ١٦/ ١٠ التقدم فى المنطقة الجبلية أو التقدم غربًا لاكتساب مزيد من الأرض بغرض الوصول إلى الطريق العرضى الممتد من تقاطع طريق أبى سلطان إلى أم كتيب إلى جبل عويبيد كوثبة تكتيكية وبدلا من ذلك بدأ فى ضرب كتائب الصواريخ الأمامية بالمدفعية ١٥٥ مم، ١٧٥ مم التى عبرت إلى الغرب إلا أن عدم دقتها أدى إلى عدم تأثيرها إلاعلى عدد محدود جدًا من الوحدات أمكن استعادة موقفها ثانية وبسرعة مما حافظ على كفاءة حائط الصواريخ فى هذا القطاع وصلت إلينا بعض العناصر من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات وأرسلت فى الحال إلى القطاع الأكثر تهديدًا وذلك لتعمل مع كتائب الصواريخ الامامية التى تواجه دبابات العدو، وقد تمكنت هذه العناصر من الاشتباك مع العدو وتدمير

عدة دبابات له لقد أدت هذه الصواريخ دورها فى حماية كتائب الصواريخ من أى هجوم مباشر يوجهه إليها العدو، إلا أن العدو فطن لكثرة خسائر دباباته فعمد إلى استخدام مدفعيته بعيدة المدى من عيار ١٥٥، ١٧٥ مم والتى كانت تقدر وقتئذ بنحو ١-٢ بطارية استخدامها العدو فى قصف كتائب الصواريخ لتعطيلها عن العمل أو لتدمير بعض معداتها بدلا من مهاجمتها بالطائرات. إزاء نوايا العدو التى بدأت تتضح ساعة بعد أخرى وموقفْ المعدات وموقف الإمداد بالمعدات أو الوحدات واحتمالات العدو ضد كتائب الصواريخ طلبت سعت ١١٢٥ من قيادة الدفاع الجوى التصديق على ارتداد بعض لواءات الصواريخ التى تواجه دبابات العدو للخلف إلى مواقع خلفية لتأمينها من مدفعية العدو ومدفعية دباباته على أن تظل باقى الوحدات فى أماكنها تؤدى مهمتها القتالية.

وفى سعت ١٦٣٠ أخطرت بالموافقة على ما سبق أن طلبت وكان من المتوقع، وقد تمكن العدو من تثبيت رأس الكوبرى فى الغرب، ان يزيد مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٨ أكتوبر إلا أن ذلك لم يحدث للأسباب الآتية :

أ- اقتناع العدو بعدم جدوى عملياته فى الغرب جعله يحجم عن تقديم معاونة فعالة لقواته.

ب- رغبة العدو فى عدم الزج بقواته الجوية وهو يعيد بناءها وطياريها حديثى الخبرة ومستوى كفاءتهم القتالية دون أقرانهم السابقين.

ج- الخوف من الخسائر فالعدو لا يزال يخشى قدرة وحدات حائط الصواريخ وما تتمتع به كفاءة فى التعامل معه وأن ما تم فى الغرب من نجاح مبدئى ضد حائط الصواريخ لا يعنى من وجهة نظر العدو التقليل من قدرته أو التهوين من شأنه.

د- الإجهاد الذى حل بالطيارين لطول فترة الحرب.

لقد شهد يوم ١٨/ ١٠ قتالا عنيفًا وناجحًا بين حائط الصواريخ والقوات الجوية الإسرائيلية فلقد صح كل ما توقعناه عن نشاط القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٨/ ١٠ سواء فى كثافة الهجوم الجوى أو اتجاه الهجوم أو الأغراض التى سيقوم

بمهاجمتهـا لقد بلغ إجمالى مجهود القوات الجوية الاسرائيلية خلال هذا اليوم ٧٤٤ طلعة طائـرة منهـا ٦٤٥ طلعـة طائرة نهـارًا والباقى ليلا. لقـد تميز من مجهود القـوات الجوية الاسرائيلية خلال هذا اليوم قيامها بأربع هجمات جوية مركزة الأولى تمت قرابة سـعت ٧٥٠ بقوة ٨٤ طلعة طائرة وجه العدو ومنها ١٦ طلعة طائرة للقطاع الجنوبى، ٦ طلعة طائرة للقطاع الأوسط، ٥٢ طلعة طائرة لمهاجمة اللواء ١٠٧ صواريخ أما الهجمة المركزة الثانية، فقد تمت قرابة سـعت ٩٠٠بقوة ٨٨ طلعة طائرة خص القطاع الشـمالى منها ١٤ طلعـة طائرة والقطاع الاوسـط ٥٦ طلعة طائرة والقطاع الجنوبـى ١٨ طلعة طائرة، أما الهجمة الثالثة، فقد تمت قرابة سعت ١٢١٠ بقوة ٣٨ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى منهـا ١٦ طلعـة طائرة والقطاع الجنوبـى ٢٢ طلعة طائرة طائرة أمـا الهجمة الرابعة فقد تمت قرابة سعت ١٤٥٠ بقوة ٢٨ طلعة وجه العدو منها ١٢ طلعة للقطاع الشمالى، ١٦ طلعـة طائرة للقطاع الجنوبى بالإضافة إلى ذلك، فقد استمر نشـاط العدو خلال اليوم فى هيئـة هجـمات متفرقة لمعاونة قواتـه فى الشرق و الغرب، وكان حائـط الصواريخ له بالمرصاد سـواء في القطاع الشـمالي أو الجنوبي أما في القطاع الأوسط (الثغرة) فقد عاقت قواتنـا الجويـة أعمال قتـال وحدات الصواريخ نظـرًا للحاجة إلى إعطائهـا مطلق الحرية للعمـل ضد قوات العدو البرية التى بدأت في الانتشـار شـمالا وجنوبًا حتى يمكنها أن توقـف تقدم هـذه، القوات أو تحد من نشـاطها أو تلحق بها أكبر ما يمكن من الخسـائر ورغم ذلك أمكن إتمام بعض الاشتباكات الناجحة فى هذا القطاع.

لقـد أرى عـدم القضاء عـلى العدو يـوم ١٧/ ١٠ وعدم إمكانه تدمـير أو إلحاق أى خسـائر بكتائـب صواريـخ جديدة مـن تلك التى تقع أمامـة فى الثغرة خلافًـا لما تم يوم ١٦/ ١٠ _ أثره فى ان يبحث العدو عن طريقة أخرى للنيل من حائط الصواريخ؛ حيث إنه السـد المنيع الذى باتت تتبخر عليه النوايا الإسرائيلية وكان لابد للعدو من ان يصل إلى حل مع حائط الصواريخ حتى يمكن أن تستخدم قواته الجوية بحرية كما تصور لقد أصبح له وجود فى الغرب أدى إلى انكماش الصواريخ ولو أنه لم يؤثر على وقاية القوات لـذا فالفرصة اصبحت أكثـر ملاءمة فحتى يوم ١٧/ ١٠ ورغم النجاح المحدود للعدو فى الغـرب إلا انـه لم تتيـسر له الحرية لدفع قواتـه الجوية فى المعركة ليصل بها إلى الحسـم المطلـوب، ولم يكن التقدير الذى توصلنا إليه إلا أحد الاحتمالات التى كانت قائمةقبل القتال فى ٦ أكتوبر.

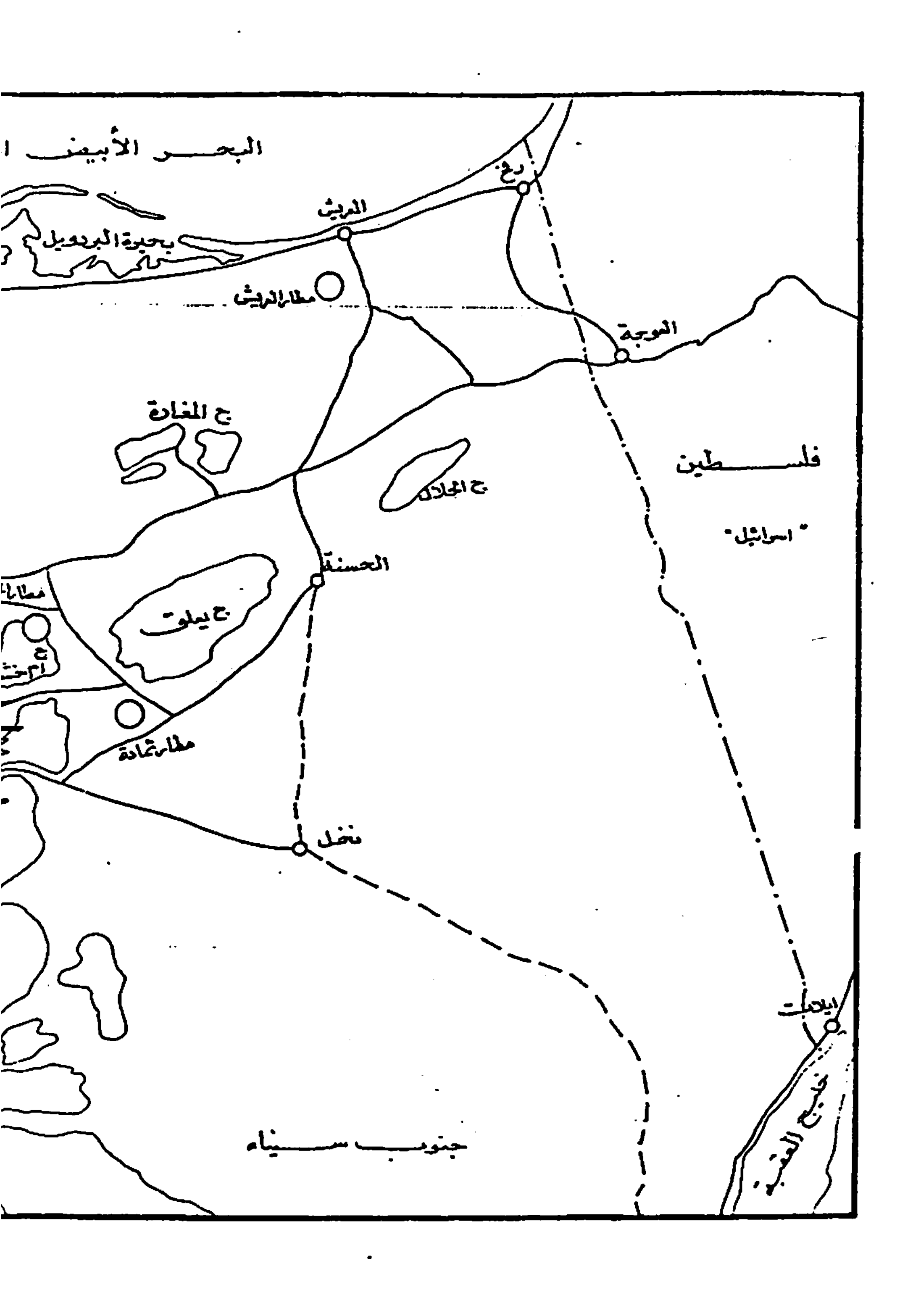
لقد كانت أكثر الاحتمالات توقعًا من وجهة نظر العدو لمهاجمة حائط الصواريخ تتلخص فى قيامه بهجوم جوى مركز على القطاع الأوسط بقصد إحداث ثغرة فى حائط الصواريخ وذلك بتدمير بعض كتائب الصواريخ التى تقع فى هذا القطاع بغرض تجزئة حائط الصواريخ إلى نصفين، ثم التعامل مع كل نصف على حدة بطى أجنابه أو التعامل معة كله بطى أجنابه إلا أن العدو ورغم محاولاته العديدة لفتح ثغرة فى حائط الصواريخ باستخدام قواتة الجوية لم يقدر له النجاح حتى صباح يوم ١٦/ ١٠ــ ذلك اليوم الذى بدأ فيه تواجده فى الغرب و العمل ضد كتائب الصواريخ بمدرعاته. ورغم ما تم خلال هذا اليوم لم يتمكن العدو من إحداث ثغرة على الإطلاق وجاء يوم ١٧/ ١٠ و الموقف متجمد فى الثغرة و أصبح لزامًا على العدو و قد خاب أمله أمام حائط الصواريخ بدباباته أن يبدأ فى تنفيذ باقى خطته بطى أجناب حائط الصواريخ، وكان أمامه أحد خيارين أما طى الجانب الأيمن الذى يحتلة اللواء ١٠٩ صواريخ وبعض كتائب اللواء ٩٧ صواريخ ذلك الجانب الذى يرتكز على جبل عتاقة جنوبًا وجبل جنيفة شمالا أو يهاجم الجانب الأيسر للفرقة و الذى يحتله اللواء ١٠٧ صواريخ و بعض كتائب اللواء ٩٥ صواريخ والذى يقع بين البلاح جنوبا وبحيرة المنزلة شمالا لقد اختار العدو الجانب الأيسر. وقد توقعنا منه ذلك للآتى:

إمكان الاقتراب إلى هذا الجنب على ارتفاع منخفض جدًا ٢٠-٥٠م وذلك باستغلال المسطح المائى لبحيرة المنزلة مما يعقد مشكلة اكتشاف العدو راداريًا و الاشتباك معه.

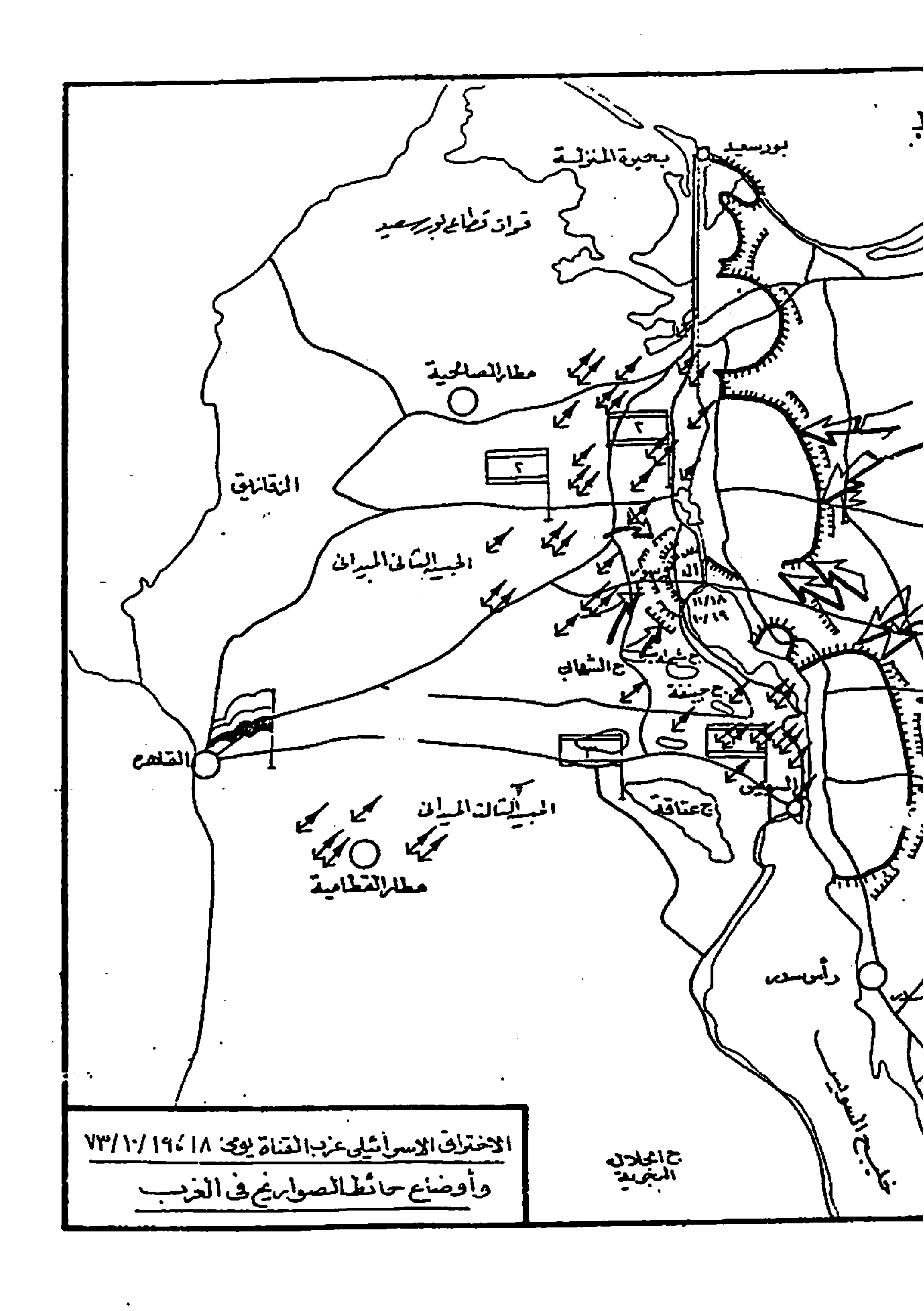
إمكانية مهاجمة هذا الجنب من أكثر من اتجاه، إذ يمكن مهاجمته من الشرق و الشمال الشرقى والشمال وذلك راجع إلى عدم وجود دفاعات فى هذه الاتجاهات.

امكان الاقتراب إليه من المطارات الرئيسية داخل اسرائيل عبر البحر الأبيض المتوسط، ثم الانقضاض على اللواء من شرق و غرب بور سعيد عبر بحيرة المنزلة مما يحقق مفاجأة في اتجاهات الهجوم و ييسر للعدو حشد عدد كبير من الطائرات فى مواجهة اللواء.

- رغبة العدو فى إضعاف الدفاع بالصواريخ عن القطاع الشمالى مما يعطى لقواته الجوية حرية العمل ضد الأغراض الموجودة في ذلك القطاع، و يؤدى بطريق غير مباشر إلى نجاح قواته البرية عند تقدمها تجاه الإسماعيلية.



البحر الأبيض ا
رفح
العريش
بحيرة البردويل
مطار العريش
العوجة
ج المغارة
ج الحلال
فلسطين
" اسرائيل "
الحسنة
ج يلق
مطار تمادة
نخل
ايلات
خليج العقبة
جنوب سيناء



الاختراق الاسرائيلي غرب القناة يومي ١٨، ١٩/١٠/٧٣
وأوضاع حائط الصواريخ في الغرب

- الجنب الأيمن لحائط الصواريخ يستند إلى جبل عتاقة الذى يبلغ ارتفاعه ١٠٠٠ متر تقريبا و للوصول الى هذا الجانب لابد أن يطير العدو على ارتفاعات أعلى من ذلك بكثير مما ييسر الإنذار عنه و يجعل الاشتباك به أمرًا سهلا كما يحدد اتجاه اقترابه باتجاه واحد مما يحد من كثافة الهجمة الجوية ضد هذا الجنب.

ورغم ما تقدمه الأرض من تسهيلات للقوات الجوية الإسرائيلية فى القطاع المراد مهاجمته ورغم استعواض العدو للكثير من خسائره فى الطائرات إلا أن العدو وكان جبانًا كعادته فرأى أن يمهد لذلك الهجوم بقصف مدفعى ليلي تم سعت ٠١٠٠ ليلة ١٧/ ١٨ على كتيبتين من كتائب اللواء الموجودة غرب الموجودة غرب القناة مباشرة بقصد تعطيلهما أملا فى أن يقابل أثناء قيامة بالهجوم بأقل قوة نيران من الصواريخ وفعلا تمكنت مدفعيته من إصابات هوائيات هاتين الكتيبتين و تعطيلهما عن العمل.

بدأ العدو هجومه الجوى صباح يوم ١٨/ ١٠ بمهاجمة مطار الصالحية سعت ٧٣٠ بعدد ٦ طلعة طائرة من نوع سكاى هوك و فانتوم، و قد تمكن اللواء ١٠٧ صواريخ وعناصر الصواريخ الفردية التى تدافع عن المطار من تدمير ٤ طائرات مؤكدة للعدو وفى الساعة ٨٠٠ بدأ العدو هجومه على اللواء ١٠٧ صواريخ من ثلاث اتجاهات الاتجاه الأول من غرب بور سعيد بقوة ٢٨ طلعة طائرة وبعدها بقليل اقتربت ٢٤ طلعة أخرى من اتجاه الشمال الشرقى من اتجاه رأس العش جنوب بور سعيد بالإضافة إلى ذلك دفع العدو بدوريات الشرايك وأهداف المشاغلة فى الشرق أمام مواجهة اللواء.

ورغم هذا الحشد الكبير من الطائرات ورغم الأسلوب الجديد الذى اتبعه العدو فى مهاجمة وحدات اللواء، ورغم تعطيله لبعض الكتائب ليلا لتسهيل مهمته نهارًا ورغم عدم مهاجمته لأى موقع من المواقع الهيكلية المنتشرة فى قطاع اللواء، والتى يبلغ عددها نحو ٢٠ موقعًا، والتى وضعت بدقة واخفيت بعناية لامتصاص الجزء الأكبر من هجوم العدو وإلا أن هجوم العدو قد فشل تمامًا ورغم فشل العدو فإنه كعادته أعلن عن طريق وسائله الدعائية عن تدميره للواء، فهل هذا هو ما تم أم أن الحقيقة خلاف ذلك.

لقد كنت متأكدًا أن العدو سيتجه إلى هذا الجنب من التشكيل ليحاول أن ينال منه وفى ضوء ذلك وفى ضؤ تصورى لشكل الهجمة الجوية المنتظرة وموقف وحدات اللواء التى ينتظر أن تقابل هذه الهجمة وضعت خطة محكمة للدفاع عن اللواء وطرف

الاقتراب إليه بواسطة صواريخ سام ٧ ولحسن الحظ كان لدينا نوعيات جديدة وكان من اللازم مقابلة العدو وبأسلوب جديد يمكنه تدمير أكبر عدد من الطائرات، وفعلا تم وضع الخطة لذلك وبالمناورة الداخلية تم حشد الأعداد المطلوبة من هذه الصواريخ.

لقد أدت الخطة الموضوعة ما كان مطلوبا منها وزيادة فلقد دخلت الوحدات فى معركة ضارية أفقدت العدو قدرته وألحقت به الرعب والفزع وجعلته يبتعد نهائيًا عن مهاجمة حائط الصواريخ حتى صباح يوم ٢٢/ ١٠. لقد استمرت هذه الهجمة مدة تتراوح بين ١٠-١٥ دقيقة وكم كان رائعًا أن يبلغ لنا أن هناك ابرارًا جويًا للعدو وعلى القنطرة، وفى الواقع لم يقم العدو بأى ابرار وإنما كثرة طيارى وملاحى العدو الهابطين بالمظلات شرق وغرب مدينة القنطرة صور للقوات أن هناك إبرارًا جويًا ولكن سرعان ما اتضحت الامور أثر مشاهدة القوات للعديد من طائرات العدو وهى تتساقط محترقة أمام أعينهم. لقد ذكر قائد الفرقة ١٨ مشاة أنه شاهد بنفسه ثمانى طائرات للعدو وتسقط أمام عينيه فى الشرق فى خمس دقائق وكم انتابته الدهشة فى ان يرى هذه النهاية للقوات الجوية الإسرائيلية التى طالما صالت وجالت نعم لقد جاء اليوم الذى تلقت فيه الدرس وإن كان قاسيًا وإنما ذلك هو جزاء الغطرسة والإفراط فى الثقة. لقد بلغت خسائر العدو فى هذه الهجمة نحو ١٥ طائرة مؤكدة أى نحو ٣٠٪ من قوة الهجمة الجوية خسائر مخيفة ورهيبة جعلت العدو يبتعد عن مهاجمة الصواريخ بعد ذلك.

لقد حاول العدو إنقاذ طياريه الذين هبطوا بالمظلات غربًا فوق بحيرة المنزلة، فأرسل لذلك الغرض ٣ طائرات هليوكبتر وكانت تعمل خارج مدى عمل وحداتنا فطلبنا ان يحال بينهما وبين ما تهدف إليه ولكن لم يجاب إلى طلبنا. لقد حاول المعلق العسكرى الإسرائيلى الجنرال حاييم هرتزوج فى محاضرته التى ألقاها فى أحد المعاهد العسكرية فى حديثه عن المعارك التى انتصرت فيها القوات الجوية الإسرائيلية ضد الصواريخ أرض - جو فذكر أنها انتصرت فى معارك ثلاث وأثبتت فاعليتها ضد الصواريخ أرض - جو فى هذه المعارك وعدد هذه المعارك بأنها دمشق وبور سعيد والقنطرة ولا أدرى كيف خانته الذاكرة تمامًا، وقد تكون القوات الجوية الإسرائيلية قد نجحت فعلا فى دمشق أو فى بور سعيد إلا انها لم تنج فى القنطرة والا فكيف يعلل خسائره. أليست

هذه الخسائر دليلا واضحًا على الفشل، وكيف يكون هناك نجاح وما دفع فيه من ثمن يكاد باهظًا ٣٠٪ خسائر فى الطائرات المهاجمة ورعب وفزع حل بالعدو جعله يحجم نهائيا عن مهاجمة حائط الصواريخ حتى صباح يوم ٢٢/ ١٠ إلا أنه الصلف الإسرائيلى الذى تسلط عليهم خلال ربع قرن نتيجة ما ألحقوه بالعرب من هزائم. أما خسائرنا فقد كانت محدودة فى بعض مولدات القوى وهوائيات توجيه الصواريخ، وهذا أمر طبيعى وبانتهاء الهجمة بدأنا على الفور العمل على استعادة موقف اللواء وعودة وحداته إلى كفاءتها القتالية المطلوبة.

كان مجهود العدو خلال الليل محدودًا سواء ذلك المجهود الذى خصصه لمعاونة قواته فى الشرق أو الذى خصصه لمحاولة إمداد قواته فى الغرب ولقد بلغ إجمالى خسائر العدو خلال هذا اليوم الذى خاض فيه حائط الصواريخ قتالا بريًا وجويًا عنيفا ٢٦ طائرة مؤكدة منها ٣ طائرة هليوكبتر.

جاء يوم ١٩/ ١٠ وبلغ المجهود الجوى الذى وجهته القوات الجوية الإسرائيلية إلى جبهة القتال ٧٨٤ طلعة طائرة منها ٦٩٥ طلعة طائرة نهارًا والباقى ليلا، وقد تميز من مجهود ذلك اليوم قيام العدو بثلاث هجمات جوية مركزة الأولى تمت قرابة سعت ٧٣٠ على مواجهة القتال كلها بقوة ٧٢ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى منها ١٤ طلعة طائرة، ١٨ طلعة طائرة للقطاع الأوسط، ٤٠ طلعة طائرة للقطاع الجنوبى، أما الهجمة الثانية فقد تمت قرابة سعت ١١٤٠ بقوة ٦٦ طلعة طائرة وجه العدو منها ٢٥ طلعة طائرة للقطاع الشمالى، ٢٨ طلعة طائرة على القطاع الأوسط، ١٨ طلعة طائرة على القطاع الجنوبى أما الهجمة الثالثة فقد تمت قرابة سعت ١٦٤٠ بقوة ٣٦ طلعة طائرة موزعة على القطاعات الثلاثة بالتساوى.

لقد أدى عدم إمكان استعادة موقف كتائب اللواء ١٠٧ صواريخ يوم ١٨/ ١٠ كما كان مخططًا له لأسباب خارجة عن إرادتنا وطاقتنا إلى وضع أسلوب جديد للدفاع عن قطاع اللواء بواسطة تجميعات من صواريخ سام ٧ والرشاشات المضادة للطائرات اختيرت أوضاعها بعناية، وتم تغطيتها بوحدات محدودة من الصواريخ المتوسطة على أن تزداد تدريجيًا فى ضوء تحسن موقف المعدات ورغم ما بذل من جهد فى التخطيط

والتنفيذ لذلك فإن القلق كان يساورني على هذا القطاع وخاصة أن العدو كان قد بدأ في توجيه مدفعيته إلى كتائب الصواريخ الواقعة شمال ترعة الإسماعيلية في محاولة لتعطيلها إلا أنه مما لا شك فيه أن الحظ كان حليفنا تمامًا فلم يحاول العدو أن يهاجم هذا القطاع مرة أخرى، وتمكنت باقى وحدات الصواريخ بالقطاع الشمالى من توفير الوقاية لقوات الجيش الثانى الميدانى الموجود فى الشرق من سرابيوم جنوبًا إلى القنطرة شمالا وبعمق رأس الكوبرى الذى تتمركز فيه قوات الجيش الثانى وفى ضوء القرار الذى اتخذ بارتداد بعض اللواءات للخلف بدأت اللواءات اعتبارًا من أخر ضوء يوم ١٩/ ١٠ تقوم بتنفيذ عملية الارتداد إلى المواقع الجديدة التى حددت إليها وسط صعوبات بالغة التعقيد وتقديرات للموقف تتمرجح بين التفاؤل المطلق والتشاؤم وببزوغ فجر يوم ٢٠/ ١٠ كانت جميع الوحدات فى مواقعها سليمة وببداية النهار أصبحت جاهزة لقتال العدو من جديد.

لقد تمكن حائط الصواريخ فى قتاله مع القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم من تدمير ٧ طائرات مؤكدة للعدو فقط حصيلة محدودة، ولكنها تتفق مع موقف الوحدات التى قاتلت العدو خلال هذا اليوم ومدى صلاحية وحداتها الفرعية، تلك الصلاحية التى تأثرت منذ يوم ١٨/ ١٠ بعوامل كثيرة أهمها :

- القصور فى الإمداد وذلك راجع الى عدم استجابة ما يطلب من الخلف بالسرعة المطلوبة أو بالإسلوب السليم.
- القصور فى الإصلاح الناتج عن الإرهاق الذى أصاب مجموعات إصلاح المهندسين بالإضافة إلى عدم كفايتهم واستخدام العدو لمدفعيته بعيدة المدى ومدفعية الدبابات فى قصف كتائب الصواريخ.
- عدم تقديم المعاونة الفعالة وذلك راجع إلى عدم الإمداد بوحدات جديدة، كما كان مخططا من قبل، بل إن ما تقرر إرساله منذ يومين لم يرسل للآن لعدم صلاحيته للقتال.

وقد يتساءل سائل عن السبب فى ذلك وللوصول إلى الإجابة يجب أن نعلم أن الحرب ما هى إلا قتال فى المجهول وعلى ذلك فكثير من حقائقها سيستمر هو الآخر مجهولا لفترة زمنية معينة حتى يمكن تناوله بالكتابة والتحليل.

التردد بين السكون والحركة

تمكن أحد اللواءات المدرعة المصرية صباح يوم ٢٠/ ١٠ من إيقاف تقدم العدو تجاه الغرب تمامًا كما توقف تقدمه من قبل تجاه الإسماعيلية وباءت محاولاته للتقدم فى كلا الاتجاهين بالفشل أمام مقاومة قواتنا التى بدأت تحتشد أمامه وبسرعة بدأ توقف العدو فى هذين الاتجاهين لم يحاول العدو دفع قواته الجوية فى الغرب بأعداد كبيرة و اكتفى باستخدام مدفعيته بعيدة المدى الموجودة فى الغرب فى قصف كتائب الصواريخ سواء الموجودة شمال ترعة الإسماعيلية أو جنوبها بعد أن فشل فى التعامل معها بقواته الجوية من قبل. لقد كانت كتائبنا من أوضاعها شمال ترعة الإسماعيلية قادرة على وقاية قواتنا الموجودة فى الشرق فى رأس كوبرى الجيش الثانى الميدانى كله فى سرابيوم إلى القنطرة كما كانت كتائبنا الموجودة جنوب ترعة الإسماعيلية فى القطاع الأوسط من الجبهة قادرة على تغطية الأرض أمامها حتى قناة السويس وبذا أمكنا أن نحرم العدو طول النهار يوم ٢٠/ ١٠ من استخدام مطار فايد الذى استولى عليه العدو خلال هذا اليوم.

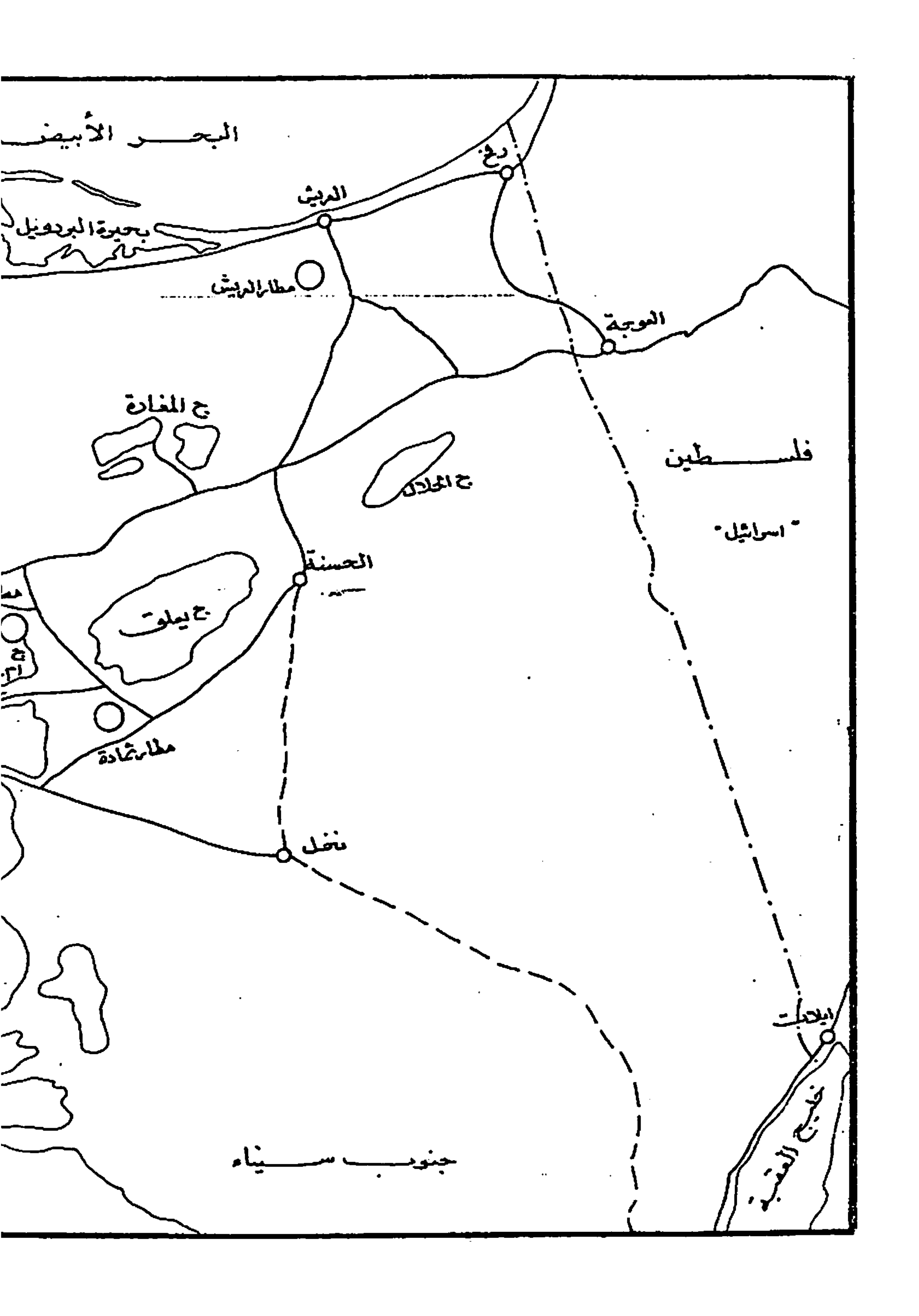
إزاء توقف العدو عن التقدم غربا وشمالا يوم ٢٠/ ١٠ وسابق سيطرته على مدخل المنطقة الجبلية التى تقع غرب مدينة فايد وتشمل جبل القط، جبل الجوزة الحمراء جبل شبرا وبدأ العدو فى التسرب تجاه الجنوب متخذًا من أودية هذه المنطقة الجبلية ستارًا طبيعيًا لتحركاته وذلك لحماية جنبه الأيسر من أن تنقض عليه قواتنا من هذا الاتجاه بالإضافة إلى التعرف على أوضاع قواتنا فى تلك المنطقة التى تقع خلف الجيش الثالث الميدانى، والتى تمر بها الطرق الرئيسية التى تربط القاهرة بقطاع الجيش الثالث وأولها طريق القاهرة - جنيفة وثانيهما طريق القاهرة - السويس.

لقد كان من ضمن خطة الارتداد للخلف هو ترك المنطقة الجبلية خالية من وحدات الصواريخ نظرًا لخلوها من أى قوات وترك باقى وحدات الصواريخ فى القطاع الجنوبى لتوفير الوقاية المطلوبة للجيش الثالث الميدانى شرقًا وغربًا، وكان عدد الكتائب الموجودة - من الكفاية والكفاءة قادره على تحقيق ذلك، وإزاء بدء تسرب دبابات العدو تجاه الجنوب بدأ القلق يساورنى على موقف كتائب الصواريخ الموجودة فى الجانب الأيسر

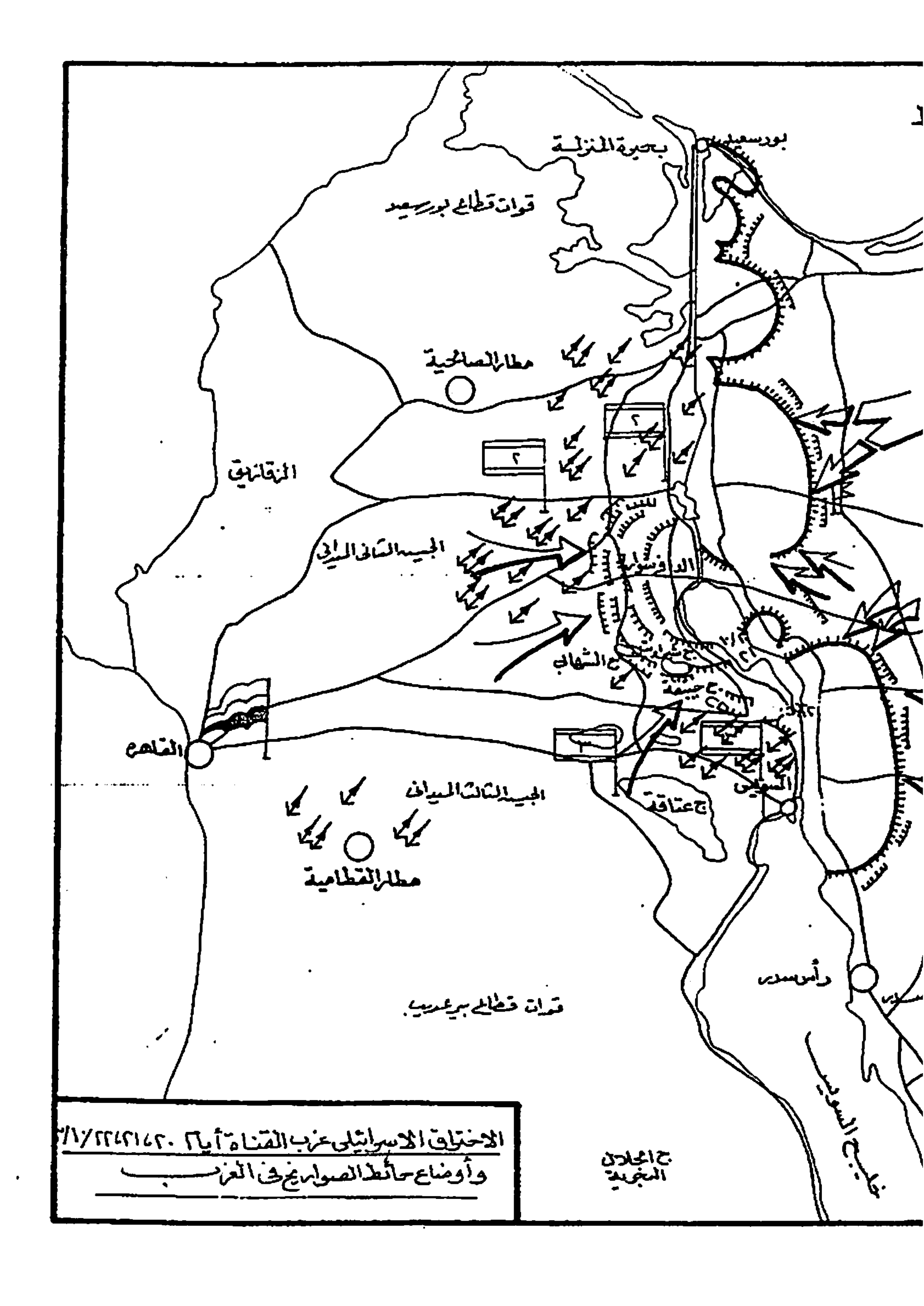
للـواء ١٠٩ صواريـخ فى قطاع الجيـش الثالث الميدانى ووفقًـا للمعلومات المتيسرة عن العـدو ووجـدت من الأفضل تأمين ذلك الجنب حتى لا يقـوم العدو بقصف هوائيات رادار التوجيـه بمدفعيتـه بعيدة المدى والتى كان له منها فى الغرب بنهاية يوم ٢٠/ ١٠ ما يـتراوح بـين ٢-٣ بطارية مدفعية وكان هذا الأمر ينطبق على كتيبة واحدة تقع فى منطقة جنيفة وفعلا أصدرت لها الأوامر بالمناورة إلى منتصف تشـكيل اللواء لتكون بعيدة عن متناول قصف مدفعية العدو وكانت فى مواقعها الجديدة عاملا مساعدًا لزيادة إمكانات النـيران فى منتصف قطاع الجيش، إلا أن الموقـف البرى فى الغرب على ضوء التقديرات التى قدرتها القيادة المسئولة بدأ يسيطر عليه التشاؤم قبل التفاؤل ولا يرجع ذلك إلى قوة العدو وإنما إلى الأسلوب الذى يتبعه اضرب - اهرب اختفى، ثم كرر العمل مرة أخرى ومن هنا بدأ القلق يجد له سبيلا بالنسبة لكتائب الصواريخ الموجودة فى القطاع الجنوبى وعناصر الصواريخ الفردية سـام ٧ الموجودة معها، فى الوقت نفسـه حرصنا يزداد على ضرورة اسـتمرار الوقايـة لقوات الجيـش الثالث الميدانى فى الـشرق والغرب. فى ضوء ذلك التضارب - اتخذت قرارًا باسـتمرار الوحدات فى أوضاعها القتالية تقاتل القوات الجوية الإسرائيلية ميسرة الوقاية المطلوبة للجيش غير عابئة بمدفعية العدو.

بـدأ حشـد العديـد مـن الوحـدات البرية مـن مشـاة ميكانيكيـة ومدرعـات لمقاتلة العـدو ومنعه من التقدم تجاه الجنوب، ولقد تمكن العدو عن طريق وسـائل اسـتطلاعه المختلفةمن التعرف على ما نعده له وإزاء صعفه النسـبى الذى كان عليه وقتئذ وصعوبة المنطقـة التـى ينتظر أن يتم فيها قام العدو ليلة ٢٠/ ٢١ أكتوبر بعبور جديد فعبرت فرقة الجنرال (بيرين) المكونة من لواءين ولواء ميكانيكى وذلك بعد أن تمكن العدو من إقامة كوبرى من الخرسـانة على القناة فى منطقة الديفرسوار ومن ثم أصبح للعدو القدره على إمكان التقدم نحو الجنوب، إذ أصبح له فى الغرب حاليًا ما يعادل فرقتين مدرعتين.

سـاء موقف المعدات نتيجة لعدم الاسـتجابة لما يطلب مع كثرة الوعود غير الصادقه بالإضافـه إلى القصـور فى التنفيـذ الذى صاحب عمليـة الإمداد وعدم توفـر بعد النظر اللازمـين للقتال فى الحرب الحديثة فلـو وضعنا بجانب كل ذلك قرب نفاد الاحتياطى والرغبـة فى الاحتفـاظ بالقليـل التسر منه أو عـدم صلاحية هذا الباقـى من الاحتياطى



البحـــر الأبيض
رفح
العريش
بحيرة البردويل
مطار العريش
العوجة
ج المغارة
فلســـطين
ج الحلال
" اسرائيل "
الحسنة
ج يلق
مطار تمادة
نخل
ايلات
خليج العقبة
جنوب سيناء



بورسعيد
بحيرة المنزلة
قوات قطاع بورسعيد
مطار الصالحية
الزقازيق
الجيش الثاني الميداني
الدفرسوار
ج الشهابي
القاهرة
الجيش الثالث الميداني
السويس
ج عتاقة
مطار القطامية
رأس سدر
قوات قطاع البحر الأحمر
ج الجلالة القبلية
خليج السويس
الاختراق الإسرائيلي غرب القناة أيام ٢٠، ٢١، ٢٢ / ١٠
وأوضاع حائط الصواريخ في الغرب

من المعدات لوصلنا إزاء كل ذلك إلى أن الموقف بدأ يتعقد تمامًا، بل إن حدوث تعقدات كبيرة فى الموقف أصبحت أمرًا متوقعًا وأن احتمال توقعها أصبح منتظرًا ساعة بعد أخرى وكان علينا أن نبذل كل المستحيل للخروج من هذا الموقف ولكن كيف السبيل إلى ذلك وما نطلبه لا يصل أو يصل متأخرًا أو يصل غير صالح وعليه لم يكن أمامى سوى أن يكون التخطيط للقتال وأسلوب إدارة المعركة فيهما من المرونة ما يجابة احتياجات المعركة - القتال فى الشرق والقتال فى الغرب القتال فى الشرق ضد القوات الجوية الإسرائيلية والقتال فى الغرب ضد القوات الجوية الإسرائيلية والقوات البرية التى عبرت ورغم مرونة التخطيط وأسلوب إدارة القتال فإنه كان من الضرورى إدخال الكثير من التعديلات عندما يجد فى الأمر ما يستدعى التعديل والتغيير ولا شك أن مثل هذا الأسلوب فى قتال وحدات الصواريخ الموجهة أرض - جو المتوسطة المحدودة المناورة يصبح أمرًا مرهقًا للقادة والقيادات وللوحدات المطلوب منها التنفيذ كما يؤدى إلى زيادة طموح العدو فى مهاجمة وحدات الصواريخ المجاورة وذلك راجع إلى اعتقاده بان المناورة المستمرة ما هى إلا نتيجة لنجاح هجماته السابقة - بالإضافة إلى ما تخلفه المناورة من وجود بروز فى تجميع القتال تصبح صيدًا جذابًا للطائرات المهاجمة.

لقد أدى وجود العدو فى الغرب مع عدم استعادة كفاءة معدات الصواريخ بالإضافة إلى ما أداه ارتداد بعض الوحدات للخلف واتساع الثغرات بين وحدات الصواريخ وبعضها ووجود بعض الوحدات فى بروز وفقًا لما انتهى إليه موقف قتال القوات البرية فى الغرب كل ذلك جعلنا نطيل النظر فيما ينتظر أن يكون عليه قتال يوم ٢٠/ ١٠ وكان تقديرنا لأعمال العدو أنه سيوجه قواته الجوية لمهاجمة قطاعات حائط الصواريخ كل على حدة مبتدأ بالقطاع الشمالى الذى يمتد من الإسماعيلية إلى البلاح شمالا إلى القصاصين غربا وخاصة أنه قد مهد لذلك الهجوم بقصف كتائب الصواريخ الموجودة شمال ترعة الإسماعيلية بواسطة المدفعية بعيدة المدى - الموجودة فى الغرب - فى محاولة لإسكانها.

بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ٢٠/ ١٠- ٧٣٥ طلعة طائرة منها ٦٠٤ طلعة طائرة نهارًا، ١٣١ طلعة طائرة ليلا، وقد تميز من مجهود العدو سالف الذكر قيامه بخمس هجمات مركزة بنحو ٤٠٢ طلعة طائرة الأولى تمت قرابة سعت ٠٨٠٠

واستغرقت ٣٠ دقيقة بعدد ٤٢ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى منها ١٦ طلعة طائرة، الأوسط ١٤ طلعة طائرة والجنوبى ١٢ طلعة طائرة أما الهجمة الثانية فقد تمت قرابة سعت ٩١٠ واستغرقت ٢٠ دقيقة بقوة ٦٦ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى منها ٢٢ طلعة طائرة والأوسط ١٦ طلعة طائرة والقطاع الجنوبى ٢٨ طلعة طائرة أما الهجمة الثالثة فقد تمت قرابة سعت ١١٠٠ بقوة ٩٨ طلعة طائرة واستغرقت ٣٥ دقيقة خص القطاع الشمالى ٣٨ طلعة والأوسط ١٤ طلعة طائرة والقطاع الجنوبى ٤٦ طلعة طائرة أما الهجمة الرابعة، فقد تمت قرابة سعت ١٢٥٠ واستغرقت ٢٥ دقيقة بقوة ٩٦ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى ١٠ طلعة طائرة والأوسط ٣٨ طلعة طائرة والجنوبى ٤٨ طلعة طائرة أما الهجمة الخامسة، فقد تمت قرابة سعت ١٤٥٠ بقوة ١٠٠ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى ٦ طلعة طائرة والقطاع الأوسط ٥٨ طلعة طائرة والقطاع الجنوبى ٣٦ طلعة طائرة لقد وجه العدو هذا النشاط الضخم إلى القوات الموجودة فى رءوس الكبارى فى الشرق وإلى كتائب حائط الصواريخ على امتداد مواجهة القتال كما وجهها إلى مطار القطامية فى محاولة يائسة لضرب المطار وتجميع الصواريخ القائم بالدفاع عنه.

لقد بدأ العدو هجومه سعت ٨٣٠ يوم ٢٠/ ١٠ على وحدات الصواريخ فى القتاع الشمالى من اتجاه الجنوب الشرقى بمجموعات متتالية من الطائرات بلغت جملتها ٢٨ طلعة طائرة، وقد تمكنت الوحدات من تدمير ٨ طائرات للعدو وأصيبت بعض المعدات والأفراد وفى سعت ١٠١٠ بدأ العدو فى مهاجمة مطار القطامية بقوة ١٦ طلعة طائرة وتمكنت الوحدات من تدمير ٧ طائرات للعدو وهبوط ٥ طيارين بالمظلات مع خسائر طفيفة فى الأفراد والمعدات بعد ذلك حاول العدو مهاجمة وحدات الصواريخ فى القطاع الجنوبى، وتمكنت وحدات اللواء ١٠٩ صواريخ من إحباط هجوم العدو وتدمير عدة طائرات للعدو وإزاء فشل العدو فى مهاجمة وحدات القطاع الجنوبى بدأ فى قصف كتائب اللواء الخلفية والأمامية بالمدفعية بعيدة المدى من الغرب والشرق بغرض إسكات كتائب اللواء ولتعزيز أسلوبه هذا بدأ العدو فى استخدام طائرات المشاغلة على ارتفاعات عالية ١٢-١٤ كم التى تطير فى الشرق على مسافة ٣٠-٤٠ كم لتكون طعمًا لوحداتنا للتعامل معها حتى يتم قصفها بالصواريخ شرايك ورغم قصف العدو لنحو

٥ صواريخ شرايك خلال هذا اليوم على وحدات القطاع الجنوبى إلا أن الوحدات لم يصبها أى سوء وإزاء الفشل الجديد فى هذا القطاع بدأ العدو فى استخدام الطائرات الموجهة باللاسلكى من طراز ريان فيربى وقد تمكنت وحدات القطاع من إسقاط إحداها.

نقل العدو هجومة الجوى بعد ذلك الى القطاع الأوسط فى محاولة لمعاونة قواته التى تحاول التقدم فى اتجاه الغرب قواتنا الجوية للعدو معظم أوقات النهار، وحاول العدو فى إحدى هجماته مهاجمة كتائب الصواريخ التى تحتل مواقعها فى مواجهة قواته المدرعة فى هذا القطاع، ولكنه فشل وتمكنت الوحدات من تدمير بعض طائراته وإزاء هذا الفشل بدأ فى مهاجمة الكتائب الأمامية فى القطاع بالدبابات وتمكنت عناصر الصواريخ الموجهةالمضادة للدبابات الموجودة مع كتائب الصواريخ المواجهة له من تدمير بعض دبابات العدو وإزاء هذا الفشل لم يكن أمامه بد من استخدام المدفعية بعيدة المدى ضد هذه الكتائب والحق بها بعض الخسائر. لقد تمكن حائط الصواريخ خلال قتاله فى هذا اليوم من تدمير ١٨ طائرة، ١٣ منها مؤكدة منها ٢ هليوكبتر وواحدة ريان فيربى.

كان من المفروض بعد أن توفر هذا الحشد من القوات لدى العدو فى الغرب يوم ٢٠/ ١٠ أن يستخدم هذه القوات لتحقيق نصر عسكرى، وكان أمام العدو أحد الاحتمالات الآتية أما العودة إلى الخطة الأصلية الغزالة ودفع لواءاته المدرعة فى اتجاه الغرب للوصول الى طريق الإسماعيلية - القاهرة أو الاستيلاء على الإسماعيلية الواقع أن العدو رغم ما توفر لديه من قوات كبيرة لم يحاول أى من الاحتمالات السابقة، بل لم يحاول التقدم فى اتجاه الجنوب مكتفيًا بإرسال عناصر محدودة لوقاية قواته خوفًا من أن تنقض علينا من هذا الاتجاه. وعلى العدو ذلك القول إن العدو خلال هذا اليوم كان فى حالة سكون، مرجعه تزايد المقاومة التى تواجهه غربًا وشمالا. وعدم إمكان القوات الجوية الإسرائيليه حتى الآن القيام بالدور التقليدى الذى تتطلبه الحرب الخاطفة بالإضافة إلى الإحباط النفسى الذى أصاب القيادة الإسرائيلية من فشل قواتها فى الغرب فى تحقيق أى نصر عسكرى.

أدى القتال المستمر طيلة الأيام الماضية وما استلزمه من كثرة ساعات عمل المعدات بالإضافة إلى تعرض الكتائب الأمامية من حائط الصواريخ لقصف مدفعية العدو بعيدة المدى لزيادة الخسائر في المعدات مما استلزم ضرورة دراسة الموقف كلية واتخاذ قرار جذرى لرفع مستوي الكفاءة الفنية للمعدات وكان في سبيل تحقيق ذلك الاعتماد علي أنفسنا عملا والاعتماد على المتيسر لدينا من موارد.

فى ضوء ذلك تم حصر المطلوب والمتيسر والمطلوب من الخلف، وفى ضوء ذلك تم وضع خطة استعادة الكفاءة القتالية للوحدات وأسبقيات ذلك - وعلى ضوء الخطة تم توزيع مجموعات مهندسى الإصلاح على الكتائب، ولتحقيق سرعة الإصلاح وتنفيذ مهمة الوقاية للقوات فى ضوء الموقف التكتيكى والتعبوى السائد وقتئذ ونبعت خطة قتال جديدة وعلى ذلك قررت أن يتم الإصلاح فى المواقع الجديدة باستغلال ساعات الليل وتبعًا لذلك أصدرت أوامر بإتمام العديد من التحركات سواء فى المنطقة الأمامية أو الخلفية بعضها نهارا والآخر ليلا وحددت أسلوب التحرك فى كل منطقة حتى لا يكشف العدو نوايانا أو يعون تنفيذ الخطة التى تهدف إليها - وبحلول مساء يوم ٢١/ ١٠ خابت - الآمال تمامًا فلم يصل لنا شيء مما وعدنا به والذى لم يصل إلا بعد ظهر يوم ٢٢/ ١٠ وكان علينا أن نعتمد على أنفسنا وفى سبيل ذلك تم حشد كل الطاقات من ورش ثابتة ومتحركة كما حشدت كل الكفاءات المعنية من مهندسى الإصلاح والمقاتلين وقد أدى هذا التجميع دورًا رائعًا فلقد حققوا معجزة كان من النادر أن تحدث بما قدموه من جهد وعرق فلم يكد يبزغ فجر يوم ٢٢/ ١٠ حتى تم استعادة موقف أكثر من ٥٠٪ من الوحدات ومن ثم بدأت العجلة تدور وتزداد الصلاحية يومًا بعد يوم.

لقد تمكنا بهذا الأسلوب أن نؤدى دورًا عجزت وحدات الإصلاح الثابتة عن أدائه. لقد تمكنا من إصلاح عدة كتائب وإعادتها إلى أوضاعها القتالية فى زمن وجيز رغم الفاروق فى الإمكانات البشرية والفنية ومدى تأثر الإصلاح بالقرب أو البعد عن أرض المعركة. لقد كان خلف هذا النجاح إرادة المقاتل المصرى التى لا تعرف الكلل أو الملل والتى تنطلق فى أدائها من أن لكل مشكلة حلا مهما استعصت.

أدت سيطرة العدو على المنطقة الجبلية غرب مدينة فايد ووصول قوات جديدة اليه تم عبورها ليلة ٢٠/ ٢١ مع اتخاذ قواتنا لأوضاع دفاعية من حوله وعدم التعرض لعناصره المحدودة التى تسربت تجاه الجنوب يوم ٢٠/ ١٠ إلى أن يقوم العدو صباح يوم ٢١/ ١٠ بدفع قوات محدودة تجاه الجنوب مستغلا الوديان المتعددة فى هذه المنطقة ومن ثم تمكن من الوصول إلى مناطق يهدد فيها التحركات على طريق القاهرة جنيفه إلا أن قيادة الجيش الثالث الميدانى قامت قرابة سعت ٨٠٠ بدفع بعض العناصر المدرعة فى هذه الاتجاهات تمكنت من القضاء على بعض قوات العدو و اضطر الباقى فى الانسحاب.

رغم فشل العدو لم يترك كتائب الصواريخ أرض - جو الموجودة فى القطاع الجنوبى دون أن يحاول النيل منها فكان أن وجه إليها مدفعيته بعيدة المدى من عيار ١٧٥ مم إلا أنها لم تكن مؤثرة على الوحدات بأى حال من الأحوال نظرًا لاستخدامها على مدى أكبر من مداها المؤثر مما جعل وحدات الصواريخ بالقطاع الجنوبى تستمر فى أداء - مهمتها و إزاء هذا الفشل الثانى بدأ العدو يوجه إليها أيضا نيران مدفعيته بعيدة المدى من الشرق أيضا، إلا أن كل ذلك وإن كان أدى إلى خلخلة زمنيه محدودة فى الموقف إلا أنه سرعان ما عادت الأمور إلى مجراها واستمرت الوحدات فى تنفيذ مهامها فى وقاية قوات الجيش الثالث الميدانى شرقًا وغربًا.

كان قتالنا مع القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ٢١/ ١٠ محدودًا وكان مجهودها هى الأخرى محدودًا، فقد بلغ ٧٣٥ طلعة / طائرة منها ٦٠٤ طلعة / طائرة نهارًا، وقد تميز من مجهودها خلال هذا اليوم قيامها بأربع هجمات مركزة الأولى تمت قرابة سعت ٨٤٥ بقوة ١٦٠ طلعة / طائرة وجه العدو منها ٨٠ طلعة / طائرة للقطاع الشمالى، ٤٠ طلعة / طائرة للقطاع الأوسط، ٤٠ طلعة / طائرة للقطاع الجنوبى، أما الهجمة الثانية فقد تمت قرابة سعت ١٠٤٥ بقوة ٨٨ طلعة / طائرة خص القطاع الشمالى منها ٢٢ طلعة طائرة والقطاع الأوسط ٢٨ طلعة / طائرة والقطاع الجنوبى ٣٨ طلعة/ طائرة، أما الهجمة المركزة الثالثة فقد تمت قرابة ١٢٥٥ بقوة ٣٢ طلعة / طائرة وزعت على القطاعات بالتساوى أما الرابعة فقد تمت قرابة سعت ١٦٥٠ بقوة ٤٦ طلعة/ طائرة خص القطاع الجنوبى ٢٨ طلعة / طائرة، والباقى وجهه مناصفة بين القطاع الأوسط والشمالى.

وجهت القوات الجوية الإسرائيلية مجهودها خلال هذا اليوم إلى مهاجمة قواتنا الموجودة فى رءوس الكبارى إلى معاونة قواته الموجودة فى الثغرة غرب القناة لتوفير الوقاية لها أيضًا ضد قواتنا الجوية، والتى كانت فى قتال شبه مستمر مع قوات العدو فى الغرب. بالإضافة إلى ذلك قامت القوات الجوية الإسرائيلية بمهاجمة تجمع اللواء ١٠٩ صواريخ ذلك التجمع الذى كان يعمل منفردًا فى القطاع الجنوبى ورغم محاولات العدو لمهاجمة اللواء فإنه لم يفلح فى تدمير إحدى كتائبه بالهجوم المباشر عليها؛ لذا لجأ إلى استخدام الصواريخ شرايك ضده وقد تمكن العدو من النجاح ضد إحدى كتائب اللواء ورغم الساعات المحدودة التى تيسرت اللواء للاشتباك مع القوات الجوية الإسرائيلية فإن اللواء تمكن من تدمير ٩ طائرات.

قاتلت باقى وحدات حائط الصواريخ بكفاءة فى الوقت الذى كانت أعمال استعادة الموقف ورفع كفاءة الوحدات تجرى على قدم وساق، وقد تمكنت باقى الوحدات من تدمير ٦ طائرات للعدو وبذا يصبح إجمالى ما تم تدميره للعدو خلال هذا اليوم ١٥ طائرة منها ١٠ طائرات مؤكدة.

حاول العدو خلال ليلة ٢١/ ٢٢ أكتوبر إعاقة عملية تجهيز معدات وحدات الصواريخ بالقطاع الجنوبى وذلك بقصفها من بعد بالمدفعية مما عاق هذه العملية إلى حد ما إلا أنه لم تكد تبزغ شمس ذلك اليوم حتى بات اللواء جاهزًا للتعامل مع العدو أما فى القطاع الشمالى، فقد بدأت الوحدات التى يتم إصلاحها فى العمل، وبدأت طاقة الإصلاح تزداد وبالتالى عدد الكتائب الجاهزة لقتال العدو يزداد ساعة بعد أخرى بدرجة أصبحت مطمئنة على قدرة القطاع فى أن يعيد أى هجوم جوى يقوم به العدو.

تسرب العدو تجاه الجنوب:

عاود العدو محاولاته صباح يوم ٢٢/ ١٠ للتسرب نحو الجنوب مستغلا طبيعة الأرض ولكن قواتنا تمكنت من صده وتدميره في معظم المواقع عدا بعض الجيوب البسيطة التي قدمت فيها الأرض للعذو وميزة الاختفاء في منطقة جبل جنيفة وجبل غرة وتسيطر من بعد على طريق القاهرة - جنيفه، أما في قطاع الجيش الثاني الميداني فقد استمر التراشق بنيران الدبابات بين قواتنا وقوات العدو والتي سكنت تمامًا وأصبح

لا هـم لها سـوى إطلاق النيران عشـوائيًا وإن كانت أغلب الحالات مـن باب بث الثقة في الأفـراد. إن عدم تقدم العدو غربًا في هذا القطاع إنما يعود بالدرجة الأولى إلى اتسـاع المواجهـة التي كان يعمل عليها العدو وبعـد اندفاعه نحو الجنوب رغبة في الوصول إلى موقف أفضل وخاصة أن قرار وقف إطلاق النار أصبح وشيكًا.

بلـغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم ٨٤٣ طلعة طائرة منها ٧٧٠ طلعـة طائرة نهارًا ويرجع السـبب في هـذه الزيادة إلى رغبة العـدو في الوصول إلى نصر يجعلـه في موقـف أفضل مما هو عليـه بالإضافة إلى زيادة الإمـدادات الأمريكية وقد تميز مـن مجهود هـذه القوات قيامهـا بأربع هجمات جويـة مركزة الأولى تمت حوالي سـعت ٨٤٥ بقـوة ١٣٠ طلعـة طائـرة وجـه العدو منها ٥٢ طلعـة طائرة للقطاع الشـمالى، ٢٦ طلعة طائرة للقطاع الأوسط، ٥٢ طلعة طائرة للقطاع الجنوبي وقد شملت هذه الهجمة قيـام العدو بمهاجمة وحـدات اللواء ١٠٩ بالقطاع الجنوبى، أمـا الهجمة الثانية فقد تمت حوالي سعت ١١١٥ - بقوة ٩٦ طلعة طائرة خص القطاع الشمالي منها ١٦ طلعة طائرة والأوسـط ٣٨ طلعة طائرة والجنوبي ٤٢ طلعة طائرة، أمـا الهجمة الجوية المركزة الثالثة فقد تمت حوالى سعت ١٤١٥ بقوة ٧٤ طلعة طائرة وجه العدو منها للقطاع الشمالي ١٢ طلعـة طائرة والأوسـط ٢٠ طلعة طائرة والجنوبى ٤٢ طلعة طائـرة، أما الهجمة الرابعة فقد تمت حوالي سعت ١٧١٠ بقوة ٧٠ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى منها ٢٨ طلعة طائرة والأوسط ٨ طلعة طائرة .

لقـد كان تقديـرى لاحتمالات العدو هو قيامـه بمهاجمة الجنب الأيمـن للفرقة ممثلة في وحـدات اللواء ١٠٩ في القطاع الجنوبى كذا الجنـب الأيسر للفرقة ممثلا في وحدات القطاع الشـمالى دون المسـاس بقلب التشـكيل، ولكن العدو آثر السلام وهاجم القطاع الجنوبى فقط تمشـيًا مع مبدأ الاقتصاد في القوى لتحقيق الغرض الذى كانت تهدف إليه القوات الإسرائيلية البرية من اندفاعها نحو الجنوب.

بـدأ العدو هجومه على اللواء ١٠٩ صواريخ سـعت ٩٠٠ بقـوة ٣٦ طالعة/ طائرة واسـتمر هجومه لمدة ٣٠ دقيقة، وقد تمكن اللواء من مقابلة هجوم العدو وببسـالة رغم ضعف موقفه التكتيكى وطبيعة المنطقة الجبلية التى يقاتل فيها وما تقدمه من مساعدات للمهاجـم جـوًا عـن المدافـع لقد تمكن اللـواء من تدمير عـدة طائرات للعـدو بلغت ٩

طائرات، إلا أن العدو تمكن فى النهاية من إيقاف معدات اللواء عن العمل نتيجة عشرات القنابل التى سقطت بجوار المعدات ورغم توقف المعدات عن العمل لم يهدأ العدو بل استمر، فى مهاجمة الوحدات - كعادته - بغرض تدمير المعدات الموجودة فوق سطح الأرض من أجهزة رادار وقواذف وصواريخ ومولدات قوى ورغم محاولات العدو المتكررة والتى استمرت طول اليوم لم يحرز العدو النجاح المأمول، بل فشل تمامًا، ويرجع ذلك الفشل إلى الحدود الذى قامت به وحدات الرشاشات والصواريخ المحمولة سام ٧ فى الدفاع عن قطاع اللواء بأكمله واستمر اللواء فى موقعه.

لقد كان اللواء فى حاجة إلى بعض المعدات البديلة وقطع الغيار المحدودة وعناصر أكبر من مهندسى الإصلاح لإتمام عملية إصلاح المعدات واستعادة كفاءة اللواء للقتال خلال ٢٢/ ٢٣ أكتوبر وعلى ذلك لم يكن يصدر قرار وقف إطلاق النار سعت ١٨٥٢ يوم ٢٢/ ١٠ إلا وقد تم اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لاستعادة موقف اللواء وتجهيزه للقتال صباح يوم ٢٣/ ١٠ وكان ذلك القرار متوقفًا فى تنفيذه على العوامل الآتية :

الأول :هو مدى توفير المعدات الموجودة فى الاحتياطي العام، والتى تلزم لاستعادة الموقف، وكانت الأيام الماضية قد أوضحت بجلاء أن هذا الاحتياطي العام قد أوشك على النضوب إن لم يكن نضب فعلًا. وأن الجسر الجوى السوفيتى لم يكن يحمل إلا أقل القليل من المطلوب.

أمـا الثانـى : فهو مدى احترام العدو لقرار وقف إطـلاق النار، وكان هذا الاحترام موضع الشـك من ناحيتي فخلال الحروب الثلاثة التى سبقت هذه الحرب نجد العدو يحاول دائمًا الحصول على مكاسب تفوق ما فى يده.

أما الثالث فكان مدى سلامة التحرك على الطرق التى توصل إلى قطاع اللواء، وكان هناك طريقتان تمكن العدو من السيطرة من بعد على إحداهما يوم ٢١/ ١٠.

قـام العـدو اليوم بمهاجمة موقـع رادار الإنـذار الموجود أعلى جبل عتاقـة. وقد ركز العـدو خـلال هجومه على موقع السرية بأمل تدمير أجهـزة الرادار لإيقافها عن العمل وبالتـالى شـل الاسـتطلاع والإنذار فى قطاع السـويس ورغم أن العـدو خصص لذلك

الغرض ٢٢ طائرة تسارعت موجات كل من زوج من الطائرات فإنه لم يتمكن إلا من تعطيل هوائى أحد أجهزة الرادار أما باقى الأجهزة فلم تصب بشىء واستمرت فى أداء مهمتها. لقد تمكن حائط الصواريخ فى هذا اليوم من إسقاط ١٦ طائرة للعدو منها طائرة موجهة باللاسلكي.

أعمال العدو ضد المطارات الأمامية

أدى عبور العدو فى الغرب إلى استخدام القوات الجوية المصرية ضده بكثرة بقصد إيقاف تقدمه وتدميره، وفى هذا الصدد أدت المطارات الأمامية دورًا كبيرًا نظرًا لما تيسره للقوات الجوية المصرية من إخراج العديد من الطلعات، وقد فطن العدو لذلك فعمل على مواجهة المطارات الأمامية بقصد تدمير ما بها من طائرات أو شلها عن العمل بضرب الممرات.

سعت ٨١٠ يوم ١٧ / ١٠ بدأ العدو هجومه على مطار القطامية فاقتربت ١٦ طائرة فانتوم وميراج وسكاى هوك فى مجموعات كل من أربع طائرات وذلك من اتجاه السويس متخذة من وديان المنطقة الجبلية دليلًا وساترًا لإخفائها، ثم انقضت على المطار فى محاولة لإسكات وحدات الصواريخ القائمة بالدفاع عن المطار وتدمير الممرات بقصد تعطيله أطول فترة ممكنة لقد قدرنا سلفًا احتمالات هذا الهجوم اتجاهًا وحجمًا، وأدى التقدير إلى زيادة وحدات سام ٧ القائمة بالدفاع عن المطار ووضعت بذكاء وأسلوب جديد لتقابل أى نوع من هجمات العدو على المطار وذلك بقفل طرق الاقتراب السهلة والصعبة أمام العدو، لقد أدى هذا الأسلوب إلى أن يقع العدو فى الشرك الذى تم إعداده له قابل اللواء ١١٣ صواريخ يعاونه الفوج ٨٤ مدفعية ووحدات سام ٧ العدو - ولكم كانت المفاجأة مذهلة - إذ اضطر العدو أمام النيران التى فتحت عليه إلى الفرار دون أن يلحق بالمطار أى اضرار وتم تدمير طائرة للعدو.

هاجم العدو مطار الصالحية سعت ٧٣٠ يوم ١٨/ ١٠ قبل بدء هجومه على اللواء ١٠٧ صواريخ فاقتربت ٦ طائرات فانتوم وسكاى هوك من المطار، ولكن تمكنت وحدات الدفاع عن المطار من تدمير ٤ طائرات مؤكدة للعدو سقطت فى بحيرة المنزلة.

لقد كان غرض العدو من ذلك الهجوم هو قفل المطار لحين إتمام هجمته الجوية على اللواء على أساس منع المقاتلات الموجودة بالمطار من التدخل فى إحباط الهجمة الجوية.

وقعت آخر هجمة على مطار القطامية يوم ٢٢/ ١٠ فلقد حاول العدو مهاجمة المطار بعدد ٤ طائرات، ولكن هذه الهجمة لم يكتب لها النجاح.

أساليب العدو

خلال هذه الفترة لم تتغير أساليب العدو المتبعة لقتال كتائب الصواريخ ولكن تميزت بالآتى :

أ- كثرة دوريات الشرايك الموجودة فى الشرق، والتى تتحين الفرصة لإطلاق صواريخها الموجهة راداريًا بقصد تدمير هوائيات رادار التوجيه، وكانت هذه الدوريات بمعدل دورية أو أكثر فى كل قطاع من قطاعات الجبهة الثلاثة على ارتفاعات متوسطة أو منخفضة.

ب- كثرة استخدام الطائرات بدون طيار، ريان فيربى أو شيكار فى الاستطلاع بالغرب حفاظًا على طائراته من التدمير.

ج- ازدياد شدة الإعاقة الإلكترونية عما كانت نتيجة لدخول نوعيات حديثة كإمداد من الولايات المتحدة.

د- إشراك المدفعية فى الغرب والشرق فى ضرب كتائب الصواريخ مع مهاجمتها جوًا فى الوقت نفسه.

هـ- استمرار الإعاقة السلبية باستخدام البالونات الطائرة أو الشرائح المعدنية الملقاة.

و- زيادة عدد الطائرات المشتركة فى الهجمات الجوية زيادة كبيرة.

ز- استمرار الخوف لدى الطيارين وعدم اقترابهم من مناطق الصواريخ.

العدو يحسن أوضاعه

صدق ما توقعناه تمامًا فلم يلتزم العدو بقرار وقف إطلاق النار كعادته فلم تكد تمضى دقائق قليلة بعد سعت ١٨٥٢ يوم ٢٢/ ١٠ حتى بدأت الوحدات تبلغ عن نشاط

للعـدو ونيران يقوم بتوجيهها هنا وهناك لقد حـاول العدو خلال ليلة ٢٢/ ٢٣ أكتوبر العمل على زيادة سيطرته على المناطق التى تسرب إليها فى الغرب كذا العمل على امتداد هذه السيطرة تجاه الجنوب. تجاه مدينة السويس وذلك بغرض تحقيق الآتى :

أ- محاولة الاستيلاء على السويس كإحدى مدن القناة وأثر ذلك من الناحية السياسية محليًا وعالميًا.

ب- محاولـة عـزل قـوات الجيش الثالـث الميدانـى الموجـودة فى الضفـة الشرقية وذلك بالتواجـد خلفهـا لقطع خطوط إمدادها ممـا يجعلها فى موقف لا تحسـد عليه بأمل استخدام موقفها كعامل للمساومة فى المفاوضات المقبلة.

ج- الحصول على نصر معنوى يرفع من معنويات قواته التى تلاحقت بها الضربات.

د- محاولة الحصول على غرض عسكرى يختتم به عملية العبور للغرب " الثغرة " وإلا كانت مثار ضحك وسخرية فى أعين الجميع.

إلا أن محـاولات العـدو فى التقدم تجـاه الجنوب سرعان ما توقفت بعد سـاعات من بدئها ولم يكن ذلك راجعًا إلى التزام العدو بقرار وقف إطلاق النار بقدر ما يكون راجعًا إلى الآتى :

أ- عـدم قدرة وحداتـه المدرعة عـلى العمل ليـلًا فى الأراضى الجبليـة الموجودة غرب القناة.

ب- كثرة الهيئات الحاكمة بالمنطقة مما يخشى معه وقوع العدو فى كمائن مضادة للدبابات تؤدى إلى تدميره.

ج- صعوبة التعرف على الأرض ليلًا نظرًا لتشابه هيئاتها وبالتالى عدم إمكان اختيار أى محاور للتقدم عليها.

وإذا اسـتثنينا العنـاصر المحـدودة التـى دفعها العدو للسـيطرة عـلى التحركات على الطـرق الموجـودة فى قطـاع الجيش الثالث الميدانـى لإرباك ما يجـرى عليها من تحركات والتـى بلغـت مغرزتين أو ثلاثة كل منها تتكون من نحو سريـة دبابات وعربات مجنزرة

والتى كانت تتواجد خلف قطاع وحدات الصواريخ أرض - جو فى هذا القطاع - نجد أن العـدو فى تقدمه حتى وقف إطـلاق النار لم يكن قد وصل إلا ببعض عناصر محدودة مـن الدبابـات تقـارب كتيبة دبابات إلى مشـارف منطقـة جنيفة، وهذه القـوة تعتبر غير كافيـة لتوطيـد أقدامه فى هذه المنطقة، إذ سرعان مـا تنفتح الأرض بعد ذلك وتحتاج إلى قوات أكبر لإتمام السيطرة عليها وإسكات ما بها من قوات. لقد حاول العدو إزاء فشله فى تحسـين أوضاعه التأثير على معنويـات القوات الموجودة بالمنطقة فاسـتخدم مدفعيته ومدفعيـة دباباته فى عملية قصف عشـوائى على بعض المناطق التـى يعتقد فى وجود أى قوات بها وعلى تلك المناطق التى يخشـى أن تتقدم منها أى قوات، ومثل هذا الأسلوب أن دل على شـىء فإنما يدل على الجبن والخوف الذى يتحلى به العدو، ولا شـك أن هذه هى وسيلته لزيادة اطمئنانه وثقته فى نفسه إزاء الموقف الذى يحيط به.

جـاء صباح يـوم ٢٣/ ١٠ وتأكد لنا رغبة العدو فى الاندفاع نحو الجنوب تجاه مدينة السويس. ففى سعت ٠٨٤٠ بدأت كتائب الصواريخ الموجودة فى المنطقة فى جبل الشلوفة، ومطار الشلوفة، والشط تبلغ عن تحرك دبابات العدو فى اتجاهها، وهنا أصدرت الأوامر لجميع كتائب الصواريخ بالتصدى للعدو بما نمتلك من أسلحة دفاعية ولا تيسر للعدو الاقتراب منها.

وقرابـة الظهر بدأ العـدو فى مهاجمة كتائب الصواريخ التى تعـترض تقدمه بمدفعية الدبابـات فى محاولـة لإجبـار الوحـدات عـلى تـرك معداتهـا أو التسـليم، ولكـن ثبتت الوحـدات وتصدت للعدو بكل ما لديها من أسـلحة بقتالـه ولم تمكنه من الاقتراب من مواقعهـا ممـا جعـل العدو يتريـث فى تقدمه فى اتجاه السـويس خوفًا مـن أن تصبح هذه الوحدات شـوكة فى جنبه عنـد تقدمه وخلال هذا القتال غير المتكافئ التسـليح برزت بطـولات وبطـولات لمقاتلـين من جميـع الرتب من ذلـك النوع الذى يسـترخص الدم ويبذل الحياة فى سبيل عزة ورفعة مصر.

لم تتمكن مدفعية العدو أو مدفعية دباباته من إحداث أى خسائر لمعدات الصواريخ اللهـم إلا تطايـر صاروخ أو اثنين من على القواذف نتيجـة لإصابتها فى خزانات الوقود وكان علينـا أن نعمـل على إصـلاح معدات اللواء وإعادته إلى القتـال، ولاحت الآمال

عندما تمكنت قواتنا المدرعة قبل ظهر يوم ٢٣/ ١٠ من السيطرة على الطرق وطرد العدو من المنطقة إلا أن العدو تمكن بعد دفع قوات جديدة للمنطقة من إعادة سيطرته على الطرق وبذا تلاشت الآمال التى حددتها من قبل بخصوص استعادة الكفاءة القتالية للواء. وفى ضوء ذلك قررت البقاء فى المواقع والتمسك بها والقتال لآخر رجل وآخر طلقة وأصدرت أوامرى بذلك لقائد اللواء العقيد سماحة وطلبت منه إصدار هذه الأوامر لقيادة الكتائب، ويؤكد لهم أن هذا قرارى وأننا سنقاتل قوات العدو بما هو متيسر معنا من أسلحة.

لم يحاول العدو مهاجمة كتائب الصواريخ ولكن اكتفى بقصفها بمدفعية دباباته من بعد على فترات متقطعة، لقد كانت مواقع كتائب الصواريخ محصنة تمامًا ومجهزة تجهيزًا هندسيًا ممتازًا فلم تؤد نيران العدو إلا خسائر محدودة فى الأفراد والمعدات ومن هنا زادت ثقة الأفراد فى إمكان قتال العدو والصمود وتمكنت طلائع قوات العدو من الوصول إلى مشارف مدينة السويس قرابة ظهر يوم ٢٣/ ١٠ وبدأت فى قصف أحد مواقع رادار الإنذار مما أدى إلى تدمير هوائى الأجهزة الخاصة بالكشف المنخفض.

قامت العدو الرئيسية المتقدمة على طريق السويس بقصف إحدى الكتائب فى منطقة الشلوفة بقيادة المقدم نصار بغرض إحداث أكبر خسائر فى الأفراد والمعدات بالإضافة إلى أحداث التأثير المعنوى المطلوب بين الأفراد لإجبارهم على الانسحاب وترك معداتهم إلا أن هذه الكتيبة تصدت لمحاولات العدو بكل ما لديها من أسلحة خاصة الرشاشات المضادة للطائرات ذات معدل النيران العالى ورغم الخسائر الطفيفة التى ألحقها القصف فى بعض العربات والأفراد فإن الموقف ظل متماسكًا تمامًا ولم تمكن الكتيبة العدو بصلابتها من تحقيق غرضه أو إمكان الاقتراب منها ورغم هذا القصف فإن معدات الصواريخ بالكتيبة ظلت صالحة تمامًا ولا تحتاج إلا لوقت قصير لاستئناف العمل بها بكفاءة ضد طيران العدو، والذى بدأ يصول ويجول فى هذه المنطقة نظرًا لتوقف اللواء ١٠٦ صواريخ عن القتال لعدم إمكان استعادة موقفه حتى الآن.

حاول العدو السيطرة على مدينة السويس بعد ظهر يوم ٢٣/ ١٠ كغرض سياسى ولكنه فشل أمام المقاومة التى أبدتها المدينة وفى ضوء ذلك بدأ العدو فى الانتشار جنوبًا نحو ميناء الأدبية للاستيلاء عليها ومنع استخدامها بمعرفة قواتنا.

لقد انتهى قتال يوم ٢٣/ ١٠ مع العدو ببقاء اللواء ١٠٩ صواريخ فى مواقعه متماسكًا لم يتمكن العدو من الاستيلاء على أى موقع من مواقعه، بل قوبلت جميع محاولاته بالقتال والإصرار على الاستشهاد. وفى ضوء تطور الموقف البرى واحتمالات تطوره طلبت تجهيز المعدات للنسف على أن يتم نسفها عندما يتعقد الموقف ويصبح لا فرار من اتخاذ مثل هذا القرار الذى تم اتخاذه سعت ١٥٠٠ يوم ٢٥/ ١٠/ ٧٣.

لقد دمر هذا اللواء نحو خمسين طائرة ووقف فى وجه العدو ويقاتله منفردًا إلا من عناصر محدودة حوله من القوات البرية لمدة أربعة أيام وفى النهاية استسلم الكثير من أبطاله الشجعان الشرفاء.

لقد بدأ حائط الصواريخ قتاله يوم ٦ أكتوبر ٧٣ وقد لقن العدو أول درس فى تاريخه فهو الذى أفقده اتزانه، وهو الذى دمر للعدو ٣١ طائرة فى اليوم الأول للقتال مما أفقده وعيه تمامًا فهو لم يألف من الصواريخ وقد قاتلها من قبل مثل هذا الحجم من الخسائر. لقد كان حائط الصواريخ هو الصخرة التى تحطمت عليها آمال العدو فى الثغرة فى الغرب فهو الذى أبلغ عن عبوره وتحركاته بل وقف بالمرصاد للعدو فلم تسمح له بالاستيلاء على أى مزيد من الأرض خلال الأيام من ١٦-١٩/ ١٠ مما جعله يغير غرضه الأساسى من العبور للغرب عدة مرات وفى النهاية يتجه إلى الجنوب لتحقيق أى نصر يذكره ويتباهى به أمام العالم، ولم يكن غريبًا أن تكون آخر معارك العدو والفاصلة فى القطاع الجنوبى تتم بين العدو وحائط الصواريخ فلقد تمسكت وحدات الصواريخ بالأرض ولم تتركها وهى التى برهنت للعالم كله أننا كنا متمسكين بها خلال يوم ٢٢/ ١٠ ولم يكن للعدو شىء سوى بعض دبابات محدودة بالمنطقة الجبلية متسللة ومختفية وهو الذى منع العدو من الاستيلاء على مواقعة فى القطاع الجنوبى فى يوم ٢٥/ ١٠ عندما تركها خيارًا وليس خوفًا أو إجبارًا وهو الذى انضم العديد من مقاتلوه منذ يوم ٢٣/ ١٠ إلى مدينة السويس ليقاتلوا العدو بجوار أبنائها لقد انضم مئات الأفراد من الكتائب القريبة من مدينة السويس إلى قوة الدفاع عن المدينة تاركين مواقعهم نظرًا لعدم جدوى قتالهم بالصواريخ ليقاتلوا بجوار إخوانهم فى السويس بسلاحهم الشخصى تحدوهم الرغبة فى الاستشهاد.

حقيقة لقد كان القتال بواسطة هؤلاء الرجال الذين يندر أن يجود بمثلهم التاريخ وأقولها حقًا لله قتالا قابلنا فى الإعداد له الكثير من المشاق والحرمان ووجدنا فى تنفيذه

متعة ما بعد متعة، فلقد كان العدو لقادة حائط الصواريخ أشبه بأكلة شهية يحاول كل قائد أن يلتهمها قبل الآخر.

فهنيئًا إلى هؤلاء الرجال الذين سبقونا إلى دار الخلد إلى جوارهم وقد أدوا - رسالتهم أكمل أداء وأحسنه وهنيئًا لهؤلاء الأبطال الأحياء وقد كللوا هامة أمتهم بنصر مجسد فلقد تمكنوا خلال قتالهم مع العدو الذى استمر من يوم ٦/ ١٠ إلى يوم ٢٢/ ١٠ من اسقاط ٢٦٨ طائرة مؤكدة و ٥٧ طائرة غير مؤكدة أليس هذا نصرًا نعترف به، لقد اعترف به العالم تمامًا اما نحن فقد طمسنا معالمه تارة وأظهرناه فى صورة مهزوزة تارة اخرى وما كل ذلك إلا من الفراغ الذى يملأ النفوس البشرية وما أجدرنا فى مثل هذه اللحظات التى يكتب فيها التاريخ بحروف من نار ونور ان نترك التاريخ يكتب نفسه كما أراد الله سبحانه وتعالى.

الفصل السابع عشر

المرحلة الرابعة للقتال من ٢٥ أكتوبر إلى ٢٩ ديسمبر ٧٣

كان من المفروض وقد صدر قرار وقف إطلاق النار يوم ٢٢/ ١٠ أن تلتزم إسرائيل بـه- ولكـن إسرائيل لم تلتـزم به واسـتمرت في عملياتهـا البرية تجاه السـويس والأدبية وقـد فشـلت تمامًا فيـما كانت تهدف إلية واعتبارًا من سـعت ١٨٠٠يـوم ٢٥/ ١٠/ ٧٣ التزمـت إسرائيل بقـرار وقف إطلاق النـار وتوقفت جميع عملياتها البريـة شرقًا وغربًا كذلك بدأ نشـاط السـلاح الجوى الإسرائيلي ينحسر تمامًا اللهـم إلا من بعض طائرات الإمـداد وكلها من الأنـواع البطيئة متخذة من مطار فايد مكانًـا للهبوط فيه، وكان هذا المطار خارج مدى وحدات الصواريخ على أي ارتفاع في ضوء أوضاع حائط الصواريخ الجديـدة والتفافه حـول العدو في الثغرة غربًا. وكان علينا إزاء هذا النشـاط المحدود أن نعمـل بسرعة وجهد لكي نعيد تشـكيل حائط الصواريخ كـما كان من الضروري القيام بإصـلاح معداتـه وأن نقيـم له مـن الواقع مـا يلـزم وأن نخطط له للاشـتراك في الخطة «شـامل» تلك الخطة التـي وضعت بغرض تدمير العدو في الثغـرة، ونظرًا لأهمية عامل الوقت فقد سارت جميع الأعمال على التوازي .

استعادة موقف الوحدات

كان من الضروري. وقد توقف القتال فعلا. ولم يعد هناك أثر لأي اشتباك بين القوات البريـة أن نعمل بسرعة على اسـتعادة موقف الوحدات وأن نعيـد حائط الصواريخ إلى مـا كان عليه قبل ما حل به من خسـائر نتيجة لتدمير بعض الوحـدات أو المعدات. لقد صـدر قرار قيادة قوات الدفـاع الجوى يوم ٢٢/ ١٠ بإنزال بعـض الكتائب إلى القاهرة

بكامل معداتها لإتمام عملية استكمالها وإصلاحها وضبطها وإعادتها على وجه السرعة إلى جبهة القتال مرة أخرى. وعلى ضوء ذلك تم إنزال عدة كتائب صواريخ للورش في القاهرة تكفلت قيادة الفرقة بإصلاح عدة كتائب أخرى حسب ما تيسر لها من معدات وقطع غيار.

لقد كان هذا الموضوع هو الشغل الشاغل لجميع القيادات، فالكل يعمل جاهدًا للوصول بحائط الصواريخ إلى كامل قدرته وقوته حتى يحيط بقوات العدو في الثغرة إحاطة كاملة ليقوم بدوره في وقاية القوات البرية سواء غرب القناة أو شرق القناة وفقًا لأوضاع القوات في ذلك الوقت.

إعادة التجميع وإعادة تشكيل حائط الصواريخ

في ضوء عدم انصياع إسرائيل إلى وقف إطلاق النار ، وفى ضوء ما قامت به دباباتها فى الانطلاق تجاه الجنوب ومحاولة إحكام الحصار على اللواء ١٠٩ صواريخ يوم ٢٤/ ١٠/ ٧٣ رأيت ضرورة إعادة التجميع لحائط الصواريخ فى ضوء عدد الكتائب المتيسرة لدينا واضعًا فى اعتباري العوامل التالية :

* عدد كتائب الصواريخ الجارى إصلاحها وينتظر الانتهاء منها، خلال ٢٤- ٤٨ ساعة
* عدد كتائب الصواريخ الجاهزة للقتال الفوري.
* موقف العدو فى الثغرة وأوضاع مدفعية الميدان الموجودة ١٧٥ مم، ١٥٥مم.
* الحاجة إلى وجود تجميع متماسك أساسه عدم وجود ثغرات بين اللواءات وليس كثرة عدد الكتائب في اللواء الواحد حتى لا يتيسر للعدو مهاجمة كل لواء على حدة .
* يجب مراعاة عدم تغطية الفواصل بين الكتائب في الأنساق المختلفة وإن كان النسق الأول يحتاج إلى فواصل ضيقة لتوفير عدد من دورات النيران فيجب أن تكون الفواصل في الأنساق الأخرى مماثلة أو أكثر من ذلك حتى لا يتيسر للعدو معرفة شكل التجمع، ولا إمكان مهاجمته بأسلوب واحد.
* مراعاة البروز الموجود حاليًا والنتائج من وجود العدو في الثغرة غربًا وما أدى إليه ذلك من تباعد بين كل من اللواء ٩٥، ١٠٦ صواريخ.

* اختيار مواقع جديدة ميدانية يتم تجهيزها للوحدات مع مراعاة مشكلات القطاع الجنوبي من الجبهة وكثرة الهيئات الأرضية المرتفعة به وما تشكله من عائق في كشف الأهداف الجوية المنخفضة.

* محاولة عودة الكتائب إلى وحداتها الأم بعد كثرة المناورة بها حتى يتم الانسجام اللازم في العمل ولا يخلق أية مشكلات جديدة لقيادات الألوية هي في غنى عنه لتنصرف إلى ما هو أهم وهو التجهيز للقتال. في ضوء ذلك تم وضع خطة إعادة التجميع وإعادة التشكيل وكان المتيسر لدينا في ذلك ما يقرب من ٣/ ٤ الكتائب التي دخلها بها القتال يوم ٦ أكتوبر ٧٣. لقد كانت خطتي تهدف إلى احتلال القطاع الشمالي بصدد ١٤ كتيبة صواريخ واحتلال القطاع الأوسط بعدد ٤ كتيبة صواريخ تزداد خلال ٢٤-٤٨ ساعة إلى ٦ كتائب، ثم دخول اللواء ٩٧ صواريخ جنوب اللواء ١٠٦ صواريخ بعدد ٤ كتائب تزداد إلى ٦ كتائب خلال ٢٤-٤٨ ساعة مع استمرار الدفاع باللواء ١١٣ صواريخ من خمس كتائب عن مطار القطامية.

* بمجرد وصول كتائب جديدة من تلك التي تم إصلاحها يدخل اللواء ١٠٥ صواريخ ما بين تجميع اللواء ١٠٦، ٩٧ صواريخ وبهذا الأسلوب نضمن تحقيق الآتي :

* وجود تجميع قوى في القطاع الشمالي من الجبهة يمكنه أن يدمر أية محاولات للعدو لمهاجمته قادر في الوقت نفسه على توفير الوقاية تمامًا لكل من فرق ١٦،٢،١٨ مشاة في رءوس الكباري التي تحتلها شرقًا ضد أي أهداف منخفضة تطير على ارتفاع ١٠٠ متر وذلك من مواقعه التي يحتلها على بعد ٦كم غرب القناة وتمتد وقايته أمام رءوس الكباري وحولها كلما زاد الارتفاع.

* منع العدو من حرية الطيران في الثغرة على أي ارتفاع في ضوء مدى تدمير الصواريخ.

* استمرار توفير الوقاية لمطار القطامية بقوة أكبر مما كان أيام القتال.

- منع العدو هذا هو الأهم من إمكان القيام بأي اختراق بين اللواءات. لم يصدق قائد الدفاع الجوى على تلك الخطة، وقامت قيادة الدفاع الجوى بوضع خطة جديدة مبنية على الآتي :

* إنقاص عدد الكتائب للقطاع الشمالي.

* إعادة احتلال اللواءين ١٠٥، ٩٧ صواريخ لمواقع جنوب قطاع اللواء ١٠٦ صواريخ وبعدد محدود من الكتائب لا يتجاوز ٢-٣ كتيبة صواريخ في كل لواء.

* اتخاذ أوضاع لا تتفق مع أوضاع العدو في الثغرة ولا طبيعة الأرض اعتمادًا على خلفية قديمة منذ بدء حائط الصواريخ قتاله مع العدو في يوليو ١٩٧٠ ومع شرح الملابسات الخاصة بخطتي تم التصديق عليها وبدأ التنفيذ فيها يجرى على قدم وساق لقد أدت السرعة في إتمام إصلاح المعدات سواء في الورش بالقاهرة أو على مستوى الفرقة الثامنة دفاع جوى إلى استكمال تشكيل اللواء ٩٧ صواريخ قبل يوم ١/ ١١/ ٧٣ ما لبث إن استكمل إلى كامل قوته يوم ٦/ ١١ أما اللواء ١٠٥ صواريخ فقد دخل منطقة تمركزه بين اللواءين ١٠٦، ٩٧ صواريخ بعدد محدود من الكتائب لم يلبث أن تكامل فيما بعد وبذا وصلت قوة حائط الصواريخ إلى سابق قوته قبل بدء عمليات أكتوبر ٧٣ مع تحسن في نوعية بعض الكتائب فلقد استبعد عدد كبير من كتائب الصواريخ من أنواع سام ٢ واستبدلت بعدد مماثل لها من أنواع سام ٢ معدل، إذ أن القتال أثبت عدم كفاءة النوع الأول، ولقد أشرت من قبل الحرب بشهور إلى ذلك. ولكن لم نجد أذنًا صاغية، تستجيب لذلك وقد برهنت المعركة على صحة نظرتنا وموقعنا للمعركة ولو كان تم الأخذ مما طلعته لكان لنا في القتال مع العدو شأن آخر. قد تكون نهاية السلاح الجوى الإسرائيلي لقد تم تدعيم حائط الصواريخ بكتيبة من نوع جديد من نوع سام ٤ (فولجا) ذات مدى أكبر من الأنواع الموجودة، ويتميز بمميزات جديدة تجعله قادرًا على التغلب على التداخل و الإعاقة الإلكترونية. فكانت بداية طيبة علقنا عليها آمالا عريضة، إذ أن أي سلاح جديد لا شك سيحقق مفاجآته في القتال.

بناء المواقع

أدى تواجد العدو في الغرب واتخاذ قواتنا البرية إلى أوضاع تكتيكية وتعبوية تتناسب مع أوضاع العدو والمهام المكلفة بها إلى أن أصبح القطاع الأوسط والجنوبي خاليين تمامًا من أي موقع محصنة من النوع المحصن أو المسبق الصنع اللهم إلا النذر اليسير، وهنا

كان من الواجب أن نعمل على تجهيز مواقع ميدانية للوحدات تتفق في سرعة إنشائها مع سرعة الإصلاح مضافًا إلى ذلك عدد آخر من المواقع الميدانية ليخدم خطة المواقع المتبادلة وعدد آخر يخدم المواقع الهيكلية وقد استدعى ذلك الإنشاء من مجموعات مهندسي الفرقة جهدًا كبيرًا، أدى إلى الانتهاء منها مما هو مطلوب منها قبل موعده مما كان له أكبر الأثر في احتلال الكتائب لمواقعها في توقيتاتها التي حددت لها كذلك إتمام المناورة اللازمة ووضع خطة المواقع الهيكلية لخداع العدو محل التنفيذ حتى أصبح لدينا ٨٠ موقعًا هيكليًا تدخل ضمن التجميع الرئيسي للتشكيل.

ونظرًا لصدور التعليمات القاضية بتصفية العدو في الغرب كان من اللازم وقد توافرت الوقاية المطلوبة تمامًا لقوات الجيش الثالث والثاني الميدانيين شرقًا وغربًا إذا استثنينا قوات الجيش الثالث الميداني في الشرق أن نعمل على زيادة قدرة حائط الصواريخ على الصمود أمام هجمات العدو الجوية وذلك بتحويل المواقع الميدانية إلى مواقع محصنة من النوع المسبق الصنع وتحقيقًا لذلك وضعت خطة تتفق مع إنتاج هذا النوع من المواقع وقد استغرق ذلك العمل وقتًا ليس بالقصير إذ لم يتم الانتهاء منها إلا في أوائل يناير ١٩٧٤ وكان ذلك من وجهة نظرنا نهاية لإنشاء مواقع جديدة محصنة من النوع مسبق الصنع كافيًا لعمل حائط الصواريخ خلال معركة تدمير العدو في الثغرة إلا أن العدو عند انسحابه من الثغرة في ضوء قرار فك الاشتباك الأول، لم يترك مواقع الصواريخ كما هي رغم ما وعد به من تركها سليمة - لقد قام العدو بتدميرها لقد دمر العدو ٥٢ موقعًا ما بين محصن ومسبق الصنع ولم يكن ذلك إلا انتقامًا من حائط الصواريخ ووحداته ورغبة العدو في تأخير تقدمه للإمام ووقايته للقوات الموجودة في الشرق، ولكن سرعان ما اندفعت الوحدات واحتلت مواقع ميدانية أعقبها إقامة مواقع محصنة ومسبقة الصنع في ضوء تخطيط جديد وقد استلزم ذلك نحو خمسة شهور من العمل اشتركت فيه وحدات المهندسين العسكريين، اشتركت فيه أيضًا بعض شركات المقاولات المصرية.

خداع العدو

كان ولا بد وقد قاتلنا العدو عدة أيام قام بها حائط الصواريخ بإتمام نحو ٤٠٠ اشتباك بالصواريخ المتوسطة ونحو ٢٠٠ اشتباك بالصواريخ الفردية وقاتل غربًا وشرقًا

وتصـدى للعـدو في الثغرة فلـم يمكنه من النفاذ منـة في اتجاه الغرب وتصـدى لمدفعيته دباباتـه بالمنـاورة السريعـة المخططة، أن نعمل على تحقيق أسـلوب جديـد لخداع العدو خاصة أن العدو بتسربه إلى الغرب قد تمكن من الاستيلاء على بعض المعدات التي ظنها حقيقـة وإذا بـه يفاجئ بأنها معـدات هيكلية مصنعة من الأخشـاب وهنـا كان لابد لنا من الاعتماد على المعدات المعدنية أساسًـا ولابأس من ازدواجها بمعدات خشبية لزيادة حـيرت العـدو وقد كان لنا من الخبرة الماضية ومدى ما توصل إلية العدو من معلومات عـن حائط الصواريخ أكبر الأثر في الوصول إلى الأسـلوب الأمثل لخداع العدو في هذه المرحلـة ممـا جعل العدو يقع فى حيرة مرة أخرى تلك الحـيرة التي جعلته يلجأ إلى القيام باسـتطلاع جـوى مكثف أكثر من مرة خلال النهار شرق القنـاة وغرب القناة مما جعلنا نسـتمر في التصدي لقتال السلاح الجوى الإسرائيلي وتدمير بعض طائرات الاستطلاع المعادية وأسر طياريها مما جعل العدو يلجأ إلى اسـتخدام الطائرات الموجهة لاسلكيًا من طـراز ريـان فيربى وشـكار ورغم صغر حجم هـذه الأهداف وصعوبة مشـاهدتها على مبينات أجهزة الرادار وخاصة الأخيرة منها فإن الوحدات تمكنت من تدميرها .

لقد اسـتخدم العدو الطائرة شـكار في الاسـتطلاع عندما أغلق عليـه الموقف وبات موقـف حائـط الصواريخ أمامه طلسـمًا جديدًا، لمـا لها من قدرة عـلى الطيران المنخفض ٥٠٠-١٥٠٠م وما يتوفر لها من إمكانات تصوير تعتبر على درجة عالية من التقدم.

القتال ضد طائرات الاستطلاع

كانـت الاسـتعدادات تجرى على قدم وسـاق غربًا لتدمير العـدو الموجود في الغرب وشـملت هـذه الاسـتعدادات التخطيـط لعمليـة هجومية تتـم على الجيـب الإسرائيلي بغـرض تدمـير القـوات الإسرائيلية الموجـودة فيه، والتـي كانت تقدر بنحـو ٦ لواءات منهـم ٤ لـواءات مدرعة، وفى سـبيل ذلك بدأ حشـد العديد من وحـدات الدبابات - المشاة - المشاة الميكانيكية - الصاعقة -المظلات -وحدات قنص الدبابات - بالإضافة إلى وحـدات أخـرى مـن الدول العربية الشـقيقة وقد بلـغ حجم القـوات المصرية التي خصصت للعملية ١٣ لواء منه ٥ لواءات مدرعة، وكانت الإجراءات للتحضير للعملية تتم بسرعة واتسـاق كامل بين القوات المشتركة في العملية، وكان دور حائط الصواريخ

هـو توفير الوقايـة للتجمع الرئيسي لقواتنا التـي تقوم بحصار العـدو وتدميره غربًا مع سرعـة الانتقـال لنقل الوقاية شرقًـا لتغطية قوات الجيش الثالث الميـداني في الشرق هذا بالإضافة إلى توفير الوقاية لقوات الجيش الثاني الميداني الموجودة شرقًا .

لقـد كان موقـف العدو في الغرب ممتعًا وصعبًا في وقت واحد ممتع؛ لأنه بموقفه هذا يقف بين شقي الرحى للقوات المصرية شرقًا وغربًا تلك القوات التي بدأت في الازدياد وأصبحـت متفوقـة علية بنسـبة ٢:١ غرب القنـاة فلو أضفنا إلى ذلـك ضعف دفاعات العـدو واتسـاع المواجهة بالنسـبة إلى حجم القـوات وكثرة الدبابات على عنصر المشـاة التـي تعتـبر حجـر الزاوية في أي موقع دفاعـي مع وجود جيب في منطقـة جبل القط في الخـط العام لدفاعات العدو تحتله القوات المصرية ذلك الجيب الذي يجعلها لا تبعد عن سـاحل البحـيرات المرة الكبرى في فايد بأكثر من ٧كم، والـذي لو تم النجاح فيه لأدى إلى شـطر القـوات الإسرائيليـة فى الغرب إلى قسـمين والقضاء على كل منهـا على انفراد وأما من ناحية أنه صعب فلقد كان ذلك راجعًا إلى موقف قوات الجيش الثالث الميداني الموجودة في الشرق ووجودها خارج نطاق التغطية بالصواريخ، مما سـيؤدى بالعدو إلى تركيـز مجهود قواته الجوية عليها خلال العمليـة الهجومية بقصد إنزال أكبر ما يمكن بها مـن الخسـائر أو اقتران ذلك الهجوم الجوى بعمليات برية بقصـد إزالة أو تقليص رأس الكبرى للجيش الثالث الميداني إن أمكن، إذ إن العدو كان لدية من القوات الاحتياطية في الـشرق مـا يعادل ٧ لـواءات منهم ٣لواءات مدرعـة وفى ضوء هـذا التقدير لأعمال العـدو، كان مـن الـضروري الانتهاء مـن العملية الهجوميـة كلها خلال يـوم أو يومين ومـن هنـا جاءت الصعوبـة إلا أن الواقع الـذي كانت علية القـوات المصرية في الغرب والـروح المعنويـة التي تتحـلى بها نتيجة انتصاراتها السـابقة ووجود الرغبـة القوية لدى الوحـدات في ضرورة ابتـلاع هـذه الوجبة الشـهية فى الغرب وبأي ثمـن كل ذلك كان كفيـلا بالقضـاء على العدو، ولا شـك أن القضاء عليه في الثغـرة كان معناه القضاء على ثلـث قواتـه الموجودة والمحتشـدة في مواجهة جمهوريـة مصر العربية أو مـا يعادل ١/ ٥ قـوات جيش الدفاع الإسرائيلي لقد كان مظهر الجنـود الإسرائيليين في الثغرة، خوفهم، رغبتهم في عدم القتال مدى الذعر الذي يصيبهم عند فتح النيران عليهم، استسـلامهم

لقواتنا بمجرد الاقتراب منهم، يوحى بأن هذه الوجبة ستكون دسمة للغاية ومن هنا كان الباعث القوى متوفرًا لدى الإفراد في ضرورة تدمير العدو في الثغرة .

إزاء ازدياد نشاط قواتنا في الثغرة وقيامها بعمليات إزعاج للعدو على طول المواجهة بغرض تكبيد العدو خسائر في الأفراد . وإزاء ما يتم حشده من قوات في مواجهته بات العدو قلقًا على موقف قواته في الغرب فلم يعمل تعزيزها بقوات جديدة تتفق مع طول المواجهة التي يحتلها، لأن ذلك معناه أن يتم ذلك على حساب قواته في الشرق وأمامه خمس فرق مشاة مصرية وبعض اللواءات المدرعة واستعاض العدو على ذلك بالقيام بطلعاته الاستطلاع الجوى لعدة مرات يوميًا أقلها ثلاث مرات ونظرًا لتواجد قوات العدو فى الغرب في الجيب الإسرائيلي بدأ العدو يتبع أسلوبًا جديدًا في الاستطلاع بدأه أولا بالاستطلاع من الشرق على ارتفاع عالٍ وخارج مدن وحدات الصواريخ في الغرب وكان العدو كعادته يهدف إلى تحقيق غرضين في وقت واحد الأول هو إتمام الاستطلاع الرأسي والمائل لمواقع قواتنا، والثاني ليهاجم كتائب الصواريخ باقترابة منها مما يجعلها تقوم بالتعامل معه وهنا تلوح الفرصة لبعض طائراته التي تعمل في الشرق «دوريات الشرايك»؛ حيث تسنح لها الفرصة بإطلاق صواريخها على أكثر من كتيبة صواريخ بغرض تدميرها، بدأ العدو هذا الأسلوب يوم ٢٠/ ١٠/ ٧٣ وبدراسة ما تم وضح لي تمامًا هدف العدو، وهو أن يصطاد إحدى الكتائب دون أن نتمكن من اصطياده لذا أصدرت أوامر محددة حددت فيها القيود التي يجب أن تراعى عند الاشتباك، ولما لم ينجح هذا الأسلوب بدأ العدو في اتباع أسلوب آخر فى الاستطلاع وهو أن يطير غرب القناة وشرقها على مسافة تتراوح ما بين ١٠-١٥ كم من القناة مع عمل تزامن بين الطلعتين يجبرنا على التعامل معه في الشرق والغرب على التوالي بما يسمح بوجود وقت ييسر دوريات الشرايك فى الشرق من النجاح ولقد أدى استخدامه لهذا الأسلوب إلى نجاحه للمرة الوحيدة في تدمير هوائي توجيه كتيبة الصواريخ التي كانت تشتبك معه لقد خطط العدو لهذه الطلعة تخطيطًا سليمًا مكن إحدى طائرات دورية الشرايك فى الشرق من قصف الكتيبة المشتبكة مع طائرة الاستطلاع في الغرب بصاروخ شرايك تمكن من تدمير هوائي التوجيه قبل أن يصل الصاروخ المطلق من الكتيبة إلى طائرة

الاستطلاع، وهنا كان لابد من أن نعمل على منع مواجهة تكرار مثل هذا الأسلوب وأن تدمر طائرات العدو ولا نسمح له بتدمير أي هوائي من هوائيات رادار التوجيه.

في ضوء هذا النجاح زاد العدو من دوريات الشرايك في الشرق، وأصبحت تتكون من دورتين كل منها من ٤ طائرات تعمل على ارتفاعات من ٥٠٠ إلى ٧ كم الدورية الأولى تواجه منطقة البلاح والدورية الثانية تواجه منطقة الإسماعيلية وفى الوقت نفسه بدأ العدو يمارس هواياته في الاستطلاع وكان علينا إزاء ذلك أن نلجأ إلى استخدام أسلوب الكمائن وذلك بدفع وحدات من كتائب الصواريخ للأمام أقرب ما يكون للقناة لإبعاد دوريات الشرايك بعيدًا في الشرق أو تدميرها في حالة اقترابها وقد تم التخطيط لهذا الأسلوب بعناية تامة جعلت العدو لا يجرؤ على دفع دوريات الشرايك في اتجاه الغرب إلى المسافة التي تؤثر بها على كتائب الصواريخ وبالتالي لجأ العدو إلى الابتعاد باستطلاعه شرقًا، فأصبح يتم على مسافة ٢٠-٢٥ كم وعلى ارتفاع ١٦ – ١٨ كم بعد أن كان يتم على نفس الارتفاع على مسافة ١٥ كم ولم يجرؤ العدو على القيام بأي استطلاع غرب القناة وبات العدو حذرا، بل خائفًا من موقف الكمائن وهى التي سبق أن أذاقت طياريه المحترفين عدة دروس، فما بال الحال وطياروه الحاليون ليسوا من النوعية التي شاهدتها الأيام الأولى من الحرب والتي أذهبتهم صواريخنا مع طائراتهم . حطامًا تتناثر هنا وهناك .

إزاء خوف العدو من الكمائن الموضوعة بدأ يقوم بالاستطلاع في الشرق بعيدًا عن القناة مكتفيًا بتكثيف دوريات الشرايك إلى ثلاث دوريات إلا أنه فشل فى أن يدمر أي معدة من معداتنا أو يلحق بها أي خسائر كما أننا لم نتمكن من تدمير أي طائرة له. وإزاء ذلك عاد العدو إلى الاستطلاع الجوى غرب القناة متبعًا نفس أسلوبه السابق بغرض تدمير إحدى كتائب الصواريخ في حالة قيام الوحدات بالاشتباك معه ومستغلا في ذلك بعض نقاط الضعف التي تتواجد في أي نوع من المعدات المضادة للطائرات قارنا ذلك باستخدام التداخل الكثيف لقد نجح العدو في محاولاته الأولى وكان نجاحه راجعًا إلى عدة عوامل أولها وهو الأهم الخوف الذي بدأ يسيطر على قادة الكتائب من احتمال إصابة معداتهم بواسطة الصاروخ شرايك وما استلزم ذلك من حذر مبالغ فيه

أما العامل الثاني فكان طبيعة خط السير الذي كان يطير عليه العدو وما يؤديه التداخل من تعمية كاملة للهدف، هذا بالإضافة إلى أن بعض الوحدات التي ضمت حديثًا كانت قليلة الخبرة للتعامل مع العدو، والذي يطير على ارتفاعات عالية وبسرعات تصل إلى ٢٥ كم في الدقيقة وغير متمرسة على التعامل مع الأهداف الحاملة للشرايك ولقد أدى ذلك الموقف إلى تدخل قيادة قوات الدفاع الجوى مطالبة بتدمير العدو مع عدم تمكينه من تدمير أي معدة من المعدات - ومعنى ذلك هو الكف عن الاشتباك حتى لا يكون هناك إشعاع في الجو، ولقد كان موقف قيادة الدفاع الجوى نابعًا من عدم وجود أي معدات احتياطية لديها، أما من الناحية القتالية فاحتمال الإصابة بواسطة الشرايك قائمة طالما أن هناك أكثر من كتيبة تحاول الاشتباك مع العدو. وكان لزامًا إزاء ذلك الموقف أن أراقب الموقف لإحدى الطلعات بمعرفتي داخل إحدى الكتائب التي قررت أن تشتبك مع العدو وأرى مدى الصعوبة التي تواجههم وفعلا تمكنت خلال إحدي الطلعات أتعرف على مشكلة عدم تدمير العدو حتى الآن لقد كانت المشكلة الحذر، فالحذر يولد الخوف والخوف ينهى الثقة ويذهب بعقل المقاتل بعيدًا عن الصواب ولحظة القرار ما هي إلا ثوان معدودة. وعلية عندما عدت إلى مركز قيادتي وضعت خطة جديدة حددت فيها الكتائب التي تشتبك وأسلوب اشتباكها وأسبقيه الاشتباك، ورفعت جميع القيود والأوامر التي كانت تحذر من الإصابة بالشرايك وجاء يوم ٩/ ١١/ ٧٣ وتواجدت مع الوحدات وفى سعت ٩١٥ يوم ٩/ ١١ بدأ العدو يقترب بطائرتين فانتوم من غرب بورسعيد على ارتفاع ١٤ كم أخذت في الزيادة إلى ١٦ كم مع زيادة السرعة إلى ٢٥ كم في الدقيقة واشتبكت الكتيبة الأولى ودمرت طائرة فانتوم غرب القنطرة سقط طيارها من هذا الارتفاع الشاهق مصابًا لم يلبث لفظ أنفاسه بعد نقله إلى إحدى المستشفيات العسكرية بينما تناثرت الطائرة إلى حطام . أما الطائرة الثانية فقد تم تدميرها كتيبة أخرى وتمكن طيارها من الهبوط بها إلى الأرض شرق الإسماعيلية في قطاع الفرقة الثانية المشاة وبمجرد ارتطامها بالأرض اشتعلت النيران فيها وتم إخمادها وتم أسر الطيار سليمًا ومن معاينة هذه الطائرات اتضح أنها من طائرات الفانتوم الجديدة التي تم الإمداد بها من الولايات المتحدة الأمريكية حديثًا والمخصصة للاستطلاع وطاقمها يتكون من طيار فقط ولا يوجد بها ملاح كما فى النوع القديم.

توقف استطلاع العدو غرب القناة تمامًا وأثر العدو الابتعاد عن الاستطلاع خوفًا من أن يتم تدمير طائراته وبدأ في القيام بالاستطلاع شرق القناة من بعد وإزاء ذلك تم إخراج عدة كمائن لاصطياد العدو في الشرق في حالة دخوله مناطق تدمير الصواريخ وإزاء رغبة العدو في معرفة أماكن الكمائن الموضوعة له قام باستطلاع بقوة عدد ٢ طائرة ميراج يوم ١٨/ ١١ اقتربت من اتجاه سرابيوم على ارتفاع ١٠٠ متر في اتجاه أبى صوير ثم الفردان وهنا اشتبكت إحدى كتائبنا مع طائرات العدو وتمكنت من إسقاط طائرة ميراج سليمة سقطت في الشرق في المنطقة السبخية الموجودة شرق البلاح. لقد كان العدو يأمل وقد انقطع نشاط الاستطلاعي أو ابتعد أن ركن إلى الهدوء ولم يعلم أننا كنا له بالمرصاد في كل مكان نهارًا وليلا وبمجرد اكتشافه بواسطة وحدات الرادار صدرت الأوامر بتدميره وفعلا تم إسقاط إحدي طائراته بصاروخ واحد.

ونظرًا لحاجة العدو إلى معلومات عن أوضاع قواتنا التى تحتشد حول الثغرة فى الغرب بدأ العدو في استخدام أسلوب آخر يضمن بة سلامة طياريه وهو عليهم ضنين جدًا فبدأ في استخدام الطائرات الموجهة بدون طيار من طراز شيكار مستخدمًا مطار فايد وماله من أجهزة رادار في المطار في توجيه هذه الطائرات وفعلا نجح العدو أولا في إمكان الاستطلاع ولم يكن مرد ذلك هو صغر حجم الهدف وضعف احتمال اكتشافه بواسطة وحدات الرادار والإنذار، ولكن المشكلة التي كانت تواجهنا هو أن إطلاق صاروخ على مثل تلك الأهداف الصغيرة جدًا يحتمل معه تدميره ويحتمل أيضا عدم إصابته إلا أننا تمكنا في المرة الثانية لاستخدامه من تدمير هذا النوع من الطائرات وإسقاطها سليمة يوم ١٣/ ١٢/ ٧٣ لتكون هدية للشعب المصري في المعرض الذي كان مقامًا في القاهرة - ولكن رغبة العدو في الاستطلاع لم تتوقف في حاجته إلى معرفة أوضاع قواتنا البرية التي تحتشد حوله في الثغرة لتدميره كان أمرًا ملحًا - فبدأ يوم ٢٨/ ١٢/ ٧٣ في استخدام طلعات الاستطلاع بالطائرات الفانتوم من اتجاه الجنوب مارًا فوق جبل عتاقة متجهًا إلى الشمال، ولكن تم تدميره فعاد إلى استخدام نفس الأسلوب مستخدمًا الطائرات الموجهة من طراز ريان فيربى يوم ٢٩/ ١٢/ ٧٣ ولكن تمكنا أيضًا من تدميره وهنا تأكد للعدو فشل كل خططه ومحاولاته المتنوعة أمام كفاءة قوات حائط الصواريخ

ذلـك الحائـط الذي قضى على آمالـه في معركة أكتوبر، بل قوض عقيدتـه القتالية وقلب أركانهـا رأسًـا على عقـب. وبتدمير هذا الهـدف الموجة انتهى قتالنا فى خـرب أكتوبر مع السـلاح الجوى الإسرائيـلي وقد بلغ إجمالى ما تم تدميره من السـلاح الجوى الإسرائيلي ١١ طائـرة منذ توقف إطلاق النار يوم ٢٥/ ١٠/ ١٩٧٣. ليزداد عدد الطائرات المدمرة المؤكدة ليكون ٢٧٩ طائرة مؤكدة، ٥٧ طائرة غير مؤكدة.

الباب السابع

التعليق والدروس المستفادة

الفصل الثامن عشر

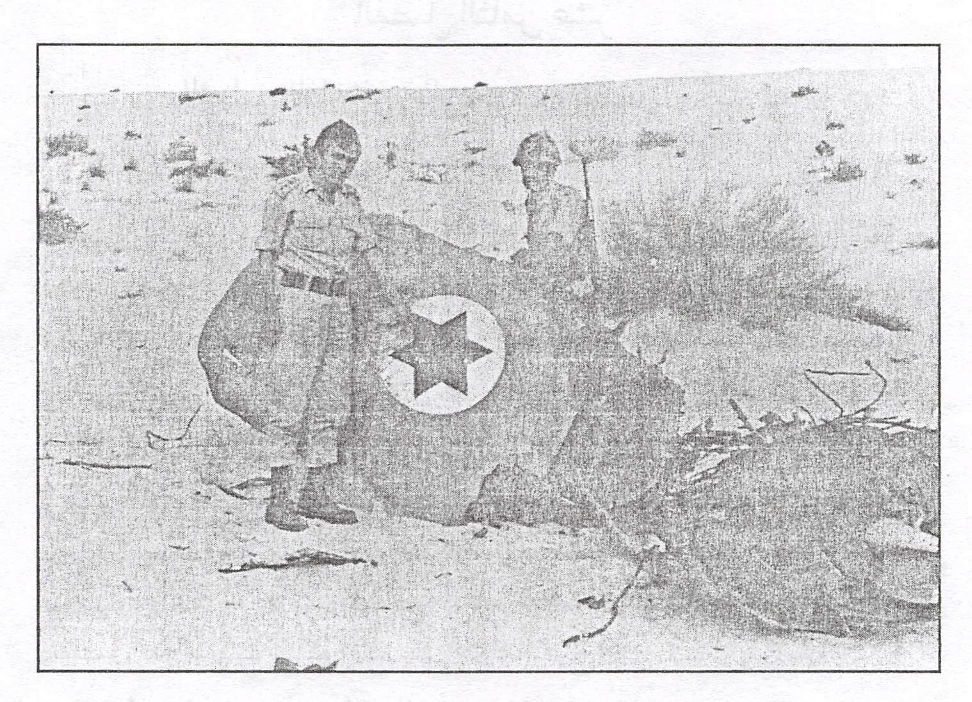
التعليق التاريخى على حرب رمضان / أكتوبر

تعتبر حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ - ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الحرب الرابعة بين العرب وإسرائيل وهى أول حرب انتصر فيها العرب على إسرائيل بعد حروب ثلاث مريرة، ولذا تعتبر هذه الحرب أخطر حدث فى منطقة الشرق الأوسط خلال الربع قرن الماضى، أى منذ مولد دولة إسرائيل لما يحمله من معانى عميقة وآثار بعيدة لم تقتصر فى أبعادها على دول المنطقة العربية بل تعدته إلى العالم أجمع .

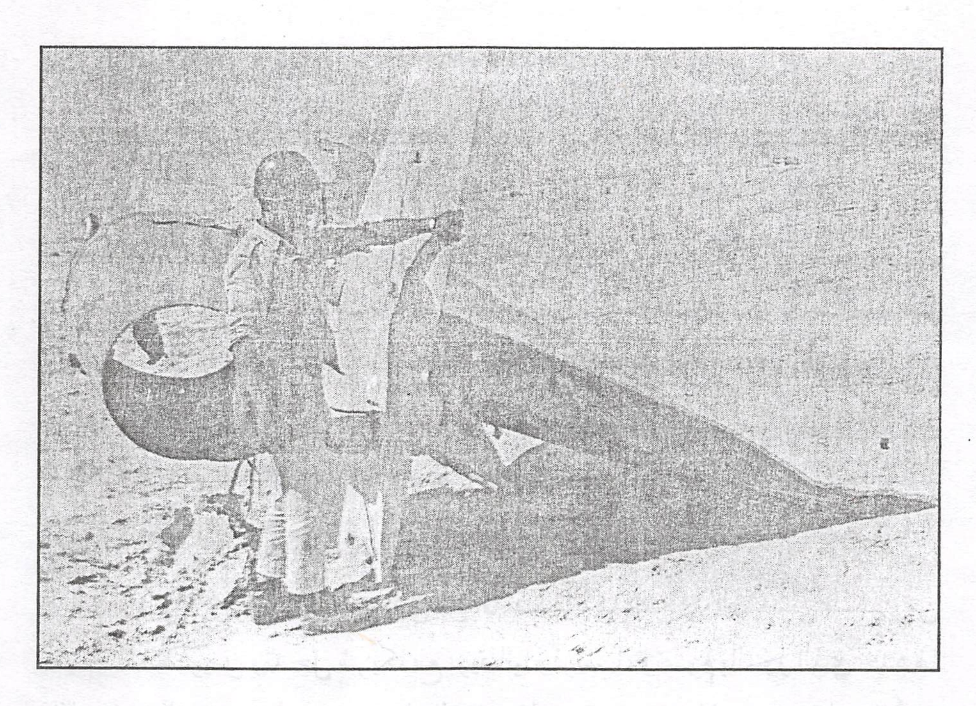
لقد كانت حرب رمضان / أكتوبر أول معركة بعد الحرب العالمية الثانية تقم بين قوات مسلحة نظامية تمتلك قدرًا كبيرًا من أسلحة القتال، تتم على مسرح قتال صحراوى أعد فيه كل من المهاجم والمدافع ما أمكن إعداده من وسائل وتحصينات وتقف فى قناة السويس كأكبر مانع مائى عرفه التاريخ حتى الآن فى صلابتها .

لقد أثبتت هذه الحرب أن الأمة العربية إذا أحسنت تقديرًا إمكاناتها البشرية والاقتصادية والمعنوية واستخدمتها فى المعركة بذكاء يمكنها التأثير على مجرى السياسة العالمية، فالأمة العربية تمتلك قوة بشرية هائلة وتتمتع بقدر كبير من الصفات المميزة التى تجعل من مقاتليها قوة رهيبة كما تمتلك البترول الذى هو عصب الحرب كذا الأموال الطائلة وعلى ذلك فلديها كل مقومات القوة والسيادة اللازمة لعصر اليوم وذلك على النقيض من إسرائيل .

لقد احتلت هذه الحرب قدرا كبيرا من اهتمام الدوائر السياسية والعسكرية فى العالم أجمع، وستظل هذه الأهمية قائمة وذلك راجع إلى ما انطوت عليه هذه الحرب من تغيير فى موازين القوى العالمية والتأثير على قضية الصراع العربى الإسرائيلى .



حطام الطائرات الإسرائيلية



حطام الطائرات الإسرائيلية



فمن الناحية التاريخية

تعتبر هذه الحرب أول حرب ينتصر فيها العرب على إسرائيل منذ مولد الدولة فى مايو ١٩٤٨ - لقد كان الانتصار الإسرائيلى فى حرب ١٩٤٨ راجعا فى المقام الأول إلى بعد نظر قادة إسرائيل وقتئذ واستغلالهم ما أصاب بريطانيا من هزائم فى منطقة الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الثانية وقيامهم بتكوين قوات عسكرية أما على هيئة عصابات مسلحة أو على هيئة وحدات كاملة كانت تقاتل مع القوات البريطانية جنبا إلى جنب . كل ذلك كان يجرى والعالم العربى وقتئذ مفكك الأوصال . تنتابه عوامل الوهن والحقد تلك العوامل التى بذرها الاستعمار البريطانى فى المنطقة منذ تواجد وأخذ يعمل على تنفيذها يوما بعد يوم بالإضافة إلى الضعف الذى كانت عليه الجيوش العربية.

وفى حرب ١٩٥٦ تمكنت إسرائيل من أن تستفيد من الموقف السياسى الناشئ من تأميم قناة السويس وتدخل شريكا مع بريطانيا وفرنسا، وتقوم بالدور الذى حدد لها والذى كان القصد منه هو توجيه نظر القوات المصرية فى سيناء لاستدراج الجزء الأكبر منها . تهيئة لخلق الموقف المناسب لنزول القوات البريطانية والفرنسية فى منطقة القتال ولولا ذلك ما كانت إسرائيل قادرة بمفردها على القيام بهجوم على مصر فى ذلك الوقت.

أما فى حرب ١٩٦٧ فلقد كان انتصارها راجعًا إلى عوامل كثيرة سياسية واجتماعية وعسكرية ألمت بمصر فى ذلك الوقت عوامل عادت بمصر إلى الوراء ولم تعدها خلال مسيرتها إلى التقدم . لقد تمكنت إسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ من تحقيق انتصار ساحق تمكنت به من تحقيق حلم الصهيونية - وإن لم يكن كاملا - وبهذا النصر وصلت إسرائيل إلى حدود آمنة مرتفعات الجولان فى سوريا ونهر الأردن شرقا وقناة السويس جنوبا. وبهذا النصر اعتقدت إسرائيل أنها حققت كل ما تريد والدليل على ذلك ما أعلنه قادتها عقب نصر ١٩٦٧ بأن هذه الحرب هى الحرب التى أنهت كل الحروب وأن أمام العرب لكى يصحو من كبوتهم ما لا يقل عن عشر سنوات كما قدرها أحسن المتفائلين من الإسرائيليين - هذا بجانب تصريحات الزهو والنشوة التى انتابت الإسرائيليين من جراء هذا النصر .

وتتوالى الأيام وتمر السنوات بمرارتها وجمهورية مصر العربية مصرة على استعادة الأرض – واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى وتقابل فى سبيل إعداد قواتها المسلحة للقتال وتحرير الأرض بالكثير من الصعاب فمن مواقف سياسية عالمية تتغير جذريًا وتنادى بتأييد الحق العربى كما حدث بالنسبة لدول أوروبا الغربية إلى مواقف سياسية أخرى تتعاطف مع الحق العربى، ولكن مع اختلاف فى وجهات النظر إزاء حل المشكلة كما حدث بالنسبة للقوتين العظمتين ذلك التعاطف الذى انتهى عام ١٩٧٢ بالوفاق بين القوتين الأعظم والاتجاة إلى نبذ الحروب وحل جميع المشكلات العالمية بالطرق السلمية مما أدى إلقاء ظلال داكنة على المشكلة وبات أمر وضعها فى زوايا النسيان واضحًا .

بجانب هذه المواقف السياسية كانت هناك مشكلة العلاقات المصرية السوفيتية تلك العلاقة التى نشأت فى منتصف الخمسينيات وتمت فى منتصف الستينيات، ثم أصابها الضعف عقب هزيمة يونيو ٦٧ وما لبث أن تحول هذا الضعف إلى عقم أصاب الصداقة المصرية السوفيتية نتيجة لتباطؤ الأخيرة فى الإمداد بمستلزمات القتال من الأسلحة الجديدة أو قطع الغيار والذخائر اللازمة للمعدات ذلك التباطؤ الناتج من عدم قناعة الاتحاد السوفيتى بسلوك طريق الصراع المسلح أسلوبًا لحل المشكلة حتى لا ينهار الوفاق الدولى بين القوتين العظميين .

فى ظل هذه الغيوم الداكنة التى كانت تظل سماء المنطقة العربية أدركت إسرائيل أن فتره أحلامها قد امتدت إلى آجال طويلة وأن احتمال قيام جمهورية مصر العربية بحرب جديدة أمر مستبعد، بل يكاد يكون مستحيلا وأنه فى حالة إقدامها على هذه المغامرة فإن هزيمة ساحقة أكبر من هزيمة ١٩٦٧ ستحل بالعرب وستكون نهاية لاقيام لهم بعدها .

وجاء أكتوبر فكان مفاجأة تامة للجميع العدو والصديق فبالنسبة إلى العدو كان وقع المفاجأة عليه عنيفًا . فقد زلزلت الحرب معتقداته السابقة بأن العرب أصبحوا جثة هامدة لا تنتظر سوى مدارتها بالتراب صحت إسرائيل على المارد العربى يدق أعماقها بقوة وعنف أعماقها النفسية قبل أعماقها المكانية وسارت الحرب من نصر إلى نصر فكان وقع ذلك النصر أشد إيلامًا على النفسية الإسرائيلية التى لا ترضى بالسيادة بديلا؛ لأن معنى الانتصار هدم لكثير من المعتقدات والآراء السائدة لديهم . أما بالنسبة إلى

الصديق فلم يكن هناك من بين الأصدقاء على كثرتهم إلا قلة مؤمنة بأن يوم القصاص آتٍ لا ريب فيه . لقد كان توقع الكثير من الأصدقاء عدم قدرة جمهورية مصر العربية على الحرب وكان تأييدهم لها يتراوح بين التمنيات الطيبة وضرورة التزام إسرائيل بالانسحاب - من الأراضى العربية وتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ ولم يكن ذلك التوقع نابعًا إلا لما لداود الصغير من قدرة عسكرية تفوق كل القدرات . قدرة لا يمكن مجاراتها بالإضافة إلى التفوق التكنولوجى والفجوة الحضارية الموجودة بين كلا الطرفين . أما القلة المؤمنة بأن يوم القصاص آتٍ فقد كانت تعلم تماما أن للمصريين تاريخًا طويلا وحضارة تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ وأن ما حدث لجمهورية مصر العربية أنها له سوابق فى تاريخها القديم فقد غزاها الهكسوس أجداد بنى إسرائيل كما غزاها التتار والنتيجة الحتمية لذلك كانت هزيمة المعتدى والقضاء عليهم ومهما طال الزمن فإن النفسية المصرية لا تقبل الهزيمة وتقبل التحدى وهذا هو سر الحضارة المصرية القديمة التى حافظت على قوتها تراثها منذ القدم إلى اليوم رغم الإعصارات العنيفة التى أحاطت بها خلال القرون العديدة التى مرت بها هذه الحضارة .

ولكن ما العبرة فى ذلك النصر وما الآثار المترتبة عليه فى المدى القريب والبعيد . أما العبرة فإن هذا النصر هو أول نصر للعرب على إسرائيل . والنصر يولد النصر ويحدد ملامح الطريق ويؤدى فى النهاية إلى النجاح . لقد كانت حرب رمضان / أكتوبر بمثابة فجر لاح بعد ليل طويل دامس . ليل عانت فيه الأمة العربية ما عانت من التمزق والتفكك واختلاف الرأى مما ساعد على توطيد أركان دولة إسرائيل .لقد كانت حرب رمضان / أكتوبر دواءً شافيًا للأمراض العربية فكان أن استعاد العرب ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على الحرب كما أدت الحرب والنصر الذى حققته القوات فى ميدان القتال إلى جمع كلمة العرب وكلمة أقل ما يوصف به الشعور العربى ظهر فى شعوب المنطقة على امتدادها وقتئذ.

لقد وقفت الأمة العربية قادة وشعوبًا وراء دول المواجهة خير عون للمقاتلين فى جبهة القتال ذلك العون المعنوى الذى أشعرهم بأن أمثلهم تقف من ورائهم سدًا منيعًاولم يقف الأمر على التأييد المعنوى وإنما تعداه إلى التأييد المادى، بل زاد التأييد حتى

وصل الذروة بقيام دول البترول بقطع البترول مما أدى إلى حدوث ذعر عالمى وخاصة فى دول أوروبا الغربية مما جعل هذه الدول تقف بجانب العرب وتطالب إسرائيل بتنفيذ قرار مجلس الأمن والانسحاب من الأراضى العربية المحتلة والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى.

لقد أوضحت حرب رمضان / أكتوبر أن الدولة اليهودية كما أثبتتها الصهيونية العالمية أمر يستحيل تحقيقه وأنه مجرد حلم تبناه الفكر النظرى لبناة الصهيونية فبعد أربع حروب تمت خلال ربع قرن ورغم المساعدات الضخمة التى تلقتها إسرائيل سواء أكانت مساعدات اقتصادية أم عسكرية أم فنية لم تتمكن إسرائيل من إملاء إرادتها أو فرض شروطها على الدول العربية . لقد كان نصر العرب بعد هزائم ثلاث بمثابة النذير الأخير لإسرائيل بالابتعاد عن تبنى فكرة دولة إسرائيل الكبرى الممتدة من النيل إلى الفرات أو دولة إسرائيل العظمى التى تسيطر على المنطقة وتسخر إمكاناتها لصالحها لقد أدى نصر رمضان / اكتوبر إلى تغيير جذرى فى العقلية الإسرائيلية حركها من الخيال إلى الواقع وانتزعها من أرض الأحلام إلى أرض الآباء والأجداد إلى ذلك الامتداد الأرضى الذى تقع عليه الدولة حاليا.

أما الآثار المترتبة على ذلك النصر فمتعددة فلقد ظهر لإسرائيل تمامًا أن منطق القوة أصبح لا جدوى من ورائه، فالعرب قادرون على أن يسخروا موازدهم للحاق بها وأن ما لدى العرب من كم يعتبر كافيًا لتعويض الكيف كما تدعى إسرائيل لسنين محدودة لا تزيد على ١٥ سنة بعدها يصبح الكم والكيف فى يد العرب . وهنا تكون الطاقة الكبرى على إسرائيل وحتى استقراء التاريخ القديم للمنطقة العربية والتعرف على الإمكانات البشرية والاقتصادية وما تتحلى به الشخصية العربية. من سجايا وصفات حيدة أهمها الشجاعة والرغبة فى التضحية . كل ذلك يجعل بقاء إسرائيل فى المنطقة عن طريق القوة أو ضد إرادة الدول العربية أمرًا مقضى عليه بالفشل فى النهاية .

لقد ظهر لإسرائيل أيضا أن العرب لا يقلون عنهم قدرة فى المجال السياسى لقد كانت هزيمة ١٩٦٧ م . كبوة لإهمال أحد مبادئ الحرب وهو اكتساب الرأى العام العالمى ذلك المبدأ الذى أدى إهمال إلى تخبط فى السياسة المصرية وحيرتها بين الشرق

والغرب تارة بأهداف وأخرى بدون أهداف مما أدى إلى ضياع المصالح القومية لمصر فى الطريق بل وإلى تعثر حركة نمو الدولة ولا شك أن الإمساك بالمجال السياسى العالمى وتحريكه بما يتفق مع متطلبات مصر يعتبر ضربة للسياسة الإسرائيلية التى حاولت منذ وجود دولة إسرائيل أن تحيك الدسائس والمؤامرات للإيقاع بالسياسة المصرية بعيدا عن مصالحها الوطنية ولا شك أن نجاح السياسة المصرية فى فترة ما بعد الحرب قادت إلى مكاسب كثيرة بل وأدت إلى ما هو مطلوب منها من نتائج .

لقد كان لهزيمة يونيو ١٩٦٧ م . وما أحاط بها من ملابسات سياسية قبل المعركة وبعدها وما صاحب الأيام العصيبة التى مرت بها جمهورية مصر العربية عقب الهزيمة من معتقدات سياسية عالمية ومحلية وعقبات اقتصادية وآثار معنوية إلى أن يصحو الشعب المصرى، ويبدأ فى البحث عن ذاته متلمسًا الطريق فى ليل دامس طويل . وجاء نصر رمضان / أكتوبر موضحا معالم الطريق ومحددا ملامح الاستراتيجية السياسية التى يجب أن تسير عليها فى علاقاتها مع جميع دول العالم تلك العلاقات، التى يجب أن يسودها الود والاحترام المتبادل، وتلعب فيها المصالح المتبادلة لشعوب العالم دورها المؤثر كما اهتدى إلى أن أمنه وسلامته بل والأهداف القومية التى تسعى إليها لا تقتصر فى تحقيقها على دولة عظمى دون أخرى وإنما تعتمد على من يمكنه أن يقدم العون لحلها فكان اتجاه مصر نحو دول أوروبا الغربية كلها دون تفرقة بين دولة وأخرى طالبة ودها سببا فى وقوف كل هذه الدول مؤيدة للحق العربى، كما كان الاتجاة الإيجابى لجمهورية مصر العربية نحو أمريكا إحدى القوتين العظميين من ناحية والمتبنية للمصالح الإسرائيلية والأمن الإسرائيلى والمدافعة عنه من ناحية أخرى سببا فى عودة العلاقات الطبيعية بين الدولتين وازدياد هذه العلاقة توثقا وارتباطًا لموضوع الأهداف القومية وثبات الاستراتيجية السياسية على ما خطته لنفسها من مبادئ وأغراض تسعى إلى تحقيقها .

أما فى الجانب الإسرائيلى فلقد أظهرت هذه الحرب أن للتأييد الدولى حدودًا وأن المجتمع الدولى يسير دائما فى اتجاة الحق يعمل على تدعيمه وأن المكاسب السياسية التى حصلت عليها فى السنين السابقة بإظهار العرب بمظهر الوحوش الضارية التى تريد افتراسها وإلقاءها فى البحر إنما هو محض افتراء لا يسنده دليل وأن الادعاءات الإسرائيلية لا أساس لها بل على العكس فإسرائيل هى التى تحتل الأرض العربية بالقوة ولا تريد الانسحاب منها إلا عن طريق الحرب ومن ذلك فقدت إسرائيل كثيرا من

التأييـد الـدولى الذى كانـت تتمتع به، وأصبحت تقاسـى فى المجال الـدولى عزلة دولية وامتعاضًا من المجموعة الدولية لم تألفه من قبل .

أما عن الآثار الاقتصادية فلقد تركت هذه الحرب آثارها على الاقتصاد الإسرائيلى لقد بلغت خسـائر إسرائيل فى المعدات بالإضافة إلى نفقات الحرب ما يقرب من ٣ مليارات دولار رقم كبير لا يمكن للاقتصاد الإسرائيلى أن يتحمله . فالاقتصاد الإسرائيلى يعيش متطفلا على الاقتصاد الأمريكى، إذ من المعلوم أن إسرائيل تكاد تكون خلوًا من خامات الصناعة إذ استثنينا خام الفوسـفات وليس لهـا من مصادر الطاقة إلا النذر اليسـير أما إمكانياتهـا الزراعيـة فهى محدودة جدا، أما الصناعـات القائمة فى إسرائيل فتعتمد كلها على المواد الخام والمصنعة المستوردة من الخارج واقتصاد بهذا الشكل لا يمكن أن يكون قـادرًا على الصمود فى حرب طويلة أو أن يكون قـادرًا على مد عجلة الحرب بمتطلباتها دون معاونـة خارجيـة . لقد أدت الخسـائر التى أصابت الأقتصـاد الإسرائيلى إلى زيادة التضخـم ومـن ثم اضطـرار إسرائيل إلى تخفيـض عملتها عدة مرات ومـا تبع ذلك من اضطرابـات داخلية سـواء بين المثقفين أو العـمال، الكل يطالب بزيـادة الأجور لمجاراة التضخم الكبير الذى أدى إلى ارتفاع السلع والحاجات .

إن الكبوة التى دخل فيها الاقتصاد الإسرائيلى وحاجة الحرب إلى اقتصاد قوى يقيم أودهـا يجعـل من الصعب عـلى إسرائيل فى المسـتقبل القريب أن تشـن حربًا أخرى على الدول العربية وعلى ذلك فليس أمام أسرائيل إلا قبول الأمر الواقع ومحاولة الإبقاء عليه أطول فترة ممكنة حتى تقوم من كبوتها، ولكن هل سـتيسر لها الاسـتراتيجية العربية هذا المشوار أم ستقطع عليها الطريق لإحلال السلام فى المنطقة .

أمـا عن الآثار المعنوية فلقد انهار الفكر الإسرائيلى بعد السـاعات الأولى من الحرب نتيجة عدم توقعه الحرب من ناحية ونجاح القوات العربية من جانب آخر انهارت معه كثير من أحلام السيطرة الإسرائيلية .

إن حلم بناء الدولة بحدودها التى تبنتها الصهيونية العالمية من النيل إلى الفرات بات تحقيقـه أمـرًا صعبًا يصعب تحقيقه بعد صحوة مصر من الثبات العميق الذى كانت تغط

فيه خلال قرن مضى بأكمله تردت فيه مصر من سيئ إلى أسوأ، وفقدت فيه تاج المجد والعظمة الذى كانت تحتله خلال القرون السابقة ولم يكن هذا الحلم هو الحلم الوحيد الذى صحت عليه إسرائيل لتجده واقعًا مرًا، بل كان هناك الكثير من الأحلام التى كانت تراود الإسرائيليين فى بناء دولتهم الكبرى وانهارت جميعها.

لقد كانت السيطرة على البحر الأحمر . أحد أحلامهم فلقد خططوا لذلك وبذلوا الكثير على الصعيدين السياسي والعسكرى كما كان النفاذ إلى القارة الإفريقية للسيطرة على مواردها الاقتصادية وتسخيرها لخدمة الأطماع الإسرائيلية حلما آخر سعت إليه ونجحت فيه أيما نجاح وجاء رمضان / أكتوبر ليهدم كل هذه الأحلام فلقد قفلت مصر البحر الأحمر بالسيطرة على مدخله الجنوبى من منطقة باب المندب كما بادرت كثير من الدول الإفريقية إلى قطع علاقتها مع إسرائيل والوقوف بجانب الأمة العربية تساندها وتؤازرها.

لقد خرجت إسرائيل من الحرب وهى فى حالة صدمة عنيفة لما حدث وساد الشعب الإسرائيلى الاكتئاب . فلقد هزت الحرب المجتمع الإسرائيلى من القاعدة إلى القمة وانتهت الثقة فى الحكام وعادت المخاوف والشكوك عند الزعماء والقادة، وبدأ التساؤل هل فى قدرة إسرائيل أن تشن حربًا وقائية فى المستقبل وما أبعاد هذا المستقبل أى بعدكم من السنين يمكن أن يتم ذلك، فى الوقت الذى نرى الفرق الكمى بين إسرائيل والعرب يزداد والفجوة فى الكيف تتناقص . لقد انتهت أسطورة الجيش الذى لا يقهر والذراع الطويلة التى يمكنها أن تنال من جميع الدول العربية دون عائق يحول بينها .

لقد أدت الحرب والهزيمة التى حاقت بالقوات الإسرائيلية إلى حدوث شرخ فى المجتمع الإسرائيلى، فلقد انعكست الهزيمة على جميع نواحى الحياة فى إسرائيل ابتداء من رجل الشارع إلى القيادة السياسية فى إسرائيل . لقد انقلبت الثقة المفرطة والصلف والغرور الذى انتاب الجميع عقب انتصار الإسرائيليين فى حرب ١٩٦٧م . إلى شعور بالخوف وعدم توفر الأمن الذى طالما تغنوا به مما أرجع الكثير من الإسرائيليين إلى صوابهم، وبالتالى النظر إلى الأمور بنظرة واقعية . ومن هذه النظرة أدرك هؤلاء أن العرب قادرون على مجاراتهم فى الحرب والدفاع عن أوطانهم والثأرلكرامتهم مهما طال الزمن وأن حرب رمضان / أكتوبر بما جلبته من خسائر وتصدع نفسى فى الشعب

الإسرائيلي يجب أن تقود الإسرائيليين إلى الاقتناع أن إسرائيل ليست من القوة بحيث لا تقهر أو انها الدولة التى يمكنها السيطرة على مقدرات المنطقة أو أن لديها أكبر وأعظم قوة جوية يمكن بها أن تغزو أية دولة حتى القطب الشمالى . وفى ظل هذا الاقتناع يمكن التسليم بها للعرب من حقوق وبالتالى تتجه المنطقة كلها نحو السلام .

لقد كانت هذه الحرب أول حرب ينزل فيها بجيش الدفاع الإسرائيلى هزيمة وبالتالى يصيبه خسائر جسيمة فى الطائرات بلغت ٢٧٩ طائرة وخسائر فى الدبابات تزيد من ٨٠٠ دبابة بجانب خسائر فى معدات القتال الأخرى - هذا بجانب الخسائر البشرية التى زادت على ٣٠٠٠ قتيل وأضعاف أضعاف هذا العدد من الجرحى والمشوهين . لقد أدت هذه الخسائر إلى حدوث تصدع فى الحكومة الإسرائيلية، فلقد أصبحت الحكومة هى المسئولة عن الهزيمة والخسائر الفادحة التى لحقت بالجيش الإسرائيلى ولم تتمكن الحكومة الإسرائيلية من الوقوف أمام الغضب العارم الذى أنتاب الشعب الإسرائيلى والمظاهرات الصاخبة التى تنادى بسقوط الحكومة مما ادى فى النهاية إلى تفككها وتهرب المسئولين وإلقاء مسئولية ما حدث على من يستحق وزاد الطين بلة اتجاه الكثير من المسئولين السياسيين إلى لغة السباب والشتائم وفى النهاية سقطت زعامة حزب العمل الإسرائيلى تلك الزعامة التى استمرت ربع قرن تماما منذ مولد الدولة الإسرائيلية، وبدأ تدفق الهجرة إلى إسرائيل يضمحل بينما ارتفع عدد المهاجرين إلى الخارج تحول خطير شهدته إسرائيل من أول ضربة يضربها العرب بالأسلوب الصحيح ولا ندرى لو كانت هذه الضربة أثقل وأعنف أو تكررت فيما بعد - ماذا تكون النتيجة لقد أدت الخسائر الكبيرة فى الأفراد، والتى لم تشهد إسرائيل مثيلا لها من قبل إلى حدوث تمزق كبير فى المجتمع الإسرائيلى لقد خرجت الأمهات لأول مرة فى تاريخ إسرائيل يبكين أولادهن وخرجت الزوجات يندبن حظهن والمصير المظلم الذى ينتظرهن وكذلك فعل الأبناء وفى النهاية طالب الجميع القيادات السياسية بالكف عن الحرب رحمة بجيل الأبناء ولا شك أن هذا التمزق الذى أصاب المجتمع الإسرائيلى كان أيضا من عوامل الإطاحة بحكومة حزب العمل كما أنه سيكون عاملا مؤثرا فى الخطوات التى يجب أن تنتهجها إسرائيل حيال السلام فى المستقبل .

أما الآثار العسكرية التى ترتبت على هذه الحرب فهى عديدة فلقد وضح لإسرائيل كما وضح للعالم حقائق كثيرة عن طبيعية القوى العربية تأتى على أهمها .

إن القوى العربية قادرة على اتخاذ المبادرة وتحقيق المفاجأة وأن كلا العاملين يؤديان إلى نصر فى مراحل الحرب الأولى قد يستمر إذا أحسن تطبيق مبادئ الحرب الأخرى بعد ذلك . لقد تمت المفاجأة الإسرائيلية رغم جميع الاحتياطات التى تتخذها إسرائيل ورغم جميع الأجهزة الإلكترونية التى تستخدمها للتعرف على مدى استعداد القوات المسلحة المصرية للهجوم ويعنى ذلك أن أجهزة الاستشعار من بعد وما يخدمها من حواسب إلكترونية للتحليل كذا وسائل الاستطلاع الجوى المختلفة من صور رأسية ومائلة واستطلاع رادارى وبالأشعة دون الحمراء كل ذلك كان متوفرًا لدى إسرائيل ولم تتمكن من معرفة نوايا القوات المصرية ولو لم تتسرب أنباء الهجوم عن طريق أحد الدبلوماسيين الأجانب قبل بدء الهجوم لكان وقع المفاجأة أعنف مما حدث ولما تمكنت إسرائيل من أن تفيق من تلك الضربة .

إن الجندى العربى قد أجاد استخدام الأسلحة الحديثة بشكل ملحوظ لفت نظر جميع الدوائر العسكرية فهو الذى عمل على وحدات الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات والتى تعتبر أكثر الأسلحة تعقيدا فى النواحى الفنية وأسقط بها مئات الطائرات كذلك هو الذى عمل على الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات، وهو الذى قاتل بها برباطة جأش هجوم دبابات العدو ودمرت منها المئات وأفشل منها عدة هجمات . وإزاء هذا الاستخدام بطل الزعم الذى تدعمه إسرائيل بتخلف الجندى العربى، تلك الفرية التى ألصقتها به إسرائيل ساعدها على التصديق بها ما أصابه من هزائم فى الحروب الثلاث السابقة لهذه الحرب والتى لم يجد منصفًا ينصفه ويبرز دوره فيها ويوضح الأخطاء التى أدت إلى كل هزيمة .

إن الشجاعة كسمة من سمات الأمة العربية هى السمة المميزة للجندى المصرى وأنه فى سبيل الأرض والحق والتاريخ يضحى بنفسه غير عابئ بالنيران والمخاطر التى تحف به والشجاعة وإن كانت سمة إلا أنها تحتاج إلى تعهد وإنماء حتى تترعرع وتؤتى أكلها حينما يحين القتال .

أثبتت الحرب الحدود الآمنة التى تدعيها إسرائيل، والتى جعلتها منهجا تخفى من ورائه نواياها التوسعية فى المنطقة . لقد وصلت إسرائيل لأول مرة منذ وجودها إلى حدود آمنة وحسبت تمامًا أن الأمن قد أتاها، وكانت حرب رمضان / أكتوبر مفاجأة تامة لإسرائيل فصحت إسرائيل على دمار يدق أبوابها ولم تقف الموانع الطبيعية التى حسبتها مستعصية على المهاجمين - وهى كذلك فى الحقيقة - لم تقف حائلا دون تخطيها وتدميرها . فلقد عبرت القوات المصرية قناة السويس فى دقائق معدودة، وتسلقت الساتر الترابى، وبدأت تقدمها وتحرير الأرض المحتلة ثم الاستيلاء على النقط الحصينة فى خط بارليف. كل ذلك فى ساعات محدودة .

لقد انهزمت إسرائيل فى هذه الحرب من حدود آمنة، فهل بعد ذلك تعتبر الحجة الإسرائيلية فى ضرورة وجود حدود آمنة امر قائم . إن أمن الحدود فى ضوء تطور الأسلحة اليوم وفى ضوء التطور الذى يلاحق استخدام القوات المسلحة يمكن فى حسن الجوار والعلاقات الطيبة التى تسود الدول .

لقد اعتمدت أسرائيل فى أمنها على جهاز مخابرات وصفته بأنه قمة أجهزة المخابرات فى العالم وأنه لا يغيب عنه شىء يمس إسرائيل من قريب أو من بعيد فى هذا العالم الواسع وباتت إسرائيل تغط فى نوم عميق اعتمادًا على هذا الجهاز وإذا بها تفاجأ بالحرب، ويفشل أعظم جهاز للمخابرات فى الحصول على معلومات عما يجرى بل وعندما تتضح أمامه صورة الهجوم المحتمل يفشل فى تحليلها وتحديد توقيت الهجوم بجانب ذلك كان الأمن الإسرائيلى يعتمد فى المقام الثانى على قوة جوية فعالة قادرة على إحباط أية عمليات هجومية قبل بدئها أو أثناء بدئها، ورغم أن القوات الجوية الإسرائيلية كانت على تمام الاستعداد وقامت بهجومها بعد بدء العمليات الهجومية فإنها لم تكن مؤثرة، بل خرجت من الحرب منذ الساعات الأولى، وبذا انهارت دعامة الأمن الثانية .

أما دعامة الأمن الثالثة وهى جيش الدفاع الإسرائيلى فلم يكن حظه بأفضل من سابقيه فمن المعلوم أن هذا الجيش يعتمد على تعبئة الاحتياط لاستكمال قواته وأن تعبئة الاحتياط تتوقف على مدى الإنذار الذى توفره المخابرات وقد فشلت فى ذلك بالإضافة إلى ما تمكنت القوات الخاصة من المظليين والصاعقة المصرية من أدائه لتعويق حشد

القوات الاحتياطية مما أثر على حجم القوات الإسرائيلية فى مواجهة القوات المسلحة المصرية .

أما دعامة الأمن الرابعة فهى تبنى إسرائيل لعقيدة الحرب الخاطفة وإنهاء الحرب فى أقصر وقتاً قبل أن تتدخل القوى الدولية فى الموقف وتحسمه، وفى هذه الحرب خاب أملها فامتدت الحرب أكثر من ١٥ يوما وتدخلت الدول الكبرى لحسم الموقف .

أما دعامة الأمن الخامسة فهى الحدود الآمنة ومن الحدود الآمنة انهزمت إسرائيل ويعنى ذلك أن الحدود الآمنة بالإضافة إلى غيرها من دعائم نظرية الأمن الإسرائيلى لم تقف كلها حائلا دون هزيمة إسرائيل . والسؤال الذى يطرح نفسه هنا بعد هذا الدرس ماذا يجب على إسرائيل أن تتبعه فى المستقبل، هل ستستمر حاملة للسلاح كالقلعة المسلحة وتتحين الفرصة للانقضاض على الدول العربية وهل لدى إسرائيل قناعة بان العرب يمكنهم السكوت عن حقوقهم المسلوبة مهما طال الزمن ومهما كانت الخسائر التى تصيبهم، وإذا كان هذا مستحيلا، فهل معنى ذلك أن تظل القلعة تذخر بالسلاح وتضع أيديها على الزناد وتراقب الموقف بعين متيقظة . لا شك أن ذلك وإن كان غير مستبعد إلا أنه لا يمكن أن يستمر لزمن طويل وخاصة بعد صحوة الدول العربية إذا لا مناص من أن تخضع إسرائيل للواقع الجديد فى المنطقة وتعمل جادة على حل مشكلة الشرق الأوسط حلا عادلا وإلا فعليها أن تحمل السلاح إلى الأبد وسيأتى اليوم الذى تنتهى فيه وتعود إلى صوابها وليس هذا اليوم ببعيد .

الفصل التاسع عشر

الدروس المستفادة

لقد تمخضت حرب رمضان / أكتوبر ٧٣ عن كثير من الدروس المستفادة سواء على المستوى الاستراتيجي أو التعبوي أو التكتيكي، ونظرًا لطبيعة الصراع المسلح في المنطقة وامتداده زهاء ربع قرن، وما حاق بإسرائيل من هزيمة لم تكن متوقعة لها سواء على الصعيد المحلى أو العالمي بالإضافة إلى ما تميزت به حرب رمضان / أكتوبر من استخدام للعديد من الأسلحة المتطورة مع طول أمد القتال، كل ذلك أضفى على هذه الحرب أهمية خاصة، إذ أصبحت مجال تحليل جميع الدوائر العسكرية في العالم بغرض التعرف على أسباب النجاح وأسباب القصور ومدى ما حققته الأسلحة المختلفة من نتائج وأى الأساليب كانت محل النجاح وأيها كان مصيره الفشل وما أسباب النجاح والفشل في كل موقف وذلك جريًا وراء استنباط أساليب جديدة للقتال أو تعديل القائم منها بالإضافة إلى تطوير أسلحة ووسائل القتال على ضوء الخبرة المكتسبة من هذه الحروب .

لقد قام حائط الصواريخ بدور بارز في هذه الحرب بل يعتبر أبرز دور على الإطلاق وذلك راجع إلى النتائج الباهرة التي تحصل عليها، فلقد دمر للعدو ٢٧٩ طائرة من مختلف الأنواع وحاز بأسلوبه ونتائجه وتصديه لمدرعات العدو في الغرب على كبر حجمها إلى إعجاب المراقبين العسكريين وإليك قليل من كثير مما ذكروه، فلقد ذكر أحد التقارير السرية الإسرائيلية أن الجيش الإسرائيلى لم يكن في بداية الحرب قادرًا على تقديم المعاونة الجوية لقواته البرية وذلك راجع إلى الكميات الهائلة من أسلحة الدفاع الجوى ذات التكتيك الرائع من الأنواع سام ٢، ٣، ٦، ٧ . وإذا كان نظام التسليح معروفًا بوضوح فإن الكميات الكبيرة التي ظهرت كانت عاملا من عوامل المفاجأة السلبية إما

نـا حـوم جولد مان فلقد ذكر فى مقال فى مجلة (نيواوات لوك) لقد حارب العرب بكفاءة أعلى مما كانوا فى ١٩٦٧ هذا علاوة على أنهم استطاعوا كسب أراض جديدة . ولقد كان أهـم انتصـار لهم هو تدمير قوة الطيران الإسرائيلى أما مجلـة (صنداى تايمز) Sunday Times فلقـد علقـت على حرب رمضـان / أكتوبر بقولها لقد كانـت مهمة القوات الجويـة الإسرائيليـة أعتبـارًا من يوم الأحـد ٧ أكتوبر هـى تدمير المعابـر المصرية المقامة على قناة السـويس . لقد كانت مهمة مكلفة وفاشـلة . لقد أدت الهجمات إلى قتل العديد من الطيارين الشـجعان ولم تدمر الكبارى . لقد تم إحداث الخسـائر المطلوبه للكبارى بواسطة المدفعية بعيدة المدى ١٥٥ مم / ١٧٥ مم.

أما مجلة تايم فقد ذكرت فى ٢٩ أكتوبر أن السـيطرة على نظام الدفاع الجوى فى جبهة القنـاة يعتـبر أمرًا صعبًا للغاية، ولكـن النجاح كان حليف المصريـين فى ذلك . كما ظهر الاسـتخدام المصرى للصواريخ قد تم التخطيط له بعناية وتم تنفيذه بدقة ثم تسـاءلت «هـل كانت التكتيكات المخططة تسـير كما كان متوقعًا لهـا أم أفضل مما كان متوقع، وما التغييرات التى تمت فى الاستخدام التكتيكى لهذا السلاح .

أما تحليل العسكريين الأمريكيين لحرب الشرق الأوسط الذى ظهر فى مجلة نيوزويك فى ٢/ ١١/ ٧٣ فقـد جاء فيه بعد سرد لمعركة الدفاع الجوي وتحديد نوع الأسـلحة التي كان لها أكبر تأثير عن غيرها وفقًا للمعلومات التى حصلوا عليها أن المصريين استخدموا صواريخ سام بفاعلية كبيرة ولكنهم أجادوا بطريقة لم تكن متوقعة مما عوض عن فاعلية الطائرات السوفيتية .

لقـد ذكرت ذلـك لأوضح مدى نجـاح حائـط الصواريخ فى معركته ضـد القوات الجويـة الإسرائيليـة، والتـى اسـتحوذت على اهتـمام كل الدوائـر العسـكرية فى الغرب والـشرق، بل ولا تزال تسـتحوذ على نفـس الاهتمام بغرض التعرف عـلى تفاصيل هذه المعركة سـواء من ناحية أسـلوب القتال أو الاسـتخدام التكتيكى للمعدات أو أساليب التغلب على الإعاقة الإلكترونية وما وسائل الإعاقة المضادة التى اتبعت للتغلب عليها، وهل كانت مقصورة على الوسـائل الفنية أم كان للوسائل التكتيكية فيها نصيب كذلك التعـرف على الأسـباب التـى أدت إلى ارتفـاع احتمالات الإصابة عما هـو معروف وعما

كان سائدًا من قبل سواء فى المسرح المصرى أو فى المسرح الفيتنامى . هذا قليل من كثير تعمل كل الدوائر العسكرية وتلك ألهمته بدراسة تاريخ الحروب وتحليلها إلى الوصول إليه، مما يخلق فكرًا جديدًا واسلوبًا مناسبًا وسلاحًا متطورًا يقضى بمتطلبات حروب المستقبل .

ونعد الآن إلى الدروس المستفادة من هذه الحرب فيما يختص بالدفاع الجوى وهى وإن كانت عديدة إلا أننى سألتزم بذكر البعض دون البعض الآخر .

المفاجأة الاستراتيجية

إن قيام جمهورية مصر العربية وسوريا بالحرب فى رمضان / أكتوبر يعتبر تحديًا لكل الموازين المتعارف عليها . ومن هنا كانت المفاجأة الاستراتيجية والتى ستستمر قائمة في أذهان الإسرائيليين. لقد كانت دعائم الاستراتيجية كلها ليست فى صالح مصر للقيام بحرب الدعائم السياسية والاقتصادية والبشرية والنفسية والعسكرية .

فمن الناحية السياسية كانت مصر تحاول جاهده العمل على اكتساب التأييد السياسى لقضيتها وخاصة مع دول الغرب ذات الثقل والوزن العالمى فرنسا وإنجلترا وألمانيا، ثم أمريكا بما لها من ثقل كقوة عظمى ولما لها من مركز ونفوذ فى إسرائيل فهى التى تنبت الدولة منذ نشأتها، وهى التى تقيم أودها وتقدم لها كل ما تحتاج إليه من مساعدات عسكرية واقتصادية ودعم سياسى عالمى . وهى فى هذا المضمار لا يمكنها أن تصل إلى ما ترنو إليه من علاقات تصدعات خلال ما يقرب من عشرين عامًا كثيرًا من الحقد والمرارة لدى هذه الدول فكان كسبها لتأييد الحق العربي وإزاحة إسرائيل عن المركز الممتاز الذي احتلته لدى هذه الدول أمرًا معقدًا وبالغ الصعوبة .

أما العامل الاقتصادي، فلقد كان الاقتصاد المصري بتحركه نحو الخط الاشتراكي فى أوائل الستينيات قد بدأ يأخذ شكلا وأوضاعًا جديدة ارتبط فيها بالنظام الاقتصادي السوفيتي واتجه يميل نحو الماركسية تمامًا وضاعت المسئولية وروح المنافسة، وانتهت فيه قدرة الفرد على الخلق والإبداع مما أدى فى النهاية مع تعاظم النفقات العسكرية

خلال حرب اليمن وحرب يونيو ٦٧ وما بعدها إلى أن نصل إلى مرحلة الإفلاس ومن الواضح أنه لا يمكن لدولة يصل اقتصادها إلى هذا الوضع أن تقوم بأي حرب تحتاج إلى مئات الملايين من الجنيهات .

أما العامل البشرى فلم يستحوذ أي اهتمام خلال السنين التي تلت ثورة ١٩٥٢ لقد بنت ثورة يوليو ٥٢ العديد من المصانع، ولكنها لم تبن الإنسان المصري الذي هو عماد كل نجاح على هذه الأرض ولم تبق عليه كما كان قبل الثورة والإنسان ما هو إلا روح وعقل وجسد وغذاء الروح الإيمان وغذاء العقل العلم والثقافة أما الجسد فمقوماته الصحية والغذاء والرياضة . لقد أدى - التخبط فى الخط الاشتراكي إلى إهمال الناحية الروحية وإلى إلغاء الثقافة والهبوط بمستوى التعليم وإلى عدم إمكان تحقيق القدر اللازم من المقومات المطلوبة للجسد ومن هنا كان الحكم على الفجوة الحضارية الموجودة بين الفرد في إسرائيل وذلك الموجود في جمهورية مصر العربية والتي يعتبرها الاستراتيجيون عاملا معاكسًا للاستراتيجية القومية المصرية، إذ أن هذه النوعية لا يمكنها تفهم واستيعاب المعدات الحديثة المعقدة ولا يتوافر لديها القدرة على التصور وإدارة المعارك الحربية التي تتسم بخفة الحركة العالية والحشد الكبير من القوات والأسلحة المختلفة والتي تدور على مواجهات واسعة .

أما العامل النفسي فلقد لحقه الإهمال هو الآخر فليس أشق على النفس البشرية من أن تعيش حياة غير آمنة على النفس أو الرزق وهنا ضاعت القدرة المصرية التي أعطاها الخالق - سبحانه وتعالى - لهذا الشعب القدرة على العمل والإنتاج وتحمل المسئولية والخلق والابداع كما اهتزت عوامل الشجاعة والثقة بالنفس والقدرة على اقتحام الأخطار وكلها صفات لازمة لأى شعب يريد أن يجد له مكانًا تحت الشمس . لقد عاش الشعب المصري في ضوء التوجيه الإعلامى الخاطئ الذي كان يوجه إليه ليلا نهارًا، عاش أحلامًا سعيدة بني فيها آمالا عريضة، ثم استيقظ فجأة على واقع هزيمة يونيو ٦٧ فكان رد الفعل النفسي عليه عميقًا وأصبح احتمال قيامه من هذه الكبوة أمرًا صعبًا .

أما العامل العسكري فيكفى أن تعلم أن كل ما سلح به الاتحاد السوفيتي جمهورية مصر العربيّة كانت كلها أسلحة دفاعية وأنه بمقارنة القوات كمًا ونوعًا لوجدنا أن ميزان القوى يميل في صالح إسرائيل بل ويجزم بعدم قدرة جمهورية مصر العربية شن أية حرب لا في أكتوبر ٧٣ ولا بعد ذلك بعدة سنين ورغم ذلك قامت جمهورية مصر العربية بالحرب .

ومن كل ذلك تمت المفاجأة الاستراتيجية وأوضحت بجلاء أن الحضارة المصرية وخصائص الشعب المصرى المميزة قادرة على الإتيان بالمفآجات غير المنظورة وغير المحسومة فى أى وقت ويجب على إسرائيل وغيرها أن تعمل لهذه المعطيات حسابها .

الضربة الجوية من الوجهة الاستراتيجية

لم تكن الضربة الجوية التى قامت القوات الجوية الإسرائيلية على جمهورية مصر العربية فى حرب يونيو ١٩٦٧ الأولى فى التاريخ العسكرى فلقد سبقتها عدة ضربات خلال الحرب العالمية الثانية وكذلك لن تكون الأخيرة فى تاريخ الحرب ولنجاح أية ضربة جوية يلزم توافر العوامل التالية :

أ- المفاجأة التامة فى توقيت الضربة الجوية، إذ أن اكتشافها يفقدها قيمتها وقوتها ويلحق بالقوات المهاجمة خسائر كبيرة أو قد تؤدى إلى إحباطها وتدمير القوة المهاجمة .

ب- أن يكون حجمها متفقًا مع الأهداف المطلوب مهاجمتها ونسبة التدمير - المطلوبة لكل هدف .

ج- عدم التعرض لوسائل الدفاع الجوى من صواريخ ومقاتلات إلا لأقل فترة زمنية .

د- الدراسة السليمة للحقل الرادارى المعادى لاكتشاف ما به من اتجاهات قوة أو ضعف .

هـ- سلوك طرق الاقتراب غير المغطاة بالكشف الرادارى، أو التى يكون فيها الكشف الرادارى محدود بما لا ييسر استعداد وحدات الدفاع الجوى .

و- استخدام طرق الاقتراب غير المباشرة للأغراض الموجودة بالعمق وتلافى المناطق الدفاعية ولتحقيق المفاجأة على الغرض وإرباك عمليات المقاتلات .

ز- التزامن للضربة الجوية - على قدر الإمكان - أمر ضرورى للعمل على تشبع الحقل الرادارى مما يعقد الموقف الجوى ويربك القيادة والسيطرة ويعمل على بعثرة مجهود المقاتلات .

ح- استخدام الارتفاعات التى تتناسب مع مدى الطائرات وإمكان الإفلات من الاكتشاف الرادارى إلا على مسافات قريبة .

وتعتبر المفاجأة أهم عامل لنجاح الضربة الجوية ولنا ما حدث فى حرب ١٩٦٧ وحرب الهند والباكستان عام ١٩٧٢ خير دليل على ذلك ففى الأولى طلب قائد القوات الجوية الإسرائيلية قواته بالعودة فى حالة ما إذا تم اعتراضهم بالمقاتلات المصرية لما يعنيه ذلك من استعداد عناصر الدفاع الجوى المصرى للقتال وفى الثانية تمكنت الهند فى معرفة نوايا الباكستان فأخلت مطاراتها فى وقت مناسب مما أدى إلى فشل الضربة الجوية الباكستانية لتعود الطائرات الباكستانية إلى مطاراتها فتجدها قد تدمرت وبذا لم تستطع الهبوط فتدمر فى الجو .

وتحقيق المفاجأة فى العصر الحديث بعد تقدم وسائل الاستطلاع المختلفة يعتبر امرًا صعبًا إلا فى الحالات الآتية :

أن يكون الجو السياسى قبل بدأ الحرب مهيأ للتهدئة ونبذ الحرب كما حدث فى الضربة الجوية التى حدثت ضد الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور ففى الوقت الذى كان فيه وزير خارجية اليابان يتفاوض فى أمريكا لتحسين العلاقات بين الدولتين وجهت اليابان ضربتها الجوية .

أو أن يكون الدفاع الجوى فى حالة استرخاء كما حدث فى حرب يونيو ٦٧ فلولا هذا الاسترخاء الذى كانت عليه قيادات وتشكيلات الدفاع الجوي لما أمكن لهذه الضربة الجوية أن تحقق كل أغراضها من تدمير للقوات الجوية المصرية فى مطاراتها ومن تعطيل للمطارات تلاها بعد ذلك تدمير مواقع الرادار وكتائب الصواريخ أرض جو دون خسائر تذكر .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن، ما احتمالات الضربة الجوية فى المستقبل؟ وللرد على هذا السؤال يجب أن نعلم أن أغراض الضربة الجوية يتم الدفاع عنها بوسائل الدفاع

الجـوى المختلفـة من مقاتـلات وصواريـخ موجهـة م/ ط ومدفعية مضـادة للطائرات بجانـب توزيعها الاسـتراتيجى على مناطق محدودة وفى ضوء حـرب أكتوبر والدروس المسـتفادة مـن حروب الشرق الأوسـط أصبح من الـضرورى توفير الوقايـة لكثير من الأغـراض سـواء بإقامتهـا تحـت الأرض أو إقامـة تحصينـات خاصة لها فـوق الأرض كالمطـارات وقواعـد الصواريخ ومواقع الـرادار وذلك بغرض تقليل الخسـائر فيها إلى حـد كبـير وزيادة قدرتها على الصمـود فى المعركة وفى ضوء توفر وسـائل الدفاع الجوى الإيجابية بالقدر اللازم مع توفر الوقاية للاغراض المختلفة المعرضة بإقامة ما يلزم لها من تحصينات نجد أن احتمال الخسـائر بات ضعيفًا ولا يتناسـب مع المجهود الضخم الذى يعـد للضربة الجوية ولا يتعادل مع الخسـائر المنتظر أن تتـم فى طائرات هذه الضربة . إن اسـتعداد الدفاع الجوى لصد وتدمير هـذه الضربات كفيل بالعمل على إحباطها وإنزال خسائر كبيرة بالطائرات المهاجمة ومن هنا اتجه التفكير بالنسبة للدول العظمى إلى إتمامها بالوسائل الصاروخية سواء أكانت رءوسًا تقليدية أم نووية .

حائط الصواريخ يحقق المفاجأة

حقـق حائـط الصواريخ فى حرب رمضــان / أكتوبر المفاجأة على المسـتوى التعبوى والتكتيكى والفنى والنفسى .

فعـلى المسـتوى التعبوى لعب حائـط الصواريخ دورًا بارزًا فى إخفـاء ما يبغى العدو فى الحصول من معلومات عنه . ولقد كانت وسـائل العدو المتيسرة فى ذلك الاسـتطلاع الجوى بأنواعه أجهزة الاستشعار المتوفرة لديه، العملاء ومن جميع الوسائل السابقة كان يهدف الى معرفة عدد الكتائب التى يتكون منها حائط الصواريخ وأوضاع تمركزها على الأرض ونوعياتهـا والترددات التى تعمل عليها وأسـلوب إشـعاعها فى الفراغ الجوى. وكان علينـا أن نعمل عـلى منعة من الحصول على هذه المعلومـات أولا وأن نعطيه قدرًا من المعلومات مخطط ليخدم مهمة التشـكـيل سـواء فى الخطة الدفاعية التى كانت قائمة أو فى الخطة الهجومية وكان سبيلنا لذلك الوسائل الآتية :

أ- استخدام المواقع الهيكلية بكثرة سواء فى المواقع التبادلية أو الهيكلية وإظهارها بمظهر المواقـع الحقيقية تمامًا وذلك باسـتخدام المواد المعدنيـة فى تصنيعها وإضافة العديد من العواكس الركنية لزيادة قوة الإشعاعات المرتدة منها .

ب- إخفاء المواقع الحقيقية والتبادلية بأسلوب واحد لإيجاد التطابق بين الاثنين .

ج- إيجـاد الحياة فى المواقع التبادلية بإيواء العنـاصر الإدارية منها لإيجاد حياة كاملة فيها بالإضافـة إلى إعطائها حيويـة فنية بالمنـاورة إليها تارة بوحـدات الصواريخ وتارة بأجهزة رادار تخصص لذلك .

د- المنـاورة بكتائـب الصواريـخ إلى المواقـع التبادليـة أو إلى المواقـع الهيكليـة فى بعض الأوقـات بكتائـب الصواريـخ أو أجهـزة الـرادار وفقًـا لمقتضيات المعركـة المقبلة وطبيعة المعلومات المطلوبة إعطاؤها للعدو .

هـ- خلق مراكـز قيادة جديدة عـلاوة على القيـادات القائمة وقيامها بممارسـة القيادة الفعليـة عـلى مواقع تحدد لها، تحوى بعـض المواقع التبادلية بجـوار المواقع الحقيقية أو بعـض المواقـع التبادلية بجوار بعـض المواقع الهيكلية أو مزيـج من الجميع وفقًا لشـكل تشـكيل القتال المطلوب إعطاؤه للعدو ورغبة فى تصديق العدو لما يقدم له من طعم كانت هذه القيادات تمارس القيادة فعليًا، وتسـتخدم اللاسلكى فى قيادتها لوحداتها وترسل الكثير من المعلومات الحقيقة وفقًا لتخطيط مسبق لذلك .

و- احتـلال مواقـع المعركـة فى وقت متأخـر - يوليو٧٣. بأسـلوب يوضـح للعدو أن الغرض هو منع العدو من الاستطلاع الجوى على مقربة من القناة مع تغيير المواقع والوحدات كل فترة زمنية بمواقع أخرى . ووحدات جديدة حتى لا يفطن العدو ولما يجرى واسـتمر هذه الأسـلوب إلى إن كان صباح يـوم ٥ أكتوبر، حيث تواجد حائـط الصواريـخ فى مواقعـه القتاليـة وكان لـه من كتائـب الصواريـخ ٩ كتائب صواريخ تقع على مسـافة من ٦-٨ كم غرب القنـاة بزيادة ٣ كتائب عن الأوضاع التى كانت سائدة منذ يوليو ١٩٧٣؛ ولذا لم يفطن العدو إلى أن هناك هجومًا يجرى الإعـداد لـه إذ أن هذه الزيـادة فى عدد الكتائـب يعتبر إجراء عاديًـا لا يتم عن أى

استعداد للهجوم فعدد المواقع الأمامية التى احتلت للمعركة كان مساويًا لقصف عدد المواقع الكلية الموجودة على هذه المسافة من القناة .

ز- استخدام أكثر من خطة خداع بغرض إرباك المعلومات التى تحصل عليها العدو.

ح- فرض الصمت الجزئى أو الكلى على حائط الصواريخ للاحتفاظ بالصورة المهزوزة لدى العدو وقد تم ذلك حتى قامت حرب رمضان / أكتوبر .

ط- إحكام التخطيط لكل هذه العمليات حتى تؤدى كلها فى وقت واحد إلى تحقيق المهمة المطلوبة.

فى ضوء كل هذه الإجراءات ماذا كانت النتيجة المتوقعة . لقد قدر العدو حجم وحائط الصواريخ حسب ما أدلى الطيارون الأسرى بنحو ١٠٠ كتيبة صواريخ وأن لواء الصواريخ يتكون من ٨ - ١٠ كتائب؛ أى أن هناك ما يتراوح بين ١٠ - ١٢ لواء صواريخ فى حائط الصواريخ وبذلك يمكن القول إن حائط الصواريخ قد حقق لنفسه المفاجأة التعبوية بإظهار حجمه أكبر من اللازم مما أدى إلى وجود انعكاسات لذلك على مستوى التخطيط والتنفيذ للعمليات الجوية الإسرائيلية فى حرب رمضان / أكتوبر كما أن وجوده فى مواقع المعركة منذ يوليو ٧٣ ساعد فى إخراج المفاجأة الاستراتيجية الى حيز الوجود إذ أن استعدادات الصواريخ الموجهة أرض - جو والمقاتلات هما لتدبر للعدو بقرب بدء الهجوم ووفقًا لما توضح كان تقدير العدو بالنسبة لتواجد وحدات الصواريخ فى مواقع المعركة تقديرًا سلبيًا .

أما على المستوى التكتيكى فقد تمكن حائط الصواريخ من تحقيق المفاجأة على النحو التالى :-

استخدام أساليب قتال متميزة مع العدو

لقد استخدم حائط الصواريخ اساليب قتال جديدة سواء فى الاشتباك مع الأهداف المنخفضة أو المناورة أو تلك القائمة بالتداخل - تلك الأساليب التى نبعت من الدراسة المستمرة لأساليب العدو وماذا يجب اتخاذه للتغلب عليها دعمتها الخبرة المكتسبة من مسرح القتال المصرى والفيتنامى . لقد كان لهذه الأساليب الأثر الأكبر فى إفقاد العدو اتزانه بعد ساعات من بدء الحرب كما كان لها أثر بالغ فيما حاق بالقوات الجوية الإسرائيلية من هزيمة وصلت إلى تدمير ٢٧٩ طائرة للعدو؛ أى أكثر من ٥٠٪ من قواته الجوية .

خفة الحركة

تعتبر خفة الحركة سمة مميزة لمعركة الأسلحة المشتركة الحديثة وعلى ذلك يجب أن تكون عناصر الدفاع الجوى المكلفة بوقاية هذه القوات على درجة كافية أو مماثلة لهذه القوات حتى يمكنها أن توفر الوقاية لها دائمًا وخفة الحركة هى الوسيلة لرفع قدرة الوحدات على المناورة ولم يكن ما نبغيه فى هذا الاتجاه مقصورًا على زيادة خفة حركة الوحدات بزيادة قدرتها على التحرك وإتمام تحركها بسرعة، ولكن كان لخفة الحركة التى نفيها معان أخرى تتمثل فى الآتى :

* توفر قادة على جميع المستويات لديهم القدرة على التفكير السريع والخروج بقرارات صحيحة ودقيقة .

* توفر قادة لديهم القدرة على التصور والابتكار وأعمال العقل دائمًا فى المشكلات التى تحيط بهم مما يؤدى بالتالى إلى سرعة التفكير .

* السرعة فى تنفيذ المهمة المكلفة بها الوحدات إذ أن التأخير فى التنفيذ قد يؤدى إلى نجاح محدود للعدو قد ينقلب إلى نجاح أكبر أو يؤثر على النواحى المعنوية للقوات خلال القتال .

* السرعة فى تنفيذ الاشتباك بواسطة قادة كتائب الصواريخ أرض - جو ذلك من ناحية سرعة تقدير الموقف - تحديد أسلوب الاشتباك وتحديد لحظة إطلاق الصواريخ بما يضمن أفضل احتمال لتدمير الهدف .

* تقصير الذيل الإدارى على جميع المستويات - فالاحتياجات الإدارية لوحدات الصواريخ من وقود - صواريخ - ونواحى فنية ومختلف متطلباته الإعاشة اليومية تحتاج إلى العديد من العربات مما يحد من خفة الحركة؛ لذا يجب أن يتجه التفكير دائمًا إلى ما من شأنه تقليل طول هذا الذيل وذلك بإيجاد نوعيات بديلة وخفيفة الوزن واستخدام عبوات سهلة التوزيع وعربات ذات حمولات كبيرة ولها القدرة على السير عبر الأراضى.

* الاحتفاظ بمناطق إدارية محملة، تقع خلف الوحدات مباشرة تحوى كل الاحتياجات الإدارية والفنية بما فى ذلك الصواريخ المضادة للطائرات وذلك لتوفير احتياجات الوحدات المقاتلة فى أقل وقت ممكن .

حشد الصواريخ

لقد يسر مدى الصواريخ أو بمعنى آخر اتساع منطقة التدمير إلى إمكان حشد صواريخ أكثر من كتيبة صواريخ واحدة فى الفراغ الجوى لمقابلة الهجمات المركزة للعدو على قطاع ما فإذا تصورنا كثافة الصواريخ كانت ٢-٣ كتيبة صواريخ للكيلو فى المواجهة وأن مدى كتيبة الصواريخ يصل إلى ٢٧ كم وأن العدو يقوم بهجومه الجوى على مواجهة ٦ كم لوجدنا أن هناك عدة كتائب يمكنها توجيه نيرانها لإحباط هذه الهجمة وتدمير أكبر عدد من الطائرات ويتوقف تحديد الكتائب التى تخصص لتنفيذ المهمة على ارتفاع الهدف ومسافته ومدى خطورته على القوات البرية ونوع التداخل ودرجة شدته وأخيرا مدى استعداد هذه الكتيبة أو تلك وقدراتها الفنية على تحقيق المهمة بنجاح ولا شك أن هذا الخيار يعتبر محك النجاح عند التنفيذ لقد أدى هذا الأسلوب إلى إحباط كل الهجمات المركزة التى كان يقوم بها العدو على القطاعات المختلفة التى تعمل فيها القوات البرية شرق القناة .

أما المفاجأة الفنية التى حققها حائط الصواريخ فقد كانت كل تصور وخيال، بل وفاقت أكبر الأحلام تفاؤلا وكان ذلك مرده الانطباعات والنتائج التى ترسبت فى الأذهان عن قتال الصواريخ سواء على المسرح الفيتنامى أو المسرح المصرى خلال حرب يونيو ٦٧ وحرب الاستنزاف بما فى ذلك قتال يوليو ٧٠. لقد أدت هذه الانطباعات والنتائج إلى اعتقاد جازم لدى إسرائيل بقدرتها على محو حائط الصواريخ فى اقل من ساعة وكان اقتناعها بذلك راجعًا فى المقام الأول إلى العوامل الآتية :

- المعرفة التامة بخصائص بعض أنواع الصواريخ نتيجة لوقوع إحدى الكتائب فى أيديهم سليمة فى حرب يونيو ١٩٦٧م .
- وجود قصور فى إمكانات الصواريخ القتالية خاصة عند التعامل مع الأهداف المنخفضة والمنخفضة جدًا والأهداف المناورة.

- معدات الصواريخ الموجودة لدينا تعتبر من الأجيال الاولى التى أنتجها الاتحاد السوفيتى وكأى معدة إلكترونية يتأثر عمرها بمرور الوقت مما يجعلها كثيرة الأعطال والتوقف عن العمل ويؤدى هذا بالتالى إلى إضعاف كفاءتها القتالية .

- اعتقادة القيادة الإسرائيلية بعدم قدرة المصريين على تشغيل المعدات وإصلاحها نظرًا لنقض الكفاءة الفنية لدى المصريين .

- الثقة التامة فى إمكان شل حائط الصواريخ بما تمتلكة إسرائيل من وسائل إعاقة إلكترونية أثبت نجاحها من قبل ولحقتها يد التطوير لزيادة فاعليتها .

ولكن كانت النتيجة عكسية تمامًا ووقعت المفاجأة الفنية وكان لوقعها صدى على القوات الجوية الإسرائيلية كما كان لها نفس الصدى على الدوائر العسكرية المختلفة التى كانت مفرطة الثقة بإسرائيل، ولكن كيف تمت المفأجاة الفنية لقد تمت بالعديد من الوسائل منها:

- ابتكار أساليب فنية جديدة للاشتباك مع العدو وتطوير الأساليب القديمة .

- إعطاء المزيد من العناية للتدريب الفنى والتركيز على التفاصيل الفنية لخلق كوادر على مستوى فنى عالٍ يمكنها تفهم دقائق عمل المعدات والعمل عليها بكفاءة وصيانتها وإصلاحها فور توقفها ولقد أدى المجهود الذى بذل فى هذا الاتجاه إلى إيجاد كوادر ذات مستوى رفيع على جميع المستويات القيادية .

- ابتكار أساليب تكتيكية وفنية للتعامل مع الأهداف المنخفضة والأهداف المناورة .

- توزيع كتائب الصواريخ فى تشكيل قتال يتناسب مع الخصائص الفنية والتكتيكية لكل منها بحيث تكمل بعضها البعض .

- تعدد نوعيات الصواريخ المستخدمة أوجد خصائص فنية متعددة مثل نطاق التردد لكل نوع . طبيعة الإشعاع الكهرومغناطيسى، وقد أمكن بالدراسة الواعية استغلال هذه الخصائص أفضل استغلال سواء فى التغلب على وسائل الإعاقة أو استخدام النوع المناسب فى الصواريخ بما يتناسب مع الهدف المراد تدميره .

- ابتكار أساليب فنية خداعية للتعامل مع الأهداف للتغلب على مفعول أجهزة الاستشعار مما يفقد الطيارين الثقة فى مفعول هذه الأجهزة ويؤدى بهم إلى العمل فى ظلام عما يتم حيالهم .

- عدم السير على وتيرة واحدة فى الأساليب الفنية أو التكتيكية المستخدمة فى القتال بل كان التغير الدائم هو سمتها المميزة .

أما آخر أنواع المفاجأة فكانت المفاجأة النفسية تلك المفاجأة التى أذهلت العدو منذ الساعات الأولى، بل جعلت الذهول سمة له حتى آخر أيام القتال ولم يتوقف مدى هذه المفاجأة النفسية على العدو، بل كان لها وقعها على كثير من الشعوب والدوائر العسكرية المهتمة بدراسة الحروب ويعزى وقع هذه المفاجأة النفسية للعوامل الآتية :

الأداء البطولى لحائط الصواريخ وتصديه لهجمات العدو المركزة واحدة تلو الأخرى ويومًا بعد يوم تلك الهجمات التى بلغت فى قوتها حتى آخر يوم للقتال ٢٥ أكتوبر إلى أكثر من ٢١٠٠٠ طلعة / طائرة.

الإصرار على القتال رغم محاولات العدو المختلفة فى مهاجمة كتائب الصواريخ سواء بالأسلحة الجوية أو الأرضية وقد ظهر ذلك بوضوح فى عدم الاكتراث بالخسائر البشرية والمادية والعمل الدءوب لسرعة إصلاح المعدات .

تصدى حائط الصواريخ للعدو بعد عبوره للغرب وعدم إعطائه الفرصة للانطلاق غربًا كما كان يبغى، بل وقتاله بكل ما يمتلك من أسلحة . ومنع قواته الجوية من معاونة قواته البرية الموجودة فى الغرب .

الرغبة الجامحة لدى الجميع فى ضرورة تدمير العدو وعدم إعطائه الفرصة لمهاجمة القوات البرية وذلك باليقظة والاستعداد المستمر .

الشجاعة التى تحلى بها الكثيرون وقد ظهر ذلك عند تنفيذ المهام المطلوبة فى ظروف صعبة أو تنفيذ العديد من المهام المحفوفة بالمخاطر عند تواجد العدو فى الغرب .

أهمية الخــداع

أدى التطـور التكنولوجى إلى وجود العديد مـن المعدات التى يمكنها تحديد محلات عنـاصر الدفاع الجـوى بدقه تامة بل وإمـكان معرفة نوعياتها وأسـلوب عملها وما كل ذلك إلا جريًا وراء إيجاد الوسائل الكفيلة بتقليل فاعليتها .

والمشـكلة التى تواجـه الدفاع الجوى هو الإشـعاع الإلكترونى الذى تشـعه أجهزة الـرادار بأنواعهـا المختلفة فى القضاء والـذى يمكن التقاطه بمعرفة أجهزة الاستشـعار وعـن طريق الحواسـب الإلكترونيـة التحليلية يمكـن معرفة كل الخصائـص الفنية كل ذلـك بجانب ما يقدمه الاسـتطلاع الـرادارى والأشـعة دون الحمراء والصـور الجوية مـن معلومات عن أوضـاع الوحدات على الأرض ويكمل كل هذه الوسـائل ما يمكن الحصـول عليـه من معلومـات عن طريق العمـلاء . وهنا تتضح أبعاد المشـكلة فأجهزة الإعاقـة الإلكترونيـة يلزمها معرفة نطاق التردد الذى تعمل عليـه أجهزة الرادار كما أن أسلحة الخمد الموجهة بالرادار فى حاجه إلى نفس المعلومات فلو أضفنا إلى ذلك مهاجمة كتائـب الصواريخ تسـتلزم فى المرحلة الأخيرة مـن الاقتراب إليهـا ضرورة قيام الطيار برؤيـة الغرض بالعين المجرد؛ ليحدد أسـلوب الاقتراب النهائـى للغرض ومهاجمته ثم الابتعاد عنه .

وبتوفـر هـذه المعلومات يمكن إيجاد الأسـلحة المضـادة لعناصر الدفـاع الجوى من أجهـزة رادار للإنذار وأجهزة رادار للصواريـخ والمدفعية المضادة للطائرات . ولكن ما هى الوسيلة التى يمكن اتباعها لحرمان العدو من الحصول على هذه المعلومات والعدو من جانب آخر يجد بوسـائله الإيجابية التـى ذكرناها فى الحصول على هذه المعلومات كما يجد بوسائله السلبية فى الحصول على ما يمكن من المعلومات سواء من الشركات المنتجة للسلاح أو بواسطة عملائه من أى اتجاه يجد لذلك فيه سبيلا . وطالما أنه لا يمكن إيقاف الإشـعاع وإلا وقـت الكارثة؛ لذا كان الخداع هو الوسـيلة الوحيـدة لتضليل العدو قد اتبعنا فى ذلك أساليب كثيرة للخداع، الخداع الفنى والخداع التكتيكى .

لقد شمل الخداع الفنى الكثير من الجراءات منها :

أ- فرض الصمت الإشعاعى على بعض المواقع دون غيرها وعدم السماح لها بالإشعاع إلا فى حالة القتال الفعلى .

ب- استخدام الكتائب المتجولة فى القطاعات المختلفة فى بعض المواقع الهيكلية مع صمت الإشعاع بالنسبة لأجهزة رادار الصواريخ والاستعاضة عنه بأجهزة رادار الإنذار لنفس الوحدات .

ج- تحديد ترددات معينة للعمل بها والاحتفاظ بالبعض الآخر سريًا للحرب والانتقال إليه بمجرد بدء القتال .

د- تثبيت الوحدات التى تقوم بالخدمة فى كل قطاع .

هـ- عدم استخدام نظام الخدمة النمطى بل تغيير الخدمة بأسلوب عشوائى سواء من ناحية الوحدات التى تعين للخدمة أو وقت بدء الخدمة ونهايتها وقد أدى استخدام هذا الأسلوب إلى حدوث هلع لدى القوات الجوية الإسرائيلية استمر أيامًا عديدة واستلزم منهم حذرًا شديدًا عن الطيران على مقربة من القناة .

و- استخدام الوسائل الالكتروبصرية والبصرية فى استطلاع الموقف الجوى والاشتباك مع العدو به إذا لزم الأمر منعا للإشعاع فى الفراغ .

ز- مراعاة توزيع الترددات عند الانتقال إلى ترددات الحرب بما يحقق إمكانية مقابلة أسلحة الخمد التى يستخدمها العدو وبنجاح .

لقد برهنت حرب رمضان / أكتوبر أن الخداع الذى تم بمعرفة حائط الصواريخ قد نجح تمامًا فرغم أن العدو توفرت لديه معلومات كاملة عن النطاقات الترددية التى كانت تعمل عليها أنواع الصواريخ المختلفة إلا أن التداخل الذى استخدمه أو أسلحة الخمد التى وجهها لم تحقق ما كان متوقعًا لها من نتائج . لقد برهنت المعدات التى تم فيها الانتقال إلى تردد جديد - بمجرد مشاهدة التداخل - قدرتها على مقاومة التداخل بنجاح . كما برهنت الترددات المتباعدة نفس القدرة على مقاومة التداخل كما أوضحت

بضعـة ترددات مختلفة تعمـل فى اتجاه واحد قدرتها على تحويل أسـلحة الخمد بعيدًا عن غرضها، كما أن إدخال نوعيات جديدة فى المعركة سـواء فى نطاقتها الترددى أو أسلوب إشـعاعها فى الفـراغ أو فى كبر منطقـة تدميرها يؤدى إلى مفاجأة العـدو مفاجأة لن يفيق منها إلا بعد زمن ليس بالقصير.

أما الخداع التكتيكى فقد شمل الكثير من الوسائل منها :

- اسـتخدام المواقـع المتداخلة فرديـة وثنائيه وثلاثية مجهزة تجهيزًا هندسـيًا مناسـبًا وبها من المعدات الهيكلية معدات مشـابهة لتلك الموجودة فى المواقع الحقيقية وتتواجد فى اتجاهـات الهجوم المحتملة بغرض جعل المهاجم فى حـيرة من أمر الغرض المطلوب مهاجمته بالإضافة إلى امتصاص ثقل الهجمة مما يؤدى إلى الحفاظ على سلامة المعدات الحقيقية .
- اسـتخدام المـواد الملتهبة فى مواقع محددة يتم إشـعالها عند قيام العـدو بمهاجمة إحدى كتائب الصواريخ المجاورة و مسـيطر علية تمامًا و ذلك بغرض إظهار نجاح هجوم العدو رغم فشلها .
- اسـتخدام المـواد بطيئـة الأشـتعال فى أماكن مختارة لإنتاج سـتائر دخـان ثقيلة لتعمية وسـائل التنشـين البصريـة و الإلكتروبصرية التـى تعتمد عليها أسـلحة الخمد عند توجيهها ضد كتائب الصواريخ .
- استخدام الدخان بكثافة فى المواقع الحقيقية لتعمية العدو عند مهاجمته لها مما يؤدى إلى تصعـب مهمته بالإضـافة إلى اسـتخـدامها فى المواقع التبادليـة أيضًا و ذلك بغرض توزيع مجهود العدو مما يقلل من احتمالات الخسائر.

الإخفـــــــاء

يـؤدى الإخفـاء دورًا مهـمًا فى إخفاء معدات القتـال دورًا يتزايد رغـم ما وصل إليه التقـدم العلمى من تطـور أمكنه التعرف على المعدات التى يتـم إخفاؤها بعناية أو تلك المدفونـة فى باطـن الأرض عـلى أعـماق محـددة ورغم ذلك، فلقـد أظهر الإخفـاء الجيد

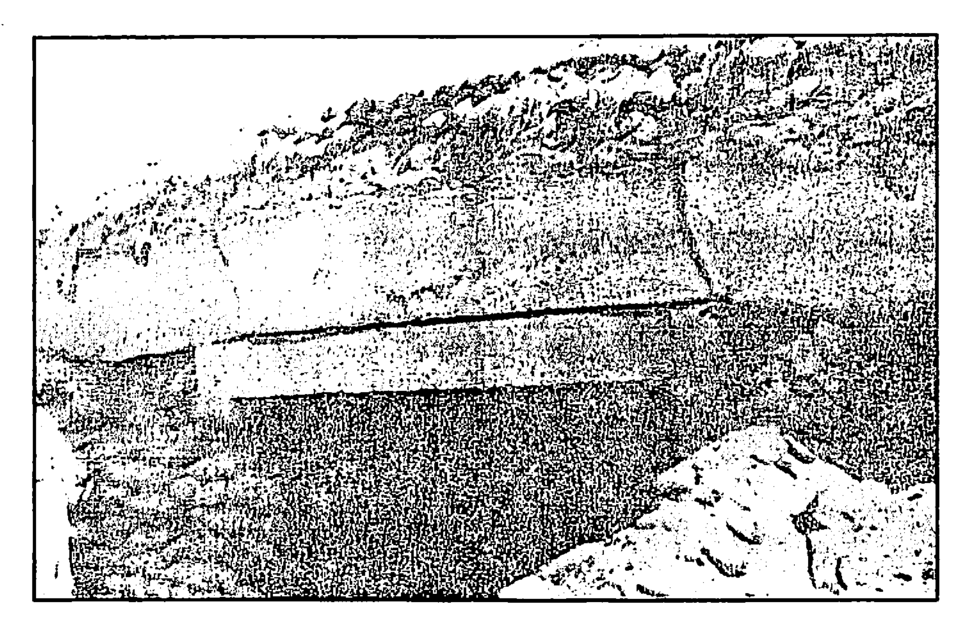
للمواقــع الهيكليــة دورًا كبـيرًا فى امتصــاص كثـير من هجـمات العدو وخــلال معارك الاسـتنزاف وذلك بالنسبه إلى مواقع الرادار والمدفعية المضادة للطائرات – للهيكلية كما أدى نفس الدور فى معارك يوليو ٧٠ بالنسبة إلى الصواريخ الموجهه أرض جو .

لقـد أدى الإخفاء الجيد مع خطط الخـداع التعبوى المختلفه التى نفذت إلى تحقيق ما كنـا إليه مـن جعل العدو فى حيرة من قـوة حائط الصواريخ الفعلية وفعـلا قدر ة بأكثر مـن قوتـه بكثير . أمـا عن دور المواقـع الهيكلية فى حـرب رمضان / أكتوبـر، فلقد كان محددًا وذلك راجح الى فشل العدو فى النيل من حائط الصواريخ منذ يوم ٧ أكتوبر وبذا لم توضـح هـذه الوحدات محل الاختبـار إلا فى مواقف محـددة الأول فى مطار القطاميه؛ حيـث أدت دورهـا فى امتصــاص هجوم العـدو والثانى عند تواجد كتائـب الصواريخ شرق القنـاه فى مرحلة تطوير الهجـوم أدت دورًا ممتازًا فى امتصاص نيران المدفعية بعيدة المدى التى كان يوجهها العدو مما أدى إلى وقاية الكثير فى المعدات أما فى المرحلة الأخيره مـن الحرب وبعد تواجد العـدو فى الغرب فلقد تلافى العدو هـذه المواقع بعد أن تعرف عليها.

لقـد أدت المناطـق الزراعيـه دورًا رائعًـا فى الإخفـاء فلقـد يسرت – إخفـاء كتائب الصواريـخ عنـد قيامها بعمل كمائـن للعدو ولم يتمكن من التعرف عـلى أوضاعها رغم اشتباكها معه كما يسرت بعض الشجيرات المحدوده إمكان إخفاء أجهزة الرادار بنجاح.

التجهيز الهندسي

أدى التجهيـز الهندسـى بجميـع أنواعه ما كان ينتظـر منه وأكثر . لقـد أثبتت مواقع الصواريـخ المحصنـة والسـبقة الصنـع قدرتهـا عـلى تحمل القنابـل زنـة ١٠٠٠ – رطل أكـما أثبتـت الحوائط المقامة من شـكاير الرمل بسـمك وارتفاع معـين قدرتها على تحمل الصواريخ الحرة وانفجار القنابل التى تسقط بجوارها وفى ضوء كل ذلك يمكن القول إن التجهيز الهندسـى المعتمد على اسـتخدام الخرسانة المسـلحة قادر على وقاية المعدات والأفـراد وقايـة كاملة ضـد الإصابات المبـاشرة بالقنابل . لقد يـسرت المواقع المحصنة الوقايـة، ولكـن أيضـا تمكنت المواقـع الميدانيـة، من توفـير الوقاية ضد القـوات الجوية



شكل يوضح الآثار المترتبة علي هجمة جوية بالقنابل علي أحد المواقع السابقة التجهيز



سقف الموقع ولم يتأثر بالقنابل زنة ٣٥٠ رطل. سوي إصابته ببعض الشقوق

المعادية وفرتها بالنيران، بالقدره على تدمير طائرات العدو من بعد ومن هنا نصل إلى حقيقة رائدة أن الوقاية بالنسبة لوحدات الدفاع الجوى ليست بالتحصينات بقدر ما هى بالقدرة على تدمير العدو بالنيران وأن التحصينات تعتبر بمثابة الخط الأخير للوقاية ولنا مثلا ما حدث فى بور سعيد إذ أدى ضعف النيران إلى أن يهاجم العدو مواقع محصنة باطمئنان وثقه فتمكن من إيقاف النيران وإنزال خسائر جسيمة بالمعدات والأفراد وبذا لم تغن المواقع المحصنة عن النيران .

إن ما تتسم به معركة الأسلحة المشتركة من خفة حركة ومعدل تقدم عالٍ للقوات يحتم على قوات الدفاع الجوى ملاحقة هذه القوات، وهنا تبرز حاجتها لعناصر المهندسين لإتمام ما يلزمها من تجهيز هندسى للمواقع المنتظر احتلالها أو إتمام ما يلزم من مواقع تبادلية وهيكلية أو تسهيل عملية التحرك اللازمة لها بتمهيد طرق التحرك وإزالة المواقع التي تعترض التحرك - كل ذلك بجانب الإخفاء الذى تحتل إليه الوحدات ومن هنا تبرز أهمية تواجد عنصر مهندسين متكامل فى وحدات الصواريخ يتناسب حجمه مع حجم الأعمال التى ستوكل إليه فى ضوء نوع المعدات المستخدمة وحجمها وأسلوب قتالها .

مهاجمة المعابر

لقد أثبتت حرب رمضان / أكتوبر أن تدمير المعابر والكباري المقامة على قناة السويس أمر صعب . لقد أدت الهجمات المتتالية التى بدأت مع بزوغ فجر يوم ٧ أكتوبر إلى تدمير العديد من الطائرات وقتل الكثير من الطيارين الإسرائيليين المحترفين .

لقد تمت الهجمات الإسرائيلية المحدودة التى وقعت على المعابر أما من الدوران أو بالغطس عليها وكلا النوعين من أساليب الهجوم لم تؤد إلى أى - نتيجه . أن مهاجمة المعابر فى ضوء وجود دفاع جوى يعتبر عمليه انتحارية بالنسبة لطيارين ويرجع ذلك إلى صغر حجم الغرض وصعوبة التنشين عليه أثناء الطيران وإزاء الفشل لجأت القوات الإسرائيلية إلى استخدام المدفعيه الميدانية من الأعيرة المختلفة وقد تمكنت فى حالات كثيرة من النجاح - وذلك راجع إلى اتباعها مبدأ الضرب ثم الانتقال إلى موقع جديد .

لقد قابلت القوات الجوية الأمريكية نفس المشكلة فى فيتنام مما أدى إلى استخدامها لقنابل الليزر وبها أمكن إحداث خسائر فى المعابر وإن كانت فى كثير من الحالات تعتبر خسائر محدوده وأمكن إصلاحها بسرعة .

فى ضوء كل ما سبق وفى ضوء الحاجة العسكرية إلى وسيلة لتدمير المعابر والكبارى يجب أن يتجه العلم والتكنولوجيا إلى إيجاد وسيلة قادره على ذلك بتكلفة معقولة وإلى أن يظهر ذلك السلاح ستستمر المدفعية بعيدة المدى أو الاقتحام الرأسى بالقوات المنقولة جوًا تحت ستر الظلام هما أفضل الوسائل لذلك وذلك إذا لم يتمكن المدافع عن إيقاف المهاجم والعمل على سرعه اتزان الموقف وسحب المبادأة والقيام باختراق عميق فى اتجاه هذه المعابر لتدميرها .

عمل الأركان

لقد أظهرت حرب رمضان / أكتوبر أهمية عمل الأركان بالنسبه إلى تشكيلات ووحدات الدفاع الجوى سواء أكانت تعمل فى التشكيلات البرية أم فى الدفاع الجوى عن الأغراض فى العمق أن المفهوم السائد للأسف لدى الأركان على مختلف المستوى - القيادى هو إدارة المعركة بفكر أصم محدود يهدف فى النهايه إلى تخصيص المهمة لتدمير أى هدف حيوى، نفس أسلوب الحرب العالميه الثانيه وهذا هو المنطلق الخاطىء فى معركة الدفاع الجوى الحديثه فاختلاف سرعات الطائرات وأسلوب استخدام القوات الجوية ومهاجمتها لأغراضها كل ذلك يتطلب فكرًا متفتحًا قادرًا على إدارة المعركة ولدية الرؤية السليمة لما يهدف إليه العدو من هجومه الجوى قادر على تمييز الهجمات المخادعة من الحقيقية لديه القدره على الحكم السريع عن نشاط العدو واحتمالاته المقبلة قادرًا على تقديم المشورة الصحيحة فى الوقت المناسب يتوفر لديهم القدرة على فرض السيطره الحازمة على الوحدات ومعاونته على تنفيذ المهام وإصرارهم على التنفيذ فى الوقت المطلوب للوصول بالمعركة الحديثة إلى الديناميكية المطلوبة .

لقد ظهر كنتيجة لحرب رمضان / أكتوبر ضرورة أن يكون ضباط القيادات على دراية تامة بمعركة الأسلحة المشتركة بكل تفاصيلها وعمل جميع القوات والأسلحة

فى مراحل المعركة المختلفة علمًا وخبرة وتصورًا، إذ أن عدم الدرايه يؤدى إلى عشوائية المهام.

تبادل المعلومات

إن موضوع تبادل المعلومات والاستنتاجات عن العدو وأعماله ليست بالأمر الجديد ولكن حرب رمضان / أكتوبر لم توضح أهميه هذا الموضوع فقط، ولكن أوضحت مدى الجدية والصدق اللازمين عند التنفيذ بالإضافة إلى سلامة الفكر وإعمال العقل فيما يجب أن تكون عليه الاستنتاجات .

لقد أعلنت قيادة العدو عن سيناء يوم ٩/ ١٠ عن عدم قدرتها على مجابهة القوات المصرية، بل وأعطت أوامرها لبعض الوحدات بالانسحاب إلى شرق المضايق، بل وأعلن وزير الإسرائيلى أن الحاجة تدعو إلى الانسحاب من سيناء .ورغم تبادل هذه المعلومات فإنه لم يتم تحليلها تحليلا صحيحًا للوصول إلى استنتاجات منطقية، بل ولم يتم اتخاذ ما يلزم من إجراءات لتأكيد صحة هذه المعلومات ولو تم كل هذا فى حينه لتمكنت القوات المسلحة المصرية من الاندفاع إلى الأمام والاستيلاء على مداخل المضايق الغربية .

لقد أذاع العدو اعتبارًا من يوم ٩/ ١٠ والأيام التالية أنه لن يتمكن من إيقاف تقدم القوات المصرية طالما أن قواته الجوية غير قادرة على تقديم المعاونة لقواته البرية وأنه إزاء ذلك لا بد من اتخاذ حل ضد حائط الصواريخ ولو بالعبور إليه غربًا لتدميره ورغم أهمية هذه المعلومات وهذا الفكر والإعلان عنه مسبقًا لم يتم إبلاغه لنا، بل ولم يتم تحليله تحليلا سليمًا ليمكن معرفة جدية ذلك الفكر من عدمه وهل فى مقدوره الإيمان بمثل هذا العمل، وما الإجراءات الواجب اتباعها - ولكن أغلب الظن أنه لم يحصل من ذلك شيء . لقد تواجد لدينا مندوب شعبة العمليات ولم يخطرنا بأى شيء من هذا القبيل فقط طلب احتلال أكبر عدد من المواقع المحصنة والاستعداد للعبور للشرق ليلة ١٠/ ١١ أكتوبر ولم تم إخطارنا بتلك المعلومة لكنا من جانبنا اتخذنا ما يلزم من احتياطيات لمقابلة أى عبور يحتمل أن يقوم به العدو وقتئذ أو مستقبلا .

التردد بين غرضين

يجب أن يكون لكل مرحلة قتال بالنسبة إلى الدفاع الجوى غرض تسعى التشكيلات والوحدات إلى تحقيقه كما يجب أن يكون الغرض واضحًا ومدروسًا فى ضوء احتياجات المعركة وإمكانات الوحدات حتى يمكن الاقتناع به أولا وإقناع المرءوسين به ثانيًا . هذا هو منطق فن الحرب أما السعى وراء أحلام الشهرة وتحديد أغراض فوق إمكانات الوحدات ولا يتفق مع مرحلة القتال الجارية فأمر يرفضه فن الحرب .

لقد أدى السعى إلى تحديد غرض جديد لا يتفق مع متطلبات القتال، بل إن تنفيذه لا يحقق سوى الخسائر فى الأفراد والمعدات ورغم عدم الاقتناع تم التخطيط له وصدرت الأوامر الابتدائية لتدور عجلة التنفيذ كإتمام الاستطلاع والتجهيز الهندسى وإقامة المواقع الهيكلية .. إلخ من الإجراءات وعند بدء التنفيذ نفاجأ بتحول عن الغرض الاول إلى غرض آخر وبالتالى خطة جديدة توضح . لقد أدى هذا التردد إلى وضع الوحدات فى حالة من البلبلة وعدم الاستفزاز النفسى وهو ألزم ما يكون للمقاتل فى المعركة فالتردد ما هو الإعلامة عدم سير المعركة كما ينبغى بالتالى تتأثر الروح المعنوية للمقاتلين .

مستقبل الطائرة

لقد تمكن حائط الصواريخ من إنزال هزيمة ساحقة بالقوات الجوية الإسرائيلية وإزاء هذه الخسائر بدأت كثير من الدوائر العسكرية تهتز معتقداتها فيما يختص بدورالطائره فى المستقبل فذهب البعض إلى أن دورها انتهى أمام بروز دور الصواريخ فى حرب رمضان / أكتوبر بينما كان رأى البعض الآخر هو بقاء دورها كما هو .

والواقع الذى أثبتته حرب رمضان / أكتوبر أن دور الطائرة باقٍ، ولكن لا بد من تغير فى أسلوب الاستخدام لضمان الحفاظ على القوات الجويه فى المعركة سليمة ولكن كيف يتم ذلك .

إن إتمام الضربة الجوية الشاملة أو الضربة الجوية للإحباط أمام دفاع جوى على درجه من الاستعداد والتدريب لقادرأن ينزل بهذه الضربة خسائر تتراوح بين ١٥٪- ٢٠٪من طائرات الضربة الجوية وهنا يجب المقارنة فى كلتا الحالتين بين الخسائر المحتملة

فى الأغـراض والخسـائر المقـدرة فى الطائرات وعلى ضـوء هذا التقدير يمكـن المجازفة باستخدام أى نوع من الضربات.

أمـا تقديم المعاونة المبـاشرة للقوات البرية بالصوره التقليديـة التى تقوم بها القوات الجويـه أحيانًـا فأصبحت أمام الدفاع الجـوى بالصواريخ المتنوعـة العناصر أمر مكلف للغايـه ويجـب اسـتبداله بالهجمات المركـزة المدمر ويعنى ذلك اسـتخدام نظـام الضربة الجويـة المركزة بعدة موجـات متتالية فى قطاع ضيق وبهذا الأسـلوب فقط يمكن تحقيق المعاونة المباشرة المطلوبة بأقل خسـائر وإلا فيستعاض عنها بمدفعية الميدان بعيدة المدى وهنـا يجب تقدير حجـم المدفعية المطلوبة وأنواعها للقيام بمثـل هذه المهام . ويجب على قادة التشكيلات البرية من الآن التخطيط للقتال بدون معاونة فعالة من القوات الجوية وتدريب قواتهم على تلك المواقف من الآن حتى لا تكون مفاجأة لهم .

الروح المعنوية

لعبـت الروح المعنويـة فى الحروب جميعها منـذ القدم حتى اليوم دورهـا البارز فهى الوقود الذى يدفع بالمقاتل لاجتياز المخاطر والمصاعب وهى القوى المتأججة التى تدفع به ليقابل الموت بصدر رحب راضيًا مرضيًا .

والروح المعنوية ليست كمية ثابته يمكن قياسها وإنما هى متعددة المستويات وتختلف من وحدة إلى أخرى تبعًا لتوفر العوامل التى تعمل على اتباعها، والأسـلوب الذى يتبع فى تأجيجها ومعارك الحرية وتحقيق الأمانى القومية للشعوب حافلة ببث كوامن الروح المعنوية وأشكالها لقد وقفت الروح المعنوية لمقاتلى حائط الصواريخ أمام هجمات العدو الجوية رغم عنفها واسـتمرارها بشكل لم تنقطع فكانت كالبركان الثائر الذى لا يهدأ بل تقذف بصواريخ رجالها هنا وهناك مدمرة له طائراته .

أما وقفتها التاريخية أمام قوات العدو البرية فى الغرب فكانت كالطود الشامخ الذى لا يتنزحـزح، فلقـد وقفت وحدات الصواريخ فى القطاع الأوسـط والجنوبى من جبهة القتـال أمـام قوات العدو البرية بعد عبوره للغرب ورغم تفـوق العدو الذى كان يزداد يومًـا بعـد يـوم إلى أن وصل يـوم ١٩/ ١٠ إلى ما يقـارب فرقة مدرعة لم تسـمح له هذه الوحـدات بـأن ينال منها بـل أدى ثباتها فى مكانها إلى تخوف العـدو ومن الاقتراب منها

ومحاولة قصفها بمدفعيته ومدفعيته دباباته من بعيد .

لقد أثبت المقاتل المصرى بسلاح محدود قدرته على الثبات وتحدى العدو .

اعرف عدوك

قال الفيلسوف الصينى «صن تـوزو»: «إذا أردت أن تنتصر على عـدوك فاعرف عنه أكثر مما يعرف عن نفسه وازن بعمق وحكمة بين إمكاناتك وإمكاناته وبذلك تقرر مصير الصراع قبل أن تندلع النيران ويحتدم القتال . فالحرب ليست مجرد حماسة واستعداد للتضحية بقدر ما هى طاقة وعلم وإرادة».

حكمة لها آلاف السنين ولكن لا تزال باقية لليوم فالحرب هى الحرب والبشر هم الذين يثيرونها وهم فى الوقت نفسه وقودها ومن هنا تتضح أهمية معرفة العدو .

لاتقتصر معرفة العدو على معرفة قوته والأسلحة التى يمتلكها، بل يجب أن يتعدى الأمر ذلك إلى معرفة كل شيء عن العدو وفبجانب قوته وأسلحته يجب معرفة مستوى تدريبه وكفاءته القتالية . الموقف الإدارى لقواته . الروح المعنوية التى تتمتع بها، القادة وقدراتهم ونقط الضعف والقوة فيهم، أساليبه التكتيكية إلى غير ذلك مما يجب معرفته. وليس الغرض من هذه المعرفة هو مجرد التعرف عليها والإلمام بها وإنما هو تحليلها للوصول إلى نقط القوة والضعف فى العدو وتحديد إمكاناته القتالية ليمكن مقارنتها بالإمكانات القتالية المقابلة لمعرفة شكل المعركة والنتائج المتوقعة.

إن كثيرًا من الهزائم التى لحقت بالجيوش فى تاريخ الحروب ترجع إلى نقص المعلومات عن العدو وحرب يونيو ٦٧ يمكن وضعها فى مصاف هذه الهزائم التى تتصف بنقص المعلومات عن العدو .

لقد كانت هناك معلومات، ولكنها كانت ناقصة فى كثير من جوانبها وما كان معروف لم يكن دقيقًا وكاملا حتى أن قوة العدو ما يمتلكه من أسلحة لم يكن لها من الدقة ما يجب ولذا جاءت التقديرات كلها من جانبنا بعيدة عن الواقع .

إن وضع العدو فى وضعه الصحيح، أى عدم المغالاة فى تقديره وتقدير إمكاناته أو بخسها بقصد إظهار ضعفه هو الداء الذى يصيب أجهزة التحليل والتقدير وهنا

يكمن الخطر فكلا الأمرين مر، فالأول يستدعى قوات أكثر وموارد أكثر ويثبط العزيمة ويحبط الهمة . بينما الثانى يثلج الصدر ويحيل الإعصار المدمر إلى ريح رخاء، ثم تكون المفاجأة عند بدء القتال عندما يصاب الجميع بالذهول مما يحدث لا يحركون لذلك ساكنًا بل يصيبهم الشلل العقلى وينغلق الفكر وتعمى الأبصار ولا يمكنها متابعة الأحداث.

إن الحصول على معلومات عن العدو وبكل الوسائل أمر ضرورى ومتابعة ما يقوم به من دعم لموارده البشرية والاقتصادية والنفسية والعسكرية أمر يجب ومتابعته وعدم تركه للظروف العشوائية فالحرب تنشب فجأة وبدون مقدمات.

إن استمرار دراسة العدو يومًا بعد يوم وتحليله واستخلاص النتائج اللازمة فى ضوء ما يطرأ على قوة العدو من زيادة فى الحجم أو تغيير فى النوعيات المستخدمة أو إدخال تسليح جديد بالإضافة إلى التعرف على أسلوب الاستخدام التكتيكى للقوات الجوية المعادية أو أسلوب مهاجمتها للأغراض المختلفة بغرض معرفة نقط القوة والضعف ووضع الحلول والوسائل المناسبة للحد من نقط القوة واستغلال نقط الضعف للنفاذ منها . لو تم هذا كله بدقة وعناية مع إعمال الفكر فى الاحتمالات المختلفة المنتظر أن يقوم بها العدو فى ضوء التطور العلمى والتكنولوجى السائد لقادر على أن يعطى لنا التصور السليم لأعمال العدو وبالتالى أفضل الاحتمالات للرد عليه .

الإعداد وشكل المعركة

يجب أن يتم الإعداد للقتال فى ضوء تصور شكل القتال مع العدو وذلك فى ضوء المتغيرات العلمية والتكنولوجية التى تصاحب عملية الإعداد . ومن هذا المنطلق يمكن الوصول إلى فكر سليم من ناحية الإعداد .

إن معركة الدفاع الجوى الحديثة هى فى الواقع معركة معدات إلكترونية سواء أو أكانت تعمل فى حلقة القيادة والسيطرة أم تعمل فى استطلاع الفضاء الجوى أم فى إطلاق الصواريخ وتتبعها أو فى أدارة نيران المدفعية المضادة للطائرات . وجميع هذه المعدات عرضة لأعمال العدو الإلكترونية المضادة . تلك الأعمال التى يلاحقها التطور بصفة مستمرة، فمعدات الاستشعار sensors وحواسب تحليل المعلومات Elechonie

compuluse تيسر معرفة النطاق الترددى الذى تعمل عليه المعدات وأسلوب عملها الإلكترونى مما يمكن من تطوير المعدات - الإلكترونية أو إنتاج أنواع جديدة منها تفوق فى قوتها وأسلوب عملها الموجودة حاليًا مما يؤدى إلى نتائج مضادة فى عمل معدات الدفاع الجوى فيقلل من فاعليتها فى المعركة .

إن معرفة أنواع أجهزة الاستشعار لدى العدو توضح إلى أى حد يمكن للعدو التعرف على تشكيل قتال عناصر الدفاع الجوى التى تواجهه ونوعياتها ومن ذلك يمكن الاهتداء إلى أسلوب الخداع والإخفاء الواجب اتباعها لتضليل العدو عما يريد .

إن دراسة الأساليب التكتيكية للعدو لا تقل أهمية عن دراسة الأساليب والوسائل الإلكترونية ومن دراسة أساليب العدو فى هجومه الجوى يمكن الاهتداء إلى الأساليب التى يمكنها أن تشل أسلوب العدو أو تقلل من كفاءته فأسلوب اقترابه يحدد شكل وفاعلية الحقل الرادارى وأسلوب مهاجمته للأغراض المختلفة يحدد طبيعة الدفاع عن الغرض وأوضاعه كما أن كثافة الهجمة الجوية تحدد حجم العناصر القائمة بالدفاع كما أن حجم الطلقات اليومية يحدد مدى الثقل على وحدات الرادار وشبكة الإنذار .

إن ما أمكن الوصول اليه بالنسبة إلى حائط الصواريخ فى هذه الحرب كان وليد تصور لشكل القتال المنتظر وهذا التصور السليم لا يمكن أن ينطلق إلا من قاعدة علمية واسعة وخبرة عملية تضىء لها الطريق - وان لم يكن الأمر كذلك لكان النجاح من مصير البلهاء والنصر فى المعارك من مصير محدودى الذكاء . وفى ضوء هذا التصور لكل ما يحيط بشكل القتال اتجه الإعداد والتدريب حتى وصلت الوحدات إلى السيادة التامة على المعدات فى الاستخدام والصيانة والإصلاح فكان لها التفوق الكمى، ثم النوعى وهناك كانت المفاجأة غير المتوقعة .

فشل الدفاع الخطى بالصواريخ

لقد أثبت الدفاع الخطى lined defence بالصواريخ الموجهة أرض - جو فشله تمامًا إزاء الهجمات الجوية المنخفضة جدا والمنخفضة إذا تمكنت القوات الجوية الإسرائيلية من القضاء على هذا الشكل من الدفاع فى دقائق محدودة كما حدث فى الهجوم الذى تم على مواقع الصواريخ بجبهة القتال فى يوليو ٦٩ - إذ تم إسكات المعدات وإنزال أكبر

خسائر فى الأفراد والمعدات - بينما حدث نفس الشىء فى الهجوم الذى تم على تجميع الصواريخ الذى أدخل الجبهة فى ديسمبر ٦٩ بفارق واحد هو أن المواقع المنخفضة وفرت الوقاية للمعدات والأفراد . لقد أثبتت الدفاع الخطى فشله فى حرب يونيو ٦٧ بل كان هو السبب فى نجاح الضربة الجوية الإسرائيلية، لقد كانت الثغرات بين كتائب الصواريخ من الكبر بحيث يتيسر للمهاجم على ارتفاعات منخفضة جدًا ٥٠٠ متر فأقل الانفراد بالوحدات وأكلها واحدة بعد الأخرى . وهذا الضعف هو الذى فطن إليه العدو واستغله فى حرب يونيو ٦٧ ومعارك الاستنزاف .

وعلى النقيض من ذلك أثبت دفاع المنطقة Lone delenee سلامته وقدرته على مواجهة الهجمات الجوية، والدليل على ذلك ما تم فى حرب رمضان / أكتوبر، إذ لم تتمكن القوات الجوية الإسرائيلية من النيل من حائط الصواريخ رغم ما وجهته من هجمات عديدة إليه، فلقد ظل صامدًا كالطود الشامخ يكيل الضربات لها وينزل بها أفدح الخسائر، وفى ضوء هذا النجاح سيظل هذا الأسلوب الأمثل والواجب اتباعه لتوفير الوقاية للتشكيلات البرية ضد الهجمات الجوية المعادية إلا أن ما يعنيه هو كثرة الوحدات التى تلزم لتحقيقه، والتى يتوقف حجمها على عمق منطقة التدمير عند اشتباكها مع الأهداف المنخفضة والمنخفضة جدًا .

الدفاع عن القواعد الجوية

ظل الدفاع عن المطارات / القواعد الجوية مشكلة تعلو على السطح دائمًا وذلك راجع إلى ما حدث فى حرب يونيو ٦٧ من جراء الضربة الجوية الإسرائيلية، وكانت المشكلة نابعة من تعدد الآراء حول عدد الوحدات اللازمة للدفاع عن المطار / القاعدة الجوية وحسمت حرب رمضان / أكتوبر ذلك الجدل، ويكفى أن نعلم أن المطار الوحيد الذى ركز عليه العدو هجومه الجوى خلال هذه الحرب كان مطار القطامية الذى شهد سبع هجمات جوية ولم يصب بأى شىء اطلاقًا رغم ما تقدمه الأرض المحيطة بالمطار من تسهيلات تزيد من احتمالات نجاح المهاجم بينما تقف قيدًا كبيرًا أمام عناصر الدفاع الجوى عن المطار .

لقد يسرت عدة كتائب صواريخ محدودة مع عدد من صواريخ سام ٧ وعناصر محدودة من المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة إمكان توفير الوقاية بنجاح أدى إلى تدمير العديد من طائرات العدو ومن منطلق النجاح الكامل يجب عدم المغالاة فى الوحدات التى تخصص للدفاع عن أى مطار / قاعدة جوية وذلك فى ضوء الاعتبارات الآتية :

- تقدم ملاجئ الطائرات وقاية تامة للطائرات وعلى ذلك تصبح الممرات والمنشآت الإدارية المهمة هى المعرضة فقط لتوجيه الهجوم إليها .
- فى ضوء سرعة الطائرات الحديثة والرغبة فى الإفلات من نيران الدفاع - الجوى غير أن الهجمة الجوية لا تستغرق زمنًا طويلا ولم يحاول العدو تكرارها بواسطة نفس المجموعات المهاجمة .
- أدت الوحدات المحدودة نفس الدور الذى أدته الوحدات الكثيرة المشابهة لها نوعًا من ناحية الوقاية، وكان الفرق بينهما هو كثرة الخسائر فى الحالة الثانية لتعدد الوحدات .
- نظرًا لأن الممرات هى الأكثر تعرضا ففى ضوء سرعة الطائرات المهاجمة والخوف من النيران تنعدم الدقة ويصبح احتمال الإصابة ضعيفًا .
- يؤدى الدفاع اليقظ عن المطار / القاعدة الجوية إلى إحباط هجوم العدو بمجرد اقترابه ففتح النيران يؤدى إلى تفريق التشكيل المهاجم وإلقاء الرعب فى نفوس الطيارين وبتعدد مصادر النيران وتنوعها واختلاف جهات توجيهها يدب الذعر فى الطيارين ويحاول الجميع الفرار قبل أن تلحقه إصابة قاتلة .

المناورة الدائمة

أوضحت حرب رمضان / أكتوبر ان المعركة الحديثة للدفاع الجوى تستلزم إتمام المناورة الدائمة بعناصر الدفاع الجوى فهى الأسلوب الأمثل لجعل العدو فى شك عن أسلوب القتال المتبع معه ،والعرض الذى يهدف إليه كذا أوضاع الوحدات التى يعمل جاهدًا للتعرف عليها وتأكيد هذه الأوضاع قبل مهاجمتها . إن الحاجة إلى المناورة الدائمة تتضح عند قيام العدو بالاستطلاع الجوي لتشكيل القتال فما هذا الاستطلاع

إلا بدايـة لمعرفة الأوضاع لإعداد خطط مهاجمة التشـكيل وعلى ذلك فإتمام المناورة ليلا ومقابلة العدو بتشـكيل جديد يجعل الاسـتطلاع الذى يجرى لتأكيد الأوضاع قبل إتمام هجوم العدو مغايرًا فى الشـكل لما تم التخطيط عليه والخيار الوحيد المتروك أمام العدو أمـا إرجـاء الهجوم المخطط والبدء فى عمل خطة جديدة لليوم التالى أو تنفيذ هجوم غير ومخطط يكون مصيره كثرة الخسائر .

وفى ضـوء المنـاورة الدائمة التى قام بها حائط الصواريخ، والتى أدت إلى فشـل كثير من الهجمات الجوية الإسرائيلية لجأت القوات الجوية الإسرائيلية إلى القيام بعدة طلعات اسـتطلاع فى اليوم الواحد بغرض التعرف أول بأول على أوضاع الصواريخ وكان الرد هو إقران المناورة النهارية بالمناورة الليلية . إن أخطر ما يجابه تجميعات – الصواريخ هو ثبات أوضاع تمركزها أمام العدو ولمدة أكثر من ٤٨ ساعة فإن هى ثبتت فى الأرض فإن فرصة نجاح العدو فى مهاجمتها تزداد .

لقد اسـتخدمت المناورة بالوحدات وبالنيران ايضًا بغرض دعم اتجاهات تعبوية فطن العدو إلى ضعف الوقاية عنها تعمل تركيز مجهوده الجوى عليها، مما أدى إلى توقف الهجوم عليهـا أو إتمامه بحذر كما اسـتخدمت أيضًا المناورة بالنيران لإيقـاف النجاح الذى يحرزه العـدو فى هجومة الجوى وذلك بتوجيه الوحدات الموجـودة فى عمق اتجاه الهجوم وتلك الموجودة على الأجناب بالاشتباك مع مجموعات العدو بديناميكية عالية وذلك باستغلال المـدى الكبـير للصواريخ أحسـن استغلال وذلك فى ضـوء الموقـف واحتمالاته بغرض الوصول إلى ثبات سريع للموقف كى لا ينفجر ويتحول النجاح المبدئى إلى نجاح كامل .

الاحتياطى الاستراتيجى

يؤدى الاحتياطى الاستراتيجى بالنسبة إلى وحدات الدفاع الجوى نفس الدور الذى يؤديه هذا الاحتياط بالنسـبة إلى القوات البرية ونظرًا لان هذا الاحتياط يتكون من عدة كتائـب من الصواريخ أرض– جـو والرادار والمدفعية المضـادة للطائرات بالإضافة إلى العديد من المعدات الفنية الأخرى؛ لذا يجب عند التخطيط له مراعاة جميع العوامل المؤثرة على اسـتخدامه فحجمه يجب أن يتفق مع متطلبات المعركة سـواء من ناحية استعواض

الخسائر أو الدعم بوحدات جديدة لتدعيم الوقاية القائمة أما مكانه أو أوضاع تمركزه فى حالة فتحه فيجب أن يراعى فيها الزمن الذى يستغرقه دفعه إلى المعركة وتقدير الظروف والملابسات المحيطه بعملية دفعة ومدى تأثيرها على عامل الوقت، الناحية المعنوية، حركة النقل على الطرق والسكة الحديد ووقت الشحن والتفريغ ومدى تعرض محطات الشحن والتفريغ لهجمات العدو الجوية .

أما احتياطى المعدات الفنية فيجب الحفاظ عليها دائمًا مخزنة وبحالة سليمة مع عدم العبث بمكوناتها وإجراء ما يلزم من تفتيش دوري عليها للتأكد من صلاحيتها للاستخدام ، يجب أن تكون وحدات هذا الاحتياط مدربة تدريبًا عاليًا ومؤهلة فعلا لدخول المعركة فور دفعها، ويعنى ذلك أن تكون هذه الوحدات مماثلة في كفاءتها القتالية للتشكيلات التي ستدعمها وأن تدفع دوريًا إلى مسرح قتالها المنتظر لتلقى الجرعة التدريبية المناسبة على مهام عملياتها المقبلة بالإضافة لغرس الفكر الموحد وخلق التزاوج المطلوب للمعركة .

تأمين وحدات الصواريخ الموجهة أرض – جو

عادة تتواجد وحدات الصواريخ الموجهة أرض-جو في عمق القوات ووفقًا لخفة حركتها ومداها يتحدد أسلوب قتالها ومكان تمركزها خلال القتال وتبعًا لذلك نرى أن الصواريخ الموجهة متوسطة المدى مثل ثلث التي تقاتل في حرب رمضان تتواجد على أعماق تتراوح بين ٦-١٨ كم من الخط الأمامى لقواتنا، وقد يؤدى تقدم القوات أو دفع الأنساق الثانية للتشكيلات إلى ترك هذه الوحدات دون تأمين لها، جريًا وراء الاعتقاد بأن كل قوة مسئولة عن تأمين نفسها .

إن وحدات الصواريخ الموجهة أرض- جو لا تمتلك سوى الأسلحة الخفيفة التي تيسر لها وقاية نفسها ضد أعمال التسلل والتخريب، التي تقوم بها جماعات العدو خلف الخطوط، ولكن لا يمكنها أبدًا بأي حال من الأحوال مقابلة دبابات العدو ومدفعيته كما حدث في حرب رمضان / أكتوبر في هذه الوحدات لا يوجد معها أي أسلحة مضادة للدبابات وحتى ولو كانت معها فستكون من النوعيات الخفيفة ذات المدى المحدود

ولـو تـم دعمهـا بوحدات ذات مـدى أطول فـإن مدفعية العـدو قادرة على النيل منها مـن مسـافة أكبر من مدى هذه الأسـلحة. ومـن ذلك أصبح من الضروري تأمين هذه الوحـدات في جميـع الأوقات واعتناق ذلك مبدأ لا يجب إغفالـة بأي حال من الأحوال ويجـب عـلى معارضي هذا الرأي أن يضعوا نصب أعينهم بين توفير الوقاية لقواتهم ضد الهجمات الجوية المعادية وإطلاق حرية العمل لها في المعركة البرية وبين الاحتفاظ ببعض الوحدات البرية • كقوة تأمين لدفعها في الاتجاهات التي ينجح العدو في الاختراق فيها والوصول إلى وحدات الصواريخ الموجهة بقصد تدميرها.

إن مـا حـدث في حرب رمضـان / أكتوبر كان أشـبه بالمعجزة، فلقـد تصدى حائط الصواريـخ للقـوات الإسرائيلية بعـد عبورها للغرب ولم يمكنها مـن التقدم غربًا حتى بعـد أن وصل مجموع القوات غربًا مـا يقرب فرقة مدرعة وذلك بالمناورة الواعية طوليًا وعرضيًـا مضحيًا ببعـض هوائيات محطات رادار الصواريـخ وإن كان هذا ما حدث في هذه الحرب فليس صحيحًا أنه يمكن حدوثه في أية حرب مقبلة.

١ - المقاتلات / الصواريخ

لقـد كان الفكر السـائد قبل حرب أكتوبـر / رمضان هو أن المقاتـلات هى العنصر الأسـاسي في الدفـاع الجوى عـن أيـة دولـة. وكان مرد هـذا الفكـر راجعًـا إلى التطور السريـع الذي صاحب الطائرة وفشـل المدفعية المضادة للطائرات في اللحاق به وفشـل الصواريـخ هى الأخـرى فى الحد منه، وكانت معارك الطيران ضد الصواريخ سـواء في الجبهة المصرية أو فيتنام خير شاهد على ذلك وجاءت حرب رمضان / أكتوبر وانقلبت الموازين وإزاء الخسائر الجسيمة في السلاح الجوى الإسرائيلي وإزاء النجاح العظيم غير المتوقع الذي حققته الصواريخ ظهر السؤال التالي على السطح وهو أن عصر الصواريخ قـد بدأ وانتهى عصر الطائـرة المقاتلة • فما صحة هذا الـرأي الواقع أن نجاح المقاتلات يتوقـف على قدراتها وتسـليحها ومدة بقائها فى المعركة الجويـة والأهم قدرة الطيار على تحقيـق المهمـة كما أن فشـل الصواريخ فى المـاضي كان راجعًا فى المقـام الأول إلى عوامل عديدة أهمها :

* عدم سلامة الأسلوب المتبع للتخطيط في الدفاع بالصواريخ .
* التطور السريع الذي شهدته وسائل الإعاقة الإلكترونية لدرجة تمكنها من تعطيل معدات الصواريخ عن العمل .
* تعقد معدات الصواريخ والحاجة إلى مستوى تدريب عالٍ.
* تعرض معدات الصواريخ لأعمال العدو فالمعدات كبيرة الحجم، لا تخفى على أي طيار مهاجم مما يمكن فى سهولة ويسر إصابتها وما ينجم عن ذلك من كثرة الخسائر.
* الحاجة إلى العديد من الفنيين للعمل عليها وعدم توفير هذه الفئة لدى كثير من الدول.
* كثرة عدد الفنيين الذين يعملون على المعدات مما يجعل استعواضهم أمرًا صعبًا.
* الجهود الموجودة في أسلوب الاستخدام، وعدم تطوره بها يلائم التطور الموجود في العدو أو إكسابه المروءة اللازمة لمقابلة المواقف المختلفة فى القتال.

وجود بعض العيوب الفنية في صناعة الصواريخ مما يجعلها متأخرة تكنولوجيا عن المستوى الذي يجب أن تكون عليه وذلك راجع إلى قلة الخبرة المكتسبة عن قتال الصواريخ .

في ضوء كل هذه العوامل نجد أن نجاح الطائرة المقاتلة كان راجعًا إلى تفوقها وإن فشل الصواريخ كان راجعًا إلى تخلفها وأن ما حدث في حرب رمضان / أكتوبر كان راجعًا إلى التغلب على معظم عوامل التخلف، مما أدى بالصواريخ إلى تحقيق النتائج الحاسمة التي تحصلت عليها، ولا شك أن الاحتفاظ بكلتا النوعيتين الأولى تمتلك القدرة من البداية، والثانية توفرت لها القدرة في النهاية يجعل في البدء سلاحين مما يزيد من كفاءة الدفاع الجوى يعملان معًا في معركة الدفاع الجوى، لا يستغنى أحدهما عن الآخر، ولنا في التجمعات المنعزلة بالصواريخ مثلا على ذلك، فالعدو قادر على أن ينفرد بها وينهيها، إلا أن وجود المقاتلات في المعركة يؤدى إلى درجة صمود أطول وإلى خسائر أكثر في العدو قد يثنيه عن غرضه وبذا يحقق الدفاع الجوى الغرض مهمته.

٢- التعاون بين الصواريخ والمقاتلات

لاشك أن التعاون بين الصواريخ والمقاتلات يعتبر قمة استخدام العنصرين الأساسيين في الدفاع الجوى، وهناك من المواقف الكثيرة في القتال ما يستدعى استخدامها معًا، وهنا تبرز المشكلة وهى احتمال إصابة المقاتلات بواسطة عناصر الدفاع الجوى مما يؤدى إلى زيادة خسائرها عما هو متوقع بالنسبة إلى قتالها مع الطائرات المعادية. فما الحل هل الابتعاد عن إدماج العنصرين فى المعركة. أو إدخالها معًا فى المعركة. ولكل حل منهما مزاياه وعيوبه واحتمالاته وهل الصواريخ هي مصدر الخطر على المقاتلات عند عملها مع الصواريخ جنبًا إلى جنب أم هناك عناصر أخرى من عناصر الدفاع الجوى كالمدفعية والصواريخ القصيرة لها نفس التأثير.

ذكر الكثير من الكتاب الأجانب فيما كتبوا عن حرب رمضان / أكتوبر أن التعاون بين القاذفات المقاتلة والصواريخ كان من الصعب تحقيقه، فلقد كانت وحدات الصواريخ تجبر على التوقف أثناء قيام القاذفات المقاتلة بعملها . ولم يذكروا نوع التوقف وما طبيعة الموقف الجوى والأرضى الذي أملى ذلك الموقف، وهل كان الموقف منطبقًا على طول المواجهة أم على قطاعات محدودة منها إلى غير ذلك من التساؤلات التي تعتى للمحللين العسكريين.

الواقع أن هذه الحرب هى أول حرب قاتلت فيها القوات الجوية والصواريخ جنبًا إلى جنب فى مواقف سهلة وفى مواقف معقدة، فى قطاع واحد وفى قطاعات متعددة فى وقت واحد، ولذا فقد حفلت بالدروس والخبرات العملية وما يعنيني فى هذا المقام هو التعاون بين المقاتلات والصواريخ أرض- جو ذلك التعاون الذي يمكن أن يتم بنجاح لو أمكن التغلب على العوامل الآتية:

* الخوف من كثرة الخسائر المنتظرة فى المقاتلات وعادة ما يكون هذا الخوف حصيلة للعوامل النفسية المحيطة بالموقف أو الناجمة عن قصور الرؤيا.
* تبسيط أساليب تأمين عمل المقاتلات.
* سرعة الإنذار عن عمل المقاتلات وضمان وصول هذا الإنذار لكل العناصر التي يهمها الأمر.

* تزويد جميع عناصر الدفاع الجوى، بأجهزة التعارف دون مغالاة وذلك على مستوى وحدة النيران والوحدة التكتيكية.

* التدريب الجيد للوصول إلى إحكام التعاون بين الاثنين.

لقد تمكن حائط الصوازيخ من جانبه على التغلب على ما يعنيه من هذه المشكلات، فلقد بدأ أول اشتباكاته سعت ١٤٣٥ يوم ٦ أكتوبر وطائرات المظلة الجوية لا تزال في أوضاعها فوق القناة وذلك بمجرد التقاطه لأهداف تم تميزها معادية كما أنه لم يقابل بأية صعوبة عند قيام المقاتلات القاذفة بعملها شرق القناة، إذ أن السلاح الجوى الإسرائيلي في قطاعات عملها كان يهرع إلى الاشتباك معها ولم نجد صعوبة في تأمينها ذهابًا وعودته، كما أن قطاعات طيرانها كان يتم تأمينها بأسلوب حسابي يحقق تأمين خط سيرها، إلا أن الصعوبة ظهرت عند تواجد العدو في الثغرة فلقد تعقد الموقف البرى والجوى تمامًا ورغم ذلك أمكن الاهتداء خلال المعركة إلى أسلوب خاص ضمن تأمين القوات الجوية وأدى إلى تزايد الخسائر في العدو.

نخلص من هذا إلى أن عمل المقاتلات داخل مناطق الصواريخ ممكن على أن يلتزم كل من المقاتلات والصواريخ بالقيود التي تفرض عليها، وأن عمل القوات الجوية مع تجمعات الصواريخ أيضًا ممكن لو تم التغلب على العوامل السابقة تمامًا وتم التخطيط لذلك التعاون بعناية .

٣ - صمود تجميعات الصواريخ

لقد برهنت حرب رمضان / أكتوبر على صعوبة مهاجمة تجمعات الصواريخ المماثلة في شكلها لحائط الصواريخ المصري، لقد وجهت السلاح الجوى الإسرائيلي لحائط الصواريخ عدة هجمات بدأت أولها صباح يوم ٧/ ١٠ وانتهت الأخيرة صباح يوم ٢٢/ ١٠ وأخذت أشكالا عدة ما بين هجمة مركزة أو عدة هجمات مركزة على قطاع معين أو هجمات مركزة على عدة قطاعات في وقت واحد أو على التوالي، أو هجمات مركزة على أحد الأجناب .. والحمد لله قد باءت كلها بالفشل ولم ينجح العدو إلا فى أحداها وخسر فيها ما يقرب من ٣٠٪ من قوة الهجمة ولم تصاب المعدات ولا الأفراد

إلا بأقل الخسائر . لقد كان هذا الصمود من جانب حائط الصواريخ وهذا الفشل من جانب القوات الجوية الإسرائيلية هو السبب المباشر في عبور العدو للغرب للنيل منه ورغم ما حدث فلقد فشل في النيل منه أو إيقافه عن العمل . أن تجميعات الصواريخ الموجهة أرض- جو إذا تميزت بالتماسك والتنوع والتدريب الجيد، ووجدت الأسلوب الصحيح في استخدامها والمرونة في تطبيق الأسلوب بما يتفق مع احتياجات المعركة لصعب على المهاجم مهاجمتها، فمشكلة المهاجم أنه لا يعرف رد فعل المدافع عندما يقوم بالهجوم حتى لو توفرت لدية معلومات كافية عن الهدف الذي سيقوم بمهاجمته- وخاصة لو كان أحد تجميعات الصواريخ - فرغم ما يتوفر للعدو من معلومات سيظل غير واثق من رد الفعل أو الرد المضاد، الذي سيقوم بة تجميع الصواريخ وخاصة إذا علمنا أن التكتيكات التي يستخدمها المهاجم تتم عادة بناء على معلومات غير كاملة عن إمكانات المدافع. فإذا كان تجميع الصواريخ يتصف في أسلوبه بالمرونة ويعنى ذلك أن الأسلوب التكتيكي الذي يستخدم يتم اختياره من عدة أساليب لأصبح اختيار المهاجم لأسلوبه التكتيكي في مهاجمة تجميع الصواريخ أمرًا صعبًا . ورغم ذلك ستظل أجناب هذه التجميعات ومنتصفها طعمًا يشد انتباة المهاجم ويمكن بالتخطيط السليم والتضحية بقدر محترم من الخسائر إمكان مهاجمة هذه التجميعات وذلك بتوجيه هجمات جوية مركزة إليها بموجات متتالية من الطائرات للوصول إلى نسبة التدمير والتوقف المطلوبة.

إن معركة القوات الجوية ضد تجميعات الصواريخ أشبه ما تكون بمعارك الدبابات فأما الاختراق في المنتصف وتوسيع الثغرة أو طي أحد الأجناب أو كليهما وفى جميع الحالات العمل على توسيع الثغرة أو زيادة تآكل الجنب أو الأجناب .

٤- صمود وحدات الصواريخ المنعزلة

يتم الدفاع عن الإغراض الحيوية المختلفة بوحدات من الصواريخ المحدودة العدد وتبعًا لقرب هذه الإغراض من بعضها البعض قد تتشابك أو تتداخل مناطق تدميرها معًا ومثل هذه التجميعات المحدودة القوة تصبح هدفًا للعدو أذا أراد أن ينال منها، بالتركيز عليها بأعداد كبيرة من الطائرات مع استخدام الهجمات المخادعة، يمكن

اقتحام مثل هذه التجميعات وتدميرها، كما حدث بالنسبة إلى تجميع بورسعيد إلا أن هذا النجاح لا يمكن أن يكون متطلعًا للتسليم به إزاء كل التجميعات المنعزلة فعند دراسة درجة صمود أي تجميع يجب دراسة العوامل الآتية :

- أهمية الغرض للمدافع عنه بالنسبة إلى العدو وذلك من الناحية العسكرية - السياسية - النفسية - الإعلامية.
- دور الغرض بالنسبة إلى المدافع وحتى ينتهى دوره بالنسبة إلى المعركة القائمة.
- بعد الغرض عن قواعد العدو الجوية.
- حجم المجهود الجوى الذى يمكن للعدو حشده ضد الغرض.
- الفترة الزمنية التي يمكن فيها استمرار هذا المجهود وتأثير ذلك على المعركة أو المعارك الدائرة .
- إمكانية تدخل المقاتلات ضد العدو في المعارك الجوية وبأي حجم والفترة الزمنية التي يمكن فيها استمرار التدخل .
- إمكانية نيران وحدات الصواريخ منفردة وبالتعاون مع المقاتلات في أحسن وأسوأ الاحتمالات وأثر ذلك على درجة صمود الوحدات.
- حجم احتياطى المعدات المتيسر وإمكانية وكفاءة وقدرة عناصر الإصلاح .
- نوع التحصين ومدى ما يحققه من وقاية للأفراد والمعدات.
- مكان الاحتياطى الاستراتيجى القريب الذى يمكن دفعه للمعركة .

بدراسة هذه النواحي وتحليلها يمكن الوصول إلى درجة صمود التجميع المنعزل ويجب أن نضع في الاعتبار أنه لا توجد أي اعتبارات تطغى على درجة الصمود وإلا فإننا نلقى بوجبة شهية في فم الأسد ولنا ما حدث في بور سعيد خير مثل على ذلك .

٥- نظرة على المستقبل

بعد أن أوضحت سجل حائط الصواريخ في حرب رمضان / أكتوبريمكن للقارئ أن يخرج بانطباع سريع في أن حائط الصواريخ تمكن خلال ساعات من بدء القتال من

إفقاد العدو اتزانه، ثم بعد قتال مضي لمدة أربعة أيام تمكن ثانية من تحييد هذا السلاح وإخراجه المعركة بالإضافة إلى إنزال خسائر جسيمة بهذا السلاح مما أدى إلى حدوث انهيار مادي ومعنوي فيه، ذلك الانهيار الذي لولا الدعم الأمريكي الذي تقاطر لما تمكن هذا السلاح من أن يستعيد نشاطه في القتال مرة أخرى.

لقد كان السلاح الجوى الإسرائيلي يحتل مركز الصدارة بالنسبة إلى جيش الدفاع الإسرائيلي فعلى هذا السلاح وضعت إسرائيل عقيدتها في الحرب الخاطفة والضربة الوقائية، ولقد أثبتت لها حرب الأيام الستة - يونيو ٦٧ - صحة تلك العقيدة - وجاءت معارك الاستنزاف لتؤكد لها ذلك - مما جعلها تولى هذا السلاح كل الاهتمام والجهد المادي والمعنوي والفني، وجاءت حرب رمضان / أكتوبر لتنهى خرافة الذراع الطويلة والسلاح الذى لا يقهر وكان لحائط الصواريخ اليد الطولي في ذلك .

وإزاء هذا النجاح الباهر - والهزيمة الساحقة والخسائر الجسيمة التي لحقت بالسلاح الجوى الإسرائيلى بدأت الدوائر العسكرية في مختلف أنحاء العالم كله شرقه وغربه تفكر في مدى الدور الذى يمكن أن يؤديه الدفاع الجوى في المستقبل وخرجت جميعها في ضوء ما تيسر لها من معلومات إلى حقيقة واضحة تؤكد أهمية دور الدفاع الجوى في أية حرب مقبلة وإلى أهمية وجود دفاع جوى قادر على التصدي لأية قوات جوية معادية وإنزال هزيمة بها أو دحرها أن أمكن.

لقد أحيت حرب رمضان / أكتوبر الآمال أمام الكثيرين في إمكان توفير وقاية ضد الهجمات الجوية المعادية في أية حرب مقبلة بتكلفة أقل وفاعلية أكبر - فحتى حرب رمضان / أكتوبر كانت معظم الدول إذا استثنينا الدول الكبرى تعتمد في دفاعها الجوى على المقاتلات وبعض أنواع المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة التى تعمل بأجهزة الرادار أو بدونها وذلك جريًا وراء مبدأ الطائرة ضد الطائرة على أن تقوم المدفعية المضادة للطائرات بالوقاية المباشرة للأغراض الحيوية لقد نبع هذا الاعتقاد وأصبح فكرًا سائدًا للآتي :

- عدم جدوى المدفعية المضادة للطائرات التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية في إيقاف عمليات القصف الاستراتيجي الذي وجهه الحلفاء إلى ألمانيا، والتي

كان يستخدم فيها ما يقرب من ١٠٠٠ طلعة / طائرة توجه ضد مدينة واحدة أو منطقة فتحيلها إلى خراب كامل في ساعات قلائل .

- التطور السريع في صناعة الطائرات والذي شمل كل أجزاء الطائرة مما أدى إلى زيادة سرعة الطائرات وحمولتها وقدرتها على المناورة والإفلات من النيران.

- ظهور الأسلحة الذرية والهيدروجينية أوجد فكرًا استراتيجيًا مؤداة أن أي صراع مسلح يمكن إنهاؤه في وقت قصير بضربة جوية شاملة بالأسلحة الذرية أو بدونها بغرض تدمير إمكانات وقدرات العدو والتأثير على معنوياته لإجبارة على التسليم .

- ظهور فكر عسكري آخر ينادى بأن القوة الجوية التكتيكية يمكنها إحراز السيادة الجوية على أرض المعركة وأنه في ظل هذه السيادة يمكن للقوات البرية إتمام عملياتها بنجاح. ولقد تمادى معتنقو هذا الفكر في إمكاناتة حتى وصلوا إلى القول بأن القوة الجوية يمكنها أن تنهى الحرب - ولو أن هذا الفكر كان موضع التنفيذ في حرب كوريا إلا أنه لم يحقق الغرض وأثبتت حرب فيتنام فشل هذا الفكر.

وجاءت حرب رمضان / أكتوبر وتغيرت هذه المفاهيم تمامًا، إذ أمكن توفير دفاع جوى فعال وتكلفة أقل هذا من جانب الدفاع الجوى وخسائر جسيمة في الطائرات والطيارين لا يمكن لدولة كبرى أن تتحمله في ذلك العصر ومن هنا بدأ المنطلق نحو آفاق جديدة في الدفاع الجوى لتطويره أسلوبًا وتسليحًا. والواقع أن أية حرب ما هي إلا عمل اختبار كبير تختبر فيه الأسلحة والأساليب التكتيكية المستخدمة وأية حرب لا يمكن أن تسير على نفس الوتيرة التي سارت عليها سابقتها، وهذه سنة التطور والارتقاء وعلى ذلك تنبثق من كل حرب أسس ونظريات جديدة سواء فيما يختص بالأسلحة المستخدمة أو الأساليب التكتيكية، التي يجب اتباعها تهدف جميعًا إلى التغلب على النقائص أو العيوب التي كانت في الحرب السابقة. وبالدراسة التحليلية المتأنية بنبع الفكر السليم اللازم لتطوير المعدات أو أسلوب الاستخدام التكتيكي وللوصول إلى شكل التطور المنتظر في الدفاع الجوى تسليحًا وأسلوبًا وقد سلف ذكر كثير من

الإيجابيات والسلبيات للأسلحة التي كانت في حرب / أكتوبر. فلقد انجلت الحرب بنجاح للصواريخ ضد الطائرات عكس ما توقع الجميع وهنا بدأ الفكر يتجه إلى إمكان تحقيق دفاع جوى فعال بتكلفة أقل.

ولمعرفة الشكل المنتظر الذى تكون عليه عناصر الدفاع الجوى في المستقبل يجب أن نلم بالشكل الذي ستكون علية الطائرة كسلاح في المستقبل وشكل الحرب الإلكترونية التي تعاونها في مهمتها ومن خلال نتائج حرب رمضان / أكتوبر وما يجرى من دراسات وأبحاث للوصول إلى طائرة المستقبل نجد أن التصوير في صناع الطائرات قد وصل أو قارب تمامًا من الوصول إلى القمة وأن أي تطوير يتم في صناعة الطائرات سيتجه إلى:

- تحسين السرعة لزيادة سرعة التسلق وسرعة الإفلات من النيران مع تقصير زمن الطيران.
- زيادة المدى للوصول إلى تهديد الأغراض البعيدة أو البقاء في المعركة أطول زمن ممكن.
- زيادة الحمولة لإنزال دمار أكبر.
- تحسين القدرة على المناورة لتلافى نيران الصواريخ الموجهة.
- تحسين وسائل الملاحة والتنشين.

وما يهم الدفاع الجوى في هذه الناحية هو تطوير السرعة والمدى والقدرة على المناورة ووسائل الملاحة فهذه العوامل هي التي تؤثر على أسلوب قتال الدفاع الجوى تأثيرًا مباشرًا ورغم ما قد يصل إليه التطوير من نتائج فإن هناك حقائق ستظل ثابتة لا تتغير بتغير الوسائل ألا وهى :

- مهما زادت سرعة الطائرات فإن هناك سرعة لا يمكن للطائرات تجاوزها عند قيامها بمهاجمة أغراضها ويمكن القول إن السرعة ودقة الإصابة يتناسبان مع بعضهما تناسبًا عكسيًا.
- مهما زادت السرعة فإن إمكانية الطيار على إتمام المناورة يتوقف على قدرتين قدرة هيكل الطائرة وقدرة الطيار على تحمله عجلة الجاذبية التي يمكن تحملها أي أن

هنـاك قيـودًا لا يمكن تعديها فـإن أمكن صناعة هيكل قوى فـإن الطيار له قدرة كبشر لا يمكن أن يتعداها.

- إن تحسين وسائل الملاحة سيمكن إتمام الهجمات المنخفضة جدا دون التأثير بعوائق الأرض كما سييسر إتمامها ليلا أو فى ظروف الرؤية السيئة .
- إن زيادة المدى تستلزم توفير وقاية عن كل الأهداف الحيوية في ضوءمدى طائرات العدو والأهمية النسبية بين الأهداف الحيوية .
- إنه مهما أدخل من تحسين وتنويع على أجهزة التنشين فى الطائرات وارتفع مستوى تدريب الطيارين فسيستمر تميز الغرض وقصفه من مسئولية الطيار .

في ضوء ما سبق وفى ضوء ما انجلت عنه حرب رمضان / أكتوبر من نتائج يمكن لنا تصور التطور المنتظر فى أسلحة الدفاع الجوى .

الرادار والإنذار .

- زيادة مسافة كشف الأهداف لتصل إلى ٥٠٠ كم مع زيادة الدقة .
- استخدام أجهزة لديها القدرة العالية على مقاومة التداخل.
- استمرار الحاجة إلى نوعيات متعددة من الأجهزة لمقاومة التداخل .
- قفل الثغرات الموجودة في نظام الكشف والتي تسببها طبيعة الأرض بأجهزة رادار خفيفة.
- استمرار العناية بكشف الأهداف المنخفضة جدًا وخاصة في مناطق الحدود والسواحل .
- إدخال التطوير اللازم على المراقبة الجوية بالنظر (الرادار البصري) أسلوبًا وتسليحًا .
- يجب أن يكون الاتجاه هو استخدام طائرات الإنذار الجوى لتوفير العديد من الأجهزة والكثير من النفقات .

بالإضافة إلى التغلب على مشكلة اكتشاف الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض جدًا .

المدفعية المضادة للطائرات

- الاعتماد على المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة والرشاشات في الدفاع عن الأغراض الحيوية ويفضل متعددة المواسير منها.
- النظر في تزويدها بأجهزة رادار وأجهزة حاسبة في ضوء مداها، وقدرة الطيران المعادى على العمل ليلا.

بالإضافة إلى تكامل عناصر الدفاع الجوي عن الغرض بالصواريخ من عدمه.

الصواريخ الموجهة أرض-جو

ستؤدى الصواريخ الموجهة أرض- جو دورًا كبيرًا في نظام للدفاع الجوى مستقبلا وتبعًا لذلك ستلاحقها يد التطور بكل عناية وغالبًا ما يتجه ذلك التطور إلى :

الصواريخ قصيرة المدى

- الاستغناء عن الصواريخ الفردية وإحلالها بأخرى متعددة .
- زيادة مسافة تدميرها للطائرات إلى ٤ كم .
- ضرورة اشتباكها من أي اتجاه وعلى أي اتجاه وعلى أية زاوية .
- استخدام نوعيات مختلفة التوجيه أشعة دون الحمراء - الليزر.

الصواريخ متوسطة المدى

- زيادة لمسا ـة تدميرها للطائرات إلى ٦٠-٧٠ كم وسيؤدى ذلك إلى خلق فرص

اشتباك أفضل مع الأهداف المناورة كذا إمكان الاشتباك أكثر من مرة مما يقلل عدد الوحدات المطلوبة للدفاع عن غرض ما.

- تواجد نوعيات مختلفة تعمل على نطاقات ترددية مختلفة للتغلب على مشكلة التداخل وأسلحة الخمد .

- الحاجة إلى صاروخ متوسط قادر على القيام بالمناورة حتى ٢٠-٢٥ عجلة جاذبية ليمكنه تنفيذ المناورة المطلوبة مع الطائرات المناورة .
- ضرورة تواجد صاروخ ذى مدى متوسط نسبيًا خفيف الحركة للعمل مع القوات يتراوح مداه بين ١٢ -١٥ كم .

المقاتلات

- الحاجة إلى مقاتلة صغيرة الحجم لها قدرة على المناورة ومسلحة تسليحًا جيدًا .
- استخدام أنظمة التوجيه الآلية في توجيه المقاتلات وإدارة العمليات الجوية .
- أن يتيسر لها مدى كبير نسبيًا حتى يمكنها البقاء في الجو أطول زمن ممكن أو تغطية أكبر عدد من الأغراض .

القيادة والسيطرة

- استخدام نظام القيادة والسيطرة الآلي على أن يعمل بجواره النظام اليدوي الحالي وذلك لتلافى ما يحدث من تعطل في النظام الأول.

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت : ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤ - ٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - اسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما امير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢

مكتبات ووكلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة-
بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيروت - الفرع الجديد - شارع الصيدانى - الحمراء - راس بيروت - بناية سنتر ماريا
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -
سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد - المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

تونس

المكتبة الحديثة - ٤ شارع الطاهر صفر - ٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض
(ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع طريق الملك فهد مع طريق العروبة - هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية - شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة : ٢١٤٨٧ ت : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -
الرياض - المملكة العربية السعودية - ص. ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت: ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية - الجوف - المملكة العربية السعودية - دار الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
ت: ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +
تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب